(الجزء الثاني)

من الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل

للامام العلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي





المتوفى سنة ٥٢٨

غفر الله له

آمين

(ومن كلامه رحمه الله تحدثا بنعمة ربه وشكرا)

❁ ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ❁ وليس فيها لعمري مثل كشاف ❁
❁ ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ❁ فالجهل كالداء والكشاف كالشافي ❁

وبالهامش الكتاب الجليل المسمى بالانتصاف للامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي قاضي الاسكندرية وفاضلها المشهور المتوفى سنة ٦٨٣ وقد بين فيه ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وناقشه في أعاريب وأحسن الجدال مع حسن الايجاز

وبالهامش أيضا القرآن العظيم بتمامه وقد ذيل بكتاب تنزيل الآيات على الشواهد من الابيات للعالم المدقق محب الدين أفندي وهو شرح موجز بليغ على أبيات شواهد الكشاف وهي زهاء ألف بيت

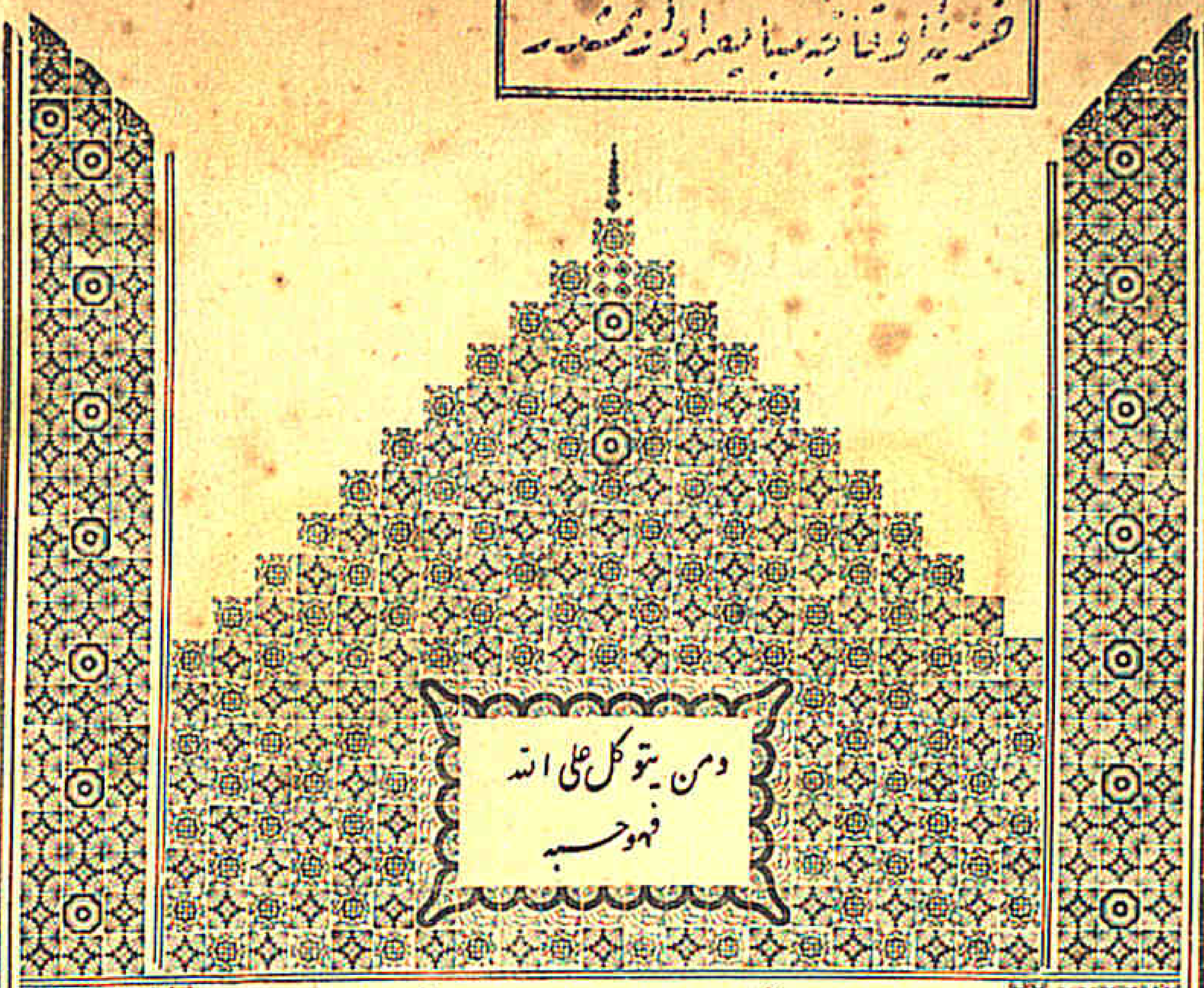
(طبع على نفقة حضرات الشيخ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر)

(الطبعة الثانية)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١٨ هجريه

(بالقسم الادبي)



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

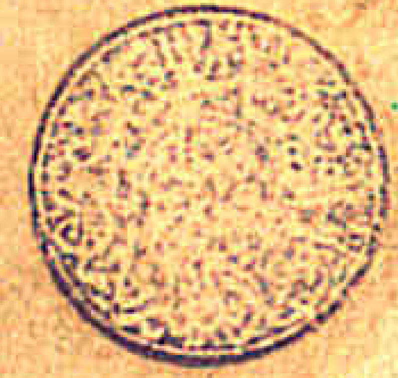
يسألونك عن الانفال

* النفل الغنيمة لانها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد * ان تقوى ربنا خير نفل * والنفل ماينفله الغازى أى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعى رحمه الله فى أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها أللمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء فى ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبي وقاص قتل أخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى مالا يعلمه

قوله سعيد بن العاص كذا نسخ الكشاف وأبى السعود وبهامشه قال أبو عبيد صوابه العاص بن سعيد كما فى بعض حواشى البيضاوى والقبض بفتحتين ماقبض من الغنائم اه كتبه المصحح

قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا

الا الله تعالى من قتل أخى وأخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين * وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال (فان قلت) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله (قل الانفال لله والرسول) (قلت) معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر فى قسمتها مفوضا الى رأى أحد والمراد أن الذى اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسى المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافى (فاتقوا الله) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين فى الله (وأصلحوا ذات بينكم) وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (فان قلت) ما حقيقة قوله ذات بينكم (قلت) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهى مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك يريدون ما فى الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم كاملى الايمان واللام فى قوله (انما المؤمنون) اشارة اليهم أى انما الكاملو الايمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا (وجلت قلوبهم) فزعت وعن أم الدرداء الوجل فى القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعنى فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة نحو وبق فى وبق وفى قراءة عبد الله فرقت (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبى هريرة رضى الله عنه الايمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه * جمع بين أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (حقا) صفة للمصدر المحذوف أى أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن



أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا أدرى أمنهم أنا أم لا وعن الثورى من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان وكان أبو حنيفة رضى الله عنه ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه أنه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى (درجات) شرف وكرامة وعلو منزلة (ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب (كما أخرجك ربك) فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدا محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول أى الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون و (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) أى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش أقبلت من الشأم فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس ابن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون (قال فى كما وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف الخ) قال أحمد وكان جدى أبو العباس أحمد الفقيه الوزير رحمه الله يذكر فى معنى الآية وجها أوجه من هذين وهو ان المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالانفال

لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون

وتفويض أمرها الى حكمه من حيث الانابة والجزاء باخراجه من بيته مطيعا لله تعالى سامعا لأمره راضيا بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك فى الطاعة فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية فكما بلغت طاعته الغاية فى نوع الطاعات فكذلك بلغت اثابة الله الغاية فى جنس المثوبات وجماع هذا المعنى هو المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام الأجر على قدر النصب ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير والله الموفق

ابن

ابن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شئ فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون * والحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير (بعدما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال * ثم شبه حالهم فى فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروى أنه ما كان فيهم الا فارسان (اذ) منصوب باضمار اذكروا (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير و (غير ذات الشوكة) العير لانه لم يكن فيها الا أربعون فارسا والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنه قولهم شائك السلاح أى تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى (أن يحق الحق) أن يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر * والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم فى أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالى الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز فى الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها * وقرئ بكلمته على التوحيد (فان قلت) بم يتعلق قوله (ليحق الحق) (قلت) بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه (فان قلت) أليس هذا تكريرا (قلت) لا لأن

يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون

* قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (قال يعنى انكم تريدون العاجلة وسفساف الامور الخ) قال أحمد والتحقيق فى التمييز بين الكلامين ان الاول ذكرت الارادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة كأنه قيل وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومن شأن الله تعالى ارادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الاطلاق ولارادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة فبين الكلامين عموم وخصوص

المعنيين متباينان وذلك أن الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك الا لهذا الغرض الذى هو سيد الاغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع (فان قلت) بم يتعلق (اذ تستغيثون) (قلت) هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لابد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون أى ربنا انصرنا على عدوك ياغياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعوا اللهم أنجز لى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الارض فمازال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضى الله عنه فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ماوعدك (أنى ممدكم) أصله بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابى عمرو أنه قرأ انى ممدكم بالكسر على ارادة القول أو على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (فان قلت) هل قاتلت الملائكة يوم بدر (قلت) اختلف فيه فقيل نزل جبريل فى يوم بدر فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن أبى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن أبى جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد فى أثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل أن يصل اليه سيفى وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذى تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته اياه اذا أتبعته ويقال أردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين اياهم المؤمنين أى يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى فى سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين * وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أى مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدى بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما فى سورة آل عمران (فان قلت) فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم (قلت) بأن المراد بالالف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين

واطلاق وتقييد وفى ذلك مالا يخفى من المبالغة فى تأكيد المعنى بذكره على وجهين اطلاق وتقييد والله أعلم

لهم

---

* قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه (قال وقرئ اذ يغشيكم بالتخفيف والتشديد الخ) قال أحمد ومثل هذا النظر يجرى عند قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا لان فاعل الاراءة هو الله عز وجل وفاعل الخوف والطمع هم وقد انتصبا مفعولا لهما فالجواب انه لما كان الله تعالى اذا أراهم البرق رأوه كانوا فاعلين فى المعنى وكان المعنى وهو الذى يريكم البرق (٧) فترونه خوفا وطمعا فهذا مثل آية الانفال فان المفعول فى المعنى فاعل وسيأتى مزيد بحث فى هذه النكتة وقد جرى القلم بتعجيلها ههنا وذلك أن لقائل أن يقول فاعل يغشى النعاس اياهم هو الله تعالى وهو فاعل الأمنة أيضا وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة فيرتفع السؤال ويزول الاشكال على قواعد السنة التى تقضى نسبة أفعال الخلق الى الله تعالى على انه خالقها ومبدعها ولمورد السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفا بالعلة كما هو متصف بالفعل والبارى عز وجل وان كان خالق الامنة للعبد وكان بها آمنا فالعبد هو الفاعل اللغوى وان كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة وحينئذ يفتقر السؤال الى الجواب السالف والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك الخ) قال أحمد وجه حسن بشرط الادب فى اسقاط لفظة التخييل وقد تقدمت له امثالها

لهم (فان قلت) الام يرجع الضمير فى (وما جعله) (قلت) الى قوله أنى ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم (فان قلت) ففيمن قرأ بالكسر (قلت) الى قوله انى ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو فى معنى القول ويجوز أن يرجع الى الامداد الذى يدل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبنى اسرائيل يعنى أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما فى من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل و (أمنة) مفعول له (فان قلت) أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا (قلت) بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أى لأمنكم و (منه) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله عز وجل (فان قلت) فعلى غير هذه القراءة (قلت) يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الايمان أى ينعسكم ايمانا منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا (فان قلت) هل يجوز أن ينتصب على أن الامنة للنعاس الذى هو فاعل يغشاكم أى يغشاكم النعاس لأمنه على أن اسناد الأمن الى النعاس اسناد مجازى وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم فى وقت كان من حق النعاس فى مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل (قلت) لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيى حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضى الله عنه النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة وسوسة من الشيطان (وينزل) قرئ بالتخفيف والتثقيل * وقرأ الشعبى ما ليطهركم به قال ابن جنى ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور و (رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون فى كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله عز وجل المطر فمطر ليلا حتى جرى الوادى واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على

وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام

اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم و بئس المصير

عدوة الوادى وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى كان بينهم و بين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير فى به للماء ويجوز أن يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم فى مواطن القتال (اذ يوحى) يجوز أن يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وأن ينتصب بثبت (أنى معكم) مفعول يوحى وقرئ انى بالكسر على ارادة القول أو على اجراء يوحى مجرى يقول كقوله انى ممدكم والمعنى انى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله (سألقى * فاضربوا) يجوز أن يكون تفسيرا لقوله انى معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفون وجهه فيأتى فيقول انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشى بين الصفين فيقول أبشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه * وقرئ الرعب بالتثقيل (فوق الاعناق) أراد أعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام قال * وأضرب هامة البطل المشيح *

غشيته وهو فى جأواء باسلة * عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا

* والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما وقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله سألقى الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولى سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب أو كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم سألقى فالضاربون على هذا هم المؤمنون (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و (بأنهم) خبره أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعادين فى شق خلاف شق صاحبه وسئلت فى المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا فى عدوة وذاك فى عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا فى خصم أى فى جانب وذاك فى خصم وهذا فى شق وذاك فى شق والكاف فى ذلك لخطاب الرسول عليه السلام أو لخطاب كل واحد وفى (ذلكم) للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم (فذوقوه) ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم فى وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر (زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيبا من زحف الصبى اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم فى العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين أى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر ألفا وتقدمة نهى لهم عن الفرار يومئذ وفى قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه (الا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (أو متحيزا) أو منحازا (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعن ابن عمر رضى الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة الى عمر رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضى الله عنه أنا فئتك وعن ابن عباس رضى الله عنه ان الفرار من

الزحف من أكبر الكبائر (فان قلت) بم انتصب الا متحرفا (قلت) على الحال والا لغو أو على الاستثناء من المولين أى ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا * وقرأ الحسن دبره بالسكون و وزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز * لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وأقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى رضى الله عنه أعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم و يأسرونهم فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم (ولكن الله قتلهم) لانه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (وما رميت) أنت يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعنى أن الرمية التى رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذى لا تطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول عليه السلام أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده (وليبلى المؤمنين) وليعطيهم (بلاء حسنا) عطاء جميلا قال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو * والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع أى الغرض ذلكم (وأن الله موهن) معطوف على ذلكم يعنى أن الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذى هو التنوين والاعمال (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعانى ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروى أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين و روى أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أى فأهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين (وان تنتهوا) خطاب للكافرين يعنى وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وان الله) قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه و يعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين * وقرئ ولن يغنى عنكم بالياء للتفصل (ولا تولوا) قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير فى (عنه) لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله و رسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فى فلان و يجوز أن يرجع الى الامر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه (وأنتم تسمعون) أى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أى ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن * ثم قال (ان شر الدواب) أى ان شر من يدب على وجه الارض أو ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون

جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت الخ) قال أحمد أوضح مصداق فى التمييز بين الحقيقة والمجاز ألا تراك تقول للبليد ليس بحمار و يصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجوز انه حمار فاذا ثبت لك أن من مميزات المجاز صدق سلبه بخلاف الحقيقة فافهم ان هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالرد وذلك ان الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم ولا محمل لذلك الا ان ثبوته لهم مجاز والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى فاثبته لهم مجازا ونفاه عنهم حقيقة وايالك أن تعرج على تعكيس الزمخشرى فى تأويل الآية فانه نظر أعوج و باطل مخلج والحق أبلج والله الموفق بكرمه

*قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (قال يعنى ولو علم الله ان اللطف ينفع فى هؤلاء الخ) قال أحمد رحمه الله اطلاق القول بان الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود فان اللطف هو اسداء الجميل والالطاف به واسمه اللطيف من ذلك فاذا أسدى الجميل الى العبد بان اسمعه اسماع لطيف به فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق فى قلبه قبول الحق وحسن الاصغاء اليه والاهتداء به ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأى الفاسد فى خلق الافعال لان مقتضاها أن العبد هو الذى يخلق لنفسه قبول الحق والهداية

وحسن الاستماع والاصغاء وان الله تعالى لا يشارك العبد فى خلق ذلك بل الذى ينسب الى الله تعالى ارادة الهداية من جميع الخلق ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله عما يقولون ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل الزمخشرى أيضا فان

ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا

حاصله ولو علم الله فيهم خيرا للطف بهم ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم

جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها (ولو علم الله) فى هؤلاء الصم البكم (خيرا) أى انتفاعا باللطف (لاسمعهم) للطف بهم حتى يسمعوا اسماع المصدقين ثم قال (ولو أسمعهم لتولوا) عنه يعنى ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب (اذا دعاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على باب أبى بن كعب فناداه وهو فى الصلاة فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعونى الا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى أن دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلى فله أن يقطع صلاته (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت ولبعضهم

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم فى القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يعنى أنه يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكن من اخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شئ من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه* وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر (فتنة) ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله (لا تصيبن) لا يخلو من أن يكون جوابا للامر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بنى اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد أمر فكانه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على

لله تعالى وذلك محال عقلا فلا يرتفع الاشكال الا بتقدير الاسماع الواقع جوابا أولا خلاف الاسماع الواقع شرطا ثانيا كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور وأقرب وجه فى اختلاف الاسماعين أن يراد بالاول ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اسماعا يخلق لهم به الهداية والقبول ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء بل اسماعا مجردا من ذلك لتولوا وهم معرضون فهذا هو الوجه فى تأويل الآية والله الموفق* قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه (قال معناه أنه يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها الخ) قال أحمد رحمه الله نعم هذا عقد أهل السنة الذى استعار لهم لقب المجبرة وهو المعتقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها الى الواحد الحق خالق الخلق فان كان ذلك ظلما فانا برىء من الطائفة المتسمية بالعدلية اصرارا على هذا الرأى الباطل والمعتقد الماحل والله الموفق

اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا

ارادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

أى بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التى هى لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت فى على وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدى نزلت فى أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروى أن الزبير كان يساير النبى صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل على رضى الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلى فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى انى أحبه كحبى لولدى أو أشد حبا قال فكيف أنت اذا سرت اليه تقاتله (فان قلت) كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة فى جواب الامر (قلت) لان فيه معنى النهى اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم (فان قلت) فما معنى من فى قوله الذين ظلموا منكم (قلت) التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثانى لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم أقبح منكم من سائر الناس (اذ أنتم) نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف أى اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين (فى الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافقين مضادين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم) بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) ارادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحى من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم فى البلاد ووسع لهم فى الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا * معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل فى ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به و (أماناتكم) فيما بينكم بان لا تحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وعن المغيرة نزلت فى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده (فان قلت) وتخونوا جزم هو أم نصب (قلت) يحتمل أن يكون جزما داخلا فى حكم النهى وأن يكون نصبا باضمار أن كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد * جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدى اليه هممكم وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هى من جملة ما نزل فى أبى لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده (فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر

باذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة * لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الانصار وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ لعنه الله صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت فى مضجعه وأذن الله له فى الهجرة فأمر عليا رضى الله عنه فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله عز وجل سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعى ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق (ويمكرون) ويخفون المكايد له (ويمكر الله) ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا ولانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب (لو نشاء لقلنا مثل هذا) نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين أن يشاؤا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا فى باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يغمروه وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الاساطير وهو القائل (ان كان هذا هو الحق) وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعنى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك ان كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو فى القراءة الاولى فصل * ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار فى معنى العذاب (فان قلت) ما فائدة قوله (من السماء) والامطار لا تكون الا منها (قلت) كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا (بعذاب أليم) أى بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعنى أن أمطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبا ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم

امرأة

ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم

امرأة قال أجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له * اللام لتأكيد النفى والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم فى الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بأنهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم (وهم يستغفرون) فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم أن لا يعذبهم الله وأى شئ لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لان يلى أمره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام (ولكن أكثرهم لا يعلمون) كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم * المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كأنه سمى بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكى والبكاء * والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد اذا قومك منه يصدون * وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه (فان قلت) ما وجه هذا الكلام (قلت) هو نحو من قوله

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته يخلطون عليه (فذوقوا) عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التى لا يقدم عليها الا الكفرة * قيل نزلت فى المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة فى العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت فى أبى سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم اربعين أوقية والاوقية اثنان وأربعون مثقالا (ليصدوا عن سبيل الله) أى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك (ثم تكون عليهم حسرة) أى تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن أنا ورسلى (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من) الفريق (الطيب) من المؤمنين * فيجعل الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعنى لفرط ازدحامهم (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذى أنفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذى أنفقه المسلمون كأبى بكر وعثمان فى نصرته فيركمه فيجعله فى جهنم فى جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا * وقرئ ليميز على التخفيف (قل للذين

وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين

كفروا) من أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو (ان ينتهوا) ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه أي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الأولين) منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا أسلم لم تبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء (وان تولوا) ولم ينتهوا (فان الله مولاكم) أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (أنما غنمتم) ما موصولة و (من شئ) بيانه قيل من شئ حتى الخيط والمخيط (فأن لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون (فان قلت) كيف قسمة الخمس (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى أعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم (فان قلت) ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه (قلت) يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل

وميكال

كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

* قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى الآية (قال ان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه الخ) قال أحمد لان مالكا رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان أنه لا يصرف فيما سواها وليس لان يتملكها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض بل الامر عنده موكول الى نظر الامام فيصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام ولا تحديد عنده في ذلك البتة وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه وبيان ذلك أن المراد حينئذ ذكر الله تعالى بيان أن الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديدا ولكن تنبيها على فضلها والتخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الاول بل هو قار على حاله كما أن العموم ثابت للملائكة وان خص جبريل وميكال بعده والله تعالى أعلم

وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال أبو العالية انه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب يده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان على ستة أسهم لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي أن أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيأ ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضي الله عنه في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولي الامر من بعده وعن الكلبي رضي الله عنه أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (فان قلت) بم تعلق قوله (ان كنتم آمنتم بالله) (قلت) بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر (وما أنزلنا) معطوف على بالله أي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين (يوم الفرقان) يوم بدر و (الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ (والله على كل شئ قدير) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ) بدل من يوم الفرقان * والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية * والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى (فان قلت) كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو (قلت) القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة (والركب أسفل منكم) يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدأ (فان قلت) ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم (قلت) الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله سبحانه ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب

ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم

* قوله تعالى اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد (قال ان قلت ما فائدة ذكر مركز الفريقين وان العير كانت أسفل منهم الخ) قال أحمد وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز

* قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا و يقللكم فى أعينهم (قال ان قلت بأى طريق يبصرون الكثير قليلا الخ) قال أحمد وفى هذا دليل بين على ان الله تعالى (١٦) هو الذى يخلق الادراك فى الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك اذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلا لما أمكن ان يستر عنهم البعض وقد أدركوا البعض والسبب الموجب مشترك فعلى هذا يجوز ان يخلق الله الادراك مع اجتماعها فلا ربط اذا بين الرؤية ونفيها فى مقدرة الله تعالى وهى رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الاسباب فى حصول الادراك عقلا وانها تستلزم الجسمية اذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب انما تتأتى فى جسم فهذه الآية حسبهم فى ابطال زعمهم ولكنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون والله الموفق

ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا و يقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا

الاسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ما وفقه الله وسبب له (ليقضى) متعلق بمحذوف أى ليقضى أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها * وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيى باظهار التضعيف (لسميع عليم) يعلم كيف يدبر أموركم ويسوى مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصبه باضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك (فى منامك) فى رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراه اياهم فى رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن فى منامك فى عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته (لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم) فى الرأى وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) أى عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان يعنى واذ يبصركم اياهم و (قليلا) نصب على الحال وانما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال ألفا (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور (فان قلت) الغرض فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض فى تقليل المؤمنين فى أعينهم (قلت) قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن فى حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأى العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا (فان قلت) بأى طريق يبصرون الكثير قليلا (قلت) بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث فى أعينهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما فى خطب أمير المؤمنين عليه السلام فى أيام صفين وفى مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعانى وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر (ولا تنازعوا) قرئ بتشديد التاء (فتفشلوا) منصوب باضمار أن أو مجزوم لدخوله فى حكم النهى وتدل على التقدير بن قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب

وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم * والريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

يا صاحبى ألا لاحى بالوادى * الا عبيد قعود بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم * أم تعدوان فان الريح للعادى

وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى وفى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * حذرهم بالنهى عن التنازع واختلاف الرأى نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم (كالذين خرجوا من ديارهم) هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فأتاهم رسول أبى سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله * (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التى عملوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم * فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أى بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت التى بينها وبين بنى كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من أشرافهم فى جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده فى يد الحرث ابن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا فى هذه الحال فقال انى أرى ما لا ترون ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفى الحديث وما رؤى ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤى يوم بدر (فان قلت) هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا (قلت) لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم (اذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام وعن الحسن هم المشركون (غر هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى الاستقبال و (اذ) نصب على الظرف * وقرئ يتوفى بالياء والتاء (والملائكة) رفعها بالفعل و (يضربون) حال منهم ويجوز أن يكون فى يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر * وعن مجاهد وأدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكنى وانما خصوهما بالضرب لان الخزى والنكال فى ضربهما أشد وبلغنى عن أهل الصين أن عقوبة الزانى عندهم أن يصبر ثم يعطى الرجل القوى البطش شيأ عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد فى مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر (وذوقوا) معطوف على يضربون على ارادة القول أى ويقولون ذوقوا (عذاب الحريق) أى مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيعا منكرا (ذلك بما قدمت أيديكم) يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله (ليس

كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس

بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد أو لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه * الكاف فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه وواظبوا و (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون و (ذلك) اشارة الى ما حل بهم يعنى ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح فى حكمته أن يغير نعمته عند قوم (حتى يغيروا ما) بهم من الحال (فان قلت) فما كان من تغيير آل فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة (قلت) كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين فى اراقة دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد وفى قوله (بآيات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق * وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أى أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار (فاما تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء وأوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بأمارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (ان الله لا يحب الخائنين) فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة والجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا (سبقوا) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (انهم لا يعجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون * وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضى الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا فى محل الحال بمعنى سابقين أى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التى تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهرى أنها نزلت

بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم

* قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد (قال وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد الخ) قال أحمد وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفى الادنى أبلغ من نفى الاعلى فلم عدل عن الابلغ والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة فهذان الجوابان عتيدان فى هذا السؤال

فمن أفلت من فل المشركين (من قوة) من كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله وعن عكرمة هى الحصون * والرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذى هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله (ومن رباط الخيل) تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين رحمه الله أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى فى الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر
* ان الحصون الخيل لا مدر القرى * (ترهبون) قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما تخزون والضمير فى (به) راجع الى ما استطعتم (عدو الله وعدوكم) هم أهل مكة (وآخرين من دونهم) هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدى هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن * جنح له واليه اذا مال * والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أن الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا * وقرأ الاشهب العقيلى فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر فى جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة (فان حسبك الله) فان محسبك الله قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

(وألف بين قلوبهم) التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة فى أدنى شئ والقائه بين أعينهم الى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتوادد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب فى الله والبغض فى الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذى يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته (ومن اتبعك) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال * فحسبك والضحاك عضب مهند * والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا أو يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت * التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت أو أن تسميه حرضا وتقول له ما أراك الا حرضا فى هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك منه ويقال حركه وحرضه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى * وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص * وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال (بأنهم قوم

من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم

* قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (قال القوة الرمى روى عقبة ابن عامر أنها الرمى الخ) قال أحمد والمطابق للرمى أن يكون الرباط على بابه مصدرا والله أعلم وهو حسبى ونعم الوكيل

لا يفقهون) أى بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله تعالى وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضى الله عنه فى ثلاثين راكبا فلقى أبا جهل فى ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف ✽ وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف ✽ وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء فى الموضعين والمراد بالضعف الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك (فان قلت) لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده (قلت) للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ✽ قرئ للنبى على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم أثخنته الجراحات اذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض اذا أثقله من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل فى أهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى (ما كان) ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن أبى طالب فاستشار أبا بكر رضى الله عنه فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى أنه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وستة دنانير وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضى الله عنهما لقوله كان الاثخان فى القتل أحب الى (عرض الدنيا) حطامها سمى بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء (والله يريد الآخرة) يعنى ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل ✽ وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ ✽ ونار توقد بالليل نارا

ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعنى ثوابها (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه (حكيم) يؤخرذلك الى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم منه سبق اثباته فى اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا بخطا وكان هذا خطأ فى الاجتهاد لانهم نظروا فى أن استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التى أخذوها وقيل ان أهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهى ولم

لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

يتقدم نهى عن ذلك (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم (واتقوا الله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه (فان قلت) ما معنى الفاء (قلت) التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم ✽ وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا وقوله (ان الله غفور رحيم) معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم (فى أيديكم) فى ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم ✽ وقرئ من الاسرى (فى قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة وفى قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس رضى الله عنه أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا اطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابنى أخيك عقيل بن أبى طالب ونوفل ابن الحرث فقال يا محمد تركتنى أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك فأما اذ أخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس رضى الله عنه فأبدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل (وان يريدوا خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ✽ الذين هاجروا أى فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون ✽ والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الانصار (بعضهم أولياء بعض) أى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ✽ وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر أن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا (فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الا على قوم) منهم (بينكم وبينهم) عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤن بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله تعالى فى المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (الا تفعلوه) أى الا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء (اولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا

فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم

بالايمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا (وأولو الارحام) أولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فى كتاب الله) تعالى فى حكمه وقسمته وقيل فى اللوح وقيل فى القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على توريث ذوى الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برىء من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته فى الدنيا

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضى الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة وانما هى سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه (فان قلت) هلا صدرت بآية التسمية كما فى سائر السور (قلت) سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضى الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبى بن كعب انما توهموا ذلك لان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة رضى الله عنه فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب فى النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبى صلى الله عليه وسلم قد كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعى الى الله عز وجل فأجاب ودعى الى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فانما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت فى القتال تعدان السابعة من الطول وهى سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدا محذوف أى هذه براءة و (من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله (الى الذين عاهدتم) كما يقال كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بنى تميم فى الدار * وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة * وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهم (فان قلت) لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد أذن الله فى معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين * روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر

الحرم

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الآية (قال معناه ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين الخ) قال أحمد ووراء ما ذكره سر آخر هو المرعى والله أعلم وذلك أن نسبة العهد الى الله ورسوله فى مقام نسبه النبذ من المشركين لا تحسن شرعا ألا ترى الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراء السرايا حيث يقول لهم واذا نزلت بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فأنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أصادفت حكم الله فيهم أولا وان طلبوا ذمة الله فأنزلهم على ذمتك فلأن تخفر ذمتك خير من أن تخفر ذمة الله فانظر الى أمره عليه الصلاة والسلام بتوقير ذمة الله مخافة أن تخفر وان كان لم يحصل بعد ذلك الامر المتوقع فتوقير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث وقد تبرأ من الله ورسوله بان لا ينسب العهد المنبوذ الى الله أحرى وأجدر فلذلك نسب العهد الى المسلمين دون البراءة منه والله أعلم

وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم

الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر رضى الله عنه فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر رضى الله عنهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشئ نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآى فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضى الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد رضى الله عنه ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما أمر أن لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها فى نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر رضى الله عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا فى نقض العهود فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضى الله عنه (فان قلت) الاشهر الاربعة ما هى (قلت) عن الزهرى رضى الله عنه أن براءة نزلت فى شوال فهى أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان فيهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة (فان قلت) ما وجه اطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين فى الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك (قلت) قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها (غير معجزى الله) لا تفوتونه وان أمهلكم * وهو مخزيكم أى مذلكم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وأذان) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد فى قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء (فان قلت) أى فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية (قلت) تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت (فان قلت) لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس (قلت) لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمى وعن على رضى الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتى وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان أريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن رضى الله عنه سمى يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم فى قلب كل مؤمن وكافر * حذفت الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان فى معنى القول (ورسوله) عطف على المنوى فى برىء أو على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان أو لان الواو بمعنى مع أى برىء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال

غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم

فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله

ان كان الله بريأ من رسوله فأنا منه برىء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابى قراءته فعندها أمر عمر رضى الله عنه بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو خير لكم وان توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولى والاعراض عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير) سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذه وعقابه (فان قلت) مم استثنى قوله (الا الذين عاهدتم) (قلت) وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمر وافى الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر * ان الله يحب المتقين يعنى أن قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله فى ذلك (لم ينقصوكم شيأ) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم) عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام لا نصرت ان لم أنصركم * وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أى لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) فأدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضى الله عنهما بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم * انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء و(الاشهر الحرم) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) يعنى الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد وعن ابن عباس رضى الله عنهما حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم (فخلوا سبيلهم) فأطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله * خل السبيل لمن يبنى المناربه * وعن ابن عباس رضى الله عنهما دعوهم واتيان المسجد الحرام (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره

* قوله تعالى الا الذين عاهدتم (قال ان قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه أن يكون مستثنى الخ) قال أحمد ويجوز أن يكون قوله فسيحوا خطابا من الله تعالى للمشركين غير مضمر قبله القول ويكون الاستثناء على هذا من قوله الى الذين عاهدتم كأنه قيل براءة من الله ورسوله الى المعاهدين لا الباقين على العهد فأتموا اليهم أيها المسلمون عهدهم ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين فى قوله الى الذين عاهدتم الى خطاب المشركين فى قوله فسيحوا ثم التفات من التكلم الى الغيبة بقوله واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله وأصله واعلموا أنكم غير معجزى وأنى وفى هذا الالتفات بعد الالتفات الاول افتنان فى أساليب البلاغة وتفخيم للشأن وتعظيم للامر ثم يتلو هذا الالتفات العود الى خطاب المسلمين بقوله الا الذين (٣٤) عاهدتم ثم لم ينقصوكم فأتموا وكل هذا من حسنات الفصاحة وانما بعث الزمخشرى على تقدير القول قبل فسيحوا مراعاة أن يطابق قوله فأتموا اذ المخاطب على هذا التقدير المسلمون أولا وثانيا ولا يكون فيه شىء من الالتفاتات المبنية على التأويل الذى ذكرناه وكلا الوجهين ممتاز بنوع من البلاغة وطرف من الفصاحة والله أعلم * قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد (قال فيه المرصد المجاز والممر الخ) قال أحمد ويكون انتصابه دون جره من الاتساع لان المرصد ظرف مختص والاصل قصور الفعل عن نصبه ويكون مثل قوله فى الاتساع * كما عسل الطريق الثعلب * ويحتمل والله أعلم أن يكون مرصد مصدرا لان صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحدة فعلى هذا يكون منصوبا نصبا أصليا لان اقعدوا فى معنى ارصدوا كأنه قيل وارصدوهم كل مرصد الا أن الظرفية يقويها قوله حيث وجدتموهم فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفى المكان والله أعلم

ويطلع

ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم

ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت فى كل وقت وعن الحسن رضى الله عنه هى محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد ابن جبير جاء رجل من المشركين الى على رضى الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدى والضحاك رضى الله عنهما هى منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين (ذلك) أى ذلك الامر يعنى الامر بالاجارة فى قوله فأجره (ب) سبب (أنهم قوم) جهلة (لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق (كيف) استفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم يعنى محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم * ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على العهد (فاستقيموا لهم) على مثله (ان الله يحب المتقين) يعنى أن التربص بهم من أعمال المتقين (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتمانى انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات أى كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (ان يظهروا عليكم) بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا فى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد لحسان رضى الله عنه لعمرك ان إلك من قريش * كإل السقب من رأل النعام

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله أليل أى أنين يرفع به صوته ودعت ألليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق (يرضونكم) كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد * وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل (وأكثرهم فاسقون) متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن والاسلام (ثمنا قليلا) وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم (هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر ونقض العهد (فاخوانكم فى الدين) فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله تعالى فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم (ونفصل الآيات) ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وطعنوا فى دينكم) وثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بأنهم اذا نكثوا فى حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين فى الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون فى دين الله ويقولون ليس دين محمد بشىء فهم أئمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة (انهم لا أيمان لهم) جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم أى لا اسلام لهم أو لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه (فان قلت) كيف أثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم (قلت) أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان

* قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة الآية (قال كيف تكرار لاستبعاد ثبات الخ) قال أحمد السر فى تكرار كيف والله أعلم

وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال
معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن
غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه
وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد (فان قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة
بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة
عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون قراءة ومن صرح بها فهو لاحن
محرف (ألا تقاتلون) دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل
المبالغة (نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في المعاهدة (وهموا باخراج الرسول) من مكة حين تشاوروا في أمره
بدار الندوة حتى أذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه (وهم بدؤكم أول مرة) أي وهم الذين كانت منهم
البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن
المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادؤن بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن
تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر
أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن
لا تترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها (أتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها (فالله أحق أن
تخشوه) فتقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) يعني أن قضية الايمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن الا ربه
ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله * لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر
به فقال (قاتلوهم) ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلا ويخزيهم أسرا ويوليهم
النصر والغلبة عليهم (ويشف صدور) طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ) قلوبكم لما لقيتم منهم من
المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك
أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار أن ودخول التوبة في جملة
ما أجيب به الامر من طريق المعنى (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) لا يفعل الا ما اقتضته
الحكمة (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم
عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين
يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم (ولما) معناها التوقع وقد دلت على
أن تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله (ولم يتخذوا)
معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين
وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل
ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجد
الله) يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد
الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة
منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا
المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان
لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شاهدين) حال من الواو في يعمروا
والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى

شهادتهم

لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك

انه لما ذكره أولا لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ولم يذكر اذ ذاك سبب البعد للغاية باستثناء الباقين على العهد وطال الكلام أعيدت كيف تطرية لذكره وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض فلم يقصد مجرد التكرار بل هذا السر الذي انطوى عليه وقد تقدمت له أمثال والله الموفق

* قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم الآية (قال اذا هدم الكفر أو الكبيرة الاعمال) الخ قال أحمد كلام صحيح الا قوله ان الكبيرة تهدم الاعمال فانه تفريع على قاعدة المعتزلة والحق خلافها * قوله تعالى انما يعمر

شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة
ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والانصار على أسارى
بدر فعيروهم بالشرك فطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم
محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت (حبطت أعمالهم) التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر أو الكبيرة
الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا
عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم
(انما يعمر مساجد الله) وقرئ بالتوحيد أي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة
تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن
الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول
الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها
حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل
الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد
وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه
عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له
بالايمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له
مادام في ذلك المسجد ضوءه (فان قلت) هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لما علم واشتهر
أن الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول عليه السلام لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها
عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان
بالله تعالى الايمان بالرسول عليه السلام وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة (فان قلت)
كيف قيل (ولم يخش الا الله) والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها (قلت) هي الخشية والتقوى
في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه أمران أحدهما حق الله
والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد
نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم
لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا الى
ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين
يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية
على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى * السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد
من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) وتصدقه
قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار أن
يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم * وجعل تسويتهم ظلما بعد
ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد
وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل ان عليا رضي الله عنه قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام
فلما نزلت قال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا

حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال في هذه الآية تبعيد للمشركين الخ) قال أحمد وأكثرهم يقول ان عسى من الله واجبة بناء منهم على ان استعمالها غير مصروفة للمخاطبين والحق فيما قال الزمخشري ولكن الخطاب مصروف اليهم أي يخال هؤلاء المؤمنين حال مرجوة والعاقبة عند الله معلومة ولله عاقبة الامور

*قوله تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ (قال مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها الخ) قال أحد لا مانع والله أعلم من عطف الظرفين المكانى والزمانى أحدهما على الآخر وناصبهما واحد كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد اذ يجوز أن تقول ضربت زيدا وعمرا فى المسجد ويوم الجمعة كما تقول ضربت زيدا وعمرا ولا يحتاج الى اضمار فعل جديد غير الاول هذا مع أنه لابد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين فى الحقيقة فانك اذا قلت أضرب زيدا اليوم وعمرا غدا

(أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة عندكم (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم * قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل * وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى فى المهاجرين خاصة * كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يارسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله أبعد الناس ويبغض فى الله أقرب الناس اليه * وقرئ عشيراتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هى عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب فى ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوى الله عنه أحقر شئ منها لمصلحته فلا يدرى أى طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالى كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره * مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاى طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوى

وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة * (فان قلت) كيف عطف الزمان على المكان وهو (يوم حنين) على المواطن (قلت) معناه وموطن يوم حنين أو فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله (اذ أعجبتكم) بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها فبقى أن يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب فكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أبو بكر رضى الله عنه وذلك قوله اذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس رضى الله عنه آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهى

أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت

لم يشك فى أن الضربين متغايران بتغاير الظرفين ومع ذلك الفعل واحد فى الصناعة فعلى هذا يجوز فى الآية والله أعلم بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول الى الآخر على أن الزمخشرى أوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الاول وان كان عنده جميعا زمانين لعلة أن كثرتهم لم تكن ثابتة فى جميع المواطن يريد ولو ذهبت الى اتحاد الناصب لزم ذلك وهذا غير لازم ألا ترى أنك لو قلت أضرب زيدا حين يقوم وحين يقعد لكان الناصب للظرفين واحدا وهما متغايران وانما يمتنع عمل الفعل الواحد فى ظرفى زمان مختلفين عند عدم العطف المتوسط بينهما والله أعلم

شجاعته

شجاعته ورباطة جأشه صلى الله عليه وسلم وما هى الا من آيات النبوة وقال يارب ائتنى بما وعدتنى وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته (بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسا بها لم أحلها تعنى مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (سكينته) رحمته التى سكنوا بها وآمنوا (وعلى المؤمنين) الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبى النساء والذرارى (ثم يتوب الله) أى يسلم بعد ذلك ناس منهم وروى أن ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شئ وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا * النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد فى كبد (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية (بعد عامهم هذا) بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول على كرم الله وجهه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعى يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء رضى الله عنه أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وان خفتم عيلة) أى فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ألقى الشيطان فى قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم * وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله (ان شاء) الله ان أوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم فى دينكم (ان الله عليم) بأحوالكم (حكيم) لا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة

ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق

قوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (قال هذا النهى راجع الى نهى المسلمين من تمكينهم منه) قال أحمد وقد يستدل به من يقول ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وخصوصا بالمناهى فان ظاهر الآية توجه النهى الى المشركين الا انه بعيد لان المعلوم من المشركين أنهم لا ينزجرون بهذا النهى والمقصود تطهير المسجد الحرام بابعادهم عنه فلا يحصل هذا المقصود الا بنهى المسلمين عن

من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

وصواب (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين مع ما فى حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم فى الكتاب والسنة وعن ابى روق لا يعملون بما فى التوراة والانجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الاسلام الذى هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده ۞ سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل (عن يد) اما أن يراد يد المعطى أو الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطى حتى يعطوها عن يد أى عن يد مواتية غير ممتنعة لان من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده اذا انقاد وأصحب ألا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى الى يد الآخذ وأما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (وهم صاغرون) أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أدّ الجزية وان كان يؤديها ويزخ فى قفاه وتسقط بالاسلام عند أبى حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبى حنيفة تضرب على كل كافر من ذمى ومجوسى وصابئ وحربى الا على مشركى العرب وحدهم روى الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم فى كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت اليكم العجم الجزية وعند الشافعى لا تؤخذ من مشركى العجم والمأخوذ عند أبى حنيفة فى أول كل سنة من الفقير الذى له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط فى الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعى يؤخذ فى آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان له كسب أو لم يكن (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمى كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه فقد جعله عربيا وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضى الله عنهما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح فى الارض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له الى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة فى صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب (فان قلت) كل قول يقال بالفم فما معنى قوله (ذلك قولهم بأفواههم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التى هى أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر فى القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثانى أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبى حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر فى القلوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة فى انتفاء الولد (يضاهئون) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهى قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه وقيل الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم

تمكينهم من قربانه ويرشد الى أن المخاطب فى الحقيقة المسلمون تصدير الكلام بخطابهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا وتضمينه نصا بخطابهم بقوله وان خفتم عيلة وكثيرا ما يتوجه النهى على من المراد خلافه وعلى ما المراد خلافه اذا كانت ثم ملازمة كقوله لأرينك ههنا ولا تموتن الا وأنتم مسلمون والله أعلم ۞ قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد (قال اما أن يراد به المعطى أو الآخذ الخ) قال أحمد فيكون كاليد فى قوله عليه السلام لا تبيعوا الذهب الى قوله الا يدا بيد ۞ عاد كلامه (قال وان أريد به الآخذ فمعناه حتى يعطوها الخ) قال أحمد وهذا الوجه أملأ بالفائدة والله أعلم

قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهى التى ضاهأت الرجال فى أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما فى غرقئ (قاتلهم الله) أى هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق ۞ اتخاذهم أربابا أنهم أطاعوهم فى الامر بالمعاصى وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب فى أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد الشيطان وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل رضى الله عنه ما أبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة ألا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص فى الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (سبحانه) تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير فى وما أمروا للمتخذين أربابا أى وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ۞ مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى فى الاشراق أو الاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (ليظهره) ليظهر الرسول عليه السلام (على الدين كله) على أهل الاديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (فان قلت) كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (قلت) قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله الا أن يتم نوره ۞ معنى أكل الاموال على وجهين اما أن يستعار الاكل للاخذ ألا ترى الى قولهم أخذ الطعام وتناوله واما على أن الاموال يؤكل بها فهى سبب الاكل ومنه قوله

ان لنا أحمرة عجافا ۞ يأكلن كل ليلة اكافا

يريد علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى أكلهم بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشا فى الاحكام والتخفيف والمسامحة فى الشرائع (والذين يكنزون) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق فى سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هى ثابتة وانما عنى بترك الانفاق فى سبيل الله منع الزكاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضى الله عنه أن رجلا سأله عن أرض له باعها فقال احرز مالك الذى أخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال ما أدى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضى الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو الذى ذكر الله تعالى وان كان على ظهر الارض (فان قلت) فما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضى الله عنه انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان (قلت) كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدى عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لان الاعراض

۞ قوله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره (قال ان قلت كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت الخ) قال أحمد ولا يقال على هذا ان الاباء عدم الارادة فكما صح الايجاب بعد نفى الارادة فينبغى أن يصح بعد ما هو فى معناها مطلقا لانا نقول لوجود حرف النفى أثر فى تصحيح مجئ حرف الايجاب بعد فلا يلزم ذلك والله أعلم

اختيار للافضل والادخل فى الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شئ حد
وما روى عن على رضى الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الافضل (فان قلت)
لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن (قلت) ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية
وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز
وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله * فانى وقيار بها لغريب * وقيار كذلك
(فان قلت) لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال (قلت) لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء ولا يكنزهما
الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على
ما سواهما (فان قلت) ما معنى قوله (يحمى عليها) وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم وأحميته ولا تقول
أحميت على الحديد (قلت) معناه أن النار تحمى عليها أى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم
تحمى لم يعط هذا المعنى (فان قلت) فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل (قلت) لانه مسند الى الجار والمجرور
أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت
القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء * وقرأ أبو حيوة
فيكوى بالياء (فان قلت) لم خصت هذه الاعضاء (قلت) لانهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل
الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون
بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن
لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم
لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا أبصروا
الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على
الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم) على ارادة القول وقوله (لانفسكم) أى
كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به
أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقرئ تكنزون بضم النون أى وبال المال الذى
كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (فى كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل
فى اللوح (أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام فى
خطبته فى حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت
الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسئ الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا
الحجة وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الاشهر الاربعة
هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة
حتى أحدثت النسئ فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم (أنفسكم) أى لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله
ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراسانى رضى
الله عنه أحلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما
عظم أشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما فى سائر الشهور
(كافة) حال من الفاعل أو المفعول (مع المتقين) ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها
* والنسئ تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام
وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم
بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطؤا عدة ما حرم الله) أى

ليوافقوا

يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله

*قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم (قال ان قلت هلا قيل تحمى كما يقال حمى الميسم وأحميته الخ) قال أحمد وفى هذا الفصل دقائق اعراب يشوب حسنها اغراب والله الموفق

ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين وربما زادوا فى
عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا يعنى من غير زيادة زادوها * والضمير فى يحلونه ويحرمونه للنسئ أى اذا أحلوا شهرا من
الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل يروى أنه حدث ذلك فى كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى
الغارة وكان جنادة بن عوف الكنانى مطاعا فى الجاهلية وكان يقوم على جمل فى الموسم فيقول بأعلى صوته ان
آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه
جعل النسئ زيادة فى الكفر لان الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما
أن المؤمن اذا أحدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل
بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل * وقرأ الزهرى ليوطئوا بالتشديد والنسئ مصدر نسأه
اذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيأ كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسى بوزن
الندى والنسء بوزن النهى وهما تخفيف النسئ والنسء (فان قلت) ما معنى قوله (فيحلوا ما حرم الله) قلت
معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للاشهر
بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدى) أى لا يلطف بهم
بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (اثاقلتم) تثاقلتم وبه قرأ الاعمش
أى تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق
السفر ومتاعبه ونحوه أخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم
على الاستفهام الذى معناه الانكار والتوبيخ (فان قلت) فما العامل فى اذا وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل
فيه (قلت) ما دل عليه قوله اثاقلتم أو ما فى ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله
فى الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك فى غزوة تبوك فى سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا فى
وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
غزوة الا ورى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (من الآخرة) أى بدل الآخرة كقوله
لجعلنا منكم ملائكة (فى الآخرة) فى جنب الآخرة (الا تنفروا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم
بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غنى
عنهم فى نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيأ وقيل الضمير للرسول أى ولا تضروه لان الله وعده أن يعصمه
من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس
والظاهر مستغن عن التخصيص (فان قلت) كيف يكون قوله (فقد نصره الله) جوابا للشرط (قلت) فيه
وجهان أحدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل
بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت والثانى أنه أوجب له النصرة وجعله
منصورا فى ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الاخراج الى الكفار كما أسنده اليهم فى قوله من قريتك
التى أخرجتك لانهم حين هموا باخراجه أذن الله له فى الخروج فكأنهم أخرجوه (ثانى اثنين) أحد اثنين
كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه يروى ان
جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معى قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثانى اثنين
بالسكون و(اذ هما) بدل من اذ أخرجه * والغار نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم

فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله

*قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير (قال فى هذه الآية سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم عذابا أليما الخ) قال أحمد ويقرب اعادة الضمير الى الرسول ان الضمير فى قوله الا تنصروه عقيب ذلك عائد اليه اتفاقا والله أعلم

* قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (قال هذا كناية عن الجناية لان العفو رادف لها الخ) قال أحمد رحمه الله ليس له ان يفسر هذه
الآية بهذا التفسير وهو بين أحد أمرين اما أن لا يكون هو المراد واما أن يكون هو المراد ولكن قد أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته
بصريح العتب وخصوصا في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالزمخشري على كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة
والسلام ولقد أحسن من قال في هذه الآية ان من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت (٣٤)
لهم لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام فمثل هذا الادب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة

سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر

عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة
(سكينته) ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون اليه * والجنود الملائكة يوم بدر
والاحزاب وحنين * وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر (وكلمة الله) دعوته الى الاسلام وقرئ كلمة الله
بالنصب والرفع أوجه و (هي) فصل أو مبتدأ وفيما أنا كيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر
الكلم (خفافا وثقالا) خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم
وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا
ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس
على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو
كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم
لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال
استنفرنا الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (وجاهدوا بأموالكم
وأنفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو باحدهما على حسب الحال والحاجة * العرض ما عرض لك من
منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال
(وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا (الشقة) المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر
العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه * ولا بعد الا ما توارى الصفائح
(بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند
رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله (لو استطعنا لخرجنا معكم) أو سيحلفون بالله يقولون
لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم
واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا
وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت (يهلكون أنفسهم) اما أن يكون بدلا من
سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف
ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها
من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا
لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية (عفا
الله عنك) كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت و (لم أذنت لهم) بيان لما
كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت
بالاذن (حتى يتبين لك) من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيآن فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى (لا يستأذنك) ليس من عادة المؤمنين
أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي أبدا ولنجاهدن

والسلام * عاد كلامه (قال وقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله الآية
قال معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا الخ) قال أحمد وهذا الادب يجب أن يقتفى مطلقا فلا يليق أبدا
بالمرء ان يستأذن أخاه في ان يسدي اليه معروفا ولا بالمضيف ان يستأذن ضيفه في أن يقدم اليه طعاما فان الاستئذان في أمثال هذه
المواطن امارة التكلف والتكره وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وأدبه مع ضيوفه انه كان لا يتعاطى شيأ من
أسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجليلة والآداب الجليلة فقال

تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اي ذهب على خفاء منهم كيلا يشعروا به والمهتم بأمر ضيفه بمرأى منه ربما يعد كالمستأذن له في الضيافة
فهذا من الآداب التي ينبغي ان يتمسك بها ذوو المروأة وأولو الفتوة وأشد من الاستئذان في الخروج للجهاد ونصرة الدين التثاقل عن
المبادرة اليه بعد الحض عليه والمناداة وأسوأ أحوال المتثاقل وقد دعي الناس الى الغزو ان يكون متمسكا بشعبة من النفاق نعوذ بالله
من التعرض لسخطه * قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله (٣٥) انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
قال ان قلت كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج للغزو الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مبني على قاعدتين فاسدتين ايجاب مراعاة المصالح على الله تعالى والتحسين والتقبيح وقد تكرر

أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة

أبدا معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى (أن يجاهدوا) في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين)
شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك) يعني المنافقين وكانوا تسعة
وثلاثين رجلا (يترددون) عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر
* قرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال * وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا * من حذف تاء
التأنيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة (فان قلت) كيف موقع
حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل
(ولكن كره الله انبعاثهم) كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن
الي زيد ولكن أساء الي (فثبطهم) فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث (وقيل اقعدوا) جعل القاء
الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم
وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود (فان قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى في نفوسهم
كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة (فان قلت) فلم خطأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة (قلت) لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن
للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استأذنوه في ذلك واعتذروا اليه
فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة أخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك
انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا كان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق
لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر (فان قلت) ما معنى قوله (مع القاعدين) قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان
والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى
رضوا بأن يكونوا مع الخوالف (الا خبالا) ليس من الاستثناء المنقطع في شئ كما يقولون لان الاستثناء
المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في
هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشئ فكان استثناء متصلا لان
الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيأ الا خبالا والخبال الفساد والشر (ولأوضعوا خلالكم)
ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى
ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب أسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه
ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا أسرعت وأرقصتها قال * والراقصات الى منى فالغبغب * وقرئ
ولأوفضوا (فان قلت) كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة ألف (قلت) كانت الفتحة تكتب ألفا قبل
الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف أثر في الطباع فكتبوا صورة
الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أو لا أذبحنه (يبغونكم الفتنة) يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف

بطلان ذلك فاحذره واعلم ان معتقد السنة ان الله تعالى ألقى كراهة الخروج في قلوبهم لانه اراد شقاوتهم وانضاف الى ذلك ارادة راحة المخلصين من مرافقتهم اذ الامر
ليس شرطا في نفوذ المشيئة والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فما معنى قوله مع القاعدين الخ) قال احمد وهذا من تنبيهاته الحسنة
وزيده بسطا فنقول لو قيل اقعدوا مقتصرا عليه لم يفد سوى أمرهم بالقعود وكذلك كونوا مع القاعدين ولا تحصل هذه الفائدة من
الحاقهم بهؤلاء الاصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد الموسومين بهذه السمة الا من عبارة الآية ولعن الله فرعون لقد بالغ
في توعد موسى عليه السلام بقوله لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاجعلنك مسجونا لمثل هذه النكتة من المبالغة

وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل و يتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الاما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الااحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أوكرها لن يتقبل منكم

فيما بينكم و يفسدوا نياتكم فى مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين و يطيعونهم (لقد ابتغوا الفتنة) أى العنت ونصب الغوائل والسعى فى تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبى يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج رضى الله عنه وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء فى ابطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بأن لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت وقيل ولا تلقنى فى الهلكة فانى اذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار أنى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى وقرئ ولا تفتنى من أفتنه (ألا فى الفتنة سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وفى مصحف أبى رضى الله عنه سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعنى أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هى محيطة بهم الآن لان أسباب الاحاطة معهم فكأنهم فى وسطها (ان تصبك) فى بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى فى يوم أحد يفرحوا بحالهم فى الانحراف عنك و (يقولوا قد أخذنا أمرنا) أى أمرنا الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع * ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون وقيل يتولوا أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قرأ ابن مسعود رضى الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ طلحة رضى الله عنه هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب فى جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب ألا ترى الى قولهم صوب رأيه الا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله * أسهمى الصائبات والصيب * واللام فى قوله (الا ما كتب الله لنا) مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألا ترى الى قوله (هو مولانا) أى الذى يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأيين من العواقب اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا من عواقبنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه (أنفقوا) يعنى فى سبيل الله ووجوه البر (طوعا أو كرها) نصب على الحال أى طائعين أو مكرهين (فان قلت) كيف أمرهم بالانفاق ثم قال (لن يتقبل منكم) قلت هو أمر فى معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله * أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أم أحسنت (فان قلت) متى يجوز نحو هذا (قلت) اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا وغفر له (فان قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة فيه وهى ان كثيرا كأنه يقول لعزة امتحنى لطف محلك عندى وقوة محبتى لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة كنت أو محسنة وفى معناه قول القائل

أخوك الذى ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك فى الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه (فان قلت) ما الغرض فى نفى التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقبله

انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله و برسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله تعالى ذاهبا هباء لا ثواب له (قلت) يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه أو طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم وروى أنها نزلت فى الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالى أعينك به فاتركنى (انكم) تعليل لرد انفاقهم * والمراد بالفسق التمرد والعتو (أنهم) فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه وقرئ أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمى أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله عز وجل (كسالى) بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى فى جمع سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهى ثقيلة عليهم كقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت فى بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية فان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغى أن يسنده المؤمن الى نفسه (فان قلت) الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين فى قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون الا وهم كارهون (قلت) المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار * الاعجاب بالشئ أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فان الله تعالى انما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبى وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه فى أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم فى جمعه واكتسابه وفى تربية أولادهم (فان قلت) ان صح تعليق التعذيب بارادة الله تعالى فما بال زهوق أنفسهم (وهم كافرون) قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل و يريد أن يديم عليهم نعمته الى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة (لمنكم) لمن جملة المسلمين (يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (ملجأ) مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيرانا وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشئ وأغرته أنا يعنى أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم و يجوز أن يكون من أغار الثعلب اذا أسرع بمعنى مهارب ومفار (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه و ينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبى بن كعب رضى الله عنه متدخلا وقرئ لوألوا اليه لالتجؤا اليه (يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ من الفرس الجموح وهو الذى اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس رضى الله عنه يجمزون فسئل فقال يجمحون و يجمزون و يشتدون واحد (يلمزك) يعيبك فى قسمة الصدقات و يطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه و يلك ان لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم و يلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة فى اللمز * ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة أى وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط * جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا

* قوله تعالى انما الصدقات للفقراء الآية الى آخرها (قال هذا قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها الخ) قال أحمد وهو مذهب مالك رضى الله عنه والقول بوجوب صرفها الى جميع الاصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذا من اشعار اللام بالتمليك كما ذهب اليه الشافعى لا يسعده السياق فان الآية مصدرة بكلمة الحصر الدالة على أن غيرهم لا يستحق فيها نصيبا فهذا هو الغرض الذى سيقت له فلا اقتضاء فيها للمساواة والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم عدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة الخ) قال أحمد وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك ان الاصناف الاربعة الاوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وانما يأخذونه ملكا فكان دخول اللام لائقا بهم وأما الاربعة الاواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن فى مصالح تتعلق بهم فالمال الذى يصرف فى الرقاب انما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون (٣٨) فليس نصيبهم مصروفا الى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم وانما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك العاملون انما يصرف نصيبهم لارباب ديونهم

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

تخليصا لذممهم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا فى سبيل الله وانما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعا وعطفه على المجرور باللام ممكن ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم وكان جدى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجها فى الاستدلال لمالك على أن الغرض بيان المصرف واللام اذلك لام الملك فيقول متعلق الجار الواقع خبرا عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فاما ان يكون التقدير انما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك أو مملوكة للفقراء كقول الشافعى لكن الاول متعين لانه تقدير يكتفى به فى الحرفين جميعا يصح تعلق اللام به وفى معا فيصح أن تقول هذا الشيء مصروف فى كذا ولكذا بخلاف تقديره مملوكة فانه انما يلتئم مع اللام وعند الانتهاء الى فى يحتاج الى تقدير مصروفة ليلتئم بها فتقديره من اللام عام التعلق شامل الصحة متعين والله الموفق

ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم (انا الى الله) فى أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون (انما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كأنه قيل انما هى لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وأن تصرف الى بعضها وعليه مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم انهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى وعند الشافعى رضى الله عنه لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وعن عكرمة رضى الله عنه أنها تفرق فى الاصناف الثمانية وعن الزهرى أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيأ منها حين كان فى المسلمين قلة (و)الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا (وفى سبيل الله) فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غنى حيث ماله (فريضة من الله) فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة (فان قلت) لم عدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة (قلت) للايذان بانهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان فى للوعاء فنبه على انهم أحقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الاسر وفى فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازى الفقير أو المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين (فان قلت) فكيف وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (قلت) دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها صلوات الله وسلامه عليه * الاذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين * وايذاؤهم له هو

قولهم

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب

قولهم فيه هو أذن * وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن فى غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه أى هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله * ثم فسر كونه أذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم أى أظهر الايمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة فى الابقاء عليكم فهو أذن كما قلتم الا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا أنه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه صلوات الله عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فأذى ونحن نأتيه ونعتذر اليه فيسمع عذرنا أيضا فيرضى فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك أى هو أذن هو خير لكم يعنى ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال (فان قلت) لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (قلت) لانه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم (فان قلت) ما وجه قراءة ابن أبى عبلة ورحمة بالنصب (قلت) هى علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله أذن خير لكم يدل عليه (لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق * وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكانا فى حكم مرضى واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشنى وجبرنى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك * المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فأن له) على حذف الخبر أى فحق أن له (نار جهنم) وقيل معناه فله وأن تكرير لان فى قوله أنه توكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء * كانوا يستهزؤن بالاسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا الا شر خلق الله لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا * والضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما فى قلوبهم كأنها تقول لهم فى قلوبكم كيت وكيت يعنى أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر أى ليحذر المنافقون (فان قلت) الحذر واقع على انزال السورة فى قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) فما معنى قوله (مخرج ما تحذرون) قلت معناه محصل مبرز انزال السورة أو ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون اظهاره من نفاقكم * بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله لا والله ما كنا فى شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شيء مما

* قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قال الاذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع سمى الرجل بالجارحة التى هى آلة السماع الخ) قال أحمد لا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لانه فى الاول إطماع لهم بالموافقة ثم كر على طمعهم بالحسم وأعقبهم فى تنقصه باليأس منه ويضاهى هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لان فى أوله اطماعا للخصم بالتسليم ثم بتا للطمع على قرب ولا شيء أقطع من الاطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه والله الموفق

قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعدالله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات

نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد ظهر كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه أو ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزؤا فلم نعذبهم فى العاجل نعذب فى العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين * وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث * وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (بعضهم من بعض) أريد به نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وماهم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعات (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق فى سبيل الله (نسوا الله) أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف الله به المنافقين حين بالغ فى ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل فى قوله كسالى فما ظنك بالفسق (خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) دلالة على عظم عذابها وانه لا شئ أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين (ولهم عذاب مقيم) ولهم نوع من عذاب سوى الصلى بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم فى العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم * الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر

* كاليوم مطلوبا ولا طالبا * باضمار لم أر وقوله (كانوا أشد منكم قوة) تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم * والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان أى قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب أى أثبت * والخوض الدخول فى الباطل واللهو (كالذى خاضوا) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوه (فان قلت) أى فائدة فى قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذى خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا (قلت) فائدته أن يذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضى به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة (حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) نقيض قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيل

قريات

فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير * ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن

قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير الى الشر (فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه (بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله فى المنافقين بعضهم من بعض (سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد فى قولك سأنتقم منك يوما تعنى أنك لا تفوتنى وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم أجورهم (عزيز) غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق (ومساكن طيبة) عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد * وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هى مدينة فى الجنة وقيل نهر جناته على حافاته (ورضوان من الله أكبر) وشئ من رضوان الله أكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولان العبد اذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض أولى الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عينى ولا تنازع نفسى الى شئ مما وعد الله فى دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عنى وأن أحشر فى زمرة المهذبين المرضيين عنده (ذلك) اشارة الى ما وعد الله أو الى الرضوان أى هو (الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا وروى أن الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلاظة ما أمكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرأ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها * أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر ابن قيس الانصارى للجلاس أجل والله ان محمدا الصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت (يحلفون بالله ما قالوا) فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبى وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم الله) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) هى الآية التى تاب عندها الجلاس (فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار وروى أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل

* قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (قال معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة الخ) قال أحمد والحمد لله الذى أنطقه بالحجة لنافى اغلاظ عليه أحيانا والله الموفق

* قوله تعالى استغفر لهم أولا تستغفر لهم الخ (قال قد ذكرنا ان هذا الامر فى معنى الخبر الخ) قال أحمد وما بدعه الزمخشرى فى هذا وأمثاله من محذوف هو المقصود بالامر وهذا واقع موقعه كقول كثير عزة * أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة * كأنه يقول لها امتحنى محلك عندى وقوة محبتى لك وعاملينى بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة أو محسنة وكذلك معنى

الآية استغفر لهم أولا تستغفر لهم وانظر هل يغفر لهم فى حالى الاستغفار وتركه وهل يتفاوت الحالان أولا

من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح

تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه * وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما (من الصالحين) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحج (فأعقبهم) عن الحسن وقتادة رضى الله عنهما أن الضمير للبخل يعنى فأورثهم البخل (نفاقا) متمكنا (فى قلوبهم) لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر أن الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق * وقرئ يكذبون بالتشديد وألم تعلموا بالتاء عن على رضى الله عنه (سرهم ونجواهم) ما أسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (الذين يلمزون) محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون فى محل الجر بدلا من الضمير فى سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين) المتطوعين المتبرعين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى رضى الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (الا جهدهم) الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم (سخر الله منهم) كقوله الله يستهزئ بهم فى أنه خبر غير دعاء ألا ترى الى قوله (ولهم عذاب أليم) * سأل عبد الله بن عبد الله ابن أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لابيه فى مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لى فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الامر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة فى المجىء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير قال على بن أبى طالب عليه السلام لاصبحن العاص وابن العاصى * سبعين ألفا عاقدى النواصى (فان قلت) كيف خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام

قال أحمد وقد ورد بصيغة الخبر فى الآية الاخرى فى قوله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم * عاد كلامه (قال فان قلت كيف خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد الخ) قال أحمد وقد أنكر القاضى رضى الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه وتغالى قوم فى قبوله حتى انهم اتخذوه عمدة فى مفهوم المخالفة وبنوه على انه عليه السلام فهم من تحديد نفى الغفران بالسبعين ثبوت الغفران بالزائد عليه وذلك سبب انكار القاضى عليهم وتمثيلاته

وتمثيلاته والذى يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لى ربى فسأزيد على السبعين (قلت) لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهار الغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم عليه السلام ومن عصانى فانك غفور رحيم وفى اظهار النبى صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض (المخلفون) الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم وخلفهم فى المدينة فى غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) خلفه يقال أقام خلاف الحى بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبى حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله تعالى وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما فى المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (قل نار جهنم أشد حرا) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم أريها شبه الصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

* معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا (جزاء) الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم * وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم (فاستأذنوك للخروج) يعنى الى غزوة بعد غزوة تبوك و (أول مرة) هى الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذى علم الله أنه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين (مع الخالفين) قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين (فان قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهى أكبرهن ثم ان قولك هى كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هى أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبى بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى وسأله أن يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلى على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلى عليه فجذبه جبريل (فان قلت) كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه (قلت) كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا يبدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابته له الى مسئلته اياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعى المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى أنه قال له أسألك أن تكفنه فى بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه فى قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روى أنه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيأ وانى أؤمل من الله أن يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء

المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٤٤) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم

وهم كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون * انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف

بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه (فان قلت) فكيف جازت الصلاة عليه (قلت) لم يتقدم نهى عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما فى ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضى الله عنه ما أدرى ما هذه الصلاة الا انى أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع (مات) صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة (انهم كفروا) تعليل للنهى وقد أعيد قوله (ولا تعجبك) لان تجدد النزول له شأن فى تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشئ الذى أهم صاحبه فهو يرجع اليه فى أثناء حديثه ويتخلص اليه وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه * يجوز أن يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها فى قوله (واذا أنزلت سورة) كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد (أن آمنوا) هى أن المفسرة (أولوا الطول) ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا (مع القاعدين) مع الذين لهم علة وعذر فى التخلف (فهم لا يفقهون) ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الشقاء والهلاك (لكن الرسول) أى ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك (الخيرات) تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (المعذرون) من عذر فى الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز فى العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما القراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذى يجتهد فى العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت أعراب طى على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنينى الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم فى العين ادغامها فى الطاء والزاى والصاد فى المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس رضى الله عنه الذين لم يفرطوا فى العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الايمان وقرأ أبى كذبوا بالتشديد (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (الضعفاء) الهرمى والزمنى * والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة * والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما فى السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه (على المحسنين) على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم (قلت لا أجد) حال من الكاف فى أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل فى قوله أو جاؤكم حصرت صدورهم أى اذا ما أتوك قائلا لا أجد (تولوا) ولقد حصر الله المعذورين فى التخلف الذين ليس لهم فى أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون أبو موسى الاشعرى وأصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأنها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (ألا يجدوا) لئلا يجدوا ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذى هو حزنا (فان قلت) (رضوا) ما موقعه (قلت) هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) يعنى

وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا ان

* قوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء (قال دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه الخ) قال أحمد وفى آية براءة مزيد على مناسبة الدعاء لحال المدعو عليهم ولقولهم وذلك أن الذى نسب اليهم تربص الدوائر مطلقا والذى دعى عليهم به دائرة السوء على التقييد بأسوا الدوائر لا على الاطلاق (٤٥) والله الموفق * قوله تعالى وصلوات الرسول

لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين

أن السبب فى استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى اياهم (فان قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (قلت) نعم ويحسن (لن نؤمن لكم) علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فاذا علم أنه مكذب وجب عليه الاخلال وقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وأحوالهم وما فى ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله عملكم) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون) اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك (لتعرضوا عنهم) فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم يعنى أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل الى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (لترضوا عنهم) أى غرضهم فى الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم) فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبى يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة فى الفدادين (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم مخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه (مغرما) غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم (قربات) مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله (وصلوات الرسول) لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات (ألا انها) شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم) وما فى السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها * وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه (السابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبى من بايع بالحديبية وهى

ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته الآية (قال ما أدل هذا الكلام على أن الصدقة من الله بمكان الخ) قال أحمد وللقدرية كما علمت مذهب فى أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخلد فى النار وان كان موحدا وغرض الزمخشرى أن يجعل الفسق الذى وسم به المنافق هو الذى يوسم به الموحد حتى يكون استحقاقهما الخلود واحدا فاحذره والله أعلم

* قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم (قال معناه انه مع شهامتك وفطنتك وصدق فراستك يخفون حالهم عليك الخ) قال أحمد وكان قوله تعالى مردوا على النفاق توطئة لتقرير خفاء حالهم عنه عليه الصلاة والسلام لما لهم من الخبرة فى النفاق (٤٦) والضراوة به والله أعلم * قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم (قال ان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به الخ) قال أحمد والتحقيق فى هذا أنك اذا قلت خلطت الماء باللبن فالمصرح به فى هذا الكلام ان الماء المخلوط واللبن مخلوط به والمدلول عليه لزوما لا تصريحا كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا واذا قلت خلطت الماء واللبن فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا وأما ما خلط به كل واحد منهما فغير مصرح به بل من اللازم ان كل واحد منهما مخلوط به يحتمل أن يكون قرينة أو غيره فقول الزمخشرى ان فيه قولك خلطت الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك فالظاهر فى الآية والله أعلم أن العدول عن الباء انما كان لتضمين الخلط معنى العمل كانه قيل عملوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم انضاف الى العمل معنى الخلط فعبر عنه مما معا به والله أعلم

والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله

بيعة الرضوان ما بين الهجرتين (و) من (الانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضى الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون * وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال زيد انه بالواو فقال ائتونى بأبى فقال تصديق ذلك فى أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروى أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك قال أبى فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره (رضى الله عنهم) ومعناه رضى عنهم لاعمالهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية * وفى مصاحف أهل مكة تجرى من تحتها وهى قراءة ابن كثير وفى سائر المصاحف تحتها بغير من (وممن حولكم) يعنى حول بلدتكم وهى المدينة (منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدا الذى هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره (مردوا على النفاق) تمهروا فيه من مرن فلان عمله ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) أى يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى ما يشككك فى أمرهم ثم قال (نحن نعلمهم) أى لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر فى سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه فى ايمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى (سنعذبهم مرتين) قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضى الله عنه أنهم اختلفوا فى هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثانى عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم (الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (اعترفوا بذنوبهم) أى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل فى المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه وسلم كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت خذ من أموالهم (عملا صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبى التوبة والاثم (فان قلت) قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به (قلت) كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه

وفيه ما ليس فى قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم (فان قلت) كيف قيل (أن يتوب عليهم) وما ذكرت توبتهم (قلت) اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم (تطهرهم) صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر * ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء فى تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة فى المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها وعن الشافعى رحمه الله أحب أن يقول الوالى عند أخذ الصدقة أجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما أبقيت * وقرئ ان صلواتك على التوحيد (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم (والله سميع) يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم (عليم) بما فى ضمائرهم والغم من الندم لما فرط منهم * قرئ (ألم يعلموا) بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعنى ألم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (أن الله هو يقبل التوبة) اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص فى هو أن ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله سبحانه هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا) فان عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثانى أن يراد غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (فان قلت) فما معنى قوله ويأخذ الصدقات (قلت) هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الصدقة تقع فى يد الله تعالى قبل أن تقع فى يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة * قرئ مرجون ومرجؤن من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه المرجئة يعنى وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم (إما يعذبهم) ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا (وإما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والله عليم حكيم) وفى قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة * فى مصاحف أهل المدينة والشأم الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفى سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذى أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشأم ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشأم وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف

أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لامر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا

قوله وإما للعباد كتب عليه يعنى اما للشك وهو لا يجوز على الله فهو اذا للعباد كأو فى أو يزيدون ولعل فى لعله يتذكر اه كتبه المصحح

ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين

والقيامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين (ضرارا) مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا) واعدادا (لـ) أجل (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أورياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر فقيل له مسجد بنى فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلى فيه فانه بنى على ضرار وكل مسجد بنى على ضرار أورياء أو سمعة فان أصله ينتهى الى المسجد الذى بنى ضرارا وعن عطاء لما فتح الله تعالى الامصار على يد عمر رضى الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لايتخذوا فى مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه (فان قلت) والذين اتخذوا ما محله من الاعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة (فان قلت) بم يتصل قوله (من قبل) قلت باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف (ان أردنا) ما أردنا ببناء هذا المسجد (الا) الخصلة (الحسنى) أو الارادة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لان الموازنة بين مسجدى قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبى سعيد الخدرى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أول يوم من أيام وجوده (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال صلى الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالادغام وقيل هو عام فى التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لاينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (فان قلت) ما معنى المحبتين (قلت) محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشئ المشتهى له على ايثاره ومحبة الله تعالى اياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه * قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع أساس على الاضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس بنيانه على أفعال جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من) أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل (شفا جرف هار) فى قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافى التقوى (فان قلت) فما معنى قوله (فانهار به فى نار جهنم) قلت لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنم على معنى فطاح به الباطل فى نار جهنم الا أنه رشح المجاز فجئ بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات فى شائك

لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

وصائت وألفه ليست بألف فاعل انما هى عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره * وقرئ جرف بسكون الراء (فان قلت) فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين (قلت) قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون ألحقها بجعفر وفى مصحف أبى فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منه وروى أن مجمع بن حارثة كان امامهم فى مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب فى خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال ياأمير المؤمنين لاتعجل على فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أنى لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لايقرؤن من القرآن شيأ فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه * ريبة شكا فى الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) لايزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لايزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره (الا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أى الا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى أن وفى قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم * مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشروى وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضى الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروى أن الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابى وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لانقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد (يقاتلون) فيه معنى الامر كقوله تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم * وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول وعلى العكس (وعدا) مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فى التوراة والانجيل) كما أثبته فى القرآن ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لايقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغنى الذى لايجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبى رضى الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أى التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق و (العابدون) الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها (السائحون) الصائمون شبهوا بذوى السياحة فى الارض فى امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الارض يطلبونه فى مظانه * قيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب أنت أعظم الناس على حقا وأحسنهم عندى يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتى فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أى أبويه أحدث

ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم حتى يبين لهم مايتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض

* قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون (قال فأما مايدرك حظره بالعقل الخ) قال أحمد هذا تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وان العقل حاكم والشرع كاشف لما غمض عليه تابع لمقتضاه وهذه القاعدة قد سبق بطلانها فى غير ماموضع والله الموفق

به عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فنزلت وهذا أصح لان موت أبى طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر مانزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون مايمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوى قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه (ماكان للنبى) ماصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته (من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لانهم ماتوا على الشرك * وقرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه ومايستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية (الاعن موعدة وعدها اياه) أى وعدها ابراهيم أباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه (فان قلت) كيف خفى على ابراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز أن يظن أنه مادام يرجو منه الايمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحى لان العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك مالم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن على رضى الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابراهيم (فان قلت) فما معنى قوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (قلت) معناه فلما تبين له من جهة الوحى أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * أواه فعال من أوه كلأل من اللؤلؤ وهو الذى يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر و يستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعنى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهى عنه وفى هذه الآية شديدة ماينبغى أن يغفل عنها وهى أن المهدى للاسلام اذا أقدم على بعض محظورات الله داخل فى حكم الاضلال * والمراد بما يتقون مايجب اتقاؤه للنهى فأما مايعلم بالعقل كالصدق فى الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف (تاب الله على النبى) كقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبى والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (فى ساعة العسرة) فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة * عشية قارعنا جذام وحمير
اذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى * يجد جمع كف غير ملأى ولا صفرا

والعسرة حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفى عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة (كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفى قراءة عبد الله من بعد مازاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبى لبابة وأمثاله (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم (الثلاثة) كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى (خلفوا) خلفوا عن الغزو وقيل عن أبى لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أى خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة

بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا أن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه

وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضى الله عنه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين (بما رحبت) برحبها أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا) وعلموا (أن لا ملجأ من) سخط (الله الا) الى استغفاره (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة روى أن ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغنى أنه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ماخلفنى الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت فى سبيل الله ولم يكن لآخر الا أهله فقال يا أهلاه ما بطأنى ولا خلفنى الا الضن بك لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفس ماخلفنى الا حب الحياة لك والله لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبى ذر الغفارى أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبى خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد على كالمغضب بعد ماذكرنى وقال ليت شعرى ماخلف كعبا فقيل له ماخلفه الا حسن برديه والنظر فى عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا أنا بنداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفنى ربى وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبى وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمون فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبى بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه (مع الصادقين) وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا أو الذين صدقوا فى ايمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة أى كونوا مثل هؤلاء فى صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أى كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا فى جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يصلح الكذب فى جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ماتلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض فى شدة وهول وجب على سائر الانفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون أخف شئ عليهم وأهونه فضلا عن أن يربؤا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ماسمح

* قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (قال معناه ان نفير الكافة لطلب العلم غير ممكن الخ) قال أحمد قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة على التفسير الاول أمر لا نهى وعلى الثانى خبر والمراد به (٥٢) النهى لانه فى الاول راجع الى تنفير أهل البوادى الى المدينة للتفقه وهذا لو أمكن الجميع فعله لكان جائزا أو واجبا وان لم يمكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على طريق وجوب الكفاية وأما فى الثانى فلان المؤمنين نفروا

ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكنا بل واقعا فنهوا عن اطراح التفقه بالكلية وأمروا به أمر كفاية والله أعلم * قال أحمد ولا أجد فى تأخرى عن حضور الغزاة عذرا الا صرف الهمة لتحرير هذا المصنف فانى تفقهت فى أصل الدين وقواعد العقائد مؤيدا بآيات الكتاب العزيز مع ما اشتمل عليه من صيانة حوزتهما من مكايد أهل البدع والاهواء وأنا مع ذلك أرجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير ووفقنا لما يرضيه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم بالسيف

بنفسه عليه وهذا نهى بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية (ذلك) اشارة الى مادل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب (بـ) سبب (أنهم لا يصيبهم شئ من عطش ولا تعب ولا مجاعة فى طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرفون فى أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدو نيلا) ولا يرزؤنهم شيأ بقتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك (الا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد أصحاب أبى حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش فى الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكى فيهم ولقد أسهم النبى صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضى الله عنه المهاجر بن أبى أمية وزياد بن أبى لبيد بعكرمة بن أبى جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعى لا يشارك المدد الغانمين * وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة ولو علاقة سوط (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم والوادى كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع فى استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل فى وادى غيرك (الا كتب لهم) ذلك من الانفاق وقطع الوادى ويجوز أن يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله (ليجزيهم) متعلق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء * اللام لتأكيد النفى ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى أخذها وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط فى البلاد والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا (لعلهم يحذرون) ارادة أن يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحى والتفقه فى الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة أعظم أثرا من الجلاد

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (قال القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم الخ) قال أحمد يتعين القتال على أحد فريقين اما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا واما من عينهم الامام لذلك وان بعدت بهم الدار واذا أوجب الله على هذه الامة القتال وازعاج العدو من دياره واخراجه من قراره فوجوبه وقد نزل العدو بدار الاسلام أجدر * قوله تعالى واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من (٥٣) أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (قال معناه تغامزوا بالعيون انكار الوحى الخ) قال أحمد يحتمل الدعاء كما فسره ويحتمل الاخبار بأن الله صرف قلوبهم أى منعها من تلقى الحق بالقبول ولكن الزمخشرى يفر من حمله خبرا لان صرف القلوب عن الحق لا يجوز على الله تعالى عنده بناء على قاعدة الصلاح والاصلح ولا يزال يؤول الظاهر اذا اقتضى ذلك كما مر له فى قوله ختم الله على قلوبهم فلما احتملت هذه الآية الدعاء والخبر على حد سواء تعين عنده جعلها دعاء ثم فى هذا الدعاء مناسبة للفعل الصادر منهم وهو الانصراف كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وكقوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا فى أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه (يلونكم) يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم * وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف فى القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله (مع المتقين) ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه (فمنهم من يقول) فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحى والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه ايمانا (فزادتهم ايمانا) لانها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة فى الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحى كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم * قرئ أولا يرون بالياء والتاء (يفتنون) يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون فى أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون (نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه واذا ما أنزلت سورة فى عيب المنافقين (صرف الله قلوبهم) دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما فى قلوب أهل الايمان من الانشراح (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله (عزيز عليه ما عنتم) أى شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب (حريص عليكم) حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذى جاء به (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) * وقرئ من أنفسكم أى من أشرفكم وأفضلكم وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضى الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله رؤف رحيم (فان تولوا) فان أعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم

* وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضى الله عنهما العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبى بن كعب آخر آية نزلت لقد جاء كم رسول من أنفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

(سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الر) تعديد للحروف على طريق التحدى و (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة و (الحكيم) ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الاعشى

وغريبة تأتى الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها

* الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه و (أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله * يكون مزاجها عسل وماء * والاجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلا من عجب (فان قلت) فما معنى اللام فى قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا (قلت) معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس فى عند الناس هذا المعنى والذى تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من تلك الاسباب فى شئ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء (أن أنذر الناس) أن هى المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى ان الشأن قولنا أنذر الناس و (أن لهم) الباء معه محذوف (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة (فان قلت) لم سميت السابقة قدما (قلت) لما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق (ان هذا) ان هذا الكتاب وما جاء به محمد (لسحر) ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا وفى قراءة أبى ما هذا الا سحر (يدبر) يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحرى للصواب الناظر فى أدبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا و (الامر) أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها فى وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن و (ذلكم) اشارة الى المعلوم بتلك العظمة أى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو (ربكم) وهو الذى يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) فان أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه (اليه مرجعكم جميعا) أى لا ترجعون فى العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد

﴿سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله

(القول فى سورة يونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (قال أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة الخ) قال أحمد ولم يرد فى سابقة السوء تسميتها قدما اما لان المجاز لا يطرد واما أن يكون مطردا ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب فى الحقيقة والله أعلم

* قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم (قال معناه يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة الخ) قال أحمد وهو يقرر بذلك زعمه فى أن شرط دخول الجنة العمل الصالح وأن من لم يعمل مخلد فى النار كالكافر وأنى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية الى الجنة مطلق الايمان فقال يهديهم ربهم بايمانهم وقول (٥٥) الزمخشرى ان المراد اضافة العمل

لقوله اليه مرجعكم و (حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (انه يبدؤ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدؤ الخلق بمعنى لانه أو هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه * وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أى حق حقا بدء الخلق كقوله

أحقا عباد الله أن لست جائيا * ولا ذاهبا الا على رقيب

* وقرئ حق أنه يبدؤ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون * الياء فى (ضياء) منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاق عقا والضياء أقوى من النور (وقدره) وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره (منازل) أو قدره ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل (والحساب) وحساب الاوقات من الشهور والايام والليالى (ذلك) اشارة الى المذكور أى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا * وقرئ يفصل بالياء * خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز أن يريد يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار (فان قلت) فلقد دلت هذه الآية على أن الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الامر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم أى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه (دعواهم) دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى أن لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) * ومعنى وتحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيى بعضا

حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

لا ينتهض عن حيز الدعوى فان الله لم يعلل بغير الايمان وان جرى لغيره ذكر أولا فلا يلزم اجراؤه ثانيا ولا محوج اليه وشبهته أن الايمان المجعول سببا مضاف الى ضمير الصالحين فيلزم أخذ الصلاح قيدا فى التسبب وهو ممنوع فان الضمير انما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة أمثال وأشكال والله الموفق

* قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية (قال محمود فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير الخ) قال أحمد وهذا أيضا من تنبيهات الزمخشرى الحسنة التى تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة ولا يكاد وضع المصدر مؤكدا أو مقارنا لغير فعله فى الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة والنحاة غايتهم ان يقولوا فى قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا انه أجرى المصدر على الفعل مقدرا عدم الزيادة أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره نبتم نباتا ولا يزيدون على ذلك واذا راجع الفطن قريحته وناجى فكرته هل قرن المصدر فى كتاب الله بغير فعله لفائدة أولا تسور بلطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية مراتبها فالفائدة والله أعلم فى اقتران قوله نباتا بقوله أنبتكم التنبيه على تحتم نفوذ القدرة فى المقدور وسرعة امضاء حكمها حتى كان

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا

بالسلام وقيل هى تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هى المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله * أن هالك كل من يحفى وينتعل * وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد * أصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعنى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضى اليهم أجلهم) لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى اليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم أجلهم (فان قلت) فكيف اتصل به قوله (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم (فى طغيانهم) أى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (لجنبه) فى موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أى دعانا مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) (فان قلت) فما فائدة ذكر هذه الاحوال (قلت) معناه أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعدا لا يقدر على القيام أو كان قائما لا يطيق المشى والمضطرب الى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس (مر) أى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال * كأن ثدياه حقان * (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات (لما) ظرف لاهلكنا والواو فى (وجاءتهم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهى المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) يجوز أن يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفى يعنى وما كانوا يؤمنون حقا تأكيد النفى ايمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الايمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب فى اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة فى امهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك (نجزى) كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزى بالياء (ثم جعلناكم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى أهلكنا (لننظر) أتعملون خيرا أم شرا فنعاملكم على حسب عملكم و(كيف) فى محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله (فان قلت) كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذى هو العلم بالشئ موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين فى تحققه * غاظهم ما فى القرآن

اثبات الله اهم نفس نباتهم أى اذا وجد من الله الانبات وجد لهم النبات حتما فكان أحد الامرين عين الآخر فقرن به والله أعلم من

* قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (قال فيه ان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى الخ) قال أحمد وكنت أحسب أن الزمخشرى يقتصر على انكار رؤية العبد لله تعالى فضم الى ذلك انكار رؤية الله والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية يقولون ان الله لا يرى ولا يرى تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد تقدم ابطال دعواهم أن النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده والله الموفق

اءت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم

من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا (ائت بقرآن) آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله) بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها * فأمر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان (ما يكون لى) ما ينبغى لى وما يحل كقوله تعالى ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى وقرئ بفتح التاء من غير أن أمرنى بذلك ربى (ان أتبع الا ما يوحى الى) لا آتى ولا أذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحى الله وأوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبديل ولا نسخ (انى أخاف ان عصيت ربى) بالتبديل والنسخ من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) (فان قلت) أما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا (قلت) بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز (فان قلت) لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لى ما يتسهل لى وما يمكننى أن أبدله (قلت) يرده قوله انى أخاف ان عصيت ربى (فان قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم فى هذا الاقتراح (قلت) الكيد والمكر أما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى أن تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ فى بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التى لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شئ من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم به على لسانى وقرأ الحسن ولا أدراتكم به على لغة من يقول أعطاته وأرضاته فى معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأتكم به بالهمز وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد ألا ترى أن الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثانى أن يكون من درأته اذا دفعته وأدرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال وتكذبوننى وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيرى ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصنى بهذه الكرامة ورآنى لها أهلا دون سائر الناس (فقد لبثت فيكم عمرا) وقرئ عمرا بالسكون يعنى فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفونى متعاطيا شيأ من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا أنه ليس الا من الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (ممن افترى على الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى قولهم انه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه اليه من الافتراء (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الاوثان التى هى جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإسافا ونائلة (و) كانوا (يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى (أتنبئون الله بما لا يعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم بالذات المحيط بجميع

*قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية (قال ان قلت كيف جعل الكون فى الفلك غاية الخ) قال أحمد وهذه أيضا من نكته التى لا يكتنه حسنها وقد مر لى قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه فى توأمتها وذلك عند قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم وقد استدل الزمخشرى بها لابى حنيفة فى أن الصغير (٥٨) يبتلى قبل البلوغ بان يسلم اليه قدر من المال يمتحن فيه خلافا لمالك فانه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ قال الزمخشرى ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيا به واعترضت هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجعول غاية هو جملة ما فى حيز حتى من البلوغ مقرونا بايناس الرشد وهذا المجموع هو الذى يلزم وقوعه بعد الابتلاء ولا يلزم من ذلك أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الابتلاء بل من الممكن أن يقع أحدهما قبل والآخر بعد فلا يحصل المجموع الا بعد الابتلاء ويوضح ذلك هذه الآية فانه تعالى جعل غاية تسييرهم فى الفلك كونهم فيها مضافا الى ما ذكر معه ونحن نعلم أن كونهم فى الفلك وذلك أحد ما جعل غاية متقدم على التسيير وان كان المجموع واقعا كوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون فى الفلك والله أعلم وانما بسطت القول ههنا لفوائه ثم تجدد بما مضى عهدا

المعلومات لم يكن شيأ لان الشئ ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه (فان قلت) كيف أنبؤا الله بذلك (قلت) هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذى أنبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبؤن بالتخفيف وقوله (فى السموات ولا فى الارض) تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم (تشركون) قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم الى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا (لولا أنزل عليه آية من ربه) أرادوا آية من الآيات التى كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التى لم ينزل على أحد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة فى الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لافراط عنادهم وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغى (فقل انما الغيب لله) أى هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لى ولا لاحد به يعنى أن الصارف عن انزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه الا هو (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات * سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والآخرة جوابها وهى للمفاجأة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى (مستهم) خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم (فان قلت) ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله (أسرع مكرا) (قلت) بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل أن يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون فى اطفاء نور الاسلام (ان رسلنا يكتبون) اعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبى هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا * قرأ زيد ابن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا فى الارض ثم اذا أنتم بشر تنتشرون (فان قلت) كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر والتسيير فى البحر انما هو بالكون فى الفلك (قلت) لم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجئ الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء (فان قلت) ما جواب اذا (قلت) جاءتها (فان قلت) فدعوا (قلت) بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فان قلت) ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة (قلت) المبالغة

كانه

فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك

كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح (فان قلت) ما وجه قراءة أم الدرداء فى الفلكى بزيادة ياء النسب (قلت) قيل هما زائدتان كما فى الخارجى والاحمرى ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذى لا تجرى الفلك الا فيه والضمير فى (جرين) للفلك لانه جمع فلك كالاسد فى فعل أخى فعل وفى قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لان الفلكى يدل عليه (جاءتها) جاءت الريح الطيبة أى تلقتها وقيل الضمير للفلك (من كل مكان) من جميع أمكنة الموج (أحيط بهم) أى أهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الهلاك (مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه (لئن أنجيتنا) على ارادة القول أو لان دعوا من جملة القول (يبغون فى الارض) يفسدون فيها ويعبثون متراقين فى ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد (فان قلت) فما معنى قوله (بغير الحق) والبغى لا يكون بحق (قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة * قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب (فان قلت) ما الفرق بين القراءتين (قلت) اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذى هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعنى بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا فى موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه الصلاة والسلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين فى أخيه

يا صاحب البغى ان البغى مصرعة * فاربع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم * هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه (فاختلط به) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (أخذت الارض زخرفها وازينت) كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير اعلال الفعل كأغيلت أى صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت (قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أى لم ينبت على حذف المضاف فى هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذى هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى

*طويل الثواء طويل التغنى * والامس مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا (دار السلام) الجنة أضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما (ويهدى) ويوفق (من يشاء) وهم الذين علم أن اللطف يجدى عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهى التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن على رضى الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنى الحسنة

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

*قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (ذكر) فى الزيادة تفاسير كثيرة ثم قال وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله تعالى الخ

(قال أحمد) نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى الى زعم أهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والمجبرة مرور على ديدنه المعروف فى التكذيب
عالم يحط به علما وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة والحديث المروى فيه مدون فى الصحاح متفق على صحته وقد جعل
أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة ائت بقرآن
غير هذا أو بدله جلا له على انه جاء به من عند ه فلاهل السنة اذا أسوة بصاحبها ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فابتلاء

والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن رضى الله عنه عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضى الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيأ هو أحب اليهم منه (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار اذكارا عما ينقذهم منه برحمته ألا ترى الى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة (فان قلت) ما وجه قوله (والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها) وكيف يتلاءم (قلت) لا يخلوا اما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها واما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الاول لان فى الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفى هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء (من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين (مظلما) حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده قراءة أبى بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم (فان قلت) اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلوا اما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل فى من الليل (مكانكم) الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم و(أنتم) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما فى مكانكم من معنى الفعل (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم فى الموقف * وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته (ما كنتم ايانا تعبدون) انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم (ان كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبده من دون الله من أولى العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى زعموها وعلقوا بها أطماعهم (هنالك) فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشئ ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أى نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهى سعيدة وان كان سيأ فهى شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلوا أى تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار أو تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر

ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله

الحق بالباطل قديم والله الموفق وان فى قوله تعالى على اثر ذلك ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة مصداقا لصحة هذا التفسير فان فيه تنبيها على اكرام وجوههم بالنظر الى وجه الله تعالى فجدير بهم أن لا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب عكس المحرومين المحجوبين فان وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نسأل الله الكفاية فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقى وسعيد

(مولاهم

*قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض (قال معناه أى من يرزقكم منهما جميعا الخ) قال أحمد وهذه الآية كالخفة لوجوه القدرية الزاعمين ان الارزاق منقسمة فنها

(مولاهم الحق) ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته (من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ بكلاءته وحفظه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (أفلا تتقون) أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال (ذلكم) اشارة الى من هذه قدرته وأفعاله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعنى أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع فى الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) أى تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه و(أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون (فان قلت) كيف قيل لهم (هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) وهم غير معترفين بالاعادة (قلت) قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رد الظاهر البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم فى انكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده) فأمره بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم * يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين * ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدى) وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا أن يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدى الى الحق مثل هداية الله * ثم قال أفمن يهدى الى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره الا أن يهديه الله وقيل معناه أمن لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه (الا أن يهدى) الا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا أن ينقله الله من حاله الى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد لله (وما يتبع أكثرهم) فى اقرارهم بالله (الا ظنا) لانه قول غير مستند الى برهان عندهم (ان الظن) فى معرفة الله (لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيأ) وقيل وما يتبع أكثرهم فى قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع (ان الله عليم) وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء (وما كان هذا القرآن) افتراء (من دون الله ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وما صح

مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه

ما رزقه الله العبد وهو الحلال ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفى لو سمعوا أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون

وما استقام وكان محالا أن يكون مثله فى علو أمره واعجازه مفترى (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض
من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (فان قلت) بم اتصل قوله (لاريب فيه من رب العالمين) (قلت)
هو داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين
ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب فى ذلك فيكون من رب العالمين
متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل
أيقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم أو انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان
(قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فأنتم مثلى فى العربية والفصاحة
ومعنى بسورة مثله أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة أى بسورة كتاب
مثله (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعنى أن الله وحده هو
القادر على أن يأتى بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه (ان كنتم
صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤه فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه
ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم
وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه
وألفه وان كانت أضوأ من الشمس فى ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها فى أول وهلة واشمأز منها قبل
أن يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحة أو فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه
من المذاهب (فان قلت) ما معنى التوقع فى قوله (ولما يأتهم تأويله) (قلت) معناه أنهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب
قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى ورازوا قواهم
فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب
(كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر فى معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من أنفسهم ولكن
قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو فى الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله
ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب
معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به
قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (ومنهم
من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب * ومنهم من يشك فيه لا يصدق به
أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين
أو المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت
كقوله تعالى فان عصوك فقل انى برىء وقيل هى منسوخة بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك)
معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس
ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون * ثم قال أفأنت تطمع أنك تقدر على
اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه
دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر * وأتحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو
انضم الى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن وأما
العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى أنهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا بصائر لهم
ولا عقول وقوله (أفأنت) دلالة على أنه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر
والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبى العقل حديدى السمع والبصر راجحى العقل الا هو وحده
(ان الله لا يظلم الناس شيأ) أى لا ينقصهم شيأ مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب * ولكنهم

بسورة مثله وادعوا من
استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه ولما
يأتهم تأويله كذلك كذب
الذين من قبلهم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين
ومنهم من يؤمن به ومنهم
من لا يؤمن به وربك أعلم
بالمفسدين وان كذبوك
فقل لى عملى ولكم عملكم
أنتم بريئون مما أعمل وأنا
برىء مما تعملون ومنهم
من يستمعون اليك أفأنت
تسمع الصم ولو كانوا لا
يعقلون ومنهم من ينظر
اليك أفأنت تهدى العمى
ولو كانوا لا يبصرون ان
الله لا يظلم الناس شيأ
ولكن الناس أنفسهم
يظلمون ويوم نحشرهم
كأن لم يلبثوا

قوله تعالى بل كذبوا بما
لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تأويله (قال معناه أنهم
كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة
التأويل الخ) قال أحمد
وكان التكذيب قبل
الاحاطة بعلمه ربما
يوهم عذرا ما للمكذب
فجاءت كلمة لما مشعرة
بأنهم قد أحاطوا بعلمه
حتى تحسم أعذارهم
وتحقق شقاوتهم
والله أعلم

يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعنى أن ما يلحقهم يوم القيامة من
العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا
فيه (الاساعة من النهار) يستقربون وقت لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم)
يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة
الامر عليهم (فان قلت) كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما (قلت) أما الاولى فحال من هم أى نحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث الاساعة وأما الثانية فاما أن تتعلق بالظرف واما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا
الاساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا (قد خسر) على ارادة القول أى يتعارفون
بينهم قائلين ذلك أوهى شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الايمان
بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم
(فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذى نعدهم فى
الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة (فان قلت) الله شهيد على ما يفعلون فى الدارين
فما معنى ثم (قلت) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على
ما يفعلون وقرأ ابن أبى عبلة ثم بالفتح أى هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة
حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبههم
على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء) هم (رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) أى
بين النبى ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا أولكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والايمان كقوله تعالى وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق (متى هذا الوعد) استعجال لما
وعدوا من العذاب استبعادا له (لا أملك لنفسى ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء
الله) استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل
أمة أجل) يعنى أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان (اذا جاء) ذلك الوقت أنجز وعدكم
لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم (بياتا) نصب على الظرف بمعنى وقت بيات (فان قلت)
هلا قيل ليلا أو نهارا (قلت) لانه أريد ان أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما
يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (نهارا) معناه فى وقت أنتم
فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير فى (منه) للعذاب
والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأى شىء يستعجلون منه وليس شىء منه يوجب
الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أى شىء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن يكون
من للبيان فى هذا الوجه وقيل الضمير فى منه لله تعالى (فان قلت) بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط
(قلت) تعلق بأرأيتم لان المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على
الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه (فان قلت) فهلا قيل ماذا تستعجلون منه (قلت) أريدت الدلالة على موجب
ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان
أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا
تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون (أثم اذا ما وقع آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم
كدخوله على الواو والفاء فى قوله أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (آلآن) على ارادة القول أى قيل
لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى وقد كنتم به تكذبون لان
استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على

يتعارفون بينهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله
وما كانوا مهتدين واما
نرينك بعض الذى
نعدهم أو نتوفينك
فالينا مرجعهم ثم الله
شهيد على ما يفعلون
ولكل أمة رسول فاذا
جاء رسولهم قضى بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون
ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين
قل لا أملك لنفسى ضرا
ولا نفعا الا ما شاء الله
لكل أمة أجل اذا جاء
أجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون
قل أرأيتم ان أتاكم عذابه
بياتا أو نهارا ماذا يستعجل
منه المجرمون أثم اذا
ما وقع آمنتم به آلآن
وقد كنتم به تستعجلون

---

* قوله تعالى قل أرأيتم
ان أتاكم عذابه بياتا أو
نهارا ماذا يستعجل منه
المجرمون (قال ان قلت
هلا قيل ماذا تستعجلون
منه الخ) قال أحمد وفى
هذا النوع البليغ
نكتتان احداهما
وضع الظاهر مكان
المضمر والاخرى ذكر
الظاهر بصيغة زائدة
مناسبة للصدر وكلاهما
مستقل بوجه من
البلاغة والمبالغة والله
أعلم

ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وما تكون فى شأن وما تتلوا

اللام (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ويستنبؤنك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو أدخل فى الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك أن اللام للجنس فكانه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذى سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود و(اى) بمعنى نعم فى القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون فى التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ظلمت) صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة (ما فى الارض) أى ما فى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة فى القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشئ لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشئ وأشره اذا أظهره وليس هنالك تجلد (وقضى بينهم) أى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم * ثم أتبع ذلك الاعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون (قد جاءتكم موعظة) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد (و) هو (شفاء) أى دواء لما فى صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق (ورحمة) لمن آمن به منكم * أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتأخذوا مصافكم قالها فى بعض الغزوات وفى قراءة أبى فافرحوا (هو) راجع الى ذلك * وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه (أرأيتم) أخبرونى و(ما أنزل الله) ما فى موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم فى معنى أخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) أى أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبرونى آلله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه أم تتكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه * ويجوز أن تكون الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد فى شئ جائز أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعنى أى شئ ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى ابن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأى ظن ظنوا يوم القيامة وجئ به على لفظ الماضى لانه كائن فكأن قد كان (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وما تكون فى شأن) ما نافية والخطاب لرسول الله

منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء

صلى الله عليه وسلم والشأن الامر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (منه) للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل وما (تعملون) أنتم جميعا (من عمل) أى عمل كان (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) من أفاض فى الامر اذا اندفع فيه (وما يعزب) قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفى العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا فى موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شئ الا فى كتاب مشكل (فان قلت) لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله فى سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض (قلت) حق السماء أن تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤن أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الارض على السماء على أن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك فى قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهو توليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمت والهيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون فى الله وعن عمر رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على وصف الاولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هى محبة الناس له والذكر الحسن وعن أبى ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدى و(ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض (ولا يحزنك) وقرئ ولا يحزنك من أحزنه (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك وسائر ما يتكلمون به فى شأنك (ان العزة لله) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لى لا أحزن فقيل ان العزة لله جميعا أى ان الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيأ منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلى انا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة به (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (من فى السموات ومن فى الارض) يعنى العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن أن هؤلاء اذا كانوا له وفى ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو انسى فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء أى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان

كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال (ان يتبعون الا) ظنهم أنها شركاء (وان هم الا يخرصون) يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأى شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ● وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأى شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ● ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيأ يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم (لقوم يسمعون) سماع معتبر مدكر (سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء (هو الغني) علة لنفي الولد لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا (له ما في السموات وما في الارض) فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان (أتقولون على الله ما لا تعلمون) لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم (يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (متاع في الدنيا) أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده (كبر عليكم) عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر (مقامي) مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة الا خمسين عاما أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) من أجمع الأمر وأزمعه اذا نواه وعزم عليه قال ● هل أغدون يوما وأمري مجمع ● والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (فان قلت) كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء (قلت) على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فان قلت) ما معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة (قلت) أما الأمر الأول فالقصد الى اهلاكه يعني فأجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته اياه وأنهم لن يجدوا اليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به (ثم اقضوا الي) ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا الي قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر أو أدوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه (ولا تنظرون)

ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون

ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من أفضى الرجل اذا خرج الى الفضاء أي أصحروا به الي وأبرزوه لي (فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي (فما سألتكم من أجر) فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم (ان أجري الا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا (وأمرت أن أكون من المسلمين) الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيأ ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير (فكذبوه) فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أوائلها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه (بما كذبوا به من قبل) يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع المحكم نطبع (على قلوب المعتدين) والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند اليهم الاعتداء ووصفهم به (من بعدهم) من بعد الرسل (بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا (فان قلت) هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا (قلت) فيه أوجه أن يكون معنى قوله (أتقولون للحق) أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال (أسحر هذا) فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح (ولا يفلح الساحرون) كما قال موسى للسحرة ما جئتم به آلسحر ان الله سيبطله (لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنون عبادة الأصنام (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه ● جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصد ذمهما وأنهما ان ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض (وما نحن لكما بمؤمنين) أي مصدقين لكما فيما جئتما به ● وقرئ يطبع ويكون لكما بالياء (ما جئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و(السحر) خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه

فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر

● قوله تعالى قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (قال ان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على أنه سحر الخ) قال أحمد وفي الفرق بين الوجهين غموض وايضاحه (٦٧) أن القول على الوجه الأول وقع كناية عن العيب فلا يتقاضى مفعولا وفي الثاني على أنه يطلب مفعولا والله أعلم ● قوله تعالى قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله (قال ما موصولة مبتدأ والسحر خبر أي الذي جئتم به الخ) قال أحمد وليس المراد في القراءة الأولى الاخبار بأن ما جاؤا به سحر خاصة ولكن مع تنزيه ما جاء به

عن كونه سحرا وانما يستفاد ذلك مما في هذا النظم المخصوص من افادة الحصر ولو مرت بخاطر الامام أبي المعالي في مسئلة تحرمة التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على افادة هذا النظم الحصر فانا نعلم أن موسى عليه السلام حيث أطلقه فانما أراد اضافة السحر الى ما جاؤا به محصورا فيه حتى لا يتعدى الى الحق الذي جاء به هو منه شئ وأما القراءة الثانية نفيها والله أعلم ارشاد الى أن قول موسى عليه السلام أولا أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا حكاية لقولهم و يكون أسحر هذا هو الذي قالوه ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم انهم قالوا ان هذا لسحر مبين وذلك اما لانهم قالوا الامرين جميعا بدؤا بالاستفهام على سبيل الاستنكار بالحق والاستهزاء بكونه حقا والاستهزاء بالحق انكاره بل قد يكون الاستفهام في بعض المواطن ابت من الاخبار ألا ترى أنهم يقولون في قوله آنت أم أم سالم أبلغ في البت من قوله مخبرا أنت أم سالم ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة ببت الانكار ودعوى انه سحر فقالوا ان هذا لسحر مبين فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني وو بخهم موسى على قولهم الاول (٦٨) ومعنى العبارتين وما لهما واحد واما أن لا يكونوا قالوا سوى أسحر هذا على سبيل الانكار

ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون

القراءة ما استفهامية أي أي شئ جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به (ان الله سيبطله) سيمحقه أو يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة (لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار (ويحق الله الحق) و يثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته (فما آمن لموسى) في أول أمره (الا ذرية من قومه) الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كأنه قيل الا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (وملئهم) (قلت) الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لانه ذو أصحاب يأتمرون له و يجوز أن يرجع الى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم و يدل عليه قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به و بآياته (فعليه توكلوا) فاليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون * ثم شرط في التوكل الاسلام وهو أن يسلموا انفوسهم لله أى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة لهم أى عذاب يعذبوننا و يفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا و يقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا * تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم) تلك (قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الاسلام بمكة (فان قلت) كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا (قلت) خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ

حسبما تقدم فحكاه الله تعالى عنهم عا له لانه يعلم أن مرادهم من الاستفهام الانكار وبت القول انه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم لقومهما بلفظه ولم يؤده بعبارة أخرى وحكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا تحمل لها سوى انها معان منقولة الى اللغة العربية فيترجم عنها بالالفاظ المترادفة المتساوية المعاني وحاصل هذا البحث ان قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا انما حكى فيه قولهم و يرشد الى ذلك انه كافأهم عندما نوابالسحر بمثل مقالتهم مستفهما فقال ما جئتم به آلسحر على قراءة الاستفهام قرضا بوفاء على السواء والذي يحقق لك أن الاستفهام والاخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ما جئتم به السحر على الوجهين الخبر والاستفهام على ما اقتضته القراءتان وهو قول واحد دل على أن مؤدى الامرين واحد ضرورة صدق الخبر وانما حمل الزمخشري على تأويل القول بالتعيب أو اضمار مفعول تقولون استشكال وقوع الاستفهام محكيا بالقول والمحكي أولا عنهم الخبر وقد أوضحنا انه لا تنافر ولا تنافي بين الامرين فشد بهذا الفصل عرى التمسك فانه من دقائق النكت والله الموفق

* قوله تعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (قال قلت هو دعاء بلفظ الامر الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفي الذي هو أدق من دبيب النمل يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفا ووجه ذلك انه علم أن الظاهر بل والباطن ان اللام للتعليل وان الفعل منصوب بها ومعنى ذلك اخبار موسى (٦٩) عليه السلام بان الله انما أمدهم بالزينة والاموال وما يتبعهما من النعم استدراجا ليزدادوا اثما وضلالة كما أخبر تعالى عن أمثالهم بقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في

وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت

لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها * الزينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (فان قلت) ما معنى قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) (قلت) هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله و بيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجي منهم الا الغي والضلال وأن ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون الا أن يخذلوا و يخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا ما لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه * ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه * وقرأ الفضل الرقاشي أئنك آتيت على الاستفهام والطمس بضم الميم * قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن و يجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني أعظك أن تكون من الجاهلين * وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية و بتخفيف التاء من تبع * قرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجوزه وجاوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى * واذا يجوزها حبال قبيلة * لانه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال * كما جوز السكي في الباب فيتق * (فأتبعهم) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته * وقرأ الحسن وعدوا وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت * كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف (آلآن) أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في

استحالة ذلك على الله تعالى لاعتقاده أن من الجور أن يملي لهم في الضلالة و يعاقبهم عليها فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردها الى معتقده وجعلها تبعا له كما تقدم له تأويل قوله ليزدادوا اثما وكأين من آية غراء رام أن يستر غرتها و يطفئ نورها بامثال هذه التأويلات الرديئة لفظا وعقدا و يأبى الله الا أن يتم نوره ثم لا يسعه الا أن يحمل موسى عليه السلام على أمثال هذه المعتقدات ولقد برأه الله وكان عند الله وجيها * قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (قال معناه أتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين أدركك الغرق الخ) قال أحمد ولقد أنكر منكرا وغضب لله

فيه فالغضب لله على الكافر فى وقت قد علم أن ايمانه لا ينفعه وأما ما يضم اليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما أن الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى أن من كره ايمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر (من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق فى البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه (ننجيك) بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض * وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلى البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور (ببدنك) فى موضع الحال أى فى الحال التى لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معديكرب

أعاذل شكتى بدنى وسيفى * وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو على وجهين اما أن يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعنى ببدنك كله وافيا باجزائه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها (لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان فى أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وروى أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبدا وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بنى اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن تظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله * وقرئ لمن خلفك بالقاف أى لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة أن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة فى أمرك (مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشأم (فما اختلفوا) فى دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم فى صفته ونعته وانه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (فان قلت) كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) مع قوله فى الكفرة وانهم لفى شك منه مريب (قلت) فرق عظيم بين قوله وانهم لفى شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت فى شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم فى التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ فى ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة فى الدين أن يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وأدلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعنى أنهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل الى

من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك

والملائكة كما يجب لهم والله الموفق * قوله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك (قال ان قلت كيف قال له عليه السلام فان كنت فى شك مع قوله فى الكفرة وانهم لفى شك منه مريب الخ) قال أحمد ولو قال هذا المفسر ان نفى الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لامره بالسؤال لتقوم حجته على المسؤلين لا ليستفيد بسؤالهم علما لمزيد تعين الابراء بقوله له قل لمن ما فى السموات والارض قل لله فأمر بالسؤال والجواب جميعا لكان أقوم وأسلم والله أعلم

---

* قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا (قال المراد مشيئة القسر والالجاء) قال أحمد وهذا من دسه الاعتزال مختلسا وخلط الباطل بالحق مدلسا ولما علم أن الآية تقتضى عدم مشيئة الله تعالى لايمان الخلق بصيغة الكلية وانه انما شاء ذلك ممن آمن لا ممن كفر اذ مقتضى لو الامتناع وكان ذلك رادا لمعتقده الفاسد اذ يزعمون أن الله تعالى شاء الايمان من جميع أهل الارض فلم يؤمن الا بعضهم

رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال (لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته ومعناه فان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن وقيل ان للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل يعنى لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسل الذين يقرؤن الكتب (حقت عليهم كلمت ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بمخنقه (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها لوقوعه فى وقت الاختيار وقرأ أبى وعبد الله فهلا كانت (الا قوم يونس) استثناء من القرى لان المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة فى معنى النفى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روى عن الجرمى والكسائى روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها على بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا ياحى حين لا حى وياحى محيى الموتى وياحى لا اله الا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك) مشيئة القسر والالجاء (لآمن من فى الارض كلهم) على وجه الاحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى الى قوله (أفأنت تكره الناس) يعنى انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا أنت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن فى المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على أن يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر (وما كان لنفس) يعنى من النفوس التى علم أنها تؤمن (الا باذن الله) أى بتسهيله وهو منح الالطاف (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاى

لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا

أخذ يحرف مشيئة الايمان الى مشيئة القسر والالجاء ليتم له أن المشيئة المرادة فى الآية لم تقع الا أنا نوافقه على ان الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل أمرهم بالايمان وخلق لهم اختيارا له وقصدا وهذا كما ترى لا يعد فى التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجب رده واقرار الظاهر على حاله نعوذ بالله من زيغ الشيطان واضلاله والله الموفق

ماذا فى السموات والارض وماتغنى الآيات والنذرعن قوم لايؤمنون فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوامن قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلناوالذين آمنوا كذلك حقاعلينا ننج المؤمنين قل ياأيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلاأعبدالذين تعبدون من دون الله ولكن أعبدالله الذين يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك اذامن الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلاراد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفورالرحيم قل ياأيها الناس قدجاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وماأناعليكم بوكيل واتبع مايوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهوخيرالحاكمين

وقرئ ونجعل بالنون (ماذافى السموات والارض) من الآيات والعبر (وماتغنى الآيات والنذر) والرسل المنذرون أوالانذارات (عن قوم لايؤمنون) لايتوقع ايمانهم وهم الذين لايعقلون وقرئ ومايغنى بالياء وما نافية أواستفهامية (أيام الذين خلوامن قبلهم) وقائع الله تعالى فيهم كمايقال أيام العرب لوقائعها (ثم ننجى رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الامثل أيام الذين خلوامن قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم * كذلك ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين و (حقاعلينا) اعتراض يعنى حق ذلك علينا حقاوقرئ ننج بالتشديد (ياأيها الناس) ياأهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته وسداده فهذا دينى فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروافيه بعين الانصاف لتعلموا أنه دين لامدخل فيه للشك وهوانى لاأعبدالحجارة التى تعبدونها من دون من هوالهكم وخالقكم (ولكن أعبدالله الذى يتوفاكم) وانما وصفه بالتوفى ليريهم أنه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبددون مالايقدرعلى شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعنى أن الله أمرنى بذلك بماركب فى من العقل وبما أوحى الى فى كتابه وقيل معناه ان كنتم فى شك من دينى ومما أناعليه أأثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلاتحدثوا أنفسكم بالمحال ولاتشكوافى أمرى واقطعواعنى أطماعكم واعلموا أنى لاأعبدالذين تعبدون من دون الله ولاأختار الضلالة على الهدى كقوله قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون * أمرت أن أكون أصله بان أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذى هوحذف الحروف الجارة مع أن وأن وأن يكون من الحذف غيرالمطرد وهوقوله أمرتك الخيرفاصدع بماتؤمر (فان قلت) عطف قوله (وأن أقم) على أن أكون فيه اشكال لان أن لاتخلو من أن تكون التى للعبارة أوالتى تكون مع الفعل فى تأويل المصدر فلايصح أن تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لايساعد عليه لفظ الامر وهو أقم لان الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب (قلت) قدسوغ سيبويه أن توصل أن بالامر والنهى وشبه ذلك بقولهم أنت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بماتكون معه فى معنى المصدر والامر والنهى دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال * أقم وجهك استقم اليه ولاتلتفت يمينا ولاشمالا و (حنيفا) حال من الدين أومن الوجه (فان فعلت) معناه فان دعوت من دون الله مالاينفعك ولايضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذامن الظالمين) اذاجزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لاظلم أعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم * أتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لاتنفع ولاتضر أن الله عزوجل هوالضارالنافع الذى ان أصابك بضرلم يقدرعلى كشفه الاهو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لاشعور به وكذلك ان أرادك بخيرلم يردأحد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهوالحقيق اذابان توجه اليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ان أرادنى الله بضرهل هن كاشفات ضره أوأرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته (فان قلت) لم ذكرالمس فى أحدهما والارادة فى الثانى (قلت) كأنه أراد أن يذكرالامرين جميعا الارادة والاصابة فى كل واحد من الضر والخير وأنه لارادلمايريده منهما ولامزيل لمايصيب به منهما فأوجزالكلام بان ذكرالمس وهو الاصابة فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل بماذكر على ماترك على أنه قد ذكرالاصابة بالخيرفى قوله تعالى (يصيب به من يشاء من عباده) والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة (قدجاءكم الحق) فلم يبق لكم عذر ولاعلى الله حجة فمن اختارالهدى واتباع الحق فمانفع باختياره الانفسه ومن آثرالضلال فماضرالانفسه واللام وعلى دلاعلى معنى النفع والضر * وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثارالهدى واطراح الضلال مع ذلك (وماأناعليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم وحملكم على ماأريد انماأنابشيرونذير واصبرعلى دعوتهم واحتمال أذاهم واعراضهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة وروى أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدى أثرة فاصبرواحتى تلقونى يعنى

أنى

أنى أمرت فى هذه الآية بالصبرعلى ماسامتنى الكفرة فصبرت فاصبروا وأنتم على مايسومكم الامراء الجورة قال أنس فلم نصبر وروى أن أباقتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه من بعد فقال له مالك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يامعشرالانصار انكم ستلقون بعدى أثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبرواحتى تلقونى قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبدالرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أميرالظالمين نثا كلامى

بأناصابرون فمنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأسورة يونس أعطى من الاجرعشرحسنات بعددمن صدق بيونس وكذب به و بعدد من غرق مع فرعون

(سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألاتعبدوا الاالله إننى لكم منه نذيروبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوااليه يمتعكم متاعاحسناالى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهوعلى كل شئ قدير ألاإنهم يثنون صدورهم

(أحكمت آياته) نظمت نظمارصينامحكما لايقع فيه نقض ولاخلل كالبناء المحكم المرصف ويجوزأن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذاصارحكيما أى جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة اذاوضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم * انى أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كماتفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أوجعلت فصولاسورة سورة وآية آية أوفرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أوفصل فيها مايحتاج اليه العباد أى بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أى أحكمتها أناثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل (فان قلت) مامعنى ثم (قلت) ليس معناها التراخى فى الوقت ولكن فى الحال كماتقول هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبرمبتدا محذوف وأحكمت صفة له وقوله (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية ويجوز أن يكون خبرا بعدخبروأن يكون صلة لاحكمت وفصلت أى من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها أى بينها وشرحها خبيرعالم بكيفيات الامور (ألاتعبدوا) مفعول له على معنى لئلاتعبدوا أوتكون أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لاتعبدوا الا الله أوأمركم أن لاتعبدوا الاالله (وأن استغفروا) أى أمركم بالتوحيد والاستغفارويجوزأن يكون كلاما مبتدأ منقطعاعماقبله على لسان النبى صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله اننى لكم منه نذيروبشيركأنه قال ترك عبادة غيرالله اننى لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضميرفى منه لله عزوجل أى اننى لكم نذيروبشيرمن جهته كقوله رسول من الله أوهى صلة لنذير أى أنذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم (فان قلت) مامعنى ثم فى قوله (ثم توبوااليه) قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة أواستغفروا والاستغفارتوبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا (يمتعكم) يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لايبخس منه أوفضله فى الثواب والدرجات تتفاضل فى الجنة على قدرتفاضل الطاعات (وان تولوا) وان تتولوا (عذاب يوم كبير) هويوم القيامة وصف بالكبركما وصف بالعظم والثقل * وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم الى من هوقادرعلى كل شئ فكان قادرا على أشدماأرادمن عذابهم لايعجزه وقرئ وان تولوامن ولى (يثنون صدورهم) يزورون عن الحق

ويحرفون عنه لان من أقبل على الشئ استقبله بصدره ومن ازورعنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) يعنى ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار فى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى (ألا حين يستغشون ثيابهم) ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال (يعلم مايسرون ومايعلنون) يعنى أنه لاتفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى مايريدون من الاستخفاء والله مطلع على تثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روى أنها نزلت فى الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف مايظهر وقيل نزلت فى المنافقين * وقرئ تثنونى صدورهم واثنونى افعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنونى وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ماهش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما يثنى الهش من النبات أو أراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوى بوزن ترعوى (فان قلت) كيف قال (على الله رزقها) بلفظ الوجوب وانما هو تفضل (قلت) هو تفضل الا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد * والمستقر مكانه من الارض ومسكنه * والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وكان عرشه على الماء) أى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت أحوج اليه والى امساكه (ليبلوكم) متعلق بخلق أى خلقهن لحكمة بالغة وهى أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم مايفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون (فان قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم (فان قلت) كيف قيل (أيكم أحسن عملا) وأعمال المؤمنين هى التى تتفاوت الى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ماهو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا فى حيازة فضلهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله * قرئ ولئن قلت أنكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه أن يكون من قولهم ائت السوق عنك تشترى لنا لحما وأنك تشترى بمعنى علك أى ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا (ان هذا الا سحر مبين) بابتين القول ببطلانه ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين أن السحر أمر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به أو أشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار مافيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (العذاب) عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (مايحبسه) مايمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء و(يوم يأتيهم) منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه اذا جاز تقديم معمول

خبرها

ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون إنه عليم بذات الصدور ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا

﴿ القول فى سورة هود عليه السلام ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها (قال ان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب الخ) قال أحمد كل مايديه الله تعالى من رزق لبهيمة أو مكلف فى الدنيا أو ثواب فى الآخرة فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى وان ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على أن الله عز وجل لما وعدهم فضله ووعده خبر وخبره صدق وجب وقوع

خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا أنه جاء على عادة الله فى اخباره (الانسان) للجنس (رحمة) نعمة من صحة وأمن وجدة (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة (انه ليؤس) شديد اليأس من أن تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساء له (ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين) آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة أن يشكروا وان زالت عنهم نعمة أن يصبروا * كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك) أى لعلك تترك أن تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك) بأن تتلوه عليهم (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) أى هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه مالا نريده ولا نقترحه ثم قال (انما أنت نذير) أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا (والله على كل شئ وكيل) يحفظ مايقولون وهو فاعل بهم مايجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (فان قلت) لم عدل عن ضيق الى ضائق (قلت) ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين فى بعض القراآت وقول السمهرى العكلى

بمنزلة أما اللئيم فسامن * بها وكرام الناس بادشحوبها

(أم) منقطعة * والضمير فى (افتراه) لما يوحى اليك * تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) بمعنى أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى وأن الامر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام (فان قلت) كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله فى حسن البيان والنظم وان كان مفترى (فان قلت) ماوجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل (قلت) معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه (و) اعلموا عند ذلك (أن لا اله) الا الله وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه

عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عنى انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها

الموعود أى يستحيل فى العقل أن لا يقع للزوم الخلف فى خبر الصادق فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكليف وبينهما هذا الفرق المذكور هذه قاعدة أهل الحق وقدمر الكلام عليها عند قوله تعالى انما التوبة على الله والله الموفق

* قوله تعالى يضاعف لهم العذاب ما كان يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (قال أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم الخ) قال أحمد أهل الحق وان نفوا تأثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عز وجل فلا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية وانما الذى ينفى الاستطاعة جملة هم المجبرة حقيقة لا لأهل السنة والحق

فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون (نوف اليهم) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرىء فقد قيل وعن أنس بن مالك هم اليهود والنصارى ان أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة فى الرزق وصحة فى البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم فى الغنائم وقرئ يوف بالياء على أن الفعل لله عز وجل وتوف اليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفى قراءة الحسن نوفى بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * (وحبط ما صنعوا فيها) وحبط فى الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعنى لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ بطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان أن تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا أى باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة) معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله ابن سلام وغيره كان على بينة (من ربه) أى على برهان من الله وبيان أن دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد منه) أى شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم (أولئك) يعنى من كان على بينة (يؤمنون به) يؤمنون بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده فلا تك فى مرية) وقرئ مرية بالضم وهما الشك (منه) من القرآن أو من الموعد (يعرضون على ربهم) يحبسون فى الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم (الاشهاد) من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا ويقال (ألا لعنة الله على الظالمين) فوا خزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب أو أشراف (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد * وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض) أى ما كانوا يعجزون الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من) يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) وقرئ يضعف (ما كانوا يستطيعون السمع) أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل

نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين

مع الزمخشرى فى هذا الموضع الا فى غفلته حيث يقول فيوعوع بها على أهل العدل يعنى الآية المذكورة وهذه بعض سقطة عظيمة وهب أن المجبر غلط فى الاستدلال بالآية على معتقده فكيف يستجيز أن يطلق على ايراده الآية وعوعة وانما تلا كتاب الله تعالى غير أن خطأه فى تصحيح معتقده الباطل به وما للزمخشرى الا اتساع كثيرا فيما يجب من الآداب للكتاب العزيز وانما يليق التسامح اذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحرث بن حلزة وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك والله الموفق

* قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون (قال شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع الى قوله أن تكون الواو الخ) قال أحمد بخلافها على الوجه الاول فانها العطف الموصوف على الموصوف وأما تنظير الآية بتشبيه امرئ القيس فى كونه شبه تشبيهين اثنين ففيه نظر فان امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيها واحدا والآية على التفسير الاول شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين وانما ينظر ببيت امرئ القيس على الوجه الثانى فان مقتضاه أن كل واحد منهما شبه تشبيها واحدا ولكن فى صفتين متعددتين والامر فى ذلك قريب والله أعلم

بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعى ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله وولايتها ليست بشىء فما كان لهم فى الحقيقة من أولياء ثم بين نفى كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد (خسروا أنفسهم) اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم ما لا خسران أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لا جرم) فسر فى مكان آخر (هم الاخسرون) لا ترى أحدا أبين خسرانا منهم (وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة ومنه قولهم للشىء الدنىء الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرز * ق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء * شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وأن يشبهه بالذى جمع بين العمى والصمم أو الذى جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى والاصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم فالآيب (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها * أى أرسلنا نوحا بأنى لكم نذير ومعناه أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله (انى لكم نذير مبين) بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول (ألا تعبدوا) بدل من انى لكم نذير أى أرسلناه بأن لا تعبدوا (الا الله) أو تكون أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير * وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فان قلت) فاذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده (الملأ) الاشراف من قولهم فلان ملىء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها أو لانهم يتمالؤن أى يتظاهرون ويتساندون أو لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملا وموازلهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا * قرئ بادى الرأى بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك أول الرأى أو ظاهر الرأى وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك انما هو شىء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الانبياء

خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه إنى لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا

* قوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى (قال هو تعريض بأنهم كانوا أحق منه بالنبوة الخ) قال أحمد ويحتمل فى الوجهين أن يكون المراد أول الرأى ولكنه ترك الهمز استثقالا الا أن يكون القارئ بها ياء ليس من مذهبه تسهيل الهمز والمعنيان متقاربان وقد زعم هؤلاء أن يحجوا نوحا عن اتباعه من وجهين أحدهما ان المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة والثانى أنهم مع ذلك لم يتروا فى اتباعه ولا أمعنوا الفكرة فى صحة ما جاء به وانما بادروا الى ذلك من غير فكرة ولا روية وغرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بأن منهم من صدقه وآمن به والله أعلم

* قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (قال ان قلت ماوجه ترادف هذين الشرطين الخ) قال أحمد ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل أنت طالق ان شربت ان أكلت وهي المترجمة بمسئلة اعتراض الشرط على الشرط والمنقول عن الشافعية انها ان شربت ثم أكلت لم يحنث وان أكلت ثم شربت حنث وهذا الفرق مبناه على جعل الجزاء للشرط الآخر أي للذي يليه ثم جعلهما معا جزاء للشرط المتوسط ولذلك سر في العربية لا نطول بذكره وعليه أعرب الزمخشري هذه الآية كما رأيت والله أعلم

عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد اليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله (من فضل) من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة (بل نظنكم كاذبين) فيما تدعونه (أرأيتم) أخبروني (ان كنت على بينة) على برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي (وآتاني رحمة من عنده) بايتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة (فان قلت) فقوله (فعميت) ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا (قلت) الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي قراءة أبي فعماها عليكم (فان قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد (فان قلت) فما معنى قراءة أبي (قلت) المعنى أنهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن أبي عمرو اسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر * والضمير في قوله (لا أسئلكم عليه) راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله * وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل (فان قلت) ما معنى قوله (انهم ملاقوا ربهم) قلت معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة (تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله * ألا لا يجهلن أحد علينا * أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم (من ينصرني من الله) من يمنعني من انتقامه (ان طردتهم) وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء (أعلم الغيب) معطوف على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم (ولا أقول اني ملك) حتى تقولوا لي ما أنت الا بشر مثلنا * ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم (اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك * والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه (جادلتنا فأكثرت جدالنا) معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المعجل (انما يأتيكم به الله) أي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه (ان شاء) يعني ان اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فأكثرت جدلنا (فان قلت) ما وجه ترادف هذين الشرطين

من فضل بل نظنكم كاذبين قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون وياقوم لا أسئلكم عليه مالا إن أجري الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم

(قلت) قوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان أحسنت الي أحسنت اليك ان أمكنني (فان قلت) فما معنى قوله ان كان الله يريد أن يغويكم (قلت) اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما أنه اذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه أنكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي (فعلي اجرامي) وأجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة اجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي (وأنا بريء) يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (ان يؤمن) اقناط من ايمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع (الا من قد آمن) الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها (فلا تبتئس) فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس * منه وأقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم (بأعيننا) في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه (ووحينا) وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بيهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (فانا نسخر منكم) يعني في المستقبل (كما تسخرون) منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب ابن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا (من يأتيه) في محل النصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا

ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه

ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله

وهو الغرق (ويحل عليه) حلول الدين والحق اللازم الذى لا انفكاك له عنه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هى التى يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء (فان قلت) وقعت غاية لماذا (قلت) لقوله ويصنع الفلك أى وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد (فان قلت) فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام (قلت) هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه (فان قلت) فما جواب كلما (قلت) سخروا منه واما أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملا وقال جوابا (وأهلك) عطف على اثنين وكذلك (ومن آمن) يعنى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم * واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته (الا قليل) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء * يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها إما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز أن يراد مكانا الاجراء والارساء وانتصابهما بما فى بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من ارادة القول والكلامان أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة أى بسم الله اجراؤها وارساؤها روى أنه كان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها أى بقدرته وأمره * وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله (فان قلت) مامعنى قولك جملة مقتضبة (قلت) معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون فى موضع الحال كقوله * وجاؤنا بهم سكر علينا * فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين (ان ربى لغفور رحيم) لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما أنجاكم (فان قلت) بم اتصل قوله (وهى تجرى بهم) (قلت) بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها (فان قلت) الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجرى فى جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها فى الموج (قلت) كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال ألا ترى الى قول ابنه سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام * وقرأ على رضى الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن على وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابنى من أهلى وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون فى أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلى ولم يقل منى ولنسبته الى أمه وجهان أحدهما أن يكون ربيبا له كعمر بن أبى سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدى ونادى نوح ابناه على الندبة والترثى أى قال يا ابناه * والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وأبعده يعنى وكان فى مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان فى معزل عن دين أبيه (يابنى) قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء

* قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها (قال ويجوز أن يقحم الاسم الخ) قال أحمد نفور من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ولو اعتقد ذلك لما جعله مقحما والله أعلم

الاضافة

* قوله تعالى لاعاصم اليوم من أمر الله الامن رحم (قال المراد الا الراحم وهو الله تعالى أو لاعاصم اليوم الخ) قال أحمد والاحتمالات الممكنة أربعة لاعاصم الا الراحم ولا معصوم الا المرحوم ولا عاصم الا المرحوم ولا معصوم الا الراحم فالأولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس وزاد الزمخشرى خامسا وهو لاعاصم الا المرحوم على انه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره لامكان عاصم الامكان مرحوم والمراد بالمنفى التعريض بعدم عصمة الجبل وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها أقرب من بعض والله أعلم

* قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت (٨١) على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (قال نداء الارض والسماء بما ينادى به العاقل الخ) قال أحمد ومن هذا النمط فى السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الاوصاف أحيانا اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحده فيها وانه متى ذكر فكأنما قد ذكرت بذكره فى مثل قوله وهو الله فى السموات وفى الارض الآية والمراد وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها فى العالمين ومنه * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * ولقد تحيل الشعراء على التعلق بأذيال هذه المعانى اللطيفة فقال أبو الطيب يمدح عضد الدولة لا تحمدنها واحمدن هماما * اذا لم يسم حامدوها كا يعنى لا تمدح نفسك فانك المنفرد بالمدائح حتى اذا ذكرت ولم يسم المعنى بها لم يسبق الى ذهن أحد غيرك لتفردك بها * قوله تعالى قال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (قال أى أعلم الحكام وأعدلهم لانه لافضل

الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى أعوذ بك

الاضافة فى قولك يا بنيا وسقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة (الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو لاعاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى الامكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما فى قوله ان ربى لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة الامن رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الامن رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الامن رحم على البناء للمفعول * نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعى ماءك وأقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء * والبلع عبارة عن النشف * والاقلاع الامساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى (وغيض الماء) من غاضه اذا نقصه (وقضى الامر) وأنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا) يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجىء أخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك فى أفعاله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ولا أن يقضى ذلك الامر الهائل غيره ولا أن تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى وأقلعى وذلك وان كان لا يخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق وروى أن نوحا صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرا لله تعالى * نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله (فان قلت) فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (قلت) أريد بالنداء ارادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء (ان ابنى من أهلى) أى بعض أهلى لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فما بال ولدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم لانه لافضل

لحاكم على غيره الا بالعلم الخ) قال أحمد ثم حدث بعد الزمخشرى ترفع عن أقضى القضاة الى قاضى القضاة والذى تلاحظوا به فى ارتفاع هذه
الثانية على الاولى ان الاولى تقتضى مشاركة القضاة لاقضاهم فى الوصف وان يزاد عليهم فترفعوا ان يشركهم أحد فى وصفهم ممن دونهم
فى المنصب فعدلوا عما يشاركون فيه الى ماليس كذلك فافردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضى القضاة أى هو الذى يقضى بين القضاة ولا
يشاركه منهم أحد فى وصفه وجعلوا الذى يليه فى الرتبة أقضى القضاة الا أنهم انما يعنون قاضى قضاة زمانه أو اقليمه واذا جاز أن يطلق
على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة فى زمانه كما أطلقه عليه النبى عليه الصلاة والسلام حيث قال
أقضاكم على فدخل فى الخطاب القضاة وغيرهم فلا حرج ان شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الاقليم وأعلمهم قاضى القضاة
وأقضى القضاة أى قضاة زمانه وبلده وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بداهذا اللقب * قوله تعالى انه عمل غير صالح (قال فهلا
قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفى عنه الخ) قال أحمد ولهذا المعنى والله أعلم قيل له عليه الصلاة والسلام وأنذر عشيرتك الأقربين
وان كان مأمورا بالانذار على العموم (٨٢) ولكن لما كانت أهلية النبى عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والفتور عن العمل

لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى
القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم
بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل (انه عمل غير صالح) تعليل لانتفاء
كونه من أهله وفيه ايذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك فى دينك ومعتقدك من الاباعد
فى المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا الصميم لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك
رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها * فانما هى اقبال وادبار *
وقيل الضمير لنداء نوح أى ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك (فان قلت) فهلا قيل انه عمل فاسد
(قلت) لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفى التى يستبقى معها لفظ المنفى وآذن بذلك أنه انما أنجى
من أنجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله
كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقرئ عمل غير صالح أى عمل عملا غير
صالح * وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعنى فلا تلتمس
منى ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على أن النداء
كان قبل أن يغرق حين خاف عليه (فان قلت) لم سمى نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى
السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة أهله فى وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز * وجعل
سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود اليه والى أمثاله من أفعال الجاهلين (فان قلت)
قد وعده أن ينجى أهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان
العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب
اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا (قلت) ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء أهله مع استثناء
من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن فى جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح
وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق فى أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم

خص أهله بالانذار ايذانا
بذلك والله أعلم ولهذا
لما أنزلت أنذرهم النبى
صلى الله عليه وسلم وقال
انى لا أملك لكم من
الله شيأ أو قال ذلك
لكل واحد منهم
بخصوصه * قوله تعالى
فلا تسألن ما ليس لك به
علم انى أعظك أن تكون
من الجاهلين (قال فان
قلت قد وعده الله أن
ينجى أهله وما كان
عنده الخ) قال أحمد وفى
كلام الزمخشرى ما يدل
على انه يعتقد أن نوحا
عليه السلام صدر منه
ما أوجب نسبة الجهل
اليه ومعاتبته على ذلك
وليس الامر كما تخيله
الزمخشرى ونحن نوضح
الحق فى الآية منزلا على
نصها مع تنزيه نوح عليه السلام مما توهم الزمخشرى نسبته اليه فنقول لما وعد
نوح أولا تنجية أهله الا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا لحال ابنه المذكور ولا مطلعا على باطن أمره بل معتقدا بظاهر الحال أنه
مؤمن بقى على التمسك بصيغة العموم للاهلية الثابتة ولم يعارضها يقين فى كفر ابنه حتى يخرج من الاهل ويدخل فى المستثنين فسأل
الله فيه بناء على ذلك فتبين له أنه فى علمه من المستثنين وأنه هو لا علم له بذلك فلذلك سأل فيه وهذا بأن يكون ابانة عذر أولى منه أن يكون عتبا
فان نوحا عليه السلام لا يكلفه الله علما استأثر به غيبا وأما قوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين فالمراد منه النهى عن وقوع السؤال
فى المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره وأنه ان وقع فى المستقبل فى السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه
السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعى وقوع ذنب بل المقصد منها أن لا يقع الذنب فى الاستقبال ولذلك امتثل عليه الصلاة
والسلام ذلك واستعاذ بالله أن يقع منه ما نهى عنه والله أعلم

فعوتب

فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه (أن أسئلك) من أن أطلب منك فى المستقبل ما لا علم لى بصحته
تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (والا تغفر لى) ما فرط منى من ذلك (وترحمنى) بالتوبة على (أكن من الخاسرين)
أعمالا * وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء (بسلام منا) مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما (وبركات
عليك) ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد (وعلى أمم ممن معك) يحتمل أن
تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه فى السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تتشعب
منهم وأن تكون لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهى الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله (وأمم)
رفع بالابتداء و(سنمتعهم) صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك
يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم ممتعون
بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى
السفينة وعن محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من
عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها
الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أى تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند
قومك (من قبل هذا) من قبل ايحائى اليك واخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذى كسبته بالوحى أو من قبل
هذا الوقت (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض
لنوح ولقومه (ان العاقبة) فى الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين
أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم
يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده (أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا و(هودا) عطف
بيان و(غيره) بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ (ان أنتم الا مفترون)
تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء * ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم
النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شئ منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون)
اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك قيل
(استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان * والمدرار الكثير
الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا
أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما
أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين فى كل ناحية وقيل أراد
القوة فى المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن
الحسن بن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال انى رجل ذو مال ولا يولد لى
فعلمنى شيأ لعل الله يرزقنى ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل
فقال ألم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم بأموال وبنين
(ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعوكم اليه وأرغبكم فيه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم
(ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه
مع فوت آياته الحصر (عن قولك) حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن
قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة
(اعتراك) مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أى خبلك ومسك
بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام

أن أسئلك ما ليس لى
به علم والا تغفر لى وترحمنى
أكن من الخاسرين
قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى
أمم ممن معك وأمم
سنمتعهم ثم يمسهم منا
عذاب أليم تلك من
أنباء الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل
هذا فاصبر ان العاقبة
للمتقين والى عاد أخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره
ان أنتم الا مفترون يا قوم
لا أسئلكم عليه أجرا
ان أجرى الا على الذى
فطرنى أفلا تعقلون
ويا قوم استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه يرسل
السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم
ولا تتولوا مجرمين قالوا
يا هود ما جئتنا ببينة
وما نحن بتاركى آلهتنا
عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين ان نقول الا
اعتراك بعض آلهتنا
بسوء قال انى أشهد الله
واشهدوا أنى برىء

*قوله تعالى قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون (قال فان قلت هلا قيل أشهد الله وأشهدكم الخ) قال أحمد وتلخيص ما قاله أن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الاشهاد منه فلما كان اشهاده لله واقعا محققا عبر عنه

المجانين وتهذى بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه فى أيام جاهليته من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد أبى الا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا فى حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب * ومن أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الى ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثقتهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أنى لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أنى لا أفعله (فان قلت) هلا قيل انى أشهد الله وأشهدكم (قلت) لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجئ به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (مما تشركون من دونه) من اشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أى أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا (فكيدونى جميعا) أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون من غير انظار فانى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم على وأنتم الاقوياء الشداد فكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى * ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) يريد أنه على طريق الحق والعدل فى ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به (فان تولوا) فان تتولوا (فان قلت) الابلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فان تتولوا لم أعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما أرسلت به اليكم قد بلغكم فأبيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول (ويستخلف) كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون أنفسكم وفى قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرنى ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا أنفسكم (على كل شئ حفيظ) أى رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف (فان قلت) ما معنى تكرير التنجية (قلت) ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال (ونجيناهم من عذاب غليظ) على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل فى أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد * وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذى أنعمنا عليهم بالتوفيق له (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده (كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم

مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربى على كل شئ حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم

بصيغة الخبر لانه اشهاد صحيح ثابت وعبر فى جانبهم بصيغة الامر التى تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به وهو مراده فى هذا المقام معهم ويحتمل أن يكون اشهاده لهم حقيقة والغرض اقامة الحجة عليهم وانما عدل الى صيغة الامر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بان يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التى هى أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الامر والله الموفق للصواب

طاعتهم

*قوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود (قال ان قلت ما الفائدة فى هذا البيان وجعل قوم هود عطف بيان على عاد الخ) قال أحمد فيه أيضا فائدتان جليلتان احداهما النسبة بذكر هود الذى انما استحقوا الهلاك بسببه على موجب الدعاء عليهم وكأنه

طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله و(ألا) وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت (بعدا) دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم (قلت) معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا ترى الى قوله

اخوتى لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

(قوم هود) عطف بيان لعاد (فان قلت) ما الفائدة فى هذا البيان والبيان حاصل بدونه (قلت) الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (هو أنشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب (واستعمركم فيها) وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبى من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى اليه أنهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى وعن معاوية بن أبى سفيان أنه أخذ فى احياء الارض فى آخر أمره فقيل له فقال ما حملنى عليه الا قول القائل

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا تكون له فى الارض آثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر فى معنى أعمر كقولك استهلكه فى معنى أهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثانى أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره (قريب) دانى الرحمة سهل المطلب (مجيب) لمن دعاه وسأله (فينا) فيما بيننا (مرجوا) كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا فى الامور ومسترشدا فى التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (مريب) من أرابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازى قيل (ان كنت على بينة من ربى) بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أنى على بينة من ربى وأنى نبى على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربى فى أوامره فمن يمنعنى من عذاب الله (فما تزيدوننى) اذن حينئذ (غير تخسير) يعنى تخسرون أعمالى وتبطلونها أو فما تزيدوننى بما تقولون لى وتحملوننى عليه غير أن أخسركم أى أنسبكم الى الخسران وأقول لكم انكم خاسرون (آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل *(فان قلت) فبم يتعلق لكم (قلت) بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (عذاب قريب) عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (فى داركم) فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل فى دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت (غير مكذوب) غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفى بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق (ومن خزى يومئذ) قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله

ألا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولقد جاءت

قيل عاد قوم هود الذى كذبوه والاخرى تناسب الآى بذلك فان قبلها واتبعوا أمر كل جبار عنيد وقبل ذلك حفيظ وغليظ وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لفعول فى القوافى والله أعلم

* قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه
نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط الآية (قال قيل انه كان ينزل فى طرف من الارض فخاف أن يريدوا به
مكروها الخ) قال أحمد وقد وردت قصة ابراهيم هذه فى ثلاثة مواضع هذا أحدها وهو دال على انه انما أوجس منهم خيفة لعلمه انهم
ملائكة وعدم علمه فيم جاؤا الثانى فى الحجر قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم الى قوله لا توجل انا نبشرك فلم يطمئنوا باعلامه أنهم ملائكة
ولكن بأنهم مبشرون له فدل على (٨٦) استشعارهم انه علم كونهم ملائكة ووجل مما جاؤا فيه الثالث فى الذاريات فأوجس
منهم خيفة قالوا
لا تخف و بشروه فهو
أيضا كذلك وأما لوط
فلم يشعر أنهم ملائكة
حتى أعلموه بذلك ألا
ترى الى قوله تعالى قالوا
يالوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك فأول
ما أعلموا به أنهم رسل

رسلنا ابراهيم بالبشرى
قالوا سلاما قال سلام
فما لبث أن جاء بعجل
حنيذ فلما رأى أيديهم
لا تصل اليه نكرهم
وأوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف انا أرسلنا
الى قوم لوط وامرأته
قائمة فضحكت فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب قالت ياويلتا
أألد وأنا عجوز وهذا بعلى

فالفرق بين هذه
الآية و بين آى ابراهيم
مصداق لان ابراهيم
علم كونهم ملائكة
ولوطا لم يعلم ذلك ولا
يعد من فضل ابراهيم
على لوط أن يبعد على
فراسته أن يعلم انهم
ملائكة دون لوط عليهما السلام * عاد كلامه (قال ومعنى أوجس أضمر وانما قالوا وقرأ
لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف الخ) قال أحمد وهذا التأويل وهم فيه الزمخشرى والله أعلم لأنهم انما علموا خوفه ووجله باخباره اياهم
بذلك ويدل عليه قوله تعالى فى آية أخرى قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل والقصة واحدة والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال
وضحك زوجته لانها سرت بذهاب الخيفة الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعد ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان
هذا الشئ عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لا عجب فى حمل من تحيض والحيض فى العادة مهماز على امكان الحمل والله الموفق

* على حين عاتبت المشيب على الصبا * (فان قلت) علام عطف (قلت) على نجينا لان تقديره ونجيناهم من
خزى يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزى يومئذ أى من ذله ومهانته
وفضيحته ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة
كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة * وقرئ ألا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف
للذهاب الى الحى أو الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (رسلنا) يريد الملائكة عن ابن
عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة
وعن السدى أحد عشر (بالبشرى) هى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد (سلاما) سلمنا
عليك سلاما (سلام) أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وأنشد
مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
(فما لبث أن جاء) فما لبث فى المجىء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه * والعجل ولد البقرة و يسمى الحسيل
بلغة أهل السراة وكان مال ابراهيم عليه الصلاة والسلام البقر (حنيذ) مشوى بالرضف فى
أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل
سمين * يقال نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل فى كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر
ومستنكر وأنكرك قال الاعشى
وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل فى طرف من الارض فخاف أن يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم أنه اذا مس من يطرقهم
طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف أن يكون نزولهم لامر
أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى الى قولهم لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن
عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا (وأوجس) فأضمر * وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه
أو عرفوه بتعريف الله أو علموا ان علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب
(وامرأته قائمة) قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفى
مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان
ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك اليك فانى
أعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ
محمد بن زياد الاعرابى فضحكت بفتح الحاء (يعقوب) رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود
أو موجود أى من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبى انه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء
وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله
ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الالف فى (ياويلتا) مبدلة من ياء الاضافة وكذلك فى يالهفا وياعجبا

وقرأ الحسن ياويلتى بالياء على الاصل و (شيخا) نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا
محذوف أى هذا بعلى هو شيخ أو بعلى بدل من المبتدا وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون سنة (ان هذا الشئ عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد
من حيث العادة التى أجراها الله وانما أنكرت عليها الملائكة تعجبها (قالوا أتعجبين من أمر الله) لانها كانت
فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى
سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة
صلوات الله عليهم فى قولهم رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب
العزة و يخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب * وأمر الله قدرته وحكمته وقوله (رحمة
الله و بركاته عليكم) كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان أمثال هذه الرحمة
والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم (حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده (مجيد) كريم كثير الاحسان اليهم
* وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لان أهل البيت مدح لهم اذ المراد أهل بيت خليل
الرحمن (الروع) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ
سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف كما حذف
فى قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله (يجادلنا) كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا
أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا فى قوم لوط وقيل فى يجادلنا هو جواب لما وانما
جىء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى
الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم أنهم قالوا انا
مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال
فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم
أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (فى قوم لوط) فى معناهم
وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة
فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف انسان (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه (أواه)
كثير التأوه من الذنوب (منيب) تائب راجع الى الله بما يحب و يرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب و يمهلوا لعلهم يحدثون
التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه (ياابراهيم) على ارادة القول أى قالت له الملائكة (أعرض عن
هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذى
لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك * كانت
مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم
وروى أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى
منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول
ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها * يقال يوم عصيب
وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده (يهرعون) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل
كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش و يكثرونها فضروا بها ومرنوا
عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط
عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتى) اراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء
بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من
عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن وائل قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن

شيخا إن هذا الشئ
عجيب قالوا أتعجبين
من أمر الله رحمت الله
و بركاته عليكم أهل
البيت انه حميد مجيد
فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وجاءته البشرى
يجادلنا فى قوم لوط ان
ابراهيم لحليم أواه
منيب ياابراهيم أعرض
عن هذا انه قد جاء أمر
ربك وانهم آتيهم
عذاب غير مردود
ولما جاءت رسلنا لوطا
سئ بهم وضاق بهم
ذرعا وقال هذا يوم
عصيب و جاءه قومه
يهرعون اليه ومن قبل
كانوا يعملون السيآت
قال ياقوم هؤلاء بناتى
هن أطهر لكم

بزوجه ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان فى لحنه وعن أبى عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع فى لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما فى هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلى شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتى بدل ويعمل هذا المضمر فى الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزأى الجملة ولا يقع بين الحال وذى الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى هن جملة فى موضع خبر المبتدا كقولك هذا أخى هو ويكون أطهر حالا (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزونى) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء (فى ضيفى) فى حق ضيوفى فانه اذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) رجل واحد يهتدى الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء * وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة فى تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا فى أن يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم (قالوا لقد علمت) مستشهدين بعلمه (ما لنا فى بناتك من حق) لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابرى ٣ وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا فى بناتك من حق قط لان نكاح الاناث أمر خارج من مذهبنا الذى نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفى الشهوة (لتعلم ما نريد) عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة * جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يعنى لو أن لى بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لى به قوة وما لى به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لى به يدان لانه فى معنى لا أضطلع به ولا أستقل به * والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت الى قوى أستند اليه وأتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد * وقرئ أو آوى بالنصب باضمار أن كأنه قيل لو أن لى بكم قوة أو أويا كقولها * للبس عباءة وتقر عينى * وقرئ الى ركن بضمتين وروى أنه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار * فلما رأت الملائكة ما لقى لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوما سحرة * لن يصلوا اليك جملة موضحة للتى قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره * قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) وقرئ الصبح بضمتين (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب (قلت) استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل أعنى قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفى اخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل جناحه فى أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم (من سجيل) قيل هى كلمة معربة من سنككل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هى من أسجله اذا أرسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله

فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل

٣ (قوله سابرى) فى المثل عرض سابرى يقوله من يعرض عليه الشئ عرضا لا يبالغ فيه اه من هامش الاصل

* قوله تعالى ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (قال ان قلت النهى عن النقصان أمر بالايفاء الخ) قال أحمد ولمن قال ان الامر بالشئ ليس نهيا عن ضده أن يستدل بهذه الآية فان الامر لو كان عين النهى عن الضد لكان وروده عقيبه تكرارا وفى كلام الزمخشرى ما يدل على أنه وهم فاعتقد أن النهى فى الآية قبل الامر وذلك سهو وغفلة وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم وأما قوله ان الايفاء حسن فى العقول فتفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وقد سبق بطلانها وبينا أن التحسين والتقبيح موظفان من الشرع ولا مجال للعقل فى حكم سمعى * قوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين (٨٩) (قال بقية الله ما يبقى لكم من الحلال الخ) قال أحمد المنقول عن المعتزلة أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة لا نهيا ولا أمرا وقد جوز بعضهم خطابهم بالنهى وهذه الآية تدل على أنهم مخاطبون فى حال الكفر بشرط الايمان وقد قررها الزمخشرى على ذلك * عاد كلامه قال (فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معهما من تبعة

(١٢ - كشاف ثانى)

البخس الخ) قال أحمد وهذا أيضا من اقرار الزمخشرى للآية على ظاهرها ومعنى السؤال أن الكفار اذا قدرنا خطابهم بالفروع انتفعوا باجتناب المنهيات فى الدار الآخرة لان ثمرة الخلاف فى مسئلة خطاب الكفار انما تظهر فى الدار الآخرة واذا كانوا ينتفعون بذلك فلا معنى لاشتراط الايمان والحال مع وجوده وعدمه فى الانتفاع بالامتثال سواء ومعنى الجواب ان ظهور الانتفاع بالامتثال انما يتحقق مع الايمان وأما مع الكفر فهم مخلدون فى العذاب فانما تظهر الفائدة على خفاء فى تحقيق مأمن العذاب والله الموفق * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ما يبقى لكم من الطاعات عند الله الخ) قال أحمد قد تقدم أن عقيدة أهل السنة أن لا خالق ولا رازق الا الله ايمانا بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم واذا كان الرزق عبارة عن كل ما يقيم به الخلق بنيتهم لزم اندراج الحرام فى هذا الاطلاق عقدا وحقيقة وأما اطلاق القول باضافته على الخصوص الى الله تعالى فامر خارج عن الاعتقاد راجع الى الاتباع والله الموفق

الرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان (منضود) نضد فى السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه فى أثر بعض متتابعا (مسومة) معلمة للعذاب وعن الحسن رضى الله عنه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (وما هى) من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم (ببعيد) بشئ بعيد ويجوز أن يراد وما هى بمكان بعيد لانها وان كانت فى السماء وهى مكان بعيد الا أنها اذا هوت منها فهى أسرع شئ لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه (انى أراكم بخير) يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا (يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو (فان قلت) وصف العذاب بالاحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها (قلت) بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا أحاط بنعيمه (فان قلت) النهى عن النقصان أمر بالايفاء فما فائدة قوله أوفوا (قلت) نهوا أولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان فى التصريح بالقبيح نعيا على المنهى وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجئ به مقيدا بالقسط أى ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه وفيه توقيف على أن الموفى عليه أن ينوى بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد * البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير
* وفى كل ما باع امرؤ بخس درهم * وروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شئ يباع شيئا كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك * والعثى فى الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم فى الارض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد فى الارض وهم كفرة بشرط الايمان (فان قلت) بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان (قلت) لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها فى غمرات الكفر وفى ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد ان كنتم مصدقين لى فيما أقول لكم وأنصح به اياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند

منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

* قوله تعالى قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أوأن نفعل فى أموالنا مانشاء (قال معناه تأمرك بتكليف أن نترك مايعبد آباؤنا الى قوله بتاء الخطاب فيهما) قال أحمد فعلى هذه القراءة يكون أن نفعل معطوفا على ان نترك وعلى المشهور لايجوز ذلك والله أعلم لاستحالة المعنى فيتعين العطف فيها على مايعبد كأنهم قالوا أصلواتك تأمرك ان نترك عبادة آبائنا أومعبود آبائنا على أنها مصدرية أوموصولة ثم قالوا أوأن نفعل أى أوان نترك فعلنا فى أموالنا مانشاء هذه لطيفة فتنبه لها ولا حاجة الى

اضمار الزمخشرى لمضاف تقديره تأمرك بتكليف ان نترك واحتجاجه لذلك بان الانسان لايؤمر بفعل غيره اذا والمسئلة فرع من فروع خلق الافعال ومع ذلك كله فتقدير المضاف فى الآية

متوجه ليس بناء على القراءة المذكورة ولكن لان عرف التخاطب فى مثله يقتضى ذلك والله أعلم * قوله تعالى ان أريد الا الاصلاح ما استطعت

ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذى يجوز أن يضاف اليه وأما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه ومراقبته التى تصرف عن المعاصى والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ) ومابعثت لاحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت * كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلواتك تأمرك) السخرية والهزء والصلاة وان جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال ان الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذى تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك اليه داعى عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التى تداوم عليها فى ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك (أن نترك) تأمرك بتكليف أن نترك (مايعبد آباؤنا) فحذف المضاف الذى هو التكليف لان الانسان لايؤمر بفعل غيره * وقرئ أصلاتك بالتوحيد * وقرأ ابن أبى عبلة أوأن تفعل فى أموالنا ماتشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم (انك لأنت الحليم الرشيد) نسبته الى غاية السفه والغى فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذى لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد فى قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به (ورزقنى منه) أى من لدنه (رزقا حسنا) وهو مارزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف (فان قلت) أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما أثبت فى قصة نوح ولوط (قلت) جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته فى القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى أخبرونى ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربى وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى والانبياء لايبعثون الا لذلك * يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى الى الماء يريد أنه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يعنى أن أسبقكم الى شهواتكم التى نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم (ان أريد الا الاصلاح) ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتى ونصيحتى وأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر (ما استطعت) ظرف أى مدة استطاعتى للاصلاح ومادمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو مفعولا له كقوله

* ضعيف النكاية أعداءه * أى ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم (وما توفيقى الا بالله) وما كونى موفقا لاصابة الحق فيما آتى وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتأييده والمعنى أنه استوفق ربه فى امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم

(قال ما استطعت ظرف أى مدة استطاعتى للاصلاح ومادمت متمكنا منه ويجوز أن يكون على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو يكون مفعولا للمصدر كقوله * ضعيف النكاية أعداءه *) قال أحمد والظاهر أنه ظرف كهو فى قوله فاتقوا الله ما استطعتم وأما جعله مفعولا للمصدر وقد عرف بالالف واللام فبعيد لان إعمال المصدر المعرف فى المفعول الصريح ليس بذاك قالوا ولم يوجد فى القرآن عاملا فى مفعول صريح ولا فى غيره الا فى قوله لا يحب الله الجهر بالسوء فأعمله فى الجار والعدول

لأطماعهم فيه * جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا * ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم) أى لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا اذا جعلته جارماله أى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لافرق بين كسبته مالا وأكسبته اياه فكذلك لافرق بين جرمته ذنبا وأجرمته اياه والقراءتان مستويتان فى المعنى لاتفاوت بينهما الا أن المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا * وقرأ أبو حيوة وروبت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى أنهم أهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك (فان قلت) مالبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه (قلت) اما أن يراد وما اهلاكهم ببعيد أو وماهم بشئ بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما (رحيم ودود) عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال (مانفقه مانفهم (كثيرا مما تقول) لأنهم كانوا لايلقون اليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدرى ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان ألثغ (فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل انا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لان الاعمى أعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا * والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا هم احتراما لهم واعتدادا بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم (لرجمناك) لقتلناك شر قتلة (وما أنت علينا بعزيز) أى لاتعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فان قلت) فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله (قلت) تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم فى النسبة الى أمس امسى (بما تعملون محيط) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (على مكانتكم) لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (من يأتيه) يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب (فان قلت) أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا

لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط و ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

عن اقتفاء الاعراب الى وجوهه وهى ممكنة عنيدة متعين خصوصا فى أفصح الكلام والله أعلم * قوله تعالى انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك (قال فيه معنى قولهم ضعيفا أى لا قوة لك ولا عز فيما بيننا الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكته الدالة على انه كان مليا بالحذاقة فى علم البيان والله المستعان

* قوله تعالى انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب (قال ان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم الخ) قال أحمد والظاهر والله أعلم ان الكلامين جميعا لهم فالاول وهو قوله من يأتيه عذاب يخزيه مضمن ذكر جرمهم الذى يجازون به وهو الكذب ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما يعنى المخاطب فى الكلامين (٩٣) فاذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبته هؤلاء لأن أحد الفريقين

فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (انى معكم رقيب) أى منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (فان قلت) قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبى المبعوث اليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعنى فى زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم (فان قلت) ما بال ساقتى قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجىء بالفاء الذى هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة * الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعنى أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا (كأن لم يغنوا) كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين * البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى الى قوله (كما بعدت) وقرأ السلمى بعدت بضم العين والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمى جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى فى معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها (بآياتنا وسلطان مبين) فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها (وما أمر فرعون برشيد) تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذى فيه رشد أى وما فى أمره رشد انما هو غى صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين فى أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط (يقدم قومه) أى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين (فان قلت) هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جىء بلفظ الماضى (قلت) لان الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة و (الورد) المورد و (المورود) الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم

اذا كان مبطلا فالآخر هو المحق قطعا فقد ذكره لاحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الاخرى تعريضا والتعريض كما علمت فى كثير من مواضعه أبلغ وأوقع من التصريح

وارتقبوا انى معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود

وهذا منه والذى يدل على ان الكلامين لهما وان عاقبة أمر شعيب لم تذكر استغناء عنها بذكر عاقبتهم كما بيناه فى الآية التى فى أول هذه السورة وهى قوله تعالى قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ألا تراه كيف اكتفى بذلك عن أن يقول ومن هو على خلاف ذلك وكذلك قوله فى سورة الانعام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكر هنالك أيضا احدى العاقبتين لان المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير ومتى أطلقت فلا يعنى الا ذلك كقوله والعاقبة للمتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها والله أعلم فتأمل هذا الفصل فانه تحفة لمن همه نظم درر الكتاب العزيز وضم

الواردة الى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده (وأتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان وذلك أن اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) الضمير للقرى أى بعضها باق وبعضها عافى الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد (فان قلت) ما محل هذه الجملة (قلت) هى مستأنفة لا محل لها (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (يدعون) يعبدون وهى حكاية حال ماضية و (لما) منصوب بما أغنت (أمر ربك) عذابه ونقمته (تتبيب) تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا أوقعه فى الخسران * محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك) والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل * وقرئ اذ أخذ القرى (وهى ظالمة) حال من القرى (أليم شديد) وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ذلك) اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم (لآية لمن خاف) لعبرة له لأنه ينظر الى ما أحل الله بالمجرمين فى الدنيا وما هو الا أنموذج مما أعد لهم فى الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله تعالى ونحوه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه و (الناس) رفع باسم المفعول الذى هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس (فان قلت) لأى فائدة أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لاسناد الجمع الى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (يوم مشهود) مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال * فى محفل من نواصى الناس مشهود * (فان قلت) فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه (قلت) الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا فى نفسه لأن سائر أيام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر * الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله (وما نؤخره الا لأجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء * قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل (فان قلت) فاعل يأتى ما هو (قلت) الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أو يأتى ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره

وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأت

بعضها الى بعض والله الموفق للصواب * قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس (قال فيه ان قلت لم عدل عن الفعل الى اسم المفعول الخ) قال أحمد ولهذا السر ورد قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة فاستعمل الفعل حيث يليق به واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضا الخ * قوله تعالى وذلك يوم مشهود (قال المراد مشهود فيه فاتسع فى الظرف الخ) قال أحمد يكون المشهود الذى هو المفعول به مسكوتا عنه مبهما ومن الابهام ما يكون تفخيما وهذا مكانه

بالياء وقوله باذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة (فان قلت) بما انتصب الظرف (قلت) اما أن ينتصب بلا تكلم وإما باضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف فى قوله الالأجل معدود أى ينتهى الاجل يوم يأتى (فان قلت) فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشئ بنفسه (قلت) المراد اتيان هوله وشدائده (لا تكلم) لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الامن أذن له الرحمن (فان قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون عن أنفسهم وفى بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفى بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (فمنهم) الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس * والشقى الذى وجبت له النار لاساءته * والسعيد الذى وجبت له الجنة لاحسانه * قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا * والزفير اخراج النفس * والشهيق رده قال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته * زفير ويتلوه شهيق محشرج

(ما دامت السموات والارض) فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للابد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثانى أن يكون عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (فان قلت) فما معنى الاستثناء فى قوله (الا ما شاء ربك) وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار فى الابد من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار ومن الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله فى مقابلته (ان ربك فعال لما يريد) أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطى أهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثانى ينادى على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغنى أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما على بن أبى طالب رضى الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث (غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون * لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) أى فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل

لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل

وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

النهى عن المرية وما فى مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (وإنا لموفوهم نصيبهم) أى حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم (فان قلت) كيف نصب (غير منقوص) حالا عن النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا (وان كلا) التنوين عوض من المضاف اليه يعنى وان كلهم وان جميع المختلفين فيه (ليوفينهم) جواب قسم محذوف * واللام فى لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) من حسن وقبيح وايمان وجحود * وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذى هو التثقيل وقرأ أبى وان كل لما ليوفينهم على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهرى وسليمان بن أرقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون (فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود والواقعة وأخواتهما وروى أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتنى هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك أنك قلت شيبتنى هود فقال نعم فقلت ما الذى شيبك منها أقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضى الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر الى الله بصحة العزم * وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبى عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم فى كسرهم حروف المضارعة الا الياء فى كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبى عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه اذا أماله والنهى متناول للانحطاط فى هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيى بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله (الى الذين ظلموا) أى الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكى ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهرى السلاطين كتب اليه أخ له فى الدين عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فى جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء والسلام وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن

* قوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (قال أى حظهم من العذاب وانما نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى لانه يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه كاملا (قال أحمد) وهم والله أعلم فان التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملا كان أو ناقصا فقولك وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فما وجه انتصابه حالا عنه والأوجه أن يقال استعملت التوفية بمعنى الاعطاء كما استعمل التوفى بمعنى الاخذ ومن قال أعطيت فلانا حقه كان جديرا أن يؤكده بقوله غير منقوص والله أعلم

الاوزاعى مامن شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (ومالكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه ومالكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له (طرفى النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم فى ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر فى بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أى أقم الصلاة طرفى النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلاة تتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل (ان الحسنات يذهبن السيآت) فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثانى ان الحسنات يذهبن السيآت بأن يكن لطفا فى تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت فى أبى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها ان فى البيت أجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر أمر ربى فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فأتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوأ حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيآت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم فما بعده (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين * ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكر لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون) فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القرآن فمعناها هلا الا التى فى الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة

* ان تذنبوا ثم تأتينى بقيتكم * ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أى فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ أولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون ايقاعه بهم

ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض

لاشفاقهم

لاشفاقهم (الا قليلا) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى * ومن فى (ممن أنجينا) حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هى للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (فان قلت) هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه (قلت) ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهى عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت فى تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وان كان الافصح أن يرفع على البدل (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أراد بالذين ظلموا تاركى النهى عن المنكرات أى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنئ ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو فى رواية الجعفى وأتبع الذين ظلموا يعنى وأتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى فى القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كأنه قيل الا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر (فان قلت) علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا (قلت) ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم (فان قلت) فقوله (وكانوا مجرمين) قلت على أترفوا أى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالاجرام اغفالهم للشكر أو على اتبعوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون (كان) بمعنى صح واستقام * واللام لتأكيد النفى و (بظلم) حال من الفاعل والمعنى واستحال فى الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بأن اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر * (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى لاضطرهم الى أن يكونوا أهل أمة واحدة أى ملة واحدة وهى ملة الاسلام كقوله ان هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفى الاضطرار وأنه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذى هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبإ نقص عليك) و (من أنباء الرسل) بيان لكل و (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعنى على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم (وجاءك فى هذه الحق) أى فى هذه السورة أو فى هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق (وموعظة وذكرى * وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (انا عاملون وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله) فلا بد أن يرجع اليه أمرهم

الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله

وامرك فينتقم لك منهم (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (وما ربك بغافل عما يعملون) وقرئ تعملون بالتاء أى أنت وهم على تغليب المخاطب * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ذلك

﴿ سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تلك) اشارة الى آيات السورة و (الكتاب المبين) السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم أو التى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف (أنزلناه) أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه (قرآنا عربيا) وسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) ارادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (القصص) على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر فى معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وان أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أى بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص فى كتب الاولين وفى التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث وانما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص فى بابه كما يقال فى الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد فى فنه (فان قلت) مم اشتقاق القصص (قلت) من قص أثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو أى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية (وان كنت) ان مخففة من الثقيلة * واللام هى التى تفرق بينها وبين النافية * والضمير فى (قبله) راجع الى قوله ما أوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه أى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه (اذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص أو باضمار اذكر ويوسف اسم عبرانى وقيل عربى وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (فان قلت) فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربى لانه على وزن المضارع المبنى للفاعل أو المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل (قلت) لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربى لانه فى لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف

فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون

﴿ سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه

ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا أبت) قرئ بالحركات الثلاث (فان قلت) ما هذه التاء (قلت) تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء فى الوقف (فان قلت) كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر (قلت) كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة (فان قلت) فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الاضافة (قلت) لان التأنيث والاضافة يتناسبان فى أن كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم فى آخره (فان قلت) فما هذه الكسرة (قلت) هى الكسرة التى كانت قبل الياء فى قولك يا أبى قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحا (فان قلت) فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التى اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة (قلت) امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب وانما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفا لانها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها (فان قلت) يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها فى حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أبتى لا يجوز يا أبت (قلت) الياء والكسرة قبلها شيآن والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير ألا ترى الى قولهم يا أبتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك (فان قلت) فقد دلت الكسرة فى يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك فى يا أبت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها (قلت) بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا أبى (فان قلت) فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها (قلت) أما من فتح فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى يا غلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها فى قولك يا أبى وأما من ضم فقد رأى اسما فى آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة * وقرئ انى رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالى المتحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر لئلا يلتقى ساكنان و رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف فى حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس (فان قلت) ما أسماء تلك الكواكب (قلت) روى جابر أن يهوديا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرنى عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى ان أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون (فان قلت) لم أخر الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر (فان قلت) ما معنى تكرار رأيت (قلت) ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال (رأيتهم لى ساجدين) (فان قلت) فلم أجريت مجرى العقلاء فى رأيتهم لى ساجدين (قلت) لانه لما وصفها بما هو خاص

يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك

﴿ القول فى سورة يوسف عليه السلام ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)
* قوله تعالى انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (قال ان قلت ما معنى تكرار رأيت الخ) قال أحمد وأحسن من ذلك ان الكلام طال بين الفعل والحال فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهى المقصودة اذ الآية فى السجود كانت والله أعلم

بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع فى كلامهم أن يلابس الشئ الشئ
من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة * عرف يعقوب عليه السلام دلالة
الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه
فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم * والرؤيا بمعنى الرؤية الا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة
فرق بينهما بحرفى التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رويك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى رياك ورياك
بالادغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة لان الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام
فى قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر (فيكيدوا) منصوب باضمار أن والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك
(فان قلت) هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى (قلت) ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل
الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى الى
تأكيده بالمصدر (عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على مثله (وكذلك) ومثل
ذلك الاجتباء (يجتبيك ربك) يعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن
كذلك يجتبيك ربك لامور عظام وقوله (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كأنه قيل وهو
يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى
الحوض جمعته * والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا اما حديث نفس أو ملك أو شيطان * وتأويلها عبارتها
وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الاحاديث
معانى كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها
ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا
وكذا ألا ترى الى قوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث
وليس بجمع أحدوثة * ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء فى
الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة وقيل أتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن
ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه
وقيل علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب
وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان سجد له اخوته حتى سجد له أبواه وقيل كان
يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى
الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه
على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل * وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل
آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل
الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما * وأراد بالابوين الجد وأبا الجد لانهما فى حكم الاب فى الاصالة ومن ثم
يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة و (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم)
يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) لا يتم نعمته الا على من يستحقها (فى يوسف واخوته) أى فى قصتهم وحديثهم
(آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته فى كل شئ (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل
آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من
أحد ولا قراءة كتاب * وقرئ آية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبى عليه
الصلاة والسلام خبر يوسف وبغى اخوته عليه لما رأى من بغى قومه عليه ليتأسى به وقيل أسماؤهم يهوذا
وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالى وجاد وآشر السبعة
الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج

فيكيدوا لك كيدا ان
الشيطان للانسان
عدو مبين وكذلك
يجتبيك ربك ويعلمك
من تاويل الاحاديث
ويتم نعمته عليك وعلى
آل يعقوب كما أتمها على
أبويك من قبل ابراهيم
واسحق ان ربك عليم
حكيم لقد كان فى يوسف
واخوته آيات للسائلين
اذ قالوا

اختها

* قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة (قال اللام للتوكيد دخلت للاشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر
ثابت الخ) قال أحمد وهذه تؤيد قراءة ابن مروان هؤلاء بناتى هن أطهر لكم بالنصب وقد قال سيبويه فيها احتبى ابن مروان فى لحنه أى
تمكن وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه فلا بد من التماس المحمل الصحيح لهما وليس ذلك ببعيد ان شاء الله

اختها راحيل فولدت بنيامين ويوسف (ليوسف) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا
أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه (وأخوه) هو بنيامين وانما قالوا أخوه وهم جميعا اخوته لان أمهما
كانت واحدة وقيل (أحب) فى الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر
والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف جاز الامران والواو فى (ونحن عصبة)
واو الحال يعنى أنه يفضلهما فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة
رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان أبانا لفى ضلال
مبين) أى فى ذهاب عن طريق الصواب فى ذلك * والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين
سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن على رضى الله
عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانبارى هذا كما تقول العرب انما
العامرى عمته أى يتعهد عمته (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الا من
قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أرضا)
أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه
نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم
والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم
لان الرجل اذا أقبل على الشئ أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل
يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل
أو التغريب أو يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه أو
يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم * وتكونوا
اما مجزوم عطفا على يخل لكم أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق (قائل منهم)
هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذى قال فلن أبرح الارض قال لهم القتل عظيم (ألقوه فى غيابة
الجب) وهى غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل

اذا أنا يوما غيبتنى غيابتى * فسيروا بسيرى فى العشيرة والاهل

أراد غيابة حفرته التى يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدرى غيبة والجب
البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون فى
الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم *
ومنه ذهبت بعض أصابعه (ان كنتم فاعلين) ان كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأى
(مالك لا تأمنا) قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى
لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدنا فى بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة
وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على انه أحس
منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (نرتع) نتسع فى أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ
نرتع من ارتعى يرتعى * وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر
العين ويلعب بالرفع على الابتداء (فان قلت) كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب (قلت) كان

فنقول لو قالوا ليوسف
وأخوه أحب الى أبينا
منا ونحن نحن على طريقة
أنا أبو النجم وشعرى
شعرى
ونحو أنا أنا وأنت أنت
لم يكن فى فصاحته
مقال وقد علمت أن معنى
أنا أنا أى أنا الموصوف
بالاوصاف الشهيرة التى

ليوسف وأخوه أحب
الى أبينا منا ونحن عصبة
ان أبانا لفى ضلال مبين
اقتلوا يوسف أو اطرحوه
أرضا يخل لكم وجه أبيكم
وتكونوا من بعده قوما
صالحين قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف وألقوه
فى غيابة الجب يلتقطه
بعض السيارة ان كنتم
فاعلين قالوا يا أبانا مالك
لا تأمنا على يوسف وانا
له لناصحون أرسله معنا
غدا يرتع ويلعب وانا
له لحافظون قال انى

أستغنى عن ذكرها
فلا بعد والحالة هذه فى
حذف الخبر لمساواته
المبتدا وعدم زيادته
عليه لفظا وراحة من
تكرار اللفظ بعينه
والسياق يرشد الى
المحذوف واذا كان
كذلك فقول القائلين
ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن معناه ونحن نحن ولكن استغنوا عن الخبر السر الذى ذكرناه فقولهم ونحن كلام تام بالتقدير
المذكور فلا غرو فى وقوع الحال بعده وهذا بعينه يجرى فى قوله هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فقوله هن فى حكم الكلام التام والمراد هؤلاء
بناتى هن المشهورات بالاوصاف الحميدة الطاهرة وأصل الكلام هن هن فوقع الحال بعد التمام والله أعلم

ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا أباهم عشاء يبكون

لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورته (ليحزننى) اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببى المضارعة * اعتذر اليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى فى النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفى أمثالهم البلاء موكل بالمنطق * وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا أتت من كل جهة * القسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) واللام موطئة للقسم وقوله (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط * والواو فى ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون أى هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى فى حياتهم أو مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها (فان قلت) قد اعتذر اليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر (قلت) هو الذى كان يغيظهم ويذيقهم (١) الامرّين فأعاروه آذانا صما ولم يعبؤا به (ان يجعلوه) مفعول أجمعوا من قولك أجمع الامر وأزمعه فأجمعوا أمركم * وقرئ فى غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الاماء فقال يهوذا أما أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا القاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه فى البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فجاءه جبريل فأخرجه وألبسه اياه (وأوحينا اليه) قيل أوحى اليه فى الصغر كما أوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم بأمرهم هذا) وانما أوحى اليه ليؤنس فى الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لابيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشى يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصيلا وأصيلانا ورواه ابن جنى عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروى أن امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبى يا أبا أمية أما تراها تبكى فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغى لاحد أن يقضى الا بما أمر

* قوله تعالى قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون (قال) اعتذر لهم بأمرين أحدهما حزنه لمفارقته الثانى خوفه عليه من الذئب اذا غفلوا عنه الخ (قال أحمد) وكان أشغل الامرين لقلبه خوف الذئب عليه لانه مظنة هلاكه وأما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالما اليه عما قليل فأمر سهل فكأنهم لم يشتغلوا الا بتأمينه وتطمينه من أشد الامرين عليه والله أعلم

(١) قوله الامرّين فى الصحاح لقيت منه الامرّين بنون الجمع وهى الدواهى اهـ كتبه مصححه

قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم

أن يقضى به من السنة المرضية وروى أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بنى هل أصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أى نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامى وغير ذلك والمعنى نتسابق فى العدو أو فى الرمى وجاء فى التفسير ننتضل (بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا (بدم كذب) ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه * فهن به جود وأنتم به بخل * وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضى الله عنها كدب بالدال غير المعجمة أى كدر وقيل طرى وقال ابن جنى أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذى يخرج على أظفار الاحداث كأنه دم قد أثر فى قميصه روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروى أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر (فان قلت) على قميصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال (فان قلت) هل يجوز أن تكون حالا متقدمة (قلت) لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه (سولت) سهلت من السول وهو الاسترخاء أى سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته فى أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص أو أوحى اليه بأنهم قصدوه (فصبر جميل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفى قراءة أبى فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء فى الحديث المرفوع انه الذى لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق ألا ترى الى قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى قال يا رب خطيئة فاغفرها لى (والله المستعان) أى أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف فى الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فأرسلوا) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء والوارد الذى يرد الماء ليستقى للقوم (يا بشرى) نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ يا بشراى على اضافتها الى نفسه وفى قراءة الحسن وغيره يا بشرىّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهى لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون فى دعائهم يا سيدى وموليّ وعن نافع يا بشراى بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا أن يقصد الوقف * قيل لما أدلى دلوه أى أرسلها فى الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يا بشراى (هذا غلام) وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس أن الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أى قطع (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف ناقص العيار (دراهم)

قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون (قال روى انه لما سمع أصواتهم قال يا بنى هل أصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا الخ) قال أحمد وقوله على اتهامهم انهم ادعوا الوجه الخاص الذى خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أولا وهو أكل الذئب اياه فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم وأخاف أن يأكله الذئب وكثيرا ما تتلقف الاعذار الباطلة من فلق فى المخاطب المعتذر اليه حتى كان بعض أمراء المؤمنين يلقنون السارق الانكار

معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه

لادنانير (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لايزنون الا مابلغ الاوقية وهى الاربعون ويعدون مادونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به لايبالى بم باعه ولانه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه ويروى أن اخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لايأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لاتتقدم على الموصول ألا تراك لاتقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كأنه قيل فى أى شئ زهدوا فقال زهدوا فيه (الذى اشتراه) قيل هو قطفير أو اطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات فى حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك فى أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ (أكرمى مثواه) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أى حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى أحسن مثواى والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة فى صحبتنا ساكنة فى كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعى حق نزولك به * واللام فى لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لايولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التى أتت موسى وقالت لابيها ياأبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وروى أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه (وكذلك) الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا) له أى كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناه فى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل (والله غالب على أمره) على أمر نفسه لايمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى أو على أمر يوسف يدبره لايكله الى غيره قد أراد اخوته به ما أرادوا ولم يكن الا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لايعلمون) أن الامر كله بيد الله * قيل فى الاشد ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون (حكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من أحسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله * المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشئ الذى لايريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل وأما فى الاصوات فللبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) ان الشأن والحديث

* (قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة قال المعدودة كناية عن القليلة الخ) قال أحمد ومن التعبير عن القلة بالعدد الدعوة المأثورة على الكفرة اللهم أحصهم عددا واستأصلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فالمدعو به وان كان احصاؤهم عددا فى الظاهر الا أن هذا ليس مرادا لان الله تعالى أحصى كل شئ عددا وأحاط به علما فلابد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة فلما كان كل قليل معدودا وكل كثير غير معدود دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الاحصاء والله أعلم

(ربى)

ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه

(ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخلفه فى أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم (انه لايفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيئ وقيل أراد الزناة لانهم ظالمون أنفسهم (١) وقيل أراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب * هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال

همت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ومنه قولك لاأفعل ذلك ولا كيدا ولا هما أى ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه وقوله (ولقد همت به) معناه ولقد همت بمخالطته (وهم بها) وهم بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أنى خفت الله معناه لولا أنى خفت الله لقتلته (فان قلت) كيف جاز على نبى الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها (قلت) المراد أن نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهم بها وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه (فان قلت) قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم فى قوله ولقد همت به أم هو خارج منه (قلت) الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين (فان قلت) لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما (قلت) لان لولا لايتقدم عليها جوابها من قبل أنه فى حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع مافى حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولايجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز (فان قلت) فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لايتعلق بالجواهر ولكن بالمعانى فلابد من تقدير المخالطة والمخالطة لاتكون الا من اثنين معا فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما (قلت) نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله الغاء له فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لاتكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لاريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيى منه أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لايسمع ولا يبصر ولا أستحيى من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى

(١) وقيل أراد الله بقوله ربى أحسن مثواى كما هو ظاهر كتبه مصححه

* قوله تعالى قالت ما جزاء من أراد (١٠٦) بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم (قال ان قلت لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف الخ) قال أحمد أو أظهرت بهذا الاجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعلها هذا أراد بي سوأ ولذلك أيضا كنت بالسوء عما أضمرته من الهناة مبالغة في المكر والكيد وابعادا للتهمة عنها بما يتوقى ما يشعر منها بالتبرج والفحشة وعلى الضد من مقصودها وان وافق ملاحظتها بحشمة الاجمال قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين ولم تقل انه قوي أمين حياء من التعيين وحشمة وخفرا ولكن هذه انما بعثها على هذا الادب شيمة الحياء وامرأة العزيز انما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر والله أعلم

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين

وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في ايرادهم ما يؤدي الى أن يكون انزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه (كذلك) الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) من خيانة السيد (والفحشاء) من الزنا (انه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا أخلصناهم بخالصة (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج (فان قلت) كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب (قلت) أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها) وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيداله على الحقيقة قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة * لما أطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعا ألا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أي شئ جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد (فان قلت) كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وأنه أراد بها سوأ (قلت) قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف * وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط * ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال (هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام

بالحق

* قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (قال ان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة الخ) قال أحمد مهما قدره من ذلك في اتباعه لها يحتمل مثله في اتباعها له فانها انما انقد قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبها حتى صارا متقابلين فدفعته عن نفسها وهذا بعينه يحتمل اذا كانت هي التابعة ان تكون اجتذبته حتى صارا متقابلين ثم جذبت قميصه اليها من قبل بل ههنا أظهر لان الموجب لقد القميص غالبا الجذب لا الدفع * عاد كلامه (قال والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فينقد) قال أحمد وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقد قميصه في اسراعه للفرار والله أعلم فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذاك والحق والله ولي التوفيق ان الشاهد المذكور ان كان صبيا في المهد كما ورد في بعض الحديث فالآية في مجرد كلامه قبل أوانه حتى لو قال صدق يوسف وكذبت لكفى برهانا على صدقه عليه السلام كما كان مجرد اخبار عيسى عليه السلام في المهد برهانا على صدق مريم فلا تبقى المناسبة بين الامارة المنصوبة وما رتب عليها الا المعتمدة في الدلالة نصبها الا مناسبتها وان كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له واقامة الحق كما ذكر الزمخشري فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها ووثق بأن انقطاع قميصه انما كان من دبر فنصبه أمارة لصدقه وكذبها ثم ذكر القسم الآخر وهو قده من قبل على علم بأنه لم ينقد من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد الفضيحة وينصفهما جميعا فيذكر امارة على صدقها (١٠٧) المعلوم نفيه كما ذكر امارة على صدقه المعلوم وجوده ومن ثم قدم أمارة صدقها على امارة صدقه في الذكر ازاحة للتهمة ووثوقا بأن الامارة الثانية هي الواقعة فلا يضره تأخيرها وهذه اللطيفة بعينها والله أعلم هي التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم تقدم قسم الكذب على قسم الصدق ازاحة للتهمة التي خشي ان تتطرق اليه في حق موسى عليه السلام ووثوقا بأن القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة ومن ثم قال بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم تعريضا بأنه معهم عليه وانه حريص على ان يبخسه حقه و بنحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه لانه لو بدأ به لفطنوا انه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه والله أعلم فقصد هذا الشاهد الامارة الآخرة فقط والمناسبة فيها محققة وأما الامارة الاولى فليست مقصودة وانما ذكرها توطئة كما تقدم فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين وانما هي كالفرض والتقدير والله أعلم وكأنه قال ان كان قميصه قد من قبل فهي صادقة لكنه يعلم انتفاء الامارة المذكورة فعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة عدمه فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب والله الموفق * وأما ان كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع اليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين لانها عهدة الحكيم وأقرب وجه في المناسبة ان قد القميص من دبر دليل على ادباره عنها وقده من قبل دليل على اقباله عليها بوجهه والله أعلم * قوله تعالى انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (قال الضمير راجع الى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الخ) قال أحمد وفيما قاله هذا العالم تطرلان الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحا له ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه وأيضا فان كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة اليه ألا ترى أول الآية الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في

فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم

بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى (فان قلت) لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة (قلت) لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة (فان قلت) الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة (قلت) لانها قول من القول أو على ارادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه (فان قلت) ان دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها (قلت) من وجهين أحدهما أنه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي اسحق أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئا بسكون العين (فان قلت) كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان (قلت) لان المعنى أن يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان أحسنت الي فقد أحسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي أمتن عليك (فلما رأى) يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوأ أو ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف (من كيدكن) الخطاب لها ولأمتها * وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال

الاأن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن فى ذلك نيقة ورفق و بذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد والقصريات من بينهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به (واستغفرى) أنت (لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الارجلا حليما وروى أنه كان قليل الغيرة (وقال نسوة) وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها (فى المدينة) فى مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى (شغفها) خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج * مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران قال * كما شعف المهنوءة الرجل الطالى * و (حبا) نصب على التمييز (فى ضلال مبين) فى خطا وبعد عن طريق الصواب (بمكرهن) باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته و يشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبين فتضع الخناجر فى أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات فى أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى أن يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين * وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وأنشد

فأهدت متكة لبنى أبيها * تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت أهدت أترجة على ناقة وكانها الاترجة التى ذكرها أبو داود فى سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أعتدت لهن ما يقطع من متك الشئ بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ (أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبى صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف

يوسف

يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه

سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا وأيضا فان الكيد الذى يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده والله أعلم

* قوله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم (قال نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه الخ) قال أحمد تقدم القول فى مسئلة التفضيل شافيا والزمخشرى لا يدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات يرمى بها أهل الحق فينسب اليهم الاجبار والخسار والمكابرة فى الضروريات و يجحد الحقائق تعكيسا وهذا كله هم برآء منه وحسبه من المقابلة بذلك خطوة فى اعتقاد ان تفضيل الملك عند قائله ليس ضروريا ولا عقليا نظريا ولكن سمعيا وقد قنع فى الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التى ادعى انها مركوزة فى الطباع ثم حكم بان كل مركوز فى الطباع حق وخصوصا والكلام فى طباع النساء القائلات ماهذا بشرا واذا كان كل مركوز فى الطباع

وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب الى مما

حقا فما ركز فيها حب الشهوات وايثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز فى الطباع أفيكون ذلك حقا الا عند ناظر بعين الهوى أعشى فى سبيل الهدى والله ولى التوفيق * قوله تعالى قالت فذلكن

يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

(قطعن أيديهن) جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها * حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال

حاشا أبى ثوبان ان به * ضنا عن الملحاة والشتم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهى قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا الله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبى السمال حاشا الله بالتنوين وقراءة أبى عمرو حاش لله بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش حشا الله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة أتبعت الالف فى الاسقاط وهى ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله (فان قلت) فلم جاز فى حاشا لله أن لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله (قلت) مراعاة لاصله الذى هو الحرفية ألا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى فى قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماهذا بشرا) نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز فى الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه فى الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز فى الطباع أن لا أدخل فى الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم فى كل باب واعمال ما عمل ليس هى اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ماهن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بنى تميم قرأ بشر بالرفع وهى فى قراءة ابن مسعود وقرئ ماهذا بشرى أى ماهو بعبد مملوك لئيم (ان هذا الا ملك كريم) تقول هذا بشرى أى حاصل بشرى بمعنى هذا مشرى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هى الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك (قالت فذلكن) ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب و يفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه تعنى أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به * الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأى واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شئ أنور منه على أنه برئ مما أضاف اليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان (فان قلت) الضمير فى (آمره) راجع الى الموصول أم الى يوسف (قلت) بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما فى قولك أمرتك الخير ويجوز أن تجعل

الذى لمتننى فيه (قال لم لم تقل فهذا وهو حاضر الخ) قال أحمد وبهذا أجيب عما أورده من السؤال فى قوله تعالى أول البقرة الم ذلك الكتاب لما جعل الاشارة الى الحروف المذكورة فقال ان قلت كيف أشار اليها وهى قريبة كما يشار الى البعيد وأجاب هو بأن كل منقض بعيد وأجبت أنا بأن الاشارة بذلك الى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة الى كتب الله تعالى

مامصدر به فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمرى اياه أى موجب أمرى ومقتضاه * وقرئ وليكونا بالتشديد والتخفيف أولى لان النون كتبت فى المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا فى الخفيفة * وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال (يدعوننى) على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك فى السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب الى من ركوب المعصية (فان قلت) نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب اليه من اللذة (قلت) كانت أحب اليه وآثر عنده نظرا فى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفى قبح المعصية وفى عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا فى مشتهى النفس ومكروهها (والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى ألطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة (من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح * وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عنى فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف (السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى ليسجننه والضمير فى لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه فى يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها فى سجنه والحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها أو لطمعها فى أن يذلله السجن ويسخره لها وفى قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفى قراءة ابن مسعود عتى حين وهى لغة هذيل وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من أقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام * مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى اليه أنهما يسمانه فأمر بهما الى السجن فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف عليه السلام (انى أرانى) يعنى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) يعنى عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود أعصر عنبا (من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أى يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك أو من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين الى أهل السجن فأحسن الينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد فى تأويل الرؤيا روى أنه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق أوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لأجرا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى أحسن جوارك فكن فى أى بيوت السجن شئت وروى أن الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لا تحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل على من حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما وعن الشعبى أنهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابى انى أرانى فى بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته وقال الخباز انى أرانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة

يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا

واذا

واذا سباع الطير تنهش منها (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله نبئنا بتأويله (قلت) الى ما قصا عليه والضمير يجرى مجرى اسم الاشارة فى نحوه كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك * لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام فى السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذى علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه الى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم اذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به فى الدين لم يكن من باب التزكية (بتأويله) ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمنى ربى) وأوحى به الى ولم أقله عن تكهن وتنجم (انى تركت) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى الى لانى رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهى الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التى لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما منى به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبى يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه واتباع قوله (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله) أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) أى على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وأرشدوهم اليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التى ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين (يا صاحبى السجن) يريد يا صاحبى فى السجن فأضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبى الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يريد التفرق فى العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا (خير) لكما (أم) أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية بل هو (القهار) الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر (الا أسماء) يعنى أنكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا (ما أنزل الله بها) أى بتسميتها (من سلطان) من حجة (ان الحكم) فى أمر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذى دلت عليه البراهين (أما أحدكما) يريد الشرابى (فيسقى ربه) سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه أى يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل (قضى الامر) قطع وتم ما (تستفتيان)

بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال للذى

ظن أنه ناج منهما اذكرنى عنـــد ربك فأنساه الشـــيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات

فيه من أمركما وشأنكما (فان قلت) ما استفتيا فى أمر واحد بل فى أمرين مختلفين فما وجه التوحيد (قلت) المراد بالامر ما اتهـم به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه فى معـنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه فى الامر الذى نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضى الامر الذى فيـه تستفتيان أى ما يجر اليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيأ على ما روى أنهما تحالماله فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما (ظن أنه ناج) الظان هو يوسف ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرنى عند ربك) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمـنى و ينتاشنى من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الشرابى (ذكر ربه) أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حـين وكل أمره الى غيره (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع وأكثر الاقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين (فان قلت) كيف يقدر الشيطان على الانساء (قلت) يوسوس الى العبـد بما يشغله عن الشئ من أسباب النسيان حـتى يذهب عنـه و يزل عن قلبـه ذكره وأما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها (فان قلت) ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا أريد به الملك وما هى باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول (قلت) قد لابسـه فى قولك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه فجازت اضافتـه اليه لان الاضافة تكون بأدنى ملابسـة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذى هو الاخبار (فان قلت) لم أنكر على يوسف الاستعانة بغير الله فى كشف ما كان فيه وقـد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله وفى الحديث الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم لم يأخـذه النوم ليـلة من الليالى وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهـل ذلك الا مثل التـداوى بالادوية والتقوى بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف فى جواز أن يستعان بالكفار فى دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار (قلت) كما اصطفى الله تعالى الانبياء على خليقتـه فقد اصطفى لهـم أحسـن الامور وأفضلها وأولاها والاحسـن والاولى بالنبى أن لا يكل أمره اذا ابتـلى ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغنيه لما استغاث بنا وعن الحسن أنه كان يبكى اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس * لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سـنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصـدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسـن عبارتها (سمان) جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام (فان قلت) هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا (قلت) اذا أوقعتها صفة لبقرات فقـد قصدت الى أن تميز السبع بنوع من البقـرات وهى السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصـدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن (فان قلت) هلا قيـل سبع عجاف على الاضافة (قلت) التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده (فان قلت) فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب (قلت) الفارس والصاحب والراكب ونحوها صـفات جرت مجـرى الاسماء فأخـذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز فى غيرها ألا تراك لا تقول عندى ثلاثة ضخام وأربعـة غـلاظ (فان قلت) ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه ألا ترى أنه لم يقـل بقرات سبع عجاف لوقوع العـلم بأن المراد البقرات (قلت) ترك الاصـل لا يجوز مع وقوع الاستـغناء عما ليس بأصـل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقـترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذى ليس بعده والسبب فى وقوع عجاف جمع العجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على

فعال

فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض (فان قلت) هل فى الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر (قلت) الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معـنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسـات بمعنى وسبعا أخر (فان قلت) هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل (قلت) يؤدى الى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضى أن تدخل فى حكمها فتكون معها مميزا للسبع المـذكورة ولفظ الأخر يقتضى أن تكون غير السبع بيانه أنك تقول عندى سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام و بعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد (يا أيها الملأ) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء * واللام فى قوله (للرؤيا) اما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما أن تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفـعل فى القوة ويجوز أن يكون للرؤيا خـبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه و(تعبرون) خبر آخر أو حال وأن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيـل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عـرضه وهو عـبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعـبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشـديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد فى كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

(أضغاث أحلام) تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسـوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحـلام والمعنى هى أضغاث أحلام (فان قلت) ما هو الا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا (قلت) هو كما تقول فلان يركب الخيـل و يلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا فى الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحـلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) اما أن يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عنـدنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحـة الصالحة واما أن يعـترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا فى تأويل الاحلام بنحارير وقرئ (وادّكر) بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذّكر بالذال المعجمة والاصل تذكر أى تذكر الذى نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على المـلأ تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه أن يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلى بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدى

ثم بعـد الفـلاح والملك والأمـة وارتهـم هناك القبور *

أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفى قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله (فأرسلون) فابعثونى اليه لأسأله ومرونى باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة * المعنى فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق أحواله وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبـه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محـترز فقال (لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) لانه ليس على يقيـن من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا أو معنى لعلهم يعلمون لعلهـم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك و يخلصوك من محنتك (تزرعون) خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسـوله وتجاهـدون وانما يخرج الامر فى صـورة الخـبر للمبالغـة فى ايجاب ايجاد المأمور

يا أيها المـلأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصدّيق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهـم يعلمون قال تزرعون سبع سـنين

* قوله تعالى قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين (قال يحتمل أن يكون مرادهم بالاحلام المنامات الخ) قال أحمد وهذا هو الظاهر وحمـل الكلام على الاول يصيره من وادى * على لاحب لا يهتدى بمناره * كأنهم قالوا ولا تأويل للاحلام الباطلة فنكون به عالمين وقول الملك لهم أولا ان كنتم للرؤيا تعبرون دليل على انهم لم يكونوا فى علمه عالمين بها لانه أتى بكلمة الشـك وجاء اعترافهم بالقصور مطابقا لشك الملك الذى أخرجـه مخرج استـفهامه عن كونهم عالمين بالرؤيا أولا وقول الفتى أنا أنبئكم بتأويله الى قوله لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون دليل أيضا على ذلك والله أعلم

* قوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم (قال انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به الخ) قال أحمد ولقد مدحه النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الاناة بقوله ولو لبثت فى السجن بعض ما لبث يوسف لاجبت الداعى (١١٤) وكان فى طى هذه المدحة بالاناة والتثبت تنزيهه وتبرئته عما لعله يسبق الى الوهم من أنه هم بزليخا همّا يؤاخذ به لانه اذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن مع ان الدواعى متوفرة على الخروج منه فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم أولى وأجدر والله أعلم

عاد كلامه (قال) وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولم يكشف ولا
له عن القصة ولا أوضحها له لان السؤال مجملا مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ويحصل البراءة له عليه السلام من ذلك والله الموفق

به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله (دأبا) بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب (فذروه فى سنبله) لئلا يتسوس و (يأكلن) من الاسناد المجازى جعل أكل أهلهن مسندا اليهن (تحصنون) تحرزون وتخبؤن (يغاث الناس) من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا (يعصرون) بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا أنجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم أى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من أعصرت السحابة وفيه وجهان اما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما أن يقال الاصل أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجىء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة (فان قلت) معلوم أن السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحى (قلت) ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى * انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا أناة وانما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل * وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربى) ان الله تعالى (بكيدهن عليم) أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه وأنه برىء مما قرف به أو أراد الوعيد لهن أى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شىء من الريبة ومن نزاهته عنها (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) أى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا ألقى ثفناته للاناخة قال

فحصحص فى صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوأة ثم صمما

دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين

* قوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (قال لا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن الخ) قال أحمد الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الانبياء عن الكبائر والصغائر جميعا وتتبع الآى المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل وذهب منهم طائفة مع القدرية الى تجويز الصغائر عليهم بشرط أن لا تكون منفرة والصحيح عندنا فى قصة يوسف عليه السلام انه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به وان الوقف عند قوله همت به ثم يبتدأ وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كما تقول قتلت زيدا لولا أنى أخاف الله فلا يكون الهم واقعا لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان فان كان الزمخشرى يعرض بأهل السنة فقد بينا معتقدهم وان كان يعرض بالمجبرة والحشوية فحقيقة فشأنه واياهم (١١٥) * عاد كلامه (قال وقوله ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب الخ من كلام يوسف عليه السلام والمعنى ان ذلك الجد فى ظهور البراء ليعلم الخ) قال أحمد وارادته لعموم الاحوال أدخل فى تنزيهه وأدل على ان الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبرى من تزكية النفس فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم * عاد كلامه (قال وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت الخ) قال أحمد وانما يجرى الكلام على هذا الوجه اذا ألجأ اليه محوج كقوله فماذا تأمرون اذ لا يمكن جعله من قول الملأ توجه فتعين أن ينصرف الضمير عنه الى فرعون وأما هذه الآية فهى تتلو قوله وانه لمن الصادقين الى ما قبل ذلك من الضمائر العائدة الى يوسف عليه السلام قطعا ولا ضرورة تدعو الى حمل الضمير فى ليعلم على العزيز وجعله من كلام يوسف وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا وذلك قوله قالت امرأة العزيز وفى سياق الآية ما يرشد الى ان هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد فى السجن لم يحضر الى الملك وانه لما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن فذلك قوله وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى * عاد كلامه (قال ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة الخ) قال أحمد ولقد صدق فى التوريك على نقلة هذه الزيادات بالبهت وذلك شأن المبطلة من كل طائفة كما لفقت القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقا ان الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول يا ابن النساء الحيض طمعت فى رؤية رب العزة كل ذلك ليتم لهم غرضهم فى انه طلب لهم محالا فى العقول على الله تعالى ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل والله الموفق

ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشىء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقى لنا مقال ولا بد لنا من ان ندق فى فروة من ثبتت نزاهته (ذلك ليعلم) من كلام يوسف أى ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز (أنى لم أخنه) بظهر الغيب فى حرمته * ومحل (بالغيب) الحال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفى عن عينه أو وهو غائب عنى خفى عن عينى ويجوز أن يكون ظرفا أى بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة (و) ليعلم (أن الله لا يهدى كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها وبه فى خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيدا لامانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده * ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها فى الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين أن ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال (وما أبرئ نفسى) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها ولا يخلو اما أن يريد فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما أن يريد عموم الاحوال (ان النفس لامارة بالسوء) أراد الجنس أى ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (الا ما رحم ربى) الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون ما رحم فى معنى الزمان أى الا وقت رحمة ربى يعنى أنها أمارة بالسوء فى كل وقت وأوان الا وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعا أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله أنى لم أخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربى غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت (فان قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك (قلت) كفى بالمعنى دليلا قائدا الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا

ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ۞ وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى

أن يوسف حين قال انى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين
حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله * يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا
لنفسه وخاصا به (فلما كلمه) وشاهد منه مالم يحتسب (قال) أيها الصديق (انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة
ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ روى أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم
اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن
هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها
فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك فقال رأيت بقرات فوصف
لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لا يخرم منها حرفا
وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النواحى يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز
مالم يجتمع لاحد قبلك (اجعلنى على خزائن الارض) ولنى خزائن أرضك (انى حفيظ عليم) أمين أحفظ
ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال
ذلك ليتوصل الى امضاء أحكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى
العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن
النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه
أخر ذلك سنة (فان قلت) كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته (قلت) روى
مجاهد أنه كان قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان
السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى أو العالم أنه لا سبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل
ما رأى فكان فى حكم التابع له والمطيع (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف) فى أرض مصر
روى أنها كانت أربعين فرسخا فى أربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) قرئ بالنون والياء أى كل مكان أراد أن
يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه روى أن الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى أنه قال له أما السرير فأشد
به ملكك وأما الخاتم فادبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته اجلالا لك
واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه
الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم
وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر
فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم
بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه
فقال للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الرأى رأيك قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى
اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل
بعير تقسيطا بين الناس * وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر فأرسل يعقوب بنيه
ليمتاروا واحتبس بنيامين (برحمتنا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من
اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) أن نأجرهم فى الدنيا (ولأجر الآخرة خير) لهم
قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى

فلما كلمه قال انك اليوم
لدينا مكين أمين قال
اجعلنى على خزائن
الارض انى حفيظ عليم
وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض يتبوأ منها
حيث يشاء نصيب
برحمتنا من نشاء ولا
نضيع أجر المحسنين
ولأجر الآخرة خير
للذين آمنوا وكانوا
يتقون وجاء اخوة
يوسف فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون

الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية * لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم
أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التى بلغها من الملك
والسلطان عن حاله التى فارقوه عليها طريحا فى البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا
أنفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزى ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف
وقيل رأوه على زى فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير فى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما
خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب
الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة
بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له (ولما جهزهم بجهازهم)
أى أصلحهم بعدتهم وهى عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة
وقرئ بجهازهم بكسر الجيم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول
هذه المسئلة روى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وما شأنكم فانى أنكركم قالوا
نحن قوم من أهل الشأم رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى قالوا
معاذ الله نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا
اثنى عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الاخ الحادى عشر قالوا هو عند أبيه
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذى تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا
فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم
حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده وكان قد
أحسن انزالهم وضيافتهم (ولا تقربون) فيه وجهان أحدهما أن يكون داخلا فى حكم الجزاء مجزوما عطفا
على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فان لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهى (سنراود عنه
أباه) سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده (وانا لفاعلون) وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به
أو وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى (لفتيته) وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان
فى أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أى لغلمانه الكيالين (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها وحق
التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك
تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع
ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان يأخذ من أبيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد
البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها (منع منا
الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل
(نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم
اكتياله الى اكتيالنا أو يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه (هل آمنكم عليه) يريد أنكم قلتم فى يوسف
وانا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا)
فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا
وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فارجو أن
ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين * وقرئ ردت الينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت الى
الراء كما فى قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد (ما نبغى) للنفى
أى ما نبغى فى القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا انا قدمنا على خير
رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبتغى شيأ وراء ما فعل بنا
من الاحسان أو على الاستفهام بمعنى أى شئ نطلب وراء هذا وفى قراءة ابن مسعود ما تبغى بالتاء على
مخاطبة يعقوب معناه أى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد

ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتونى بأخ لكم من
أبيكم ألا ترون أنى
أوفى الكيل وأنا خير
المنزلين فان لم تأتونى
به فلا كيل لكم عندى
ولا تقربون قالوا سنراود
عنه أباه وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا
بضاعتهم فى رحالهم
لعلهم يعرفونها اذا
انقلبوا الى أهلهم
لعلهم يرجعون فلما
رجعوا الى أبيهم قالوا
يا أبانا منع منا الكيل
فأرسل معنا أخانا
نكتل وانا له لحافظون
قال هل آمنكم عليه
الا كما أمنتكم على
أخيه من قبل فالله
خير حافظا وهو أرحم
الراحمين ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا أبانا
ما نبغى

* قوله تعالى وجاء اخوة
يوسف فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون
(قال انما أنكروه لبعد
العهد وتغير الصورة
الخ) قال أحمد وتوارد
القادمين فى دخولهم
عليه ومعرفته لهم
عند ذلك تدل على أن
مجرد دخولهم عليه
استعقبته المعرفة بلا
مهلة والله أعلم

* قوله تعالى قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله (قال معناه ان ارساله معكم مناف الخ) قال أحمد لن للنفى المؤكد وأما قول الزمخشرى فى المنافاة فلم وراء ذلك غرض انما يطلع عليه من قتل كلامه علما وذلك انه اعتمد فى احالة الرؤية على الله تعالى على أن قوله تعالى لن ترانى معناه أن الرؤية منافية لحالى وجعل هذه المنافاة من مقتضى لن ثم التزم ذلك فى هذه اللفظة حيثما وقعت كل ذلك لتمرن الاذهان على ان هذا مقتضى لن وقد سبق وجه الرد عليه فى ذلك * عاد كلامه (قال وقوله لتأتننى به الا أن يحاط بكم معناه الا ان تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان الخ) قال أحمد وانما اختص هذا النوع من الاستثناء

بالنفى لان المستثنى منه مسكوت عنه والنفى عام اذ يلزم من نفى الاتيان مثلا نفى جميع العوارض اللاحقة به ضرورة فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاتيان فانه لا إشعار له بعموم الاحوال لانه لا يتوقف الى الاعلى أحدها والله أعلم ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فان يعقوب عليه السلام قال أولا فى حق يوسف وأخاف أن يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول وقال ههنا ثانيا الا أن يحاط بكم أى تغلبوا عليه فابتلى أيضا بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه

منك بضاعة اخرى وقوله (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغى والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) فى رجوعنا الى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شئ مما نخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا فأى شئ نبتغى وراء هذه المباغى التى نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وانما قالوا (ونزداد كيل بعير) لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط (فان قلت) هذا اذا فسرت البغى بالطلب فأما اذا فسرته بالكذب والتزيد فى القول كانت الجملة الاولى وهى قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقى (قلت) أعطفها على قوله ما نبغى على معنى لا نبغى فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغى أن نمير أهلنا كما تقول سعيت فى حاجة فلان واجتهدت فى تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغى لى أن لا أقصر ويجوز أن يراد ما نبغى وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون فى رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح (ذلك كيل يسير) أى ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم أو يكون ذلك اشارة الى كيل بعير أى ذلك الكيل شئ قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (لن أرسله معكم) مناف لحالى وقد رأيت منكم ما رأيت ارساله معكم (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله فى ذلك فهو اذن منه (لتأتننى به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به أو الا أن تهلكوا (فان قلت) أخبرنى عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال (قلت) أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذى هو قوله لتأتننى به فى تأويل النفى معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم أى لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهى أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام فى المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون الا فى النفى وحده فلا بد من تأويله بالنفى ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفى قولهم أقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما أطلب منك الا الفعل (على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع وانما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التى لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وأن يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا اليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالاكرام لامر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم فى الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس (فان قلت) هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه (قلت) يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشئ والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوى هو أثر العين كما قال تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وما أغنى عنكم من الله من شئ) يعنى ان أراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من

هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ

التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله) ثم قال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب ودخولهم متفرقين شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة (فى نفس يعقوب قضاها) وهى شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به (وانه لذو علم) يعنى قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لا يغنى عنه الحذر (آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لى هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له (انى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد أمنتهم وروى أنه قال له فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يجمل قال لا أبالى فافعل ما بدا لك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك قد سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (السقاية) مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هى المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك * والعير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجىء وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبى * وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية فى رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن * وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى تفقدون من أفقدته اذا وجدته فقيدا * وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة (وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا قط نوصف بالسرقة وهى منافية لحالنا (فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أى فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو

إن الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين

يرجع الضمير الاول الى من والثانى الى الاخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف أى المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى فى جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم (فبدأ بأوعيتهم) قيل قال لهم من وكل بهم لابد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه * وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهى لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء أخيه بقلب الواو همزة (فان قلت) لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه (قلت) قالوا رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا (كذلك كدنا) مثل ذلك الكيد العظيم كدنا (ليوسف) يعنى علمناه اياه وأوحينا به اليه (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لانه كان فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد (الا أن يشاء الله) أى ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أو وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عز وعلا (فان قلت) ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا فمن أى وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين (قلت) هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين فى قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم عليه السلام هى أختى لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا (أخ له) أرادوا يوسف روى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ما الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم * واختلف فيما أضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ فى صباه صنما لجده أبى أمه فكسره وألقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت فى المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت (فأسرها) اضمار على شريطة التفسير تفسيره (أنتم شر مكانا) وانما أنث لان قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التى هى قوله أنتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه أنتم شر مكانا لان قوله قال أنتم شر مكانا بدل من أسرها وفى قراءة ابن مسعود فأسره على التذكير يريد القول أو الكلام ومعنى أنتم شر مكانا أنتم شر منزلة فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) يعلم انه لم يصح لى ولا لاخى سرقة

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون

وليس الامر كما تصفون * استعطفوه باذكارهم اياه حق أبيهم يعقوب وأنه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأن بنيامين أحب اليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس بأخيه (فخذ أحدنا مكانه) فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد (انا نراك من المحسنين) الينا فأتمم احسانك أو من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (معاذ الله) هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه أن الله أمرنى وأوحى الى بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو أخذت غير من أمرنى بأخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله (أن نأخذ) نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول به وحذف من و (اذا) جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا (استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو ما مر فى استعصم * والنجى على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز أن يقال هم نجى كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع أنجية قال * انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * ومعنى (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور (كبيرهم) فى السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم فى العقل والرأى وهو يهوذا (ما فرطتم فى يوسف) فيه وجوه أن تكون ما صلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا وهو أن أباكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وأن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخى أو بخلاصه من يده بسبب من الاسباب (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم أبدا الا بالعدل والحق * وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شئ أبين من هذا (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو ما علمنا انك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع فى رحله ولم يشعر (القرية التى كنا فيها) هى مصر أى أرسل الى أهلها فسلهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء * معناه فرجعوا الى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم ف(قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا)

قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى

* قوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (قال معناه وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمناه من سرقته الخ) قال أحمد اما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ أن مجرد وجود الشئ بيد المدعى عليه بعد انكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره واذا واما أن لا يكون كذلك فهذا القدر من مجرد وجوده فى رحله لا يوجب علم كونه سارقا وغايته أن يفيد ظنا بينا فيكون المراد بالعلم ههنا الظن وقد ورد مثله ويكون قولهم وما كنا للغيب حافظين تنبيها على أن مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال وأما كشف باطن الامر الموجب للعلم فليسوا يدعونه عليه * عاد كلامه (قال وقولهم وما كنا للغيب حافظين معناه وما علمنا انه سيسرق حين أعطيناك الموثق الخ)

قال أحمد وانما تلتئم القراءتان على التأويل الذى ذكرته وهو أنهم انما أضافوا اليه السرقة ظنا بمقتضى ظاهر الحال واحترزوا أن يعتقد أنهم علموا ذلك حقيقة فقالوا وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تنتظم القراءتان لان مقتضى الاولى الجزم عليه بالسرقة علما ومقتضى الثانية التبرى من الجزم والله أعلم

* قوله تعالى بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا (قال معناه ان هذا شئ أردتموه الخ) قال أحمد وهذا من الزمخشرى اسلاف جواب عن سؤال كأن قائلا يقول هم فى الوقعة الاولى سولت لهم أنفسهم أمرا بلا مراء وأما فى هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا فى حق بنيامين سوأ ولا أخبروا أباهم الا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر الا مغلوبين عن استصحابه فما وجه قوله ثانيا بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا كما قال لهم أولا وانا ورود السؤال على هذا التقرير فلابد من زيد بسط (١٢٢) فى الجواب فنقول كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين وهم قمن باتهامه لما أسلفوه فى حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها وهى أخذ الملك له فى السرقة ولم يكن ذلك الا من دين يعقوب وحده لا من دين غيره من الناس ولا من عادتهم والى ذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى

بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون

أردتموه والا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم (بهم جميعا) بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره (انه هو العليم) بحالى فى الحزن والاسف (الحكيم) الذى لم يبتلنى بذلك الا لحكمة ومصلحة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (يا أسفى) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتى الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون من سبأ بنبأ وعن النبى صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفى (فان قلت) كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الاحدث أشد على النفس وأظهر أثرا (قلت) هو دليل على تمادى أسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا * ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده * ولان الرزء فى يوسف كان قاعدة مصيباته التى ترتبت عليها الرزايا فى ولده فكان الاسف عليه أسفا على من لحق به (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا * قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط (فان قلت) كيف جاز لنبى الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ (قلت) الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له فى ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب (فهو كظيم) فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه (تفتؤ) أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفى لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه * فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل قال أوس

فما فتئت خيل تثوب وتدعى * ويلحق منها لاحق وتقطع

ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم فعلم أن الملك انما فعل ذلك بفتواهم له به وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمدا لتخلف أخوهم وكان الواقع أنهم استفتوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة فذكروا ماعندهم ولم يشعروا ان المقصود الزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تتطرق التهمة اليه لا حرج فيه وخصوصا فيما يرجع الى الوالد من الولد ويحتمل والله أعلم أن يكون الوجه الذى سوغ له هذا القول فى حقهم أنهم جعلوا مجرد وجود الصواع فى رحل من يوجد فى رحله سرقة من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقا بوجه معلوم وهذا فى شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعيت عليه فان كان شرعهم مثل شرعنا فى ذلك ففتواهم اذا غير محررة وهو اشعار بانهم كانوا حراصا على ثبوت السرقة عليه ويؤكد ذلك قولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه والله أعلم وقوله لهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا واقع بمكانه من حالهم وان كان شرعهم يقتضى ذلك مخالفا لشرعنا فالعمدة على الجواب الاول والله المستعان

* قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون (قال أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الخ) قال أحمد ومن تلطفه بهم قوله اذ أنتم جاهلون كالاعتذار عنهم لان فعل القبيح على جهل عقدار قبحه أسهل من فعله على علم وهم لو ضمر بوافى طرق الاعتذار لم يلفوا عذرا كهذا ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال فعلتها اذا وأنا من الضالين وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه (١٢٣) ثم قال هذا القول وقيل أدوا اليه كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت

حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه

(حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه فى الصفات رجل جنب وغرب * البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أى ينشره ومنه باثه أمره وأبثه اياه ومعنى (انما أشكو) انى لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربى داعيا له وملتجئا اليه فخلونى وشكايتى وهذا معنى توليه عنهم أى فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر لى فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنى به أنه يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب وروى انه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى فاطلبه * وقرأ الحسن وحزنى بفتحتين وحزنى بضمتين قتادة (فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما فى الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا للمشاعر الانسان الحواس والجواس (من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أى من رحمته التى يحيا بها العباد (الضر) الهزال من الشدة والجوع (مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة (فأوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا اليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله (ان الله يجزى المتصدقين) شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التى تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق على ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذى يبتغى الثواب قل اللهم أعطنى أو تفضل على أو ارحمنى (قال هل علمتم) أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذى يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعنى هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم فى الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه فى ذلك المقام الذى يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الانبياء

موكل بنا البلاء أما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى الى النار ليحرق فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فوضعت المدية فى قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام فلما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا

من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى

(قال فان قلت بم تعلق اليوم فى قوله لا تثريب عليكم اليوم الخ) قال أحمد وهذا المعنى انما يتوجه على الاعراب الاول وهو الاوجه ألا ترى الى قولهم بعد ذلك يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وقوله سوف أستغفر لكم ربى دل على أنهم كانوا بعد فى عهدة الذنب ولو كان متعلقا بيغفر للزم أن يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ باخبار النبى الصديق ويحتمل ان يقال انما أراد مغفرة ما يرجع الى حقه دون حق أبيه اذ الاثم كان مشتركا بينهما والله أعلم

ما أوطأها وأسجحها ولله حماعة ولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفى العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم
لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ أنتم صبيان فى حد السفه
والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة روى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت
عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى به
فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما
أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد
أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم
رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك
وروى انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (فان قلت) ما فعلهم بأخيه (قلت)
تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن أخيه لابيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا
منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بأنواع الاذى * قرئ أئنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفى
قراءة أبى أئنك أو أنت يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وهذا
كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات (فان قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا فى روائه
وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ
ابراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى
رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء (فان قلت)
قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان معلوما لهم (قلت) لانه كان فى ذكر أخيه بيان
لما سألوه عنه (من يتق) من يخف الله وعقابه (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات (فان الله لا يضيع
أجرهم) فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين (لقد آثرك الله علينا) أى فضلك علينا
بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين * وان شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم أن
الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمكن بين يديك (لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من
الثرب وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما أن التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع
لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذى ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق الاعراض
ويذهب بماء الوجوه (فان قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار
أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال
(يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضى والمضارع جميعا
ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ
من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح
فقال لقريش ما ترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى
يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت الرسول فاتل عليه قال
لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك وروى أن اخوته لما عرفوه
أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل
مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت فى العيون حيث علم الناس أنكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم (اذهبوا
بقميصى هذا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل عليه

السلام

يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم

السلام أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى (يأت بصيرا) يصر بصيرا كقولك
جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت الى وهو بصير وينصره قوله (وأتونى بأهلكم أجمعين)
أى يأتنى أبى ويأتنى آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه
فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (فصلت العير)
خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما
انفصل العير (قال) لولد ولده ومن حوله من قومه (انى لأجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين
أقبل من مسيرة ثمان * والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا
يقال عجوز مفندة لانها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى (انك
لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم أنه قد مات (ألقاه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد بصيرا)
فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لأجد ريح يوسف أو قوله
ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى أعلم) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله انما
أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر
فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (سوف أستغفر لكم ربى)
قيل أخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم فى
صدق التوبة واخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى
نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف
وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما أتوا الى أخيهم فأوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروى أنهم قالوا له
وقد غلبتهم الكآبة ما يغنى عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم
وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وقد اختلف فى استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) قيل وجه يوسف الى أبيه جهازا ومائتى راحلة
ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا
يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك
فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا أبت
بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى
وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى
ومقاتلهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف
ومائتى ألف (آوى اليه أبويه) ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن أبى اسحق كانت أمه تحيى وقيل هما أبوه
وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الابوين لان الرابة تدعى أما لقيامها مقام الام أو لان الخالة أم كما أن
العم أب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق (فان قلت) ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
(قلت) كأنه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه أبويه * ثم قال لهم (ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين) ولما دخل مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه
فرفعهما على السرير (وخروا له) يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين (سجدا) ويجوز أن يكون قد خرج
فى قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال فأمر أن يرفع اليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم
والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر (فان قلت) بم تعلقت المشيئة (قلت) بالدخول مكيفا
بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن فى دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وأمنوا فى دخولكم ان شاء الله

ونظيره قولك للغازى ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذى الحال ومن بدع التفاسير أن قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربى فى كلام يعقوب وما أدرى ما أقول فيه وفى نظائره (فان قلت) كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله (قلت) كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت فى التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة * يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه قال * أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة (من البدو) من البادية لانهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون فى المياه والمناجع (نزغ) أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجرى يقال نزغه ونسغه اذا نخسه (لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجىء على وجه الحكمة والصواب وروى أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلى وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال أمرنى جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط اليه منى فسله قال جبريل عليه السلام الله تعالى أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتنى وروى أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشأم الى جنب أبيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبى قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب أن يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأى أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم من فى (من الملك) و(من تأويل الاحاديث) للتبعيض لانه لم يعط الا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل (أنت وليى) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى (توفنى مسلما) طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل (وألحقنى بالصالحين) من آبائى أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفى حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين (فان قلت) علام انتصب فاطر السموات (قلت) على أنه وصف لقوله رب كقولك أخازيد حسن الوجه أو على النداء (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذى ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحى لانك لم تحضر بنى يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو القاؤهم أخاهم فى البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب * وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقى فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذى أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة فى أنه ليس منه وأنه من جهة الوحى فاذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر (وهم

من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى انى ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم

يمكرون

* قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا (قال معناه يئسوا (١٢٧) من النصر وظنوا أن أنفسهم كذبتهم الخ) قال أحمد ولا يلزم أن يكون الله

يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل (وما أكثر الناس) يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضى الله عنهما أراد أهل مكة أى وما هم بمؤمنين (ولو حرصت) وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم (وما تسئلهم) على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدى والارض بالنصب على ويطؤن الارض يمرون عليها وفى مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم) فى اقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه (غاشية) نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق (هذه سبيلى) هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا الى الله على بصيرة) أى أدعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء و(أنا) تأكيد للمستتر فى أدعو (ومن اتبعنى) عطف عليه يريد أدعو اليها أنا ويدعو اليها من اتبعنى ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعنى عطفا على أنا اخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع فى أنا ومن اتبعنى (وسبحان الله) وأنزهه من الشركاء (الا رجالا) لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل فى سجاح المتنبئة * ولم تزل أنبياء الله ذكرانا * وقرئ نوحى اليهم بالنون (من أهل القرى) لانهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة (ولدار الآخرة) ولدار الساعة أو الحال الآخرة (خير للذين اتقوا) للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء (حتى) متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم فى الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس واما على أن قومهم اذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم فى موعدهم * قرئ فنجى بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجى

يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى

قد وعدهم بالنصر فى الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن اخبار ووحى * عاد كلامه (قال ونقل عن ابن عباس انه قال فظنوا حين ضعفوا وغلبوا الخ) قال أحمد وهذا أيضا تأويل حسن ينتظم بين القراءتين لان ظن الامم كذب رسلهم تكذيب لهم فيؤدى مؤدى قراءة التشديد

من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

(سورة الرعد مختلف فيها وهى خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المر تلك آية الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب و زرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك

على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجاء والمراد (من نشاء) المؤمنون لانهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) * الضمير فى (قصصهم) للرسل وينصره قراءة من قرأ فى قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته (فان قلت) فالام يرجع الضمير فى (ما كان حديثا يفترى) فيمن قرأ بالكسر (قلت) الى القرآن أى ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) أى قبله من الكتب السماوية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين لانه القانون الذى يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذى بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

(سورة الرعد مختلف فيها وهى خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تلك) اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها ثم قال (والذى أنزل اليك) من القرآن كله هو (الحق) الذى لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفى أسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد الكملة (الله) مبتدأ و (الذى) خبره بدليل قوله وهو الذى مد الارض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات (رفع السموات بغير عمد ترونها) كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هى صفة لعمد ويعضده قراءة أبى ترونه وقرئ عمد بضمتين (يدبر الامر) يدبر أمر ملكوته وربوبيته (يفصل) آياته فى كتبه المنزلة (لعلكم توقنون) بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون (جعل فيها زوجين اثنين) خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الاصناف المختلفة (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيرا وقرئ يغشى بالتشديد (قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعا فى جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه * وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة فى هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهى تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفى بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل * وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين أو بالجر على كل الثمرات * وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على أعناب أو جنات * والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة بنى تميم وقيس تسقى بالتاء والياء (ونفضل) بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا (فى الاكل) بضم الكاف وسكونها (وان تعجب) يا محمد من قولهم فى انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعى بخلقهن كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا) الى آخر قولهم يجوز أن يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفى خلق جديد (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكاملون المتمادون فى كفرهم (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ونحوه * لهم عن الرشد أغلال وأقياد * أو هو من جملة الوعيد (بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء

الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون و يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة

منهم

وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار

منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه أوجه أن يريد السيآت المكفرة لمجتنب الكبائر أو الكبائر بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى أنها لما نزلت قال النبى عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى * فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل أرسلت منذرا ومخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذى عنده كل شئ بمقدار يعطى كل نبى آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا فى آيات مخصوصة ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما أنت منذر فما عليك الا أن تنذر لا أن تثبت الايمان فى صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته أن اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم فى اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه وأما على الوجه الثانى فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأى طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره (الله يعلم) يحتمل أن يكون كلاما مستأنفا وأن يكون المعنى هو الله تفسيرا الهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم (ما تحمل كل أنثى) وما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام أى تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده أى تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة فى بطن أمه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبى حنيفة والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان بقى فى بطن أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شئ من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما فى الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام (بمقدار) بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر (الكبير) العظيم الشأن الذى كل شئ دونه (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها (سارب) ذاهب فى سربه بالفتح أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى أى طلب الخفاء فى مختبأ بالليل فى ظلمته

(القول فى سورة الرعد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قال ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لانفسهم الخ) قال أحمد والوجه الحق بقاء الوعد على اطلاقه الا حيث دل الدليل على التقييد فى غير الموحد فان ظلمه أعنى شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه فى المشيئة والزمخشرى يبنى على عقيدته التى وضح فسادها فى استحالة الغفران لصاحب الكبائر وان كان موحدا الا بالتوبة فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق

قوله والمثلة لما بين عبارة أبى السعود سميت بها لما بين الخ اه مصححه

* قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (قال فيه ان قلت كان من حق الكلام أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار الخ) قال أحمد مقتضى السؤال الذي أورده الزمخشري أن تكون الواو عاطفة لاحدى الصفتين على الاخرى ومقتضى ما أجاب به أن يعطف أحد الموصوفين على الآخر وتحتمل الآية وجها آخر وهو أن يكون الموصول محذوفا وصلته باقية والمعنى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع وخصوصا وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثا ومنه (١٣٠) قوله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم والاصل ولا ما يفعل بكم والا كان حرف النفي دخيلا في غير موضعه لان الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الاول بواسطة العاطف لم يكن للنفي موقع وانما صحب في الاول الموصول لا الصلة ومنه

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء

ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد (فان قلت) كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب (قلت) فيه وجهان أحدهما أن قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا أن من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار * والضمير في (له) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به أو هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (من وال) ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم (خوفا وطمعا) لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف أي ارادة خوف وطمع أو على معنى اخافة واطماعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى * يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيابه (السحاب) اسم الجنس والواحدة سحابة و(الثقال) جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء (ويسبح الرعد بحمده) ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم (والملائكة من خيفته)

أي ومن يمدحه وينصره والله أعلم * عاد كلامه (قال في معنى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له الخ) قال أحمد وحقيقة هذا الوجه انهم يحفظونه من الامر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم ولولا هذا السبب لكان في علم الله أن النقمة تحل عليه لان الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وسع ربنا كل شيء علما * قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال الآية (قال خوفا وطمعا لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل الخ) قال أحمد أو مفعولا لهما على أن المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى لانه اذا أراهم فقد رأوا

وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله

ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله * ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال (وهم) يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته (يجادلون في الله) حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (المحال) المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى

فرع نبع يهتش في غصن المجـ * ـد غزير الندى شديد المحال

والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه (دعوة الحق) فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق (فان قلت) ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله (قلت) أما على قصة أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم فيهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من) دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشرب به فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه * وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين (الا في ضلال) الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد) أي ينقادون لاحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه * وتنقاد له (ظلالهم) أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقاص والفيء والزوال * وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل (قل الله) حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه

والاصل وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا أي ترقبونه وتتراءونه تارة لاجل الخوف وتارة لاجل الطمع والله أعلم * قوله تعالى له دعوة الحق (قال فيه وجهان أحدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الخ) قال أحمد دس تحت تأويل الاول نبذة من الاعتزال على وجه الاختزال فحجر واسعا من لطف الله واستجابته أدعية عباده وحتم رعاية المصالح وجعل معنى اضافة الدعوة الى الحق التباسها بالمصلحة وقد انكشف الغطاء وتبين أن الله تعالى لا تعلل أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور وغرضنا ايقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة يتحيز بها الى بدعة وضلالة والله الموفق

* قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ (قال أم مقدرة ببل والهمزة ومعناها ههنا الانكار الخ) قال أحمد وفى قوله تعالى خلقوا كخلقه فى سياق الانكار تهكم بهم لان غير الله لا يخلق خلقا البتة لا بطريق المشابهة والمساواة له تقدس عن التشبيه ولا بطريق الانحطاط والقصور فقد كان يكفى فى الانكار عليهم أن الشركاء التى اتخذوها لا تخلق مطلقا ولكن جاء فى قوله تعالى كخلقه تهكم يزيد الانكار (١٣٢) تأكيدا والزمخشرى لا يطبق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من أن تستتر عنه لان معتقده أن غير الله يخلق وهم العبيد

قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم

(أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (أم جعلوا) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار و (خلقوا) صفة لشركاء يعنى أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه) عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور * هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذين ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الاوانى والا لات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذى فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث فى الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء فى منافعه وتبقى آثاره فى العيون والبا ر والجبوب والثمار التى تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه اذا أذيب (فان قلت) لم نكرت الاودية (قلت) لان المطر لا يأتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (فان قلت) فما معنى قوله (بقدرها) (قلت) بمقدارها الذى عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى الى قوله وأما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف (فان قلت) فما فائدة قوله (ابتغاء حلية أو متاع) (قلت) الفائدة فيه كالفائدة فى قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز فى النفع فى قوله وأما ما ينفع الناس لان المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء فى ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء فى ذكر الآجر أوقد لى ياهامان على الطين ومن لابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل (جفاء) يجفؤه السيل أى يرمى به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفى قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبى حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفأر * وقرئ يوقدون بالياء أى يوقد الناس (للذين استجابوا) اللام متعلقة بيضرب أى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثلا الفريقين و (الحسنى) صفة لمصدر استجابوا أى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله (لو أن لهم) كلام مبتدأ فى ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى

يخلقون أفعالهم على زعمه ولكن لا يخلقون كخلق الله لان الله تعالى يخلق الجواهر والاعراض والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لا غير وفى قوله عز من قائل الله خالق كل شئ القام لافواه المشركين الاولين ثم لافواه التابعة لهم فى هذه الضلالة كالقدرية فان الله تعالى بت هذه البتة أن كل شئ يصدق عليه أنه مخلوق جوهرا كان أو عرضا فعلا لعبده أو غيره فالله خالقه فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك الا عند كل أثيم أفاك يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم فلا جرم تتقاصر لسان الزمخشرى عند هذه الآية وقرن شقاشقه والله الموفق وهى

* قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية (قال المراد مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله تعالى) قال أحمد الحق أن لا رازق الا الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما أنه لا خالق الا الله هل من خالق غير الله فاذا اقتضى العقل والسمع جميعا أن لا رازق الا الله فأى مقال بعد ذلك يبقى للقدرى الزاعم ان أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لان الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه فبأى حديث (١٣٣) بعد الله وآياته يؤمنون * قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار (قال المراد عاقبة الدنيا ومرجع أهلها الخ) قال

سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما فى حيزه و (سوء الحساب) المناقشة فيه وعن النخعى أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شئ * دخلت همزة الانكار على الفاء فى قوله (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل فى أن حال من علم (أنما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولوا الالباب) أى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لاولى الالباب والاول أوجه * وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أى يخشون وعيده كله (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه) الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله * وتجلدى للشامتين أريهم * ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله

ما ان جزعت ولا هلعت * ولا يرد بكاى زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوى منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل (مما رزقناهم) من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها فى السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا أذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة لانها التى أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و (جنات عدن) بدل من عقبى الدار * وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل * وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبى عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة * وآباؤهم جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (سلام عليكم) فى موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (فان قلت) م

أحمد قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار من تكون له عاقبة الدار والعاقبة للمتقين والمراد فى جميع ذلك عقبى الخير والسعادة والزمخشرى يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير انها هى التى أرادها الله فهى الاصل والعاقبة الاخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والاصل لم يكن من حقها ان يعبر عنها الا بتقييد يفهمها كقوله وعقبى الكافرين النار كل ذلك من الزمخشرى تهالك على أن ينسب الى الله ارادة ما لم يقع ومشيئة ما لم يكن مصادمة لما أنطق الله به ألسنة حملة الشرع بمه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وليس فى مجيء ذلك على الاطلاق ما يعين أنه الاصل باعتبار الارادة فلعله الاصل باعتبار الامر ونحن نقول ان المؤدى الى حمد العاقبة مأمور به والمؤدى الى سوئها منهى عنه فمن ثم كانت عاقبة الخير هى الاصل والله الموفق

تعلق قوله (بما صبرتم) (قلت) بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل
ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله
* بما قد أرى فيها أوانس بدنا * وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول
فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم
(من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه
فى مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (الله يبسط الرزق) أى الله وحده هو يبسط
الرزق و يقدره دون غيره وهو الذى بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح
بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفى
عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو
شربة سويق أو نحو ذلك (فان قلت) كيف طابق قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) قوله (قل ان الله يضل من
يشاء) (قلت) هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التى أوتيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه
كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم
على كفركم ان الله يضل من يشاء من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا سبيل الى
اهتدائهم وان أنزلت كل آية (ويهدى اليه من) كان على خلاف صفتكم (أناب) أقبل الى الحق وحقيقته
دخل فى نوبة الخير و (الذين آمنوا) بدل من من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بذكر رحمته ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة
على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها (الذين آمنوا) مبتدأ
و (طوبى لهم) خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أى تطمئن القلوب قلوب
الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب
أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك * والقراءة فى قوله وحسن مآب بالرفع والنصب
تدلك على محليها واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن
وموسر وقرأ مكوزة الاعرابى طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة (كذلك أرسلناك)
مثل ذلك الارسال أرسلناك يعنى أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله
فقال (فى أمة قد خلت من قبلها أمم) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الامم وأنت خاتم
الانبياء (لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى أوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال
هؤلاء انهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شئ وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته
فى ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم (قل هو ربى) الواحد المتعالى
عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) فيثيبنى على مصابرتكم ومجاهدتكم (ولو أن
قرآنا) جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أنى قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا (سيرت به الجبال)
عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها (أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أو كلم به الموتى)
فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا
القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذى أوحينا
اليك من ارادة تعظيم ما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به
تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا اليهم
الملائكة الآية وقيل ان أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام ان كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون

بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى

على الله من داود أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع فى يومنا فقد شق علينا قطع المسافة
البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصى بن كلاب
فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم
يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به
الارض شققت فجعلت أنهارا وعيونا (بل لله الامر جميعا) على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شئ وهو
قادر على الآيات التى اقترحوها الا أن علمه بأن اظهارها مفسدة يصرفه والثانى بل لله أن يلجئهم الى الايمان
وهو قادر على الالجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء
الله) يعنى مشيئة الالجاء والقسر (لهدى الناس جميعا) ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هى لغة قوم من النخع
وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشئ عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء
فى معنى الخوف والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحى

أقول لهم بالشعب اذ ييسروننى * ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل
انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الامام وكان متقلبا فى أيدى أولئك
الاعلام المحتاطين فى دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذى اليه
المرجع والقاعدة التى عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أولم
يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم (تصيبهم بما صنعوا)
من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب
فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل) القارعة (قريبا) منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم
شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتى وعد الله) وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم
بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من
دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك * الاملاء الامهال
وأن يترك ملاوة من الزمان فى خفض وأمن كالبهيمة يملى لها فى المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم
الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم فى اشراكهم بالله
يعنى أفالله الذى هو قائم رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل
جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة
لم يوحدوه (وجعلوا) له وهو الله الذى يستحق العبادة وحده (شركاء قل سموهم) أى جعلتم له شركاء فسموهم له
من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه) على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لى من زيد أم هو أقل من أن
يعرف ومعناه بل أتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم فى الارض وهو العالم بما فى السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم أنهم
ليسوا بشئ يتعلق به العلم والمراد نفى أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى
الارض (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله
ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التى ورد
عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن

بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا

* قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية (قال ومعناه بل أتنبؤنه بشركاء الخ) قال أحمد وحقيقة هذا النفى انهم ليسوا شركاء وان الله لا يعلمهم كذلك لانهم ليسوا كذلك وان كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله الا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة ولكن مجىء النفى على هذا السنن المتلو بديع لا تكتنه بلاغته وبراعته ولو أتى الكلام على الأصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان وجعلوا لله شركاء وماهم بشركاء لم يكن بهذا الموقع التى اقتضته التلاوة * عاد كلامه (قال وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التى ورد عليها الخ) قال احمد هذه الخاتمة كلمة حق أراد بها باطلا لانه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها وما أسرع المطالع لهذا الفصل أن يمر على لسانه وقلبه و يستحسنه وهو غافل عما تحته لولا هذا التنبيه والايقاظ والله أعلم

مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق ومالهم من الله من واق مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وان ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها

الخالقين وقرئ أتنبؤنه بالتخفيف (مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا) قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبى اسحق وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدى (فماله من هاد) فماله من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا (ومالهم من الله من واق) ومالهم من حافظ من عذابه أو مالهم من جهته واق من رحمته (مثل الجنة) صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر (تجرى من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ على رضى الله عنه أمثال الجنة على الجمع أى صفاتها (أكلها دائم) كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن هؤلاء (يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب) يعنى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفى نجران وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (فان قلت) كيف اتصل قوله (قل انما أمرت أن أعبد الله) بما قبله (قلت) هو جواب للمنكرين معناه قل انما أمرت فيما أنزل الى بأن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ * وقرأ نافع فى رواية أبى خليد ولا أشرك بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون فى موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به (اليه أدعوا) خصوصا لا أدعو الى غيره (واليه) لا الى غيره مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال * كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلى الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان * كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوى أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة فى اثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل (ويثبت) غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسى وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها وأحوالها والكلام فى نحو هذا واسع المجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه * وقرئ ويثبت (وان ما نرينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتى الارض) أرض الكفر (ننقصها من

اطرافها

* قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب (قال المراد والذى عنده علم القرآن الخ) قال أحمد فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين (قال وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته فى كتبهم) قال أحمد فالكتاب على التأويل الاول مراد به القرآن خاصة وعلى الثانى جنس الكتب المتقدمة عليه (قال وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما فى اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بينى وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة) قال أحمد وانما فر الزمخشرى فى المعطوف عليه اسم الله بالذى يستحق العبادة حذرا من عطف الصفة على الموصوف وعدولا الى أنه عطف احدى الصفتين على الاخرى تقديرا وانما أخذ الحصر حيث يقول ومن لا يعلم علم الكتاب الا هو من أنه قدم الخبر الذى هو عنده على مبتدئه وشأن الزمخشرى أخذ الحصر من التقديم والله الموفق للصواب

والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين

أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد فى دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا فى الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذى حملته ولا تهتم بما وراءه فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التى لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد (لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد * طلب المعقب حقه المظلوم * والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا (فان قلت) ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وقد مكر الذين من قبلهم) وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم فى غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أى أهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أى سيخبر (كفى بالله شهيدا) لما أظهر من الادلة على رسالتى (ومن عنده علم الكتاب) والذى عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته فى كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح الا هو شهيدا بينى وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة أى ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب (فان قلت) بم ارتفع علم الكتاب (قلت) فى القراءة التى وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أوغل فى شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذى فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه وفى القراءة التى لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كتاب) هو كتاب يعنى السورة * وقرئ ليخرج الناس * والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى (باذن ربهم) بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل الى أى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله (الله) عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى تحق له العبادة كما غلب النجم فى الثريا * وقرئ بالرفع على هو الله * الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك

﴿القول فى سورة ابراهيم عليه السلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
(قال أى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة الخ) قال أحمد جميع الفصل مرضى لكن فى هذه الجماعة
نظر لان فيها اشعارا بأن اعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن اعجازه لو قدر منزلا بكل لسان يعنى انه لو نزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح الى حد يكاد أن يكون الجاء الى الايمان به وهذا فيه نظر والقول به غير متعين لان المعجز يفيد

من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا

العلم بصدق من ظهر على يده ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح فلو نزل القرآن بجميع اللغات لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين هذا هو التحقيق
والله أعلم والزمخشرى يبنى فى كثير من كلامه على أن العلوم تتفاوت وتنقسم الى جلى وأجلى وهو من الحق بمعزل وانما ظن ذلك طائفة ظاهرية والله الموفق

الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلاله فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل (قلت) لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا (الذين يستحبون) مبتدأ خبره أولئك فى ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا على أعنى الذين يستحبون أوهم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها وأفضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده قال * أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدى الى التعدى وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل (فى ضلال بعيد) أى ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل (فان قلت) فما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لانه هو الذى يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز أن يراد فى ضلال ذى بعد أو فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا (الا بلسان قومه ليبين لهم) أى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (فان قلت) لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا (قلت) لا يخلو اما أن ينزل بجميع الالسنة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فبقى أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم أقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم فى كل أمة من أمم العجم مع ما فى ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم فى تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر فى اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز فى كل واحد منها وكلم الرسول العربى كل أمة بلسانها كما كلم أمته التى هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبى بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدى الى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدى الا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان ولا يلطف الا بأهل اللطف

(ان

قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم (قال معناه عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل الخ) قال أحمد وأقوى
هذه الوجوه هذا الوجه الذى نبه المصنف على اختصاصه بالقوة وانما كان كذلك لان اقناطهم الرسل من الايمان قولا
وفعلا بوضع اليد فى الفم هو المناسب لجحدهم فى الكفر وتصدير العبارة بالحرف

أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك

المؤكد ومواجهة الرسل بضمائر الخطاب واعادة ذلك مبالغة فى التأكيد وليس السياق
مناسب للضحك ولا الغيظ ولا لتعجيب الرسل كمناسبته لاقناطهم من القبول ألا ترى أنهم لما أعادوا للرسل القول ولم ينكروا عليهم عودهم
الى المجادلة دل على أنهم لم يسكتوهم أولا ولا كان غرضهم ذلك والله أعلم

(أن أخرج) بمعنى أى أخرج لان الارسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويجوز أن تكون أن الناصبة للفعل وانما صلح أن توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه فى تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء فى الفعلية والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل قولهم أوعز اليه بأن افعل فأدخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بأن أخرج قومك (وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذى قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضى الله عنهما نعماؤه وبلاؤه فأما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر وأما بلاؤه فاهلاك القرون (لكل صبار شكور) يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الامم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم (اذ أنجاكم) ظرف للنعمة بمعنى الانعام أى انعامه عليكم ذلك الوقت (فان قلت) هل يجوز أن ينتصب بعليكم (قلت) لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام أو غير صلة اذا أردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها والا كان كلاما ويجوز أن يكون اذ بدلا من نعمة الله أى اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال (فان قلت) فى سورة البقرة يذبحون وفى الاعراف يقتلون وههنا (ويذبحون) مع الواو فما الفرق (قلت) الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لانه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر (فان قلت) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم (قلت) تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
* فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو * (واذ تأذن ربكم) من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم أذن ربكم ونظير تأذن وأذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل ولا بد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل واذ أذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) أو أجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفى قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم أى لئن شكرتم يا بنى اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم (ولئن كفرتم) وغمطتم ما أنعمت به عليكم (ان عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يا بنى اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذى لا بد لكم منه وأنتم اليه محاويج والله غنى عن شكركم (حميد) مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وان لم يحمده الحامدون (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد (فردوا أيديهم فى أفواههم) فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (انا كفرنا بما أرسلتم به) أى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق

* عاد كلامه (قال وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا معناه فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة) قال أحمد

ومن تهالكه على الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر يستعين حتى يحمل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كمعتقد

عما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم

ألا ترى الى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوى أو وضعوها على أفواههم يقولون للانبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدى جمع يد وهى النعمة بمعنى الايادى أى ردوا نعم الانبياء التى هى أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى اليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون (مريب) موقع في الريبة أو ذى ريبة من أرابه وأراب الرجل وهى قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر (أفي الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أى يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم أو يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معى وقال

دعوت لما نابنى مسورا * فلبى فلبى يدى مسور

(فان قلت) ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم (قلت) ما أظنه جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت (ان أنتم) ما أنتم (الا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة (بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة لانه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استؤثروا بها على أبناء جنسهم (الا باذن الله) أرادوا أن الاتيان بالآية التى اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا أمر يتعلق بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجرى علينا منكم ألا ترى الى قوله (وما لنا الا نتوكل على الله) ومعناه وأى عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه في الدين (فان قلت) كيف كرر الامر بالتوكل (قلت) الاول لاستحداث التوكل وقوله (فليتوكل المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى أنفسهم على ما تقدم (لنخرجنكم أو لتعودن) ليكونن أحد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك (فان قلت) كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها (قلت) معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عادلا يكلمنى ما عاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد (لنهلكن الظالمين) حكاية تقتضى اضمار القول أو اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه

القدرية في تفضيل الملك على الرسول لانه يدعى ذلك أمرا مركوزا في الطباع معلوما ضرورة والله الموفق

* قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ (قال ان قلت كيف كرر ذلك بعد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) قال أحمد وبهذا يخرج عن وادى من قتل قتيلا فله سلبه والله أعلم

ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض

ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن * والمراد بالارض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لى خال يظلمه عظيم القرية التى أنا منها ويؤذينى فيه فمات ذلك العظيم وملكنى الله ضيعته فنظرت يوما الى أبناء خالى يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله (ذلك) اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم أى ذلك الامر حق (لمن خاف مقامى) موقفى وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذى يقف فيه عباده يوم القيامة أو على اقحام المقام وقيل خاف قيامى عليه وحفظى لاعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن أى أوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا (وخاب كل جبار عنيد) معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه قال

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف (فان قلت) علام عطف (ويسقى) (قلت) على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (من ماء صديد) (قلت) صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فأبهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسيغه) دخل كاد للمبالغة يعنى ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من أصل كل شعرة (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أى استمطروا والفتح المطر في سنى القحط التى أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم * هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدا أى صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر * وقرئ الرياح (في يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شئ) أى لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شئ (ذلك هو الضلال البعيد)

* قوله تعالى ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز (قال معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفي وقد تقدمت أمثاله * عاد كلامه (قال معناه وماذلك على الله بعزيز أي هين عليه لانه قادر بالذات الخ) قال أحمد وهذا اعتزال صراح لم يتقنع في ابرازه وما أبشع قوله عن الله جل جلاله خلص له الداعي وأمضى الصارف وما أنباه عن سمع المحققين العارفين بآداب الله تعالى وبما يجب في حق جلاله وقد تقدم مافيه كفاية * قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهدينا كم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (قال الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم الخ) (١٤٣) قال أحمد لما استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المشتملة على أن الله تعالى مهما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وان هداية المشركين مما لم يشأه ولو شاءها لاهتدوا وانما تنشأ هذه الدلالة من ايراد هذا الكلام عن الكفار في دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء والمقصود من اقتصاصه انذار أمثالهم في الدنيا وتحذيرهم من الحسرة والندم في الآخرة اذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور وهذا يرشد الى أنه كلام صحيح المعنى فلما فطن الزمخشري لذلك شرع في تقرير تخطئتهم في هذا القول في الآخرة كما خطأهم في الدنيا ليتم له اعتقاد أن الله يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء ومن ذلك هداية الكفار فان الله تعالى يشاؤها في الدنيا لكنها لم تكن وأنى له ذلك وسياق الآية يصوب الكلام المذكور وينذر الغافلين عنه في الدنيا ويحذرهم من التورط فيما يؤدي الى هذا الندم حيث لا ينفع ويجر الى هذه الحسرة اذ لا ينجع كما أورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق في دار الحق وحيث لا ينفعه ايمانه فيقول ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ وانما سيق تحذيرا وانذارا اتفاقا والله الموفق

اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (بالحق) بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة * وقرئ خالق السموات والارض (ان يشأ يذهبكم) أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشئ وجنس ضده (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر بالذات لا لاختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شئ وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك أصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء (وبرزوا لله) ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شئ حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فان قلت) لم كتب (الضعفؤا) بواو قبل الهمزة (قلت) كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام * والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فان قلت) أي فرق بين من في (من عذاب الله) وبينه في (من شئ) (قلت) الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله (فان قلت) فما معنى قوله (لو هدانا الله لهدينا كم) (قلت) الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بأن الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ واما أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهدينا كم الى الايمان وقيل معناه

لو

بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهدينا كم

* قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ (قال روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا الخ) قال أحمد قد حمل قول الكفار في الآية الاولى على ابطال الانتحال لانه لا يلائم (١٤٣) معتقده واستشهد على أن الكذب حينئذ غير ممتنع ولا متعذر بقوله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم لما ظن ان قول الشيطان هذا يلائم معتقده اجتهد في الاستدلال على تصويبه وتصحيحه وان كان قائله الشيطان كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأينما سلك ونحن معاشر أهل السنة الملقبين عنده بالمجبرة نقول ان الله تعالى انما أورد هذا الكلام غير راد له ولا مخطئ فيه للشيطان كما اقتص كلام الكفار في الآية الاولى كذلك ونحن نعتقد أن الملامة انما تتوجه على المكلف وأما الله تعالى فقدس عن ذلك وحجته البالغة وقضاؤه الحق وذلك أنا نعترف بما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذي يجده من نفسه عند تجاذب طرفي الأفعال الارادية ضرورة وبذلك قامت الحجة له على خلقه وان سلبناه عن قدرة الخلق تأثيرها في الفعل فلا تناقض اذا بين عقيدة السنة وبين صرف الملامة الى المكلف والله الموفق

لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهدينا كم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستو بان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (فان قلت) كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله (قلت) اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجينا كم أتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا (مالنا من محيص) أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاص بمعنى واحد (لما قضي الامر) لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) خلاف ذلك (فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم اليها (الا أن دعوتكم) الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) حيث اغتررتم بي وأطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على أن الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه (فان قلت) قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به (قلت) لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة * وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول

قال لها هل لك يا تا في * قالت له ما أنت بالمرضي

وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء (فان قلت) جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات * ما في (بما أشركتموني) مصدرية و(من قبل) متعلقة بأشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه

سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل

* قوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام (قال وقرأ وأدخل الذين امنوا على فعل المتكلم الخ) قال أحمد فان قلت ما الذى صرف الزمخشرى عن الحسن وعمرو بن عبيد حمله على الالتفات من التكلم الى الغيبة وألجأه الى تعلقه بما بعده وقد كانت له فى ذلك مندوحة والالتفات على هذا الوجه كثير مستفيض ألا ترى الى قوله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم قال تنزيلا ممن خلق الارض ولم يقل تنزيلا منا * قلت لامر ما صرف الكلام عن هذا الوجه وهو أن ظاهر أدخل بلفظ المتكلم يشعر بان ادخالهم الجنة لم يكن بواسطة بل من الله تعالى مباشرة وظاهر الاذن يشعر باضافة الدخول الى الواسطة فبينهما تنافر ولكن يحسن عندى أن يعلق بخالدين والخلود غير الدخول فلا تنافر والله أعلم

ان الظالمين لهم عذاب أليم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا

وهو الله عزوجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت أشركته فلان أى جعلنى له شريكا ونحو ما هذه ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله (ان الظالمين) قول الله عزوجل ويحتمل أن يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عزوعلا ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين فى النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لابد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا فى أنفسهم ذلك المقام الذى يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم * وقرئ فلا يلومونى بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول ابليس (باذن ربهم) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (فان قلت) فبم يتعلق فى القراءة الاخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم (قلت) الوجه فى هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى (تحيتهم فيها سلام) باذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم * قرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف (ضرب الله مثلا) اعتمد مثلا ووضعه و(كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة (أصلها ثابت) يعنى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء) ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها (فان قلت) أى فرق بين القراءتين (قلت) قراءة الجماعة أقوى معنى لان فى قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروى فمنعنى مكان عمر واستحييت فقال لى عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة فى الجنة وقوله فى السماء معناه فى جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك فى الجبل طويل فى السماء تريد ارتفاعه وشموخه (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (لعلهم يتذكرون) لان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة أى صفتها كصفتها * وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله (اجتثت من فوق الارض) فى مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها (مالها من قرار) أى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها فى الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها

* قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية (قال فيه المقول محذوف الخ) قال أحمد وفى هذا الاعراب نظر لان الجواب حينئذ يكون خبرا من الله تعالى بانه ان قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فأقاموا الصلاة وأنفقوا لكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم وخبر الله تعالى يجل عن الخلف وهذه النكتة هى الباعثة لكثير من المعربين على العدول عن هذا الوجه من الاعراب مع تبادره فيما ذكر بادى الرأى ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق ويقوى بوجهين لطيفين أحدهما ان هذا النظم لم يرد الا لموصوف بالايمان الحق المنوه بايمانه عند الامر كهذه الآية وكقوله وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الثانى تكرر مجيئه للموصوفين بانهم عباد الله المشرفون باضافتهم الى اسم الله وقد قالوا ان لفظ العباد لم يرد فى الكتاب العزيز الا مدحة للمؤمنين وخصوصا اذا انضاف اليه تعالى اضافة التشريف فالحاصل من ذلك ان المأمور فى هذه الآى من هو بصدد الامتثال وفى حيز المسارعة للطاعة فالخبر فى أمثالهم حق وصدق اما على العموم ان أريد أو على الغالب والله أعلم * عاد كلامه قال وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا ويكون هذا هو المقول الخ (١)

بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل

القيامة (بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا أنهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الآخرة أنهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين لم يتمسكوا بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة واضلالهم فى الدنيا أنهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) أى ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم (بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم وأصحابه (وأحلوا قومهم) ممن تابعهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك * وعطف (جهنم) على دار البوار عطف بيان * قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها (فان قلت) الضلال والاضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الانداد فما معنى اللام (قلت) لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام فى قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجىء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب (تمتعوا) ايذان بانهم لانغماسهم فى التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لانفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لامر الشهوة (فان مصيركم الى النار) ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار * المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا) وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (فان قلت) علام انتصب (سرا وعلانية) (قلت) على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى

أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل

اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب * والخلال المخالة (فان قلت) كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بأنه (لا بيع فيه ولا خلال) (قلت) من قبل أن الناس يخرجون أموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم أمثالها أو خيرا منها وأما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع (الله) مبتدأ و(الذى خلق) خبره و(من الثمرات) بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج و(رزقا) حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لانه فى معنى رزق (بأمره) بقوله كن (دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ماسألتموه) من للتبعيض أى آتاكم بعض جميع ماسألتموه نظرا فى مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (لاتحصوها) لاتحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع * والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (هذا البلد) يعنى البلد الحرام زاده الله أمنا وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خليله ابراهيم عليه السلام (آمنا) ذا أمن (فان قلت) أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا (قلت) قد سأل فى الاول أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها ولا يخافون وفى الثانى أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبنى) وقرئ وأجنبنى وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبنى شره بالتشديد وأهل نجد جنبنى وأجنبنى والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها (وبنى) أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد أحد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبنى وبنى (أن نعبد الاصنام) انما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت (انهن أضللن كثيرا من الناس) فاعوذ بك أن تعصمنى وبنى من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أى افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعنى) على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى (فانه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله من غشنا فليس منا أى ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم (ومن عصانى فانك غفور رحيم) تغفر له ماسلف منه من عصيانى اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لى وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك (من ذريتى) بعض أولادى وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير * وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه أن يجتنب أو لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه (ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم هذا الوادى الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التى شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك

بالعكوف

أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم مانخفى وما نعلن ومايخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة

بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التى آثرت بها سكان حرمك (أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ماروى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها فى الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون من القلب كقولك آدر فى أدؤر والثانى أن يكون اسم فاعلة من أفدت الرحلة اذا عجلت أى جماعة أو جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه أن تخفف باخراجها بين بين وأن يكون من أفد (تهوى اليهم) تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله * يهوى مخارمها هوى الاجدل * وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه وأهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا أحب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بأن تجلب اليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفى أى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم * النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله تعالى (انك تعلم مانخفى وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى أنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل أياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة فى اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد أن يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته أن لا يتكلم فيها وقيل ما نخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف (وما يخفى على الله من شئ) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى عليه شئ ما * على فى قوله (على الكبر) بمعنى مع كقوله

انى على ماترين من كبرى * أعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو فى موضع الحال معناه وهب لى وأنا كبير وفى حال الكبر روى أن اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وقد روى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم وأحلاها فى نفس الظافر ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربى لسميع الدعاء) كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته (فان قلت) الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه (قلت) هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفى الحديث ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن (فان قلت) ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء

(قلت) اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومنحار ابله وحذر أمورا ورحيم أباه ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازى والمراد سماع الله (ومن ذريتى) وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وانما بعض لانه علم باعلام الله أنه يكون فى ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدى الظالمين (وتقبل دعاءى) أى عبادتى وأعتزلكم وما تدعون من دون الله * فى قراءة أبى ولابوى وقرأ سعيد بن جبير ولوالدى على الافراد يعنى أباه وقرأ الحسن بن على رضى الله عنهما ولولدى يعنى اسمعيل واسحق وقرئ لولدى بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد فى أسد وفى بعض المصاحف ولذريتى (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر لابويه وكانا كافرين (قلت) هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم (يوم يقوم الحساب) أى يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا أشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا أو يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله اماما وجعل فى ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا انى أسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم (فان قلت) يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل (ولا تحسبن الله غافلا) (قلت) ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء فى الامر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثانى أن المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الايذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه * وقرئ يؤخرهم بالنون والياء (تشخص فيه الابصار) أى أبصارهم لا تقر فى أماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى وقيل الاهطاع أن تقبل ببصرك على المرئى تديم النظر اليه لا تطرف (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم أن يطرفوا بعيونهم أى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان أو لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم * الهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق أيضا قلبه هواء قال زهير

* من الظلمان جؤجؤه هواء * لان النعام مثل فى الجبن والحمق وقال حسان

* فأنت مجوف نخب هواء * وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم (يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى (أخرنا الى أجل قريب) ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم الى أجل قريب كقوله لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق (أولم تكونوا أقسمتم) على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة

ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل

 قال أحمد وفيما قاله نظر لان الفعل متى تقيد بمفعول انقطع اطلاقه فليس تقديم الوعد فى الآية دليلا على اطلاق الفعل باعتبار الموعود حتى يكون ذكر الرسل ثانيا كالاجنبى من الاطلاق الاول ولا فرق فى المعنى الذى ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتأخيره ولا يفيد تقديم المفعول الثانى الا الايذان بالعناية فى مقصود المتكلم والامر بهذه المثابة فى الآية لانها وردت فى سياق الانذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل فالمهم فى التهديد ذكر الوعيد وأما كونه على ألسنة الرسل فذلك أمر لا يقف التخويف عليه ولا بد حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول لكان الخوف منه حسيا كافيا والله أعلم

الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا و (ما لكم) جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا (من زوال) والمعنى أقسمتم أنكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار أخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت * يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) لان السكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديه بفى كقولك قر فى الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالاخبار والمشاهدة (كيف) أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون (وضربنا لكم الامثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم (وعند الله مكرهم) لا يخلو اما أن يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وان عظم مكرهم وتبالغ فى الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أى وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها وقرأ على وعمر رضى الله عنهما وان كاد مكرهم (مخلف وعده رسله) يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى (فان قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثانى على الاول (قلت) قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه فى الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم (عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض) انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفى الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات واختلف فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هى تلك الارض وانما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون (فان قلت) كيف قال (الواحد القهار) (قلت) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان

مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ

القول فى سورة الحجر (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (قال ان قلت ما معنى تقليل ودادتهم الخ) قال أحمد لا شك ان العرب تعبر عن المعنى بما يؤدى عكس مقصوده كثيرا ومنه قوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله * وانما تمدح بالاكثار من ذلك (١٥٠) وقد عبر بقد المفيدة للتقليل ومنه والله أعلم وقد تعلمون أنى رسول الله والمقصود توبيخهم على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته ومناصحته لهم وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشرى آنفا ومنهم من وجهه بان المقصود فى ذلك الايذان بان المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع الى الضد وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود الى عكسه وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله * ولجدت حتى كدت تبخل حائلا * للمنتهى ومن السرور بكاء * وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام منه على المبالغة بنوع من الايقاظ اليها والعمدة فى ذلك على سياق الكلام لانه اذا اقتضى مثلا تكثيرا فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بان المراد المبالغة على احدى الطريقتين المذكورتين والله أعلم

الامر فى غاية الصعوبة والشدة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين وقوله (فى الاصفاد) اما أن يتعلق بمقرنين أى يقرنون فى الاصفاد واما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وأنشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق

* القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهى القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به فى الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامى والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآنى المتناهى حره (وتغشى وجوههم النار) كقوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون فى النار على وجوههم لان الوجه أعز موضع فى ظاهر البدن وأشرفه كالقلب فى باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى أى يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزى الله كل نفس) مجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم (هذا بلاغ للناس) كفاية فى التذكير والموعظة يعنى بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (ولينذروا) معطوف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا (به) بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا أنما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

(سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات * والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وأى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان * قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف (فان قلت) لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضى (قلت) لان المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ود (فان قلت) متى تكون ودادتهم (قلت) عند الموت أو يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا باب من الودادة (فان قلت) فما معنى التقليل (قلت) هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون فى تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل

مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب

(سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا

منه كما من الكثير وكذلك المعنى فى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة و(لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جىء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذلك فلذلك قلل (ذرهم) يعنى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وأن لا يلقوا فى العاقبة الا خيرا (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم والغرض الايذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجىء منهم الا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالغ فى تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما فى العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة فى الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على أن ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الامل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ فى الدنيا من أخلاق الهالكين (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب كتاب (معلوم) مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح وبين ألا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) فى موضع كتابها وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال (وما يستأخرون) بحذف عنه لانه معلوم * قرأ الاعمش يا أيها الذى ألقى عليه الذكر وكأن هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء فى كتاب الله فى مواضع منها فبشرهم بعذاب أليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا فى كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى أن الله نزل عليك الذكر * لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشىء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى

والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتى الامم المكذبة برسلها * قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل ونزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة (الا بالحق) الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة فى أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبى صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحى أو العذاب و(اذا) جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم فى قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذى بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه (فان قلت) فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وانا له لحافظون) (قلت) قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك (فى شيع الاولين) فى فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى

لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين

* قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (قال هذا رد لانكارهم واستهزائهم الخ) قال أحمد ويحتمل أن يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى وذلك أيضا من الدليل على أنه من عند الله كما قال تعالى فى آية أخرى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

* قوله تعالى كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين (قال معناه يلقيه فى قلوبهم مكذبا به الخ) قال أحمد والمراد والله أعلم اقامة الحجة على المكذبين بان الله تعالى سلك القرآن فى قلوبهم وأدخله فى سويدائها كما سلك ذلك فى قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بانهم مافهموا وجوه الاعجاز كما فهمها من آمن فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم فى مهلة وامكان أنهم ما كفروا الا على علم معاندين باغين غير معذورين والله أعلم ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون أى هؤلاء

فهموا القرآن وعلموا وجوه اعجازه وولج ذلك فى قلوبهم ووقر ولكنهم قوم بحبتهم العناد وشيمتهم اللدد حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها الى الايمان بضرورة المشاهدة وذلك بان يفتح لهم بابا فى السماء ويعرج بهم اليه حتى يدخلوا منه نهارا والى ذلك الاشارة بقوله فظلوا لان الظلول انما يكون نهارا لقالوا بعد هذا الايضاح العظيم المكشوف انما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد وما هذه الاخيالات لاحقائق تحتها فأسجل عليهم بذلك أنهم لاعذر لهم فى التكذيب من عدم سماع ووعى ووصول الى القلوب وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لان ذلك كله حاصل لهم وانما بهم العناد واللدد والاصرار لاغير والله أعلم

وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وانا لنحن نحيى ونميت

أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال * يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر أى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر (فى قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعنى مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه (سنة الاولين) طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم * وقرئ يعرجون بالضم والكسر و (سكرت) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو السكر وقرئ سكرت بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر أى حارت كما يحار السكران والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شئ نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك * وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (من استرق) فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين (موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (معايش) بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم أنهم هم الرازقون ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور فى لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور * ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (لواقح) فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير ريح عقيم والثانى أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال * ومختبط مما تطيح الطوائح * يريد المطاوح جمع مطيحة * وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه

خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجز هم (ونحن الوارثون) أى الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقى وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعله الوارث منا (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين فى صفوف الجماعة والمستأخرين وروى أن امرأة حسناء كانت فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت (هو يحشرهم) أى هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم (إنه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علما بكل شئ * الصلصال الطين اليابس الذى يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن * والحمأ الطين الاسود المتغير * والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أى أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة فى أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا (من حما) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حما وحق (مسنون) بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر (والجان) للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمزة (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (سويته) عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه * واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا و (أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى * حرف الجر مع أن محذوف تقديره (مالك) فى (ألا تكون مع الساجدين) بمعنى أى غرض لك فى ابائك السجود وأى داع لك اليه * اللام فى (لأسجد) لتأكيد النفى ومعناه لا يصح منى وينافى حالى و يستحيل أن أسجد لبشر (رجيم) شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها * والضمير فى منها راجع الى الجنة أو السماء أو الى جملة الملائكة * وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه أبعد غاية يضربها الناس فى كلامهم كقوله مادامت السموات والارض فى التأبيد واما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن فى السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه * ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة * وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف (بما أغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لأزينن) والمعنى أقسم باغوائك اياى لأزينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى برئ من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما أغويتنى لأزينن (لهم) قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين فى أنه اقسام الا أن أحدهما اقسام بصفته والثانى اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائى أقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بى من التسبيب لاغوائهم بأن أزين لهم المعاصى وأوسوس اليهم بما يكون سبب

ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم



هلا كهم (فى الارض) فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه أو أراد انى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو فى السماء فأنا على التزيين لاولاده فى الارض أقدر أو أراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزيينى فيها أى لازيننها فى أعينهم ولاحدثنهم بأن الزينة فى الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح فى عراقيبها نصلى ٭ استثنى المخلصين لانه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه ٭ أى (هذا) طريق حق (على) أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى الامن اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ على وهو من علو الشرف والفضل (لموعدهم) الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضى الله عنه أن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ٭ وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهرى جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاى كقولك خب فى خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف ٭ المتقى على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وعن ابن عباس رضى الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها (ادخلوها) على ارادة القول وقرأ الحسن أدخلوها (بسلام) سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن فى القلب من انغل فى جوفه وتغلغل أى ان كان لاحدهم فى الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له على مرحبا بك يا ابن أخى أما والله انى لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة فى مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحاب و (اخوانا) نصب على الحال و (على سرر متقابلين) كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين ٭ لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبئ عبادى) تقرير الما ذكر وتمكينا له فى النفوس ٭ وعن ابن عباس رضى الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف (ونبئهم) على نبئ عبادى ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الاليم (سلاما) أى نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما (وجلون) خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ٭ وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله يوجله اذا أخافه وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله ٭ وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل ٭ يعنى (أبشرتمونى) مع مس الكبر بأن يولد لى أى أن الولادة أمر عجيب مستنكر فى العادة مع الكبر (فبم تبشرون) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأى أعجوبة تبشرونى أو أراد أنكم تبشرونى بما هو غير متصور فى العادة فبأى شئ تبشرون يعنى لا تبشرونى فى الحقيقة بشئ لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شئ ويجوز أن لا يكون صلة للبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعنى بأى طريقة تبشرونى بالولد والبشارة به لا طريقة لها فى العادة ٭ وقوله (بشرناك بالحق) يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أى بشرناك باليقين الذى لا لبس فيه أو بشرناك بطريقة هى حق وهى قول الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر ٭ وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والأصل تبشروننى وتبشرونّ بادغام نون الجمع فى نون العماد ٭ وقرئ من القنطين من قنط يقنط ٭ وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث فى النون ٭ أراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب أو الا الكافرون كقوله لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون يعنى لم أستنكر

فى الأرض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين

ذلك

٭ قوله تعالى انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين (قال ان قلت هل الاستثناء الاول متصل الخ) قال أحمد وجعله الاول منقطعا أولى وأمكن وذلك ان فى استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعدا من حيث ان موقع الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل المستثنى فى حكم الاول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها الا فى سياق نفى لانها حينئذ أعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء ومن ثم لم يحسن رأيت قوما الا زيدا وحسن ما رأيت أحدا الا زيدا والله أعلم ٭ عاد كلامه (قال فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير فى قوله قدرنا انها لمن الغابرين الخ) قال أحمد وهذه أيضا من دفائنه الاعتزالية فى جحد القضاء والقدر واعتقاد أن الامر أنف لانهم لا يعتقدون ان الله تعالى مريد لأكثر (١٥٥) أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد بمعنى انه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وارادته فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ثم استدل على أن التقدير هو العلم بتعليق فعله عن العمل وذلك من خواص فعل العلم واخوانه فانظر الى بعد غوره ودقة فطنته فى ابتغاء السنة بلقفها ويعاندها البراهين الواضح فلقفها وفى كلامه شاهد على رده فان التقدير عنده مضمن معنى العلم ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر أن يبقى على معناه الاصلى مضافا اليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعا فالتقدير اذا كما أفاد العلم الطارئ يفيد الارادة أصلا ووضعا والله أعلم على أن من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكى عن الملائكة وهو الظاهر فان الذى يجعله من قول الملائكة يحتاج فى نسبتهم التقدير الى أنفسهم الى تأويل ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا وانما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الزمخشرى وان كان أصله لا يحتاج معه الى التأويل لانه اذا جعل قدرنا بمعنى علمنا انها لمن الغابرين فلا غرو فى علم الملائكة ذلك باخبار الله تعالى اياهم به وانما يحتاج الى التأويل من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة والله أعلم

ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى أجراها الله (فان قلت) قوله تعالى (الا آل لوط) استثناء متصل أم منقطع (قلت) لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير فى مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (فان قلت) فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين (قلت) نعم وذلك أن آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الارسال وعلى أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر أو السهم الى المرمى فى أنه فى معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال وعلى أن الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما فى الوجه الاول (فان قلت) فقوله (انا لمنجوهم) بم يتعلق على الوجهين (قلت) اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (فان قلت) فقوله (الا امرأته) مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء فى شئ لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم فى قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفى قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فأما فى الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء ٭ وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم جاز تعليق فعل التقدير فى قوله (قدرنا إنها لمن الغابرين) والتعليق من خصائص أفعال القلوب (قلت) لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم (فان قلت) فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله (قلت) لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذى ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف (منكرون) أى تنكركم نفسى وتنفر منكم فأخاف أن تطرقونى بشر بدليل قوله (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك (بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فى الاخبار بنزوله بهم ٭ وقرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير ٭ والقطع فى آخر الليل قال

الا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا

افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما يمضى شئ صالح من الليل (فان قلت) مامعنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد فى شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل عن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات فى تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذى يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذى يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى اليه أخادعه كما قال

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * رجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لأن من يتلفت لابد له فى ذلك من أدنى وقفة (حيث تؤمرون) قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لأن حيث مبهم فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون * وعدى قضينا بالى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر (ذلك الامر) بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفى قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعنى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (أهل المدينة) أهل سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور مستبشرين بالملائكة (لا تفضحون) بفضيحة ضيفى لان من أسىء الى ضيفه أو جاره فقد أسىء اليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم (ولا تخزون) ولا تذلون باذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان أو ولا تشوروا بى من الخزاية وهى الحياء (عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط (هؤلاء بناتى) أشارة الى النساء لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتى فانكحوهن وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) شك فى قبولهم لقوله كأنه قال ان فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم (لعمرك) على ارادة القول أى قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك (انهم لفى سكرتهم) أى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل فى قولك بالله وقرئ فى سكرهم وفى سكراتهم (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (من سجيل) قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أى معلمة بكتاب (للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشئ يقال توسمت فى فلان كذا أى عرفت وسمه فيه * والضمير فى عاليها سافلها القرى قوم لوط (وانها) وان هذه القرى يعنى آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين (أصحاب الأيكة) قوم شعيب (وانهما) يعنى قرى قوم لوط والأيكة وقيل الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر

حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب

* قوله تعالى واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد (قال ان قلت مامعنى أمره باتباع أدبارهم الخ) قال أحمد ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال وما أعجلك عن قومك ياموسى والله أعلم * عاد كلامه (قال وانما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب الخ) قال أحمد ولقد شملت هذه الآية

على وجازتها آداب المسافرين لهم دينى أودنيوى من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع ما فرطنا فى الكتاب من شئ * قوله

البناء واللوح الذى يكتب فيه لانها مما يؤتم به (أصحاب الحجر) ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام (المرسلين) يعنى بتكذيبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير وأصحابه وعن جابر مررنا مع النبى صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر النبى صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد (الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح) فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وهو (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم أو ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح الى أن يكون السيف أصلح وفى مصحف أبى وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب (سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هى آل حم أو سبع صحائف وهى الاسباع و(المثانى) من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها فى الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان أو للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان اذا أردت الاسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثانى لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها (فان قلت) كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشئ على نفسه (قلت) اذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعظم * أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار (فان قلت) كيف وصل هذا بما قبله (قلت) يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن العظيم فعليك أن تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبى بكر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) أى لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون * وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء (وقل) لهم (انى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (فان قلت) بم تعلق

تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم (قال ان قلت كيف وصل هذا بما قبله الخ) قال أحمد وهذا هو الصواب فى معنى

أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين

الحديث وقد حمله كثير من العلماء على الغناء وادعى هؤلاء أن تغنى انما يبنى من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور وان فعله استغنى خاصة وقد وجدت بناء تفو من الغنى المقصور فى الحديث الصحيح فى الخيل وأما التى هى ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا وانما هذا من الغنى المقصور قطعا واتفاقا وهو مصدر تغنى فدل ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعا على خلاف دعوى المخالف والله الموفق

قوله (كما أنزلنا) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على
أهل الكتاب وهم المقتسمون (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق
للتوراة والانجيل و بعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق و باطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به
فيقول بعضهم سورة البقرة لى و يقول الآخر سورة آل عمران لى ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من
كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم و بأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض
الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم
وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثانى أن يتعلق
بقوله وقل انى أنا النذير المبين أى وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى
على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان و يجوز أن
يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى أنذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر
وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا فى كل
مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فانه ساحر و يقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص
ابن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه
السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فان قلت) اذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن
الى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض
بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بأن يقبل
بمجامعه على المؤمنين * عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء قال رؤبه
* وليس دين الله بالمعضى * وقيل هى فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش
يقولون للساحر عاضه ولعن النبى صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى
الثانى هاء (لنسئلنهم) عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن أبى العالية يسأل العباد عن خلتين
عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها
جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع فى الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق
والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به *
ويجوز أن تكون ما مصدرية أى بأمرك مصدر من المبنى للمفعول * عن عروة بن الزبير فى المستهزئين هم
خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضى الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام للنبى صلى
الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيما لأخذه
فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت
وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى وأشار الى أنف الحرث بن
قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة
و يضرب وجهه بالشوك حتى مات (بما يقولون) من أقاويل الطاعنين فيك وفى القرآن (فسبح) فافزع فيما
نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك و يكشف عنك الغم * ودم على عبادة ربك
(حتى يأتيك اليقين) أى الموت أى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا
حزبه أمر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

كما أنزلنا على المقتسمين
الذين جعلوا القرآن
عضين فوربك لنسئلنهم
أجمعين عما كانوا
يعملون فاصدع بما
تؤمر وأعرض عن
المشركين إنا كفيناك
المستهزئين الذين يجعلون
مع الله إلها آخر فسوف
يعلمون ولقد نعلم أنك
يضيق صدرك بما
يقولون فسبح بحمد
ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين

قوله الحرث بن قيس
كتب عليه انما يصح
اذا كان الطلاطلة لقب
قيس والافليس من
المعدودين قبل اه
وعبارة أبى السعود فى
الف والحرث بن قيس
ابن الطلاطلة اه كتبه
مصححه

(سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وتسمى سورة النعم وهى مائة وثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى
أمر الله) الذى هو بمنزلة الآتى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى أنه لما نزلت
اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى
ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما
امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع
الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ
عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن اشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية
(فان قلت) كيف اتصل هذا باستعجالهم (قلت) لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ
تشركون بالتاء والياء * قرئ ينزل بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أى تتنزل (بالروح من أمره) بما
يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد و (أن أنذروا) بدل من
الروح أى ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أى بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون أن مفسرة لان
تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا اله الا أنا) أعلموا بأن الامر ذلك من نذرت بكذا
اذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولى لا اله الا أنا (فاتقون) ثم دل على وحدانيته وأنه لا اله الا هو بما
ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق
البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن
يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء (فاذا هو خصيم مبين) فيه معنيان أحدهما فاذا هو منطيق مجادل
عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته
والثانى فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا للانسان بالافراط فى
الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة وقيل نزلت فى أبى بن خلف الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم (الانعام) الازواج الثمانية وأكثر ما تقع على
الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه و يجوز أن يعطف على الانسان أى خلق الانسان
والانعام ثم قال (خلقها لكم) أى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان * والدفء اسم ما يدفأ به كما أن
الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء
حركتها على الفاء (ومنافع) هى نسلها ودرها وغير ذلك (فان قلت) تقديم الظرف فى قوله (ومنها تأكلون)
مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم وأما
الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه و يحتمل أن
طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها
وألبانها وجلودها * من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من
معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب
فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند
الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا (فان قلت) لم قدمت الاراحة على التسريح (قلت)
لان الجمال فى الاراحة أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت الى الحظائر حاضرة لاهلها
* وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا يجزى والد * قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان فى

(سورة النحل مكية
وهى مائة وثمان
وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أتى أمر الله فلا تستعجلوه
سبحانه وتعالى عما
يشركون ينزل الملائكة
بالروح من أمره على
من يشاء من عباده أن
أنذروا أنه لا اله الا أنا
فاتقون خلق السموات
والارض بالحق تعالى
عما يشركون خلق
الانسان من نطفة
فاذا هو خصيم مبين
والأنعام خلقها لكم فيها
دفء ومنافع ومنها
تأكلون ولكم فيها
جمال حين تريحون
وحين تسرحون وتحمل
أثقالكم الى بلد

(القول فى سورة النحل)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى والانعام
خلقها لكم فيها دفء
ومنافع ومنها تأكلون
(قال ان قلت لم قدم
المجرور وأجاب بأن
الاكل منها هو الاصل
الخ) قال أحمد ومدار
هذا التقرير على أن
تقديم معمول الفعل
يوجب حصره فيه
فكأنه قال وانما تأكلون
منها

* قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (قال ان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها الان العادة ان المسافر لا يستغنى عن أثقال يستصحبها والمعنى الاول أعلى والله أعلم * قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (قال ان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد الخ) قال أحمد يعنى جاز أن ينتصب مجردا من لام التعليل لانه فعل فاعل الفعل الاول و يعينه اقتران الركوب باللام لانه فعل المخاطبين ومتى لم يتحد الفاعل تعين الحاق اللام وفى هذا الجواب نظر فان لقائل أن يقول كان من الممكن مجيئهما معا باللام فيأتيان على سنن واحد ولا غرو فى ذلك فالسؤال قائم والجواب العتيد عنه أن المقصود المعتبر الاصلى فى هذه الاصناف هو الركوب (١٦٠) وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبيها على انه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيها على تبعيته أو قصوره عن الركوب والله أعلم * قوله تعالى

لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر

معنى المشقة و بينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد (فان قلت) ما معنى قوله (لم تكونوا بالغيه) كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل أثقالهم (قلت) معناه وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد أنفسكم لا أنهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة (فان قلت) كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه (قلت) طباقه من حيث ان معناه وتحمل أثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة (لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام أى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره فى الانعام (فان قلت) لم انتصب (وزينة) (قلت) لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها (فان قلت) فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد (قلت) لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أى وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا منها أى وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال (ويخلق ما لا تعلمون) يجوز أن يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه و تفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته و يجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له فى طيه وقد حمل على ما خلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه * المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال ومنها جائر * والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله (وعلى الله قصد السبيل) أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى (فان قلت) لم غير أسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائر) (قلت) ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله برئ منه (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسرا والجاء (لكم) متعلق بأنزل أو بشراب خبرا له * والشراب ما يشرب (شجر) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (قال ومعناه أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة الخ) قال أحمد أين يذهب به عن تتمة الآية وذلك قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين ولو كان الامر كما تزعم القدرية لكان الكلام وقد هدا كم أجمعين وما كأنهم الا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فان ذهبوا الى تأويل الهداية بالقسر والالجاء فما كأنهم الا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأما المخالفة بين الاسلوبين فلان سياق الكلام لاقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر وهدى قوما اختاروا الهدى وأضل قوما اختاروا الضلالة لأنفسهم وقد تقدم فى غير ما موضع أن كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران هو من حيث كونه موجودا مخلوق لله تعالى ومضاف اليه بهذا الاعتبار وهو من حيث كونه مقترنا باختيار العبد له و بتأتيه له وتيسره عليه يضاف الى العبد وأن تعدد هذين الاعتبارين ثابت فى كل فعل فناسب اقامة الحجة على العباد اضافة الهداية الى الله تعالى باعتبار خلقه لها واضافة الضلال الى العبد باعتبار اختياره له والحاصل انه ذكر فى كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة فى الآخر ليناسب ذلك اقامة الحجة ألا لله الحجة البالغة والله الموفق للصواب

* عاد كلامه الى قوله لتأكلوا منه لحما طريا (قال هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه الخ) قال أحمد فكأن ذلك تعليم لا كله وارشاد الى أنه لا ينبغى أن يتناول الا طريا والاطباء يقولون ان تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شئ يكون والله أعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (قال الحلية هى اللؤلؤ والمرجان الخ) قال أحمد ولله در مالك (١٦١) رضى الله عنه حيث جعل الزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحقه فيه بالتجمل فانظر الى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن حتى جعل حظ المرأة من مالها وزينتها حلية له فعبر عن حظه فى لبسها بلبسه كما يعبر عن حظها سواء مؤيدا بالحديث المروى فى الباب والله أعلم * قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآية (قال ان قلت من لا يخلق أريد به الاصنام الخ) قال أحمد هو يحوم على أن العباد يخلقون أفعالهم وان المراد اظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم و بين الاصنام بطريق الاولى ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد انه يثبت خلق العبد لافعاله بتنزيله الآية على

فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات و بالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله

يعنى الكلأ (تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض * قرئ ينبت بالياء والنون (فان قلت) لم قيل (ومن كل الثمرات) (قلت) لان كل الثمرات لا تكون الا فى الجنة وانما أنبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة (يتفكرون) ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته * والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبى بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع * قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل و يبتغون من فضله بالنهار و يعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر و يهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها فى حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره و يجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم) معطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر (لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه (فان قلت) ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى (قلت) مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق أن لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث (حلية) هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم * المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح * وابتغاء الفضل التجارة (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذى يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل ألا ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا (وعلامات) هى معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك * والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى أيدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ الحسن و بالنجم بضمتين و بضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا (فان قلت) قوله (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل و بالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم (قلت) كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (فان قلت) من لا يخلق أريد به الاصنام فلم جىء بمن الذى هو لاولى العلم (قلت) فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم ألا ترى الى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون والثانى المشاكلة بينه و بين من يخلق

والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعنى أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح أن يعبدوا (فان قلت) هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق (لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد (ان الله لغفور رحيم) حيث يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أعمالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول * نفى عنهم خصائص الآلهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى (أموات غير أحياء) أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت كالحى الذى لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعنى أن من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التى ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التى تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق فى موتها (وما يشعرون أيان يبعثون) أى وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حى الا الحى القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أى لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة (الهكم اله واحد) يعنى أنه قد ثبت بما تقدم من ابطال أن تكون الالهية لغيره أنه اله وحده لا شريك له فيها * فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم) سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعنى المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه (ماذا) منصوب بأنزل بمعنى أى شئ (أنزل ربكم) أو مرفوع بالابتداء بمعنى أى شئ أنزله ربكم فاذا نصبت فمعنى (أساطير الاولين) ما يدعون نزوله أساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع (فان قلت) هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم وأساطير (قلت) هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الاولين وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم) أى قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم (كاملة) وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر (بغير علم) حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل * القواعد أساطين البناء التى تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعنى أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله

لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم

هذا التأويل ويتمنى لو تم له ذلك * وما كل ما يتمنى المرء يدركه * عاد كلامه (قال فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى وكان من حق الالزام الخ) قال أحمد وقد تقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى وليس الذكر كالانثى فجدد بها عهدا

* قوله تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا الى قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (قال يعنى أنهم أشركوا بالله (١٦٣) وحرموا ما أحل الله الخ) قال أحمد

ورسوله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا * ومعنى اتيان الله اتيان أمره (من القواعد) من جهة القواعد (من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون * وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين (يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الآخرة (شركاءى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) هم الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة * قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء فى التاء (فألقوا السلم) فسالموا وأخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم * خيرا) أنزل خيرا (فان قلت) لم نصب هذا ورفع الاول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ وروى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد ان رجعت الى قومى دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله (للذين أحسنوا) وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه (حسنة) مكافأة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح (طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة (تأتيهم الملائكة) قرئ بالتاء والياء يعنى أن تأتيهم لقبض الارواح و (أمر ربك) العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) أى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير (سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم أو هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها * هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه (كذلك فعل

من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل

قد تكرر منه مثل هذا الفصل فى أخت الآية المتقدمة فى سورة الانعام وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع ان شاء الله والذى زاده هنا يثبت

معتقده على ما زعمه بقوله تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ووجه تمسكه به ان الله تعالى قسم العبادة الى قسمين مأمور به ومنهى عنه والامر والنهى عند المصنف راجعان الى المشيئة بناء على زعم القدرية فى انكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الارادة فالحاصل (١٦٤) حينئذ من هذه التتمة ان الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت ولم يشأ منهم ان يشركوا به وأخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه الى أمة من الامم فجاءت التتمة

الذين من قبلهم) أى أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم (فهل على الرسل الا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان و يطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه * ولقد أمدّ ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) أى لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتى منه خير (فسيروا فى الارض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى أنى لا اقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالاشرار * ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه (لا يهدى من يضل) أى لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى أى لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة أبى فان الله لا هادى لمن يضل ولمن أضل وهى معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدّى بادغام تاء يهتدى وهى معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعى ان تحرص بفتح الراء وهى لغية (وأقسموا بالله) معطوف على وقال الذين أشركوا ايذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدونا تورك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه و(بلى) اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم * ووعد الله مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شئ لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم) كذبوا فى قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وفى قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب (قولنا) مبتدأ و(أن نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى اذا أردنا وجود شئ فليس الا أن نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لأن مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند ارادته تعالى غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول (والذين هاجروا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة

يشركوا به وأخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه الى أمة من الامم فجاءت التتمة مترجمة عن معنى صدر الآية مؤكدة بمقتضاها هذا هو الذى زاده المصنف ههنا وقد بينا أن مبناه على انكار كلام النفس الثابت قطعا فهو باطل جزما والعجب أن الله تعالى أوضح فى الآيتين جميعا ان الذى أنكره من القائلين لو شاء الله ما أشركنا انما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التى لا حجة لهم فيها مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبقوله فى آخر آية الانعام فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فبين فيهما انه هو الذى شاء منهم الاشراك والضلالة ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهتدوا عن آخرهم وحصل من هذا البيان صرف الانكار عليهم الى غير نسبة المشيئة لله تعالى وذلك هو الذى قدمناه فى اقامتهم الحجة على الله بمشيئته مع ان حجتهم فى ذلك داحضة ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة والله الموفق

الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا

ففروا

ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لأطاعه فكيف (فى الله) فى حقه ولوجهه (حسنة) صفة للمصدر أى لنبوأنهم تبوئة حسنة وفى قراءة على رضى الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم فى الدنيا منزلة حسنة وهى الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضى الله عنه أنه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك فى الدنيا وما ذخر لك فى الآخرة أكثر وقيل لنبوأنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أى لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين فى أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا فى دينهم ويجوز أن يرجع الضمير الى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله * قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فقيل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) على ألسنة الملائكة (فاسئلوا أهل الذكر) وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا (فان قلت) بم تعلق قوله (بالبينات) (قلت) له متعلقات شتى فاما أن يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان أصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له أى رجالا ملتبسين بالبينات واما بأرسلنا مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى أى يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على أن الشرط فى معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فأعطنى حقى وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ما نزل اليهم) يعنى ما نزل الله اليهم فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) وارادة أن يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا (مكروا السيئات) أى المكرات السيآت وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فى تقلبهم) متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم (على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

أى يأخذهم على أن يتنقصهم شيأ بعد شئ فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم * قرئ أولم يروا و يتفيؤ بالياء والتاء * وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفيؤ ظلاله) * واليمين بمعنى الأيمان و(سجدا) حال من الظلال (وهم داخرون) حال من الضمير فى ظلاله لانه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التى لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أى عن جانبى كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبى الشئ أى ترجع الظلال من جانب الى جانب

فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض

* قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة الآية (قال ان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام
خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد الخ) قال أحمد وهذا مما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه
شمولا ولم ير ذلك متناقضا فان السجود يتناول فعل المكلف حقيقة ويتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه وقد أر بذا جماعة من
الآية والزمخشرى ينكر ذلك فى مواضع مررت عليها من كتابه هذا (١٦٦) وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة
عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف وهو عدم الامتناع عند القدرة به وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئا فيهما جميعا ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز لانه يأبى ذلك ولا يتم له هذا المقصد فى الآية
الذى يكون ذكره سببا لفعله سببية معتادة فى عزائم السجود لا القدر الاعم المشترك والله أعلم

منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع (من دابة) يجوز أن يكون بيانا لما فى السموات وما فى الارض جميعا على أن فى السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسى فى الارض وأن يكون بيانا لما فى الارض وحده ويراد بما فى السموات الخلق الذى يقال له الروح وأن يكون بيانا لما فى الارض وحده ويراد بما فى السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (فان قلت) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (قلت) المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قلت) فهلا جىء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لانه لو جىء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجىء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم (يخافون) يجوز أن يكون حالا من الضمير فى لا يستكبرون أى لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفى الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وإنا فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء (فان قلت) انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة وأفراس أربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله (الهين اثنين) (قلت) الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذى يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لأن الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن أن يجىء ما قبله على لفظ المتكلم (الدين) الطاعة (واصبا) حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا أو وله الجزاء ثابتا دائما سرمدا لا يزول يعنى الثواب والعقاب (وما بكم من نعمة) وأى شىء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى

من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم

والله أعلم لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوبا للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعا

* قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون (قال فيه يجوز أن يكون حالا من الضمير الخ) قال أحمد هذا الثانى هو الوجه ليس الا وأما الحال من
فيعطى انتقالا ويوهم تقييد العدم استكبارهم مع أن الواقع أن عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال والله الموفق * قوله تعالى وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد (قال ان قلت ما فائدة قوله اثنين مع اغناء التثنية عن ذلك الخ) قال أحمد وهذا الفصل من
حسناته التى لا يدافع عنها والله الموفق

قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الخ) قال فيه ظل بمعنى صار (قال أحمد وجاز أن يراد الظلول نهارا القصد
المبالغة فى وصفهم بالعناد والاصرار وانهم لو عرجوا نهارا فى الوقت الذى لا يتغابى على البصر فيه شىء الى السماء لتمادوا على كفرهم
وتكذيبهم والله أعلم * قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى (قال المراد بما يكرهونه البنات وشركاء
فى رياستهم واستخفاف برسلهم الخ) قال أحمد ونقيض هؤلاء من اذا أعجبه شىء من ماله جعله لله (١٦٧) بل اذا أحب أمة له أعتقها واذا
اشتهى طعاما قدم اليه تصدق به على حبه وانما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها ويجعلون
لله ما يشتهون اللهم ان لم ننل رتبة أوليائك فأنلنا محبتهم فمن أحب قوما حشر معهم

من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة (فان قلت) فما معنى قوله (اذا فريق منكم بربهم يشركون) (قلت) يجوز أن يكون الخطاب فى قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة (فتمتعوا فسوف تعلمون) تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد فى معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر (لما لا يعلمون) أى لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير فى لا يعلمون للآلهة أى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) من الافك فى زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه أو تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعنى البنين ويجوز فى ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور و(ظل) بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجىء ظل (٣) لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من) أجل (سوء) المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به (على هون) على هوان وذل (أم يدسه فى التراب) أم يئده * وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث وقرئ على هوان (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ (ولله المثل الأعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أى على الارض (من دابة) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم) مع ذلك (أن لهم الحسنى) عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والخرق

اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم

٢ (قول المحشى وجاز أن يراد الظلول نهارا القصد المبالغة فى وصفهم بالعناد الخ) لعل انتقال نظره اذ لا يخفى انه مما يناسب الكلام فى تفسير
قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون الآية فالمناسب حينئذ اسقاطه من هنا وليحرر اهـ مصححه

وما لا يؤبه له آما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد أن لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وأن لهم الحسنى بدل من الكذب * وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة (مفرطون) قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم (فهو وليهم اليوم) حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها أو فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي أنزل الكتاب * ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل * والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع * ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز أن يقال في الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كأجبال في جبل وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه

واذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه في معنى الجمع * وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم (من بين فرث ودم) أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طحنته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا) سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين (فان قلت) أي فرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أي كائنا من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا (فان قلت) بم تعلق قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) (قلت) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء أو يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر (فان قلت) فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا (قلت) الى المضاف المحذوف الذي هو العصير

مفرطون تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل

كما

كما رجع في قوله تعالى أو هم قائلون الى الأهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال

وجاؤنا بهم سكر علينا * فأجلى اليوم والسكران صاحي

وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد * جعلت أعراض الكرام سكرا * أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه اذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها * والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فشأنها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولي العقول عقولهم * وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى (أن اتخذي) هي أن المفسرة لأن الايحاء فيه معنى القول * قرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس (فان قلت) ما معنى من في قوله أن اتخذي (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وهلا قيل في الجبال وفي الشجر (قلت) أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها (من كل الثمرات) احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها فاذا أكلتها (فاسلكي سبل ربك) أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مأكلك أو اذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أن نهارعا أجدب عليها ما حولها فانتجعت الى البلد البعيد في طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك (ذللا) جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (شراب) يريد العسل لأنه مما يشرب (مختلف ألوانه) منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) لأنه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال ان أخي يشتكي بطنه فقال اذهب واسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع في

أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء

(قال قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها الخ) قال أحمد وبتزين هذا المعنى الذي نبه عليه الزمخشري في تبعيض من المتعلقة باتخاذ البيوت باطلاق الأكل كأنه تعالى وكل الاكل الى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وان حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض لأن مصلحة الاكل حاصلة على الاطلاق باستمراء مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الامر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والاطلاق لها في تناول الثمرات كما تقول راع الحلال فيما تأكله ثم كل أي شيء شئت فتوسط ثم لتفاوت الحجر والاطلاق فسبحان اللطيف الخبير

* قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون (قال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به الخ) قال أحمد فعلى تفسيره الاول يكون قوله لله متعلقا بالأمثال كأنه قيل فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه وعلى الثاني يكون متعلقا بالفعل الذي هو تضربوا كأنه قيل فلا تمثلوا لله الامثال فان ضرب المثل انما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفي عنه والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء الخ) قال أحمد والقول بصحة ملكه هو مذهب الامام مالك رضي الله عنه وفي هذه الآية له معتصم لأن الله تعالى مثل بالمملوك لأنه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالبا ثم أفصح عن المعنى المقصود وهو أن هذا المملوك ليس ممن اتفق أن ملكه سيده فملك وقدر بل هو على الاصل المعهود في المماليك عاجز غير قادر ولو لم يكن ملك العبد متصورا ومعهودا شرعا وعرفا لكان قوله تعالى لا يقدر على شيء كالتكرار لما فهم من قوله عبدا مملوكا وقول القائل يقول انه احتراز من المكاتب بعيد من فصاحة القرآن فانه لو كان العبد لا يصح منه ملك البتة الا في حال الكتابة لكانت ارادته حينئذ من اطلاق اللفظ كالالغاز الذي لا يعهد مثله في بيان القرآن واستيلائه على صنوف

نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيأ وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه * أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله يجحدون) فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق فانما ذلك رزقي أجريه اليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء (من أنفسكم) من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم * والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الأجمال

واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الامرين (من الطيبات) يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا أمارة فليس لهم ايمان الا به كأنه شيء معلوم مستيقن * ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها الذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم * الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به (شيأ) كقوله أو اطعام يتيما على لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للايملك أي لا يملك شيأ من الملك * ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا أو صفة ان كان اسما لما يرزق * والضمير في (ولا يستطيعون) لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولوا ألباب من ذلك شيأ فكيف بالجماد الذي لا حس به (فان قلت) ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد (قلت) ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لانهم موات الا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم (فلا تضربوا لله الامثال) تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة (ان الله يعلم) كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم (وأنتم لا تعلمون) كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون * ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء (فان قلت) لم قال (مملوكا لا يقدر على شيء) وكل

أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء

البلاغة ومثل هذا أنكره الامام أبو المعالي على من حمل قوله عليه السلام أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها على المكاتبة لبعد القصد اليها على شذوذها * وأما الاحتراز به عن المأذون له فينبني على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف وان لم يكن المأذون له مالكا عند هذا القائل وهذا بعيد عن مطابقة قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانها توجب أن يكون المراد بقوله لا يقدر على شيء لا يملك شيأ من الرزق كما تقول في الحر المفلس فلان لا يقدر على شيء أي لا يملك شيأ يقدر على التصرف فيه فتلخص من هذا البحث أن في الآية محالا لنصرة مذهب مالك وان كان لقائل أن يقول هذه الصفة لازمة كالايضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك كأنه قيل وانما ضربنا المثل بالمملوك لان صفته اللازمة له وسمته المعروفة به انه لا يقدر على شيء أي لا يصح منه ملك وكثيرا ما يجيء الحال والصفة لا يقصد بواحد منهما تقييد ولا تخصيص ولكن ايضاح وتفسير ومن ذلك قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فقوله لا برهان له به لا يقصد به تمييز اله سوى الله من اله لأن كل مدعو الها غير الله تعالى لا برهان به وانما أريد أن عدم البرهان من لوازم دعاء اله غير الله تعالى فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد ولنا أن نقول في دفعه ان الأصل في الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد وأما الوارد من ذلك لازما فنادر على خلاف الاصل والله الموفق

عبد مملوك وغير قادر على التصرف (قلت) أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له (فان قلت) من في قوله (ومن رزقناه) ما هي (قلت) الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة (فان قلت) لم قيل (يستوون) على الجمع (قلت) معناه هل يستوي الاحرار والعبيد * الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوي هو ومن) هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو (يأمر) الناس (بالعدل) والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع * وقرئ أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرأ ابن مسعود أينما يوجه على البناء للمفعول (ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (الا كلمح البصر أو هو أقرب) أي هو عند الله وان تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده * قرئ أمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمات كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال * أمهتي خندف والياس أبي * (لا تعلمون شيأ) في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيأ من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم * والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى * قرئ ألم يروا بالتاء والياء (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والاسباب المواتية لذلك * والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك أبعد منه واللوح مثله (ما يمسكهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته (من بيوتكم) التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف (بيوتا) هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل في الضرب

ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها

* قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم (قال المراد خف عليكم حملها ونقلها الخ) قال أحمد والتفسير الاول أولى لان ظهور المنة فى خفتها انما يتحقق فى حال السفر وأما المستوطن فغير متنقل وما أحسن قول الزمخشرى فى يوم اقامتكم ان المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم والله أعلم * قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم (قال هى القمصان والثياب من الصوف والكتان (١٧٢) وغيرها الخ) قال أحمد يعنى عند العرب وخصوصا قطان الحجاز وهم الاصل فى هذا

يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

والنقض والنقل (يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) أى يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هى خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم بمعنى الوقت (ومتاعا) وشيأ ينتفع به (الى حين) الى أن تقضوا منه أوطاركم أو الى أن يبلى ويفنى أو الى أن تموتوا * وقرئ يوم ظعنكم بالسكون (مما خلق) من الشجر وسائر المستظلات (أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة فى الجبال والغيران والكهوف (سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقى من الحر يقى من البرد فدل ذكر الحر على البرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره (لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة أى تشكرون فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب (يعرفون نعمت الله) التى عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سببا فى نيلها (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (شهيدا) نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون أى لا يقال لهم أرضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل (فان قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها أنهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا ادلاء بحجة (وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه) وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون) كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية * ان أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التى دعوناها شركاء وان أرادوا الشياطين فلأنهم شركاؤهم فى الكفر وقرناؤهم فى الغى و (ندعوا) بمعنى نعبد (فان قلت) لم قالوا (انكم لكاذبون) وكانوا يعبدونهم على الصحة (قلت) لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين فى قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما أشركتمونى من قبل (وألقوا) يعنى الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين

الخطاب * عاد كلامه (قال وقيل ان ما يقى الحر يقى البرد فدل ذكره عليه) قال أحمد والاول أظهر ألا ترى الى تقديم المنة بالظلال التى تقى من القضا فى قوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالا فدل على أن الأهم عند المخاطبين وقاية الحر فامتن الله عليهم بأعظم نعمه موقعا عندهم وقول القائل ان ما يقى الحر يقى البرد مشهود عليه بالعرف فان الذى يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها وليس ذلك من لبوس البرد بل لو لبس الانسان فى كل واحد من الفصلين القيظ والبرد لباس الآخر يعد من الثقلاء

كذبوهم

* قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال العدل الواجب والاحسان الندب) قال أحمد وفى جمعهما تحت الامر ما يدل لمن قال ان صيغة الامر أعنى هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة افعل تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضوعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم * عاد كلامه (قال وانما كان الواجب عدلا لأن الله تعالى عدل فيه على عباده الخ) قال أحمد وهذه واحدة من الاعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لانه ظلم وجور وذلك على الله محال والحق والسنة ان كل قضاء الله عدل وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة على مقتضى توحيد أهل السنة المعتقدين أن كل موجود بقدرة الله تعالى حدث ووجد لا شريك له فى ملكه وكيف يكون شريكه عبدا مسخرا فى قبضة ملكه هذا هو التوحيد المحض واذا كان العبد مكلفا بما هو من فعل الله فهذا عين التكليف بما لا يطاق ولكن ذلك عدل من الله تعالى وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من التأتى والتيسر فى الافعال الاختيارية التى هى (١٧٣) محال التكاليف والله الموفق

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون

كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) فى أنفسهم * وحملوا غيرهم على الكفر * يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل فى زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله (شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (تبيانا) بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء فى كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه فى غير القرآن (فان قلت) كيف كان القرآن تبيانا (لكل شئ) (قلت) المعنى أنه بين كل شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع فى قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم فى قوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شئ * العدل هو الواجب لأن الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم (والاحسان) الندب وانما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغى أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل * والفواحش ما جاوز حدود الله (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغى) طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمرى انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون * عهد الله هى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا) أيمان البيعة (بعد توكيدها) أى بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل (كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن

عاد كلامه (قال وانما قرنهما فى الامر لان الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب الخ) قال أحمد وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن فيقال المحكوم بفلاحه لاجله انما هو الصدق فى سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة والله أعلم * عاد كلامه (قال والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول) قال أحمد وهذه أيضا لفتة الى الاعتزال ولو قال والمنكر ما أنكره الشرع لوافق الحق ولكنه لا يدع بدعة المعتزلة فى التحسين والتقبيح بالعقل والله الموفق * عاد كلامه (قال والبغى طلب التطاول بالظلم) قال أحمد وأصل موضوعه الطلب ومنه ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله ولكن صار مطلقه خاصا بطلب الظلم عرفا * عاد كلامه (قال وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه الخ) قال أحمد ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة لاحظ التطبيق بين ذكر النهى عن البغى فيها وبين الحديث الوارد فى أن المناصب لعلى باغ حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب على تقتلك الفئة الباغية والله أعلم فقتل مع على يوم صفين

* قوله تعالى ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة (قال معناه على طريقة الالجاء والقسر) قال أحمد وهذا تفسير اعتزالى قد قدم أمثاله فى أخوات هذه الآية وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو الدالة على أن مشيئة الله تعالى لايمان الخلق كلهم ما وقعت وانه انما شاء منهم الافتراق والاختلاف فايمان وكفر وتصديق وتكذيب كما وقع منهم ولوشاء شمولهم بالايمان لوقع فيصادم الزمخشرى هذا النص ويقول قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة ولكن لم يقع مراده فاذا قيل له فعلام تحمل المشيئة فى الآية قال على مشيئة ايمانهم قسرا لا اختيارا وهذه المشيئة لم تقع اتفاقا عاد كلامه (قال ومما يدل على أن الله لم يبن الامر على الاجبار وانما بناه على الاختيار قوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم عملا يسئلون

ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

عليه (ولا تكونوا) فى نقض الأيمان كالمرأة التى أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هى ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون) حال و (دخلا) أحد مفعولى اتخذ يعنى ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أى مفسدة ودغلا (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هى أربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين (انما يبلوكم الله به) الضمير لقوله أن تكون أمة لأنه فى معنى المصدر أى انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم (وليبين لكم) انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك (ولكن) الحكمة اقتضت أن يضل (من يشاء) وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه (ويهدى من يشاء) وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الايمان يعنى أنه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذى لا يستحق به شئ من ذلك وحققه بقوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسئلون عنه * ثم كرر النهى عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) فى الدنيا بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة * كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا (انما عند الله) من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة (خير لكم * ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد * وقرئ ولنجزين بالنون والياء (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (فان قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة (فان قلت) (من) متناول فى نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما (قلت) هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا أنه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل (من ذكر أو أنثى) على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا (حياة طيبة) يعنى فى الدنيا

وهو

عنه) قال أحمد أما أهل السنة الذين يسميهم المصنف مجبرة فهم من الاجبار بمعزل لانهم يثبتون للعبد قدرة واختيارا وأفعالا وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده فيجعلون قدرته تعالى هى الموجدة وأثرة وقدرة العبد مقارنة فحسب تمييزا بين الاختيارى والقسرى وتقوم بها حجة الله على عبده والله الموفق * قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها (قال ان قلت لم وحدت القدم ونكرت الخ) قال أحمد ومن جنس افادة التنكير ههنا التقليل افادته له فى قوله تعالى وتعيها أذن واعية وفى قوله عز وجل اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فنكر الاذن والنفس تقليلا للواعى من الناس لما يقضى بسداده والناظر من الخلق فى أمر معاده والله الموفق

وهو الظاهر لقوله (ولنجزينهم) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال فى أمره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعنى فى الجنة وقيل هى حلاوة الطاعة والتوفيق فى قلبه * لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ايذانا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التى يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا أكلت فسم الله (فان قلت) لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل (قلت) لأن الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوى وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (ليس له سلطان) أى تسلط وولاية على أولياء الله يعنى أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته (انما سلطانه) على من يتولاه ويطيعه (به مشركون) الضمير يرجع الى ربهم ويجوز أن يرجع الى الشيطان على معنى بسببه وغروره ووسوسته * تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة * والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله (والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة (فان قلت) هل فى ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس (قلت) فيه أن قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفى نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن فى ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها * فى ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيأ فشيأ على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة فى خروجه عن الحكمة و (روح القدس) جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها (بالحق) فى موضع الحال أى نزله ملتبسا بالحكمة يعنى أن النسخ من جملة الحق (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف * أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومى كان لعامر بن الحضرمى * وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمنى وقيل هو سلمان الفارسى * واللسان اللغة * ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذى

ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه

أعجمى وهذا لسان عربى مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون

عياون قولهم عن الاستقامة اليه لسان (أعجمى) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال لطعنهم * وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفى قراءة الحسن اللسان الذى يلحدون اليه بتعريف اللسان (فان قلت) الجملة التى هى قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ما محلها (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون (لا يهديهم الله) لا يلطف بهم لانهم من أهل الخذلان فى الدنيا والعذاب فى الآخرة لا من أهل اللطف والثواب (انما يفترى الكذب) رد لقولهم انما أنت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه (وأولئك) اشارة الى قريش (هم الكاذبون) أى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو الى الذين لا يؤمنون أى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر (من كفر) بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه * واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله) ويجوز أن يكون بدلا من المبتدا الذى هو أولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون على وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين فى الاسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمى أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن اسلامهما وهاجرا (فان قلت) أى الأمرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه (قلت) بل فعل أبويه لأن فى ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فىّ قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فىّ قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك) اشارة الى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم (وأولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (ثم ان ربك) دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لا عليهم يعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى وأشباهه (من بعدها) من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) منصوب برحيم أو باضمار اذكر (فان قلت) ما معنى النفس المضافة الى النفس (قلت) يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف (رغدا) واسعا * والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفى الحديث نادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها أيام طعم ونعم فلا تصوموا (فان قلت) الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه (قلت) أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما أحدهما أن ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثانى أن ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافى الرداء اذا تبسم ضاحكا (وهم ظالمون) فى حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة * وقرئ والخوف عطفا على اللباس أو على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع * لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء فى قوله (فكلوا) صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التى كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك وقال (ان كنتم اياه تعبدون) يعنى تطيعون أو ان صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه * وانتصاب (الكذب) بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحى من الله أو الى قياس مستند اليه * واللام مثلها فى قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على ارادة القول أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم

* قوله عز وجل فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (قال ان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة ايقاع الاذاقة على اللباس الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر وقد نظر اليهما جميعا فى قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة (١٧٧) على الهدى وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها ثم جاء ملاحظا للشراء المستعار قوله فما ربحت تجارتهم فاستعمل التجارة والربح لتناسب ذلك لاستعارة الشراء ثم جاء ملاحظا للحقيقة الاصلية المستعار لها قوله وما كانوا مهتدين فانه مجرد عن الاستعارة اذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الاستعارة والنظر الى المستعار فى بابه كترشيح المجاز فى بابه ومنه

اذا الشيطان قصع فى قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام فجعل الشيطان فى قفاها قاصعا ثم نافقا جعله مستخرجا بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره والشوط فى هذا الفن البديع بطين والله الموفق

*قوله عز وجل ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم أوحينا اليك (قال في قوله أمة وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الامم الخ) قال أحمد ويقوى هذا الثانى قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا أى كان أمة تؤمه الناس ليقتبسوا منه الخيرات ويقتفوا آثاره المباركات حتى (١٧٨) أنت على جلالة قدرك قد أوحينا اليك أن اتبع ملته ووافق سيرته والله أعلم * عاد كلامه (قال وفي ثم هذه مافيها من تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم الخ) قال أحمد وانما تفيد ذلك ثم لأنها فى أصل وضعها لتراخى المعطوف عليه فى الزمان ثم استعملت فى تراخيه عنه فى علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلا مما عطف عليه فكأنه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى وههنا ماهو أعلى من ذلك كله قدرا وأرفع رتبة وأبعد رفعة وهو أن النبى الأمى الذى هو سيد البشر متبع لملة ابراهيم مأمور باتباعه بالوحى متلو أمره بذلك فى القرآن العظيم ففى ذلك تعظيم لهما جميعا لكن نصيب النبى صلى الله عليه وسلم من هذا التعظيم أوفر وأكبر على مامهدناه والله الموفق للصواب مثلا

لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم

ويجول فى أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة (فان قلت) مامعنى وصف ألسنتهم الكذب (قلت) هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جنى * واللام فى (لتفتروا) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم (ما قصصنا عليك) يعنى فى سورة الانعام (بجهالة) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم (من بعدها) من بعد التوبة (كان أمة) فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثانى أن يكون أمة بمعنى مأموم أى يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال إنى جاعلك للناس اماما وروى الشعبى عن فروة بن نوفل الأشجعى عن ابن مسعود أنه قال ان معاذا كان أمة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم فقال الأمة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضى الله عنه أنه قال حين قيل له ألا تستخلف لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى أى كان اماما فى الدين لان الائمة معلموا الخير * والقانت القائم بما أمره الله * والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش فى زعمهم أنهم على ملة أبيهم ابراهيم (شاكرا لأنعمه) روى أنه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على أنه عافانى وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (حسنة) عن قتادة هى تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم (لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك) فى ثم هذه مافيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله ابراهيم من الكرامة وأجل ما أولى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى أثنى الله عليه بها (السبت) مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ (على الذين اختلفوا فيه) واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى فى ذكر ذلك نحو المعنى فى ضرب القرية التى كفرت بأنعم الله

مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربقة طاعته (فان قلت) مامعنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين أو محرمين (قلت) معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم فى كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم (بينهم يوم القيامة) فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجبه * ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا أنزلنا السبت (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ماينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف (إن ربك هو أعلم) بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه فى حديد بارد * سمى الفعل الاول باسم الثانى للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا أى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل مافعل بكم روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور * اما أن يرجع الضمير فى (لهو) الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التى تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة وإما أن يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك (ولا تحزن عليهم) أى على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون (ولا تك فى ضيق) وقرئ ولا تكن فى ضيق أى ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق أى فى أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول (إن الله مع الذين اتقوا) أى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصى (و) ولى (الذين هم محسنون) فى أعمالهم وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لى وأوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها أو ليلته كان له من الأجر كالذى مات وأحسن الوصية

(سورة الاسراء مكية وهى مائة وعشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها اليه أعداء الله

بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿سورة الاسراء مكية وهى مائة وعشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الذى أسرى

القول فى سورة الاسراء ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قال ان قلت الاسراء لايكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل الخ) قال أحمد وقد قرن الاسراء بالليل فى موضع لا يليق الجواب عنه بهذا كقوله فأسر بأهلك بقطع من الليل وكقوله تعالى فأسر بعبادى ليلا فالظاهر والله أعلم أن الغرض من ذكر الليل وان كان الاسراء يفيده تصوير السير بصورته فى ذهن السامع وكأن الاسراء لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلا أريد افراد أحدهما بالذكر تنبيها فى نفس

بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

المخاطب وتنبيها على أنه مقصود بالذكر ونظيره فى افراد أحد ما دل عليه اللفظ المتقدم مضموما لغيره قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو اله واحد فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية وكذلك المفرد فأريد التنبيه لان أحد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك أريد الايقاظ لان الوحدانية هى المقصودة فى قوله انما هو اله واحد ولو اقتصر على قوله انما هو اله لا وهم أن المهم اثبات الالهية له والغرض من الكلام ليس الا اثبات الوحدانية والله أعلم

و(أسرى) وسرى لغتان و(ليلا) نصب على الظرف (فان قلت) الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل (قلت) أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعنى الامر بالقيام فى بعض الليل واختلف فى المكان الذى أسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل عليه السلام بالبراق وقيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب * والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى أنه كان نائما فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبونى فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال أبو جهل يا معشر بنى كعب بن لؤى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبى بكر رضى الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى لأصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وأنه لقى الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا فى وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف فى أنه كان فى اليقظة أم فى المنام فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان فى المنام رؤيا رآها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك * والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الانبياء من وقت موسى ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة * وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (انه هو السميع) لأقوال محمد (البصير) بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (ألا تتخذوا) قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على أى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا) نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ ألا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا (مع نوح) وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا أى لا تجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه أنه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة فى انجاء آبائهم من الغرق (انه) ان نوحا (كان عبدا شكورا) قيل كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى واذا احتذى قال الحمد

لله

وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير

لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه فى عافية ولو شاء حبسه وروى أنه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به (فان قلت) قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله (قلت) كأنه قيل لا تتخذوا من دونى وكيلا ولا تشركوا بى لأن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد (وقضينا الى بنى اسرائيل) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون فى الارض لا محالة ويعلون أى يتعظمون ويبغون (فى الكتاب) فى التوراة و(لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد (مرتين) أولاهما قتل زكريا وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فان قلت) كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعى وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم * وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فتجوسوا وخلل الديار (فان قلت) ما معنى (وعد أولاهما) (قلت) معناه وعد عقاب أولاهما (وكان وعدا مفعولا) يعنى وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هى قتل داود جالوت (أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز * أى الاحسان والاساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) حذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون وفى قراءة على لنسوأن وليسوأن وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة * واللام فى (ليدخلوا) على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوأن جواب اذا جاء (ما علوا) مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله اليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم منهم فى عذاب الى يوم القيامة (حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول (التى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف لما فى ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه * وقرئ ويبشر بالتخفيف (فان قلت) كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ اما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (فان قلت) علام عطف (وأن الذين لا يؤمنون) (قلت) على أن لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون * أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير

* قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار (قال ان قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة الخ) قال أحمد هذا السؤال انما يتوجه على قدرى يوجب على الله تعالى بزعمه رعاية

ما يتوهمه بعقله مصلحة وأما السني اذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل والله الموفق * قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قال فيه معناه وما صح (١٨٢) مناصحة تدعو اليها الحكمة أن نعذب قوما حتى نلزمهم الحجة ببعث الرسول الخ) قال أحمد

(وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دفع الى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالانسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا * فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني أن يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شئ كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أي تبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين) (و) جنس (الحساب) وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور (وكل شئ) مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (طائره) عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني ألزمناه ما طار من عمله والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك * وقرئ في عنقه بسكون النون * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر أي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال * وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول و (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه (اقرأ) على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا و (بنفسك) فاعل كفى و (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه * وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لأن الشاهد يكفي المدعي ما أهمه (فان قلت) لم ذكر حسيبا (قلت) لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لأن الغالب أن هذه الامور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز أن يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة أنفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك * أي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين) وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة أن نعذب قوما الا بعد أن (نبعث) اليهم (رسولا) فتلزمهم الحجة (فان قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (قلت) بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين

فلولا

وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

وهذا السؤال أيضا انما يتوجه على قدري يزعم أن العقل يرشد الى وجوب النظر والى كثير من أحكام الله تعالى وان لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكليف استيجاب العذاب اذ العقل كاف عندهم في ايجاب المعرفة بل في جميع الاحكام بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وأما السني فلا يتوجه عليه هذا السؤال فان العقل عنده شرط في وجوب عموم الاحكام ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الانبياء وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة كما انبأت عنه هذه الآية التي يروم الزمخشري تحريفها فتعتاص عليه وتسد طرق الحيل بين يديه لانه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نعم العقل عمدة في حصول المعرفة لا في وجوبها وبين الحصول والوجوب بون بعيد والله الموفق

* قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (قال حقيقة أمرهم أن يقول لهم افسقوا ولا يكون هذا فبقي أن يكون مجازا الخ) قال أحمد نص حسن الا قوله انهم خولوا النعم (١٨٣) ليشكروا فانه فرعه على قاعدة

فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل (واذا أردنا) واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل أمرناهم (ففسقوا) أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم (فان قلت) هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به انما حذف لأن فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري لأن ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لأن من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكأنه يقول كان مني أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول (فان قلت) هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقصد والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن اليك ولو شاء لأساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت اليه المشيئة أنه من أهل الاحسان أو من أهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وروي أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر أي سيكثر ويكبر * وقرئ آمرنا من أمر وأمره غيره وأمرنا بمعنى أمرنا أو من أمر امارة وأمره الله أي جعلناهم أمراء وسلطناهم (كم) مفعول (أهلكنا) و (من القرون) بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم بها ومعاقب عليها * من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر تقييدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا أو لم يؤت فان أوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده وقوله (لمن نريد) بدل من له وهو بدل البعض من الكل لأن الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة * وقرئ يشاء وقيل الضمير لله تعالى فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه

واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما

وجوب ارادة الله تعالى للطاعة والحق أنهم خولوها وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا على خلاف الامر والامر غير الارادة على قاعدة أهل الحق والله الموفق * قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى قوله عز وجل ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (قال أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة الخ) قال أحمد ومثل ذلك التقييد ورد في الآية الأخرى وهي قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب فادخل من المبعضة على حرث الدنيا وجعل الطالب حرث الآخرة مراده وزاده عليه

(مدحورا) مطرودا من رحمة الله (سعيها) حقها من السعى وكفاءها من الاعمال الصالحة * اشترط ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة بأن يعقد بها همه و يتجافى عن دار الغرور والسعى فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * وشكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه (نمد) هم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لانقطعه فنرزق المطيع والعاصى جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك) وفضله (محظورا) أى ممنوعا لايمنعه من عاص لعصيانه (انظر) بعين الاعتبار (كيف) جعلناهم متفاوتين فى التفضل * وفى الآخرة التفاوت أكبر لأنها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى أن قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبى سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعنى الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر * وقرئ وأكثر تفضيلا وعن بعضهم أيها المباهى بالرفع منك فى مجالس الدنيا أما ترغب فى المباهاة بالرفع فى مجالس الآخرة وهى أكبر وأفضل (فتقعد) من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعنى فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا) أن مفسرة ولا تعبدوا نهى أو بأن لاتعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين احسانا * وقرئ وأوصى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن يتعلق الباء فى بالوالدين بالاحسان لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته (إما) هى إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة فى الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها لاتقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه و(أحدهما) فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين و(كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فان قلت) لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لابدلا فمالك زعمت أنه بدل (قلت) لأنه معطوف على مالا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم فى حكمه فوجب أن يكون مثله (فان قلت) ماضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت) لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول (أف) صوت يدل على تضجر وقرئ أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ (فان قلت) مامعنى عندك (قلت) هو أن يكبرا و يعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه فى حال الطفولة فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما فى سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها فى الاستطاعة (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهى والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أماه كما قال ابراهيم لأبيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما بأسمائهما فانه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به فى غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها نحلنى أبو بكر كذا * وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر (فان قلت) مامعنى قوله (جناح الذل) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال

مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه و بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل

واخفض

واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه الى الذل أو الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثانى أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة فى التذلل والتواضع لهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس * ولا تكتف برحمتك عليهما التى لابقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك (فان قلت) الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين (قلت) واذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الايمان وأن يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولاشئ أنفع له من الاستغفار ولو كان شئ أفضل منه لامركم به فى الابوين ولقد كرر الله سبحانه فى كتابه الوصية بالوالدين وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب أن البار لايموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر أنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وأنا قوى وفقيرا وأنا غنى فكنت لا أمنعه شيأ من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا فقير وهو غنى و يبخل على بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لابيك أنت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال مافعلت قال حججت بها على عاتقى قال ماجزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر أنه رأى رجلا فى الطواف يحمل أمه و يقول

انى لها مطيـة لاتذعر * اذا الركاب نفرت لاتنفر
ماحملت وأرضعتنى أكثر * الله ربى ذو الجلال الاكبر

تظننى جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لايذهب بأبيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن أبى يوسف اذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة أنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل ابن عياض عن بر الوالدين فقال أن لاتقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لاترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ماعاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبى صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه (بما فى نفوسكم) بما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر أو لحمية الاسلام هنة تؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور (للاوابين) للتوابين وعن سعيد بن جبير هى فى البادرة تكون من الرجل الى أبيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها و يندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى حقه) وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أبى حنيفة والشافعى لايرى النفقة الا على الولد والوالدين

من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه

حسب وان كانوا مياسير أولم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك (والمسكين وابن السبيل) يعنى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذى القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم * التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها فى الفخر والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها فأمر الله بالنفقة فى وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير وعن عبد الله بن عمرو مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أوهم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف أوهم قرناؤهم فى النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغى أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (فقل لهم قولا ميسورا) فلا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء * وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم واما أن يتعلق بالشرط أى وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من أبى أن يعطى أعرض بوجهه * يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر * هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبى فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول

أتجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان جدى فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الابل فنزلت * ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته فى بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض انما هما من أمر الله الذى الخزائن فى يده فأما العبيد فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عز وعلا يبسط لعباده أو يقبض فانه يراعى أوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته * قتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم * وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ

والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان

وهو

وهو الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن أبى رجاء بكسر الخاء غير مهموز (فاحشة) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله (الا بالحق) الا باحدى ثلاث الا بأن تكفر أو تقتل مؤمنا عمدا أو تزنى بعد احصان (مظلوما) غير راكب واحدة منهن (لوليه) الذى بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولى فالسلطان وليه (سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه (فلا يسرف) الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل فى كليب غرة * حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على أنه خبر فى معنى الامر وفيه مبالغة ليست فى الامر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولى أو قاتل المظلوم وفى قراءة أبى فلا تسرفوا ردة على ولا تقتلوا (انه كان منصورا) الضمير اما للولى يعنى حسبه أن الله قد نصره بان أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبأن الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب واما للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف (بالتى هى أحسن) بالخصلة أو الطريقة التى هى أحسن وهى حفظه عليه وتثميره (ان العهد كان مسؤلا) أى مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به ويجوز أن يكون تخييلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأى ذنب قتلت ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤلا * قرئ (بالقسطاس) بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعنى ولا تكن فى اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى أنه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وأنشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أى التقاذف وقال الكميت

ولا أرمى البرئ بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به (أولئك) اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله * والعيش بعد أولئك الايام * و (عنه) فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه * وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة فى الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح (مرحا) حال أى ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما

فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش فى الارض مرحا انك

* قوله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا (قال أى يطلب من المعاهد أن يفى به ولا ينكثه الخ) قال أحمد كلام حسن الا لفظة التخييل فقد تقدم انكارها عليه وينبغى أن يعوض بالتمثيل والظاهر التأويل الاول ويكون المجرور الذى هو عنه حذف تخفيفا وقد ذكر فى بقية الآى كل أولئك كان عنه مسؤلا والله أعلم ويعضد تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدى الله وسؤالها قاطعين وصلها وقطعها وقد ورد ذلك فى الحديث الصحيح والله الموفق

قوله عز وجل ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قال معناه لن تجعل فيها خرقا الخ) قال أحمد وفى هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية فى الانزجار عنها ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا بينا أحدهم قد عرف مسئلتين أو أجلس بين يديه طالبين أو شدا طرفا من رياسة الدنيا اذا هو يتبختر فى مشيه ويترجح ولا يرى انه يطاول الجبال ولكن يحك بيافوخه عنان السماء كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون وماذا يفيده أن يقرأ القرآن أو يقرأ عليه وقلبه عن تدبره على مراحل والله ولى التوفيق (١٨٨) * قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده

ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا (قال المراد تسبيحها

لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده

فيه من التأكيد (لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال * قرئ سيئة وسيئه على اضافة سئ الى ضمير كل وسيئا فى بعض المصاحف وسيآت وفى قراءة أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان شأنه (فان قلت) كيف قيل سيئة مع قوله مكروها (قلت) السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا ألا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث (فان قلت) فما ذكر من الخصال بعضها سئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من قرأ سيئة (قلت) كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية * وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى أولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم (أفأصفاكم) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافتكم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الاناث (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يجوز أن يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك (ليذكروا) قرئ مشددا ومخففا أى كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم فـ(ما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا * قرئ كما تقولون بالتاء والياء و(اذا) دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى (لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (علوا) فى معنى تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة * ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به * والمراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق

بلسان الحال من حيث تدل على الصانع الخ) قال أحمد ولقائل أن يقول فما يصنع بقوله كان حليما غفورا وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم واشراكهم وانما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون والظاهر ان المخاطب المؤمنون وأما عدم فقهنا التسبيح الصادر من الجمادات فكأنه والله أعلم من عدم العمل بمقتضى ذلك فان الانسان لو تيقظ حق التيقظ الى أن النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لكاد ذلك يشغله عن القوت فضلا عن فضول الكلام والافعال والعاكف على الغيبة التى هى فاكهتنا فى زماننا هذا لو استشعر حال افاضته فيها أن كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذى يلقلقه

بذلك

فى سخط الله تعالى عليه مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وارهاب جبروته وتيقظ لذلك حق التيقظ لكاد أن لا يتكلم بقية عمره فالظاهر والله أعلم أن الآية انما وردت خطابا على الغالب فى أحوال (١٨٩) الغافلين وان كانوا مؤمنين والله الموفق

ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا

بذلك وكأنها تنزه الله عز وجل عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها (فان قلت) فما تصنع بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا التسبيح مفقوه معلوم (قلت) الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق (فان قلت) من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه (قلت) التسبيح المجازى حاصل فى الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة فى حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (انه كان حليما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم (حجابا مستورا) ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه أولان قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه * يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة و(وحده) من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك فى أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده * والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (بما يستمعون به) من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه فى موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أى هازئين و(اذ يستمعون) نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذ هم نجوى) وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى (اذ يقول) بدل من اذ هم (مسحورا) سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أى هو بشر مثلكم (ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لا يدرى ما يصنع * لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم (كونوا حجارة أو حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحى وغضاضته بعدما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة ورطوبة الحى ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعنى أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم فى زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر فى صدورهم الموت وقيل السموات والارض (فسينغضون) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء * والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعنى أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون) وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم فى الدنيا وتحسبونها يوما

فالحمد لله الذى كان حليما غفورا * عاد كلامه (قال ان قلت من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة الخ) قال أحمد وقد تقدم نقلى عنه انه يأبى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة فى النحل ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد وعدم الامتناع على القدرة ليكون متناولا للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ وقد يكون أراد ثم المجاز والله الموفق

أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة (وقل لعبادي) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) وألين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله (ان الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي ربا موكولا اليك أمرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون * هو رد على أهل مكة في انكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن تكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك في بعض أكابرهم وصناديدهم يعني وربك أعلم بمن في السموات والارض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الانبياء وأن أمته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمته (فان قلت) هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أي ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد الى آخر أو يبدلوه و (أولئك) مبتدأ و (الذين يدعون) صفته و (يبتغون) خبره يعني ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله تعالى و (أيهم) بدل من واو يبتغون وأي موصولة أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان) حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (نحن مهلكوها) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ * استعير المنع لترك ارسال الآيات من أجل صارف الحكمة * وأن الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم أن من اقترح منهم آية فأجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة * ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (مبصرة) بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها

وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات

الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في

الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبي صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر يوم بدر وما أرى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما (أريناك) منه في منامك بعد الوحي اليك (الا فتنة) لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال فيهم (ونخوفهم) أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم أين شركائي ذق انك أنت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة (فان قلت) أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن (قلت) لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تتلوى بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل * وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (طينا) حال اما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا (أرأيتك) الكاف للخطاب و (هذا) مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا (الذي كرمته) (على) أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتني) واللام موطئة للقسم المحذوف (لاحتنكن ذريته) لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما (فان قلت) من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب (قلت) اما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر اليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (اذهب) ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء انما معناه امض لشأنك

القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب

* قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن الآية (قال افتتانهم بالشجرة انهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم الخ) قال أحمد والعمدة في ذلك ان النار لا تؤثر احراقا في شيء ولكن الله تعالى أجرى العادة انه يخلق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الاجسام فاذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فلله تعالى أن لا يفعل الحرق في الشجرة التي في أصل الجحيم * عاد كلامه (قال وأما الرؤيا فقيل الاسراء وتعلق من جعله مناما بهذه الآية وقيل انما سماها رؤيا على زعم المكذبين الخ) قال أحمد وبعد ذلك قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين وقوله فانهم لآكلون منها والله أعلم

فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا إياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح

الذى اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ماجره سوء اختياره فى قوله (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) كما قال موسى عليه السلام للسامرى فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس (فان قلت) أما كان من حق الضمير فى الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك (قلت) بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) بما فى فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو باضمار تجازون أو على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة * استفزه استخفه والفز الخفيف (وأجلب) من الجلبة وهى الصياح * والخيل الخيالة ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ياخيل الله اركبى * والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب * وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك (فان قلت) مامعنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن يكون لابليس خيل ورجال * وأما المشاركة فى الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها فى بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل (ان عبادى) يريد الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) أى لاتقدر أن تغويهم (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك ونحوه قوله الاعبادك منهم المخلصين (فان قلت) كيف جاز أن يأمر الله ابليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير (قلت) هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ماشئتم (يزجى) يجرى ويسير * والضر خوف الغرق (ضل من تدعون الا اياه) ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لاتذكرون سواه ولاتدعونه فى ذلك الوقت ولاتعقدون برحمته رجاءكم ولاتخطرون ببالكم أن غيره يقدر على اغاثتكم أو لم يهتد لانقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض * (فان قلت) بم انتصب (جانب البر) قلت بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض * وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه (فان قلت) فما معنى ذكر الجانب (قلت) معناه أن الجوانب والجهات كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر ماهو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر فى البر على نحو مايقدر عليه فى البحر فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أو ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق فى البحر (وكيلا) من يتوكل بصرف ذلك عنكم (أم أمنتم) أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل (عليكم قاصفا) وهى الريح

التى

* قوله تعالى وعدهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا الآية (قال المراد وعدهم المواعيد الكاذبة الخ) قال أحمد وهذا من تجرى المصنف على السنة ومتبعيها فانه جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وان لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان مع العلم بأنها ثابتة بقواطع القرآن وعدا من الرحمن وكذلك الشفاعة المتفق

عليها بين أهل السنة والجماعة التى وعدبها الصادق المصدوق وميزه الله تعالى بها على كل مخلوق من مواعيد الشيطان الباطلة وأمانيه الماحلة اللهم ارزقنا الشفاعه واحشرنا فى زمرة السنة والجماعه * قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم الى قوله ممن خلقنا تفضيلا (قال المراد فضلناهم على ماسوى الملائكة الخ) قال أحمد وقد بلغ الى حد من السفه يوجب الحد ولسنا المساجلته الامن حيث العلم لامن حيث السفه والقدر الذى تختص به هذه الآية أن حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر ألا ترى انه ورد حمل القليل على العدم والزمخشرى يختار ذلك فى قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون وأشباهه كثير وقد لمح الشاعر بذلك فى قوله * قليل بها الاصوات الا بغامها * أى لا أصوات بها ولنا أن نبقيه على ماهو عليه ونقول ان المخلوق قسمان بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر ولاشك ان غيرهم أكثر منهم وان لم يكونوا أكثر منهم كثيرا فمعنى قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا أى على غيرهم من جميع المخلوقين وتلك الاغيار كثير بلامراء وذلك مرادف لقولك وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا فظاهر الآية اذا مع الاشعرية الذين سماهم مجبرة وتشدق فى سبهم وتشقق العبارات فى ثلبهم وما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد والله ولى التوفيق والتسديد * قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم الآية (قال بامامهم معناه بمن ائتموا به من نبى أو كتاب أودين الخ) قال أحمد ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنى فان جمع الام المعروف أمهات وامارعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه فيستدعى ان خلق عيسى من غير أب غميزة فى منصبه وذلك عكس الحقيقة فان خلقه من غير أب كان آية له وشرفا فى حقه والله أعلم

فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم

التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أى تتكسر وقيل التى لاتمر بشئ الا قصفته (فيغرقكم) وقرئ بالتاء أى الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون * التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة قال الشماخ * كما لاذ الغريم من التبيع * يقال فلان على فلان تبيع بحقه أى مصيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل مانفعل بهم ثم لاتجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولايخاف عقباها (بما كفرتم) بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم * قيل فى تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على مافى الارض وتسخيره لهم وقيل كل شئ يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (على كثير ممن خلقنا) هو ماسوى الملائكة وحسب بنى آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا فى كل شئ وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التى هى تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ماسمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه فى الآخرة فقال وعزتى وجلالى لاأجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبى هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع فى هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لايشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة فى عداوة الملا الاعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لاتنحل عن قلوبهم * قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الالف واوا فى لغة من يقول أفعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز أن يقال انها علامة الجمع كما فى وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما فى يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة (بامامهم) بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفى قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة فى الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وأن لايفتضح أولاد الزنا وليت شعرى أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته (فمن أوتى) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) قيل أولئك لان من أوتى فى معنى الجمع (فان قلت) لم خص

* عاد كلامه (قال وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل الخ) قال أحمد أى لأنه من عمى القلب لا عمى البصر فجاز أن يبنى منه أفعل
* عاد كلامه (قال ومن ثم أمال أبو عمرو الاولى وفخم الثانية الخ) قال أحمد ويحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الاولى أى فمن أوتى كتابه
بيمينه فهو الذى يبصره ويقرؤه ومن كان فى الدنيا أعمى غير مبصر فى نفسه ولا ناظر فى معاده فهو فى الآخرة كذلك غير مبصر فى كتابه
بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان فى الدنيا على اختلاف التأويلين والله أعلم * قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا
اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (قال المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات الخ) قال أحمد أما تقليل الكيدودة
فالذى ينبغى أن يحمل عليه كونه الواقع فى علم الله تعالى لأن الله عزوجل يعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون فعلم تعالى أن
الركون الذى كاد يحصل منه عليه السلام وان كان ما حصل أمر قليل وخطب يسير فذلك اخبار من الله تعالى عن الواقع فى علمه تقديرا فلا يليق أن يحمل على
المبالغة والتشبيه فان ذلك لا يكون فى الاخبار الا ترى انه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير لكان تقليله خلفا فى الخبر ولا ينكر ان الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد حسنات الابرار سيآت
المقربين وأما نقل الزمخشرى عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح الى الله عزوجل فلقد استعظموا عظيما يوصف
حق على كل مسلم أن يستفظعه ولكنهم جهلوا باعتقاد القبح وصفا ذاتيا للقبيح فلزمهم على ذلك ان كل فعل استقبح من العبد استقبح من
الله تعالى وهم غالطون فى ذلك نعنى كون الفعل قبيحا ان الله تعالى نهى عنه عبده وان كان لله تعالى أن يفعله وهو حسن بالنسبة اليه
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ألا ترى أن الملك يصح منه أن يستقبح من عبده أن يجلس على كرسى الملك وينهاه عن ذلك ولا يستقبح
ذلك من نفسه بل هو منه حسن جميل ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الاشراك عن استعظام غيره مما هو توحيد محض
وايمان صرف ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسنا والله الموفق

أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم (قلت) بلى ولكن اذا اطلعوا على ما فى كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شئ كقوله ولا يظلمون شيأ فلا يخاف ظلما ولا هضما * معناه ومن كان فى الدنيا أعمى فهو فى الآخرة أعمى كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثانى مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة فى الطرف معرضة للامالة روى أن ثقيفا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروى أن قريشا قالوا اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا) لتتقول علينا ما لم نقل يعنى ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف الى الله ما لم ينزل عليه (واذا لاتخذوك) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله وفضل تثبيت وفى ذلك لطف للمؤمنين (اذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فان قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف

ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة فى الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهى جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب فى دين الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين (وان كادوا) وان كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (واذا لا يلبثون) لا يبقون بعد اخراجك (الا) زمانا (قليلا) فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشأم وهى بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشأم لحرصه على دخول الناس فى دين الله فنزلت فرجع * وقرئ لا يلبثون وفى قراءة أبى لا يلبثوا على اعمال اذا (فان قلت) ما وجه القراءتين (قلت) أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبى ففيها الجملة برأسها التى هى اذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك * وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

أى بعدهم (سنة من قد أرسلنا) يعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة * دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهى حجة على ابن علية والأصم فى زعمهما أن القراءة ليست بركن (مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين فى العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة فى صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد به) والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضا فى النوم تهجد (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لأن التهجد عبادة زائدة فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم (مقاما محمودا) نصب على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن

وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك

يبعثك معنى يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقام يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم هو المقام الذى أشفع فيه لامتى وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلنى فأدخل مدخل صدق أى أدخلنى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيآت وأخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (سلطانا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير * كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله عز وجل فقال أى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فأوحى الله الى البيت انى سأحدث لك توبة جديدة فأملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتى صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة فى عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد صلى الله عليه وسلم وشكاية البيت والوحى اليه تمثيل وتخييل (وزهق الباطل) ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت * والحق الاسلام والباطل الشرك (كان زهوقا) كان مضمحلا غير ثابت فى كل وقت (وننزل) قرئ بالتخفيف والتشديد (من القرآن) من للتبيين كقوله من الاوثان أو للتبعيض أى كل شئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبى صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله * ولا يزداد به الكافرون (الا خسارا) أى نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين (واذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو

سلطانا نصيرا وقل جاء
الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا
وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا
خسارا واذا أنعمنا على
الانسان أعرض ونأى
بجانبه واذا مسه الشر

نازلة

نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض (قل كل أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أسد مذهبا وطريقة * الاكثر على أنه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن ابن أبى بريدة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن و (من أمر ربى) أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم (وما أوتيتم) الخطاب عام وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا أنها اذا أضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله (لنذهبن) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب (به) من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك) الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه فى صدره ومنته عليه فى بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما فى القلوب (لا يأتون) جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذى لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه

كان يؤسا قل كل يعمل
على شاكلته فربكم أعلم
بمن هو أهدى سبيلا
ويسئلونك عن الروح
قل الروح من أمر ربى
وما أوتيتم من العلم الا
قليلا ولئن شئنا لنذهبن
بالذى أوحينا اليك ثم
لا تجد لك به علينا وكيلا
الا رحمة من ربك ان
فضله كان عليك كبيرا
قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ولقد
صرفنا للناس فى هذا
القرآن من كل مثل

* قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (قال العجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز الخ) قال أحمد وعما يدلك على حيد المصنف عن سنن المنصف انه تدلس على الضعفة فى مثل هذه المسئلة التى طبقت طبق الارض ظهورا وشيوعا ومع ذلك يرضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم وذلك ان عقيدة أهل السنة ان مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات البارى تعالى يطلق عليها قرآن ويطلق أيضا على أدلتها وهى هذه الكلمات الفصيحة والآى الكريمة قرآن وان المعجز عندهم الدليل لا المدلول لكنهم يتحرزون من اطلاق القول بانه مخلوق لوجهين أحدهما انه اطلاق موهم والثانى ان السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا أنوارهم وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية ايهام غيره مما لا يجوز اعتقاده فلا ربط بين الاعتقاد والاطلاق ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزامه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

والكفورا لجحود (فان قلت) كيف جاز (فأبى أكثر الناس الا كفورا) ولم يجز ضربت الا زيدا (قلت) لان
أبى متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا * لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الأخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر فى أذيال الحيرة فقالوا لن
نؤمن لك حتى وحتى (تفجر) تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف (من الارض) يعنون أرض مكة (ينبوعا) عينا
غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء (كما زعمت) يعنون قول
الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء * قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة
كسدرة وسدر وبفتحه (قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبلا
كقوله كنت منه ووالدى بريا فانى وقيار بها لغريب أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل
علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (من زخرف) من ذهب (فى السماء) فى معارج السماء
فحذف المضاف * يقال رقى فى السلم وفى الدرجة (ولن نؤمن لرقيك) ولن نؤمن لاجل رقيك (حتى تنزل علينا
كتابا) من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أبى أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ
الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون
لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما
قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا
الآية الباقية التى هى القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى أعظم لم يكن الى تبصرتهم
سبيل (قل سبحان ربى) وقرئ قال سبحان ربى أى قال الرسول وسبحان ربى تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل
كنت الا) رسولا كسائر الرسل (بشرا) مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من
الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها على * أن الاولى نصب مفعول ثان لمنع
والثانية رفع فاعل له و (الهدى) الوحى أى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة
تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة فى (أبعث الله) للانكار وما أنكروه
فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحى الا الى أمثاله أو الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه
(لو كان فى الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون بأجنحتهم الى السماء فيسمعوا
من أهلها ويعلموا ما يجب علمه (مطمئنين) ساكنين فى الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)
يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم (فان قلت) هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا
(قلت) وجه حسن والمعنى له أجوب (شهيدا بينى وبينكم) على انى بلغت ما أرسلت به اليكم وأنكم كذبتم
وعاندتم (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال (ومن يهد الله) ومن يوفقه ويلطف به (فهو المهتد)
لانه لا يلطف الا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه (ومن يضلل) ومن يخذل (فلن تجد لهم أولياء) أنصارا (على
وجوههم) كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على
وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا فى
الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر
أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى
ويجوز أن يحشروا موفى الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم فى موضع آخر أنهم
يقرؤن ويتكلمون (كلما خبت) كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت

مشى الانس ولا يطيرون

فأبى أكثر الناس الا
كفورا وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا أو تكون
لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا أو
تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا أو تأتى
بالله والملائكة قبيلا أو
يكون لك بيت من
زخرف أو ترقى فى السماء
ولن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه
قل سبحان ربى هل
كنت الا بشرا رسولا وما
منع الناس أن يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى الا أن
قالوا أبعث الله بشرا
رسولا قل لو كان فى
الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا
قل كفى بالله شهيدا بينى
وبينكم انه كان بعباده
خبيرا بصيرا ومن يهد
الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن تجد لهم أولياء
من دونه ونحشرهم يوم
القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما مأواهم
جهنم كلما خبت زدناهم
سعيرا



بأجنحتهم الى السماء
الخ) قال أحمد وقد اشتمل
كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر وهو قول القائل ان مجرد وجود الملائكة فى الارض يناسب ارسال
الملك اليهم فما فائدة هذه الزيادة فيكون جوابه ما تقدم والله الموفق

ملتهبة

ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها
وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك فى تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه أدخل فى
الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله (ذلك جزاؤهم) الى قوله (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فان قلت
علام عطف قوله وجعل لهم أجلا (قلت) على قوله (أولم يروا) لان المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر
على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس لانهم ليسوا بأشد خلقا منهن كما قال أأنتم
أشد خلقا أم السماء (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل الا جحودا
* لو حقها أن تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فى (لو أنتم تملكون) وتقديره لو
تملكون تملكون فأضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير
منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه
الذى يقتضيه علم الاعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن
الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وقول المتلمس
* ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام فى صورة
المبتدا والخبر * ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التى لا يبلغها الوهم
وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق
لبخلوا بها (قتورا) ضيقا بخيلا (فان قلت) هل يقدر لأمسكتم مفعول (قلت) لا لان معناه لبخلتم من قولك
للبخيل ممسك * عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر
والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر
والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه
الا هكذا أخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص
وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى
الله الى موسى أن قل لبنى اسرائيل لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من
الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا فى السبت (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سلهم عن
فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل أو سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون
قلوبهم وأيديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بنى اسرائيل على لفظ الماضى
بغير همز وهى لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بنى اسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه
عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول ابراهيم
ولكن ليطمئن قلبى (فان قلت) بم تعلق (اذ جاءهم) قلت أما على الوجه الاول فبالقول المحذوف أى فقلنا له
سلهم حين جاءهم أو بسال فى القراءة الثانية وأما على الاخير فبآتينا أو باضمار اذكر أو يخبروك ومعنى
اذ جاءهم اذ جاء آباءهم (مسحورا) سحرت فخولط عقلك (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات الا الله
عز وجل (بصائر) بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
وقرئ علمت بالضم على معنى انى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الامر وأن هذه الآيات منزلها
رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال ان ظننتنى مسحورا فأنا أظنك (مثبورا) هالكا وظنى
أصح من ظنك لان له أمارة ظاهرة وهى انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها
وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمرى انى لأظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أى ما منعك وصرفك وقرأ أبى بن كعب
وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة (فأراد) فرعون أن يستخفف موسى وقومه من

ذلك جزاؤهم بأنهم
كفروا بآياتنا وقالوا
أئذا كنا عظاما ورفاتا
أئنا لمبعوثون خلقا
جديدا أولم يروا أن الله
الذى خلق السموات
والارض قادر على أن
يخلق مثلهم وجعل لهم
أجلا لا ريب فيه فأبى
الظالمون الا كفورا
قل لو أنتم تملكون خزائن
رحمة ربى اذا لأمسكتم
خشية الانفاق وكان
الانسان قتورا ولقد
آتينا موسى تسع آيات
بينات فاسئل بنى
اسرائيل اذ جاءهم
فقال له فرعون انى
لأظنك يا موسى
مسحورا قال لقد علمت
ما أنزل هؤلاء الا رب
السموات والارض
بصائر وانى لأظنك
يا فرعون مثبورا فأراد
أن يستفزهم من
الارض فأغرقناه ومن
معه جميعا وقلنا من
بعده لبنى اسرائيل

أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال لحاق به مكره بأن استفزه الله باغراقه مع قبطه (اسكنوا الارض) التى أراد فرعون أن يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى قيام الساعة (جئنا بكم لفيفا) جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الاملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو ما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين (وما أرسلناك) الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شئ من اكراه على الدين أو نحو ذلك (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) وقرأ أبى فرقناه بالتشديد أى جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قرأه مشددا وقال لم ينزل فى يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعنى أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب (على مكث) بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم ان لم يدخلوا فى الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبى العربى الموعود فى كتبهم فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد فى قوله (ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويزيدهم خشوعا) أى يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين (فان قلت) ان الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا (قلت) يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم (فان قلت) ما معنى الخرور للذقن (قلت) السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد أول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن (فان قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام فى خر لذقنه ولوجهه قال

* فخر صريعا لليدين وللفم

(قلت) معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص (فان قلت) لم كرر يخرون للاذقان (قلت) لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين * عن ابن عباس رضى الله عنهما سمعه أبو جهل يقول يا ألله يا رحمن فقال انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير فمعنى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى (أيا) عوض من المضاف اليه و (ما) صلة للابهام المؤكد لما فى أى أى أى هذين الاسمين سميتم وذكرتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير فى فله ليس براجع الى أحد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء أنها مستقلة بمعانى التحميد والتقديس والتعظيم (بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين) الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا وروى أن أبا بكر رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراءة فى صلاته ويقول أناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر رضى الله

اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له

عنه

* قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل (قال ان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك الخ) قال أحمد وقد لاحظ الزمخشرى ههنا ما أغفله عند قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم بان هذه الجملة لا يليق اقترانها بكلمة التحميد ولا تناسبها فانك لو قلت ابتداء الحمد لله الذى الذين كفروا به يعدلون لم يكن مناسبا والله أعلم

عنه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط فى القراءة (ولى من الذل) ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (فان قلت) كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد (قلت) لان من هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق جنس الحمد وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية رزقنا الله بفضله العميم واحسانه الجسيم

سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة والاصابة فيه (فان قلت) بم انتصب (قيما) قلت الاحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل فى حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة (فان قلت) ما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر (قلت) فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما * أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا شديدا) والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة (من لدنه) صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون (ويبشر) بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم اقتصر على أحد مفعولى أنذر (قلت) قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار فى قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به فى قوله أن لهم أجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره * والاجر الحسن الجنة (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله (فان قلت) اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم (قلت) معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به * قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة و (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة

ولى من الذل وكبره تكبيرا

سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

(القول فى سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم (قال فيه ان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل لهم الخ) قال أحمد قد مضى له فى قوله تعالى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أن ذلك وارد على سبيل التهكم والا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل ونظيره * ولا ترى الضب بها ينجحر * وقد قدمت حينئذ أن الكلام وارد على سبيل الحقيقة والاصل وأن نفى انزال السلطان تارة يكون لاستحالة انزاله ووجوده وتارة يكون لانه لم يقع وان كان ممكنا والله أعلم

* قوله عزوجل لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (قال أعرب أحصى فعلا ماضيا أى لنعلم أيهم ضبط أمدا الخ) قال أحمد

تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر * وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة (فان قلت) الام يرجع الضمير فى كبرت (قلت) الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها * شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم * وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة أى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضى فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لأن لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفرط الحزن ويجوز أن يكون حالا والاسف المبالغة فى الحزن والغضب يقال رجل أسف وأسيف (ما على الارض) يعنى ما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل اليها بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) يعنى مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة فى ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال (أم حسبت) يعنى أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة * والكهف الغار الواسع فى الجبل (والرقيم) اسم كلبهم قال أمية بن أبى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا فى الجبل وقيل هو الوادى الذى فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا (فضربنا على آذانهم) أى ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعنى أنمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل فى نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة (سنين عددا) ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد واذا كثر احتاج الى أن يعد * أى يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه * وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم (أى الحزبين) المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أى الحزبين المختلفين من غيرهم و (أحصى) فعل ماض أى أيهم ضبط (أمدا) لاوقات لبثهم (فان قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به ولان أمدا لا يخلو اما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل واما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت أنى أنصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر فى قوله * وأضرب منا بالسيوف القوانسا * على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره (فان قلت)

وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمز قياسا وادعى ذلك مذهبا لسيبويه وعلله بان بناءه منه لا يغير نظم الكلمة وانما هو تعويض همزة بهمزة

بهذا الحديث أسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم

* عاد كلامه (قال وأيضا فلو كان للتفضيل لم يخل انتصاب أمدا اما بأفعل الخ) قال أحمد ولقائل ان ينصبه على التمييز كانتصاب العدد تمييزا فى قوله تعالى وأحصى كل شئ عددا ويعضد حمله على أفعل التفضيل وروده فى نظير الواقعة واختلاف الاحزاب فى مقدار اللبث وذلك فى قوله تعالى اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فأمثلهم طريقة هو أحصاهم لما لبثوا عددا وكلا الوجهين جائز والله أعلم

كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم (قلت) الله عزوجل لم يزل عالما بذلك وانما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره (وزدناهم هدى) بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والارض * شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه أشط فى السوم وفى غيره (هؤلاء) مبتدأ و (قومنا) عطف بيان و (اتخذوا) خبر وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد فى الدين من الحجة حتى يصح ويثبت (افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير يعنى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء متصلا على ما روى أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله (مرفقا) قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به أى ينتفع اما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما أن يخبرهم به نبى فى عصرهم واما أن يكون بعضهم نبيا (تزاور) أى تمايل أصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاى أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (تقرضهم) تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

(وهم فى فجوة منه) وهم فى متسع من الكهف والمعنى أنهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل فى متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى أن ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقنأة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) ثناء عليهم بأنهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى أصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله (وتحسبهم) بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد والايقاظ جمع يقظ كأنكاد فى نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء * وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل وترى وتشاهد تقلبهم * وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى واضافته اذا أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية * والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وأنشد

بأرض فضاء لا يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

* وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء و (رعبا) بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم

وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا

اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا
اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما
دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك
النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما
صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم
وكرموا به (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا وان جاز أن يكون خطأ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) انكار عليهم من بعضهم وأن
الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بالهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه
الا الله وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا الى طول
أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك (فان قلت) كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذاكر حديث المدة (قلت)
كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم * والورق الفضة مضروبة
كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن فأمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب * وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو
مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن
الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده * وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم
من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين
على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد
عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين الى أن يرزق حج بيت
الله وتعولم منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا
عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان
والتوكل على الرحمن (أيها) أي أهلها فحذف الأهل كما في قوله واسأل القرية (أزكى طعاما) أحل وأطيب
وأكثر وأرخص (وليتلطف) وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر
التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمي
ذلك اشعارا منه بهم لأنه سبب فيه * الضمير في (انهم) راجع الى الأهل المقدر في أيها (يرجموكم) يقتلوكم
أخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم (أو يعيدوكم) أو يدخلوكم (في ملتهم) بالاكراه العنيف ويصيروكم
اليها والعود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل
(ولن تفلحوا اذا أبدا) ان دخلتم في دينهم (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة
أطلعنا عليهم ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (أن وعد الله حق) وهو البعث لأن حالهم في نومتهم
وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و(اذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين
يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد
وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة
فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على
باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالحظيرة (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم
(لنتخذن) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون
بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من
الآية فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق

وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا

اليهم

* قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل (قال ان قلت لم دخلت الواو في الجملة الأخيرة الخ) قال أحمد (٢٠٥) وهو الصواب لا كمن يقول انها واو الثمانية فان ذلك
أمر لا يستقر لمثبته قدم ويعدون من هذه الواو في قوله في الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار فانه قال فيها فتحت أبوابها قالوا لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وهب أن في اللغة واوا تصحب الثمانية فتختص بها فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي الى الثامن فتصحبه الواو وربما
عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بأن الواو انما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الأولى التي هي الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ثيبات وأبكارا لأنه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فان هذه واو التقسيم ولو ذهبت
تحذفها فتقول ثيبات أبكارا لم يستقم الكلام فقد وضح ان الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء والله الموفق

اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي أن أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا
الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك
وتوعدهم بالقتل فأبوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم
فطردوه فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب
فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك
مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق
بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم
ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من
ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه
وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من
ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا * ربهم أعلم بهم من
كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى
حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك
المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (سيقولون) الضمير
لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم
وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم * قال ابن عباس رضي الله عنه أنا من أولئك القليل وروي أن
السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال
السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال
المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في
أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير
(فان قلت) لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين (قلت) فيه وجهان أن تدخل الآخرين في حكم
السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو
صالح له (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع
الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين
العبارتين ألا ترى الى قول زهير * وما هو عنها بالحديث المرجم * أي المظنون * وقرئ ثلاث رابعهم بادغام
الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من
مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم (فان قلت) فما هذه الواو الداخلة على الجملة
الثالثة ولم دخلت عليها دون الأولين (قلت) هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل
على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى
وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

* قوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله (قال كان معناه الا أن تعترض مشيئة الله دون فعله الخ) قال أحمد ولابد
من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر ببادئ الرأى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن
يشاء الله أن تقول هذا القول وليس الغرض ذلك وانما الغرض النهى عن هذا القول الامقرونا بقول المشيئة وليت شعرى ما معنى قول
الزمخشرى فى تفسير الآية كان المعنى (٢٠٦) الا أن تعترض المشيئة دونه معتقدا أن مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد فكم شاء

بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب وأتبع الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضى الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أى لم يبق بعدها عادة عاد يلتفت اليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم فى الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتى هى أحسن (ولا تستفت) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشئ) ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشئ (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا أن يشاء الله) متعلق بالنهى لا بقوله انى فاعل لانه لو قال انى فاعل كذا الا أن يشاء الله كان معناه الا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهى وتعلقه بالنهى على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول الا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثانى ولا تقولنه الا بأن يشاء الله أى الا بمشيئة الله وهو فى موضع الحال يعنى الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون ان شاء الله فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله لان عودهم فى ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش (واذكر ربك) أى مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضى الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام فى مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له فى الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضى الله عنه فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضى عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا فى البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها و (هذا) اشارة الى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتينى من البينات والحجج على أنى نبى صادق ما هو أعظم فى الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى اذا نسيت شيأ فاذكر ربك وذكر ربك عند

من الافعال فتركت وكم شاء من النزول فعلت على زعم القدرية فلا معنى على أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولا وهو غير متعلق بها وقوعا حتى ان قول القائل لا أفعل كذا الا أن يشاء الله أن أفعله

فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا

كذب وخلف بتقدير فعله اذا كان من قبيل المباح لان الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد فأبعد عندهم من قواعد الشرع فسحقا سحقا * عاد كلامه قال (وقوله واذكر ربك اذا نسيت أى كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث

الى قوله وعند عامة الفقهاء الخ) قال أحمد أما ظاهر الآية فمقتضاه الامر بتدارك المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها والله أعلم (قال ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح الخ) قال أحمد ويؤيد هذا التأويل بقوله تعالى أول القصة أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها وانكار عده من عجائب آيات الله ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد وأدخل فى الآية والله أعلم

نسيانه

* قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (قال معناه جعلنا قلبه غافلا عن الذكر الخ) قال أحمد هو
يشمر للهرب من الحق وهو أن المراد خلقناه وجديربه أن يشمر فى اتباع هواه فان حمل أغفل على بابه صرفه الى الخذلان والا أخرجه
بالكلية عن بابه الى باب أفعل للمصادفة (١) ولا يتجرأ على تفسير فعل أسنده الله الى ذاته (٢٠٧) بالمصادفة الى تفهيم وجدان الشئ بغتة

نسيانه أن تقول عسى ربى أن يهدينى لشئ آخر بدل هذا المنسى أقرب منه (رشدا) وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ومعنى قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك الله به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال فى حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين أعمالا وفى قراءة أبى ثلثمائة سنة * تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه وقرأ الحسن تسعا بالفتح * ثم ذكر اختصاصه بما غاب فى السموات والارض وخفى فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به * وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره فى الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك ألطف الاشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر (ما لهم) الضمير لاهل السموات والارض (من ولى) من متول لامورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهى * كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحى اليك) من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أى لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك * قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت (واصبر نفسك) واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

(بالغداة والعشى) دائبين على الدعاء فى كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لان غدوة علم فى أكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل فى كلامهم * يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءنى القوم عدا زيدا وانما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا فى قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به (فان قلت) أى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدرى بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنياء وحسن شارتهم (تريد زينة الحياة الدنيا) فى موضع الحال (من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته اذا وجدته كذلك أو من أغفل ابله اذا تركها بغير سمة أى لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله (واتبع هواه) * وقرئ أغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى

عن جهل سابق وعدم علم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المعنى من أغفل ابله اذا الخ) قال أحمد وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى وغرضه منه الخلاص مما

رشدا ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

قدمناه لانه وان أبى خلق الله للغفلة فى القلب فلا يأبى عدم كتب الايمان وأنما غرضنا التنبيه على أن مقصد الزمخشرى الحيد عن القاعدة المتقدمة

والتأويل انما يصار اليه اذا اعتاص الظاهر وهو عندنا ممكن فوجب الاعتصام به والله الموفق * عاد كلامه (قال وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه) قال أحمد قد تقدم فى غير ما موضع ان أهل السنة يضيفون فعل العبد الى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا له والى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ولا تنافى بين الاضافتين فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه فلا محيص له عنها بوجه

وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته

حسبنا قلبه غافلين من أغفلته اذا وجدته غافلا (فرطا) متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل (وقل الحق من ربكم) الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجىء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين * شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التى تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم (يغاثوا بماء كالمهل) كقوله * فاعتبوا بالصيلم * وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر الارض وقيل دردى الزيت (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبى صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا أن يكون من قوله

انى أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عينى فيها الصاب مذبوح

(أولئك) خبران وانا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل انا لا نضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم (فان قلت) اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه الى المبتدا (قلت) من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم * من الاولى للابتداء والثانية للتبيين * وتنكير أساور لابهام أمرها فى الحسن * وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين * وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم (واضرب لهم مثلا رجلين) أى ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين فى بنى اسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة والصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشترى منك أرضا فى الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم انى أشترى منك دارا فى الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم انى جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بنى مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد (جنتين من أعناب) بستانين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا أطافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق * ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجارى فيها * والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف (ولم تظلم) ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز * وقرئ وفجرنا على التخفيف * وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل (وكان له ثمر) أى أنواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة أى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء (وأعز نفرا) يعنى أنصارا وحشما وقيل أولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث * يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسأله فأجاره كلمة

* يعنى

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على

* يعنى قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (فان قلت) فلم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعنى أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (وهو ظالم لنفسه) وهو معجب بما أوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم * اخباره عن نفسه بالشك فى بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر فى عواقب أمثاله وترى أكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فان ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ولئن رددت الى ربى) اقسام منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيرا من جنته فى الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله ان لى عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا * وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أى منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية (خلقك من تراب) أى خلق أصلك لان خلق أصله سبب فى خلقه فكان خلقه خلقا له (سواك) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال * جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه فى البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا (لكن هو الله ربى) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل

وترميننى بالطرف أى أنت مذنب * وتقليننى لكن اياك لا أقلى

أى لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر أنا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات ألف أنا فى الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا فى الوقف وعن أبى عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربى بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبى ابن كعب لكن أنا على الاصل وفى قراءة عبد الله لكن أنا لا اله الا هو ربى (فان قلت) هو استدراك لماذا (قلت) لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر (ما شاء الله) يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أى شئ شاء الله كان ونظيرها فى حذف الجواب لو فى قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت (لا قوة الا بالله) اقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها انما هو بمعونته وتأييده اذ لا يقوى أحد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج * من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله (وولدا) نصرة لمن فسر النفر بالاولاد فى قوله وأعز نفرا والمعنى ان ترنى أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة (خيرا من جنتك) ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك * والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة وهى الصواعق (صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا و(غورا) كلاهما وصف بالمصدر (وأحيط) به عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه اذا أهلكه من أتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم * وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد ولانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أى أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على

* قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق (قال قرئ بالرفع والجر صفة للولاية ولله تعالى الخ) قال أحمد وقد تقدم الانكار عليه فى مثل هذا القول فانه يوهم ان القراآت موكولة الى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء فتتفاوت فى

عروشها ويقول باليتنى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر

عروشها) يعنى أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها (ياليتنى) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الايمان * وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم (فان قلت) مامعنى قوله (ينصرونه من دون الله) قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله أى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (الولاية) بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى أن قوله ياليتنى لم أشرك بربى أحدا كلمة ألجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من أعدائهم يعنى أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله (خير ثوابا وخير عقبا) أى لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم * وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهى قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم * وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع فى النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه * والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا * الباقيات الصالحات) أعمال الخير التى تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله (خير ثوابا) أى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة * وقرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت أى تسير فى الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا * وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول (بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف * وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل * وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (صفا) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا (لقد جئتمونا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب فى يوم نسير ويجوز أن ينصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم (أول مرة) وقيل جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى * (فان قلت) لم جئ بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (موعدا) وقتا لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور (الكتاب) للجنس وهو صحف الاعمال (ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى

الفصاحة لتفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع والحق أنه لا يجوز لاحد أن يقرأ الا بما سمعه فوعاه متصلا بفلق فيه صلى الله عليه وسلم منزلا كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وانما هو ناقل كغيره ولكن الزمخشرى لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة فان عمرو بن عبيد أول مصمم على انكار القدر وهلم جرا الى سائر البدع الاعتزالية فمن ثم أثنى عليه

* قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه (قال قوله تعالى كان من الجن مستأنف

صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى

هلكوها خاصة من بين الهلكات (صغيرة ولا كبيرة) هنة صغيرة ولا كبيرة وهى عبارة عن الاحاطة يعنى لا يترك شيأ من المعاصى الا أحصاه أى أحصاها كلها كما تقول ما أعطانى قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز أن يريدوا ما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهى المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر (الا أحصاها) الا ضبطها وحصرها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) فى الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله فى تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم (كان من الجن) كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا فى فسقه لانه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة فى عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال * فواسقا عن قصدها جوائرا * أو صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذى هو قوله اسجدوا لآدم (أفتتخذونه) الهمزة للانكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه (وذريته أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته (ما أشهدتهم) وقرئ ما أشهدناهم يعنى أنكم اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الالهية فنفى مشاركتهم فى الالهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم فى خلقها (ولا خلق أنفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) بمعنى وما كنت متخذهم (عضدا) أى أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغى لك أن تعتز بهم وقرأ على رضى الله عنه وما كنت متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه وأعانه (يقول) بالياء والنون * واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم وأراد الجن * والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالمورد والموعد يعنى وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشترك يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هى فى شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل أى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أى وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (فظنوا) فأيقنوا (مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (مصرفا) معدلا قال * أزهير هل عن شيبة من مصرف * (أكثر شئ جدلا) أكثر الاشياء التى يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعنى أن جدل الانسان أكثر من جدل كل شئ ونحوه فاذا هو خصيم مبين * أن الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره (ومامنع الناس) الايمان والاستغفار (الا) انتظار (أن تأتيهم سنة الاولين) وهى الاهلاك (أو) انتظار أن (يأتيهم العذاب) يعنى عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرئ قبلا أنواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا (ليدحضوا) ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها

تعليل لفسوقه الخ) قال أحمد والحق معه فى هذا الفصل غير ان قوله تعمده الله تعالى لفظة لا تروق ولا تليق فان التعمد انما يوصف به عرفا من يفعل فى بعض الاحيان خطأ وفى بعضها تعمدا فاجتنابها فى حق الله تعالى واجب والله الموفق

(وما أنذروا) يجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا أى وما أنذروه من العذاب أو مصدرية بمعنى وانذارهم * وقرئ هزأ بالسكون أى اتخذوها موضع استهزاء * وجدالهم قولهم للرسل ما أنتم الابشر مثلنا ولوشاء الله لانزل ملائكة وما أشبه ذلك (بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا فى قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسى) عاقبة (ماقدمت يداه) من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولاناظر فى أن المسيء والمحسن لابد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم (أبدا) مدة التكليف كلها * واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا مايجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا فى انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالى لاأدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا (الغفور) البليغ المغفرة (ذوالرحمة) الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولاملجأ * يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك القرى) يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار لهم اليها ليعتبروا تلك مبتدأ والقرى صفة لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس و(أهلكناهم) خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا باضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لايتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أى لاهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر (لفتاه) لعبده وفى الحديث ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولايقل عبدى وأمتى وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت (لاأبرح) ان كان بمعنى لاأزول من برح المكان فقد دل على الاقامة لاعلى السفر وان كان بمعنى لاأزال فلابد من الخبر (قلت) هو بمعنى لاأزال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلانها كانت حال سفر وأما الكلام فلان قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ماهى غاية له فلابد أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لايبرح مسيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم وانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لاأبرح ماأنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولاأتركه ولاأفارقه حتى أبلغ كما تقول لاأبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم ممايلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين فى العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهى فى الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وروى أنه لما ظهر موسى على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأى الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فأوحى اليه بل أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر فى أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى وقيل ان موسى سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فادللنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى

مكتل

وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا وربك الغفور ذوالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما

* قوله تعالى قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت (قال ان قلت كيف نسى يوشع ذلك ومثله لاينسى الخ) قال أحمد وقد ورد فى الحديث أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا الا منذ جاوز (٢١٣) الموضع الذى حده الله تعالى له فلعل الحكمة فى انساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر فى طاعة وطلب علم بالتيسير عليه وحمل الاعباء عنه وتلك سنة الله الجارية فى حق من صحت له نية فى عبادة من العبادات ان ييسرها ويحمل عنه مؤنتها ويتكفل به مادام على تلك الحالة وموقع الايقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بينا والله أعلم وان كان موسى عليه السلام متيقظا لذلك فالمطلوب ايقاظ غيره من أمته بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام اذ قص عليهم القصة فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلا وآجلا والله أعلم

مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لاأعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ماينقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر (نسيا حوتهما) أى نسيا تفقد أمره ومايكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل نسى يوشع أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه بشئ وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز فى المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت وروى أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع فى الماء (سربا) أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه فى مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر (فلما جاوزا) الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى مارأى من حياته ووقوعه فى البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولاجاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله (من سفرنا هذا) اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة (فان قلت) كيف نسى يوشع ذلك ومثله لاينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التى تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين اثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الاشق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس باخوانه فأعان الالف على قلة الاهتمام (أرأيت) بمعنى أخبرنى (فان قلت) ماوجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت (اذ أوينا) و(فانى نسيت الحوت) لامتعلق له (قلت) لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع مارأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهانى اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت و(أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره الا الشيطان وفى قراءة عبد الله أن أذكركه و(عجبا) ثانى مفعولى اتخذ مثل سربا يعنى واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا فى آخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك (ذلك) اشارة الى اتخاذه سبيلا أى ذلك الذى كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام * قرئ نبغ بغير ياء فى الوصل واثباتها أحسن وهى قراءة أبى عمرو وأما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف (فارتدا) فرجعا فى أدراجهما (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين (رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب (رشدا) قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى (فان قلت) أما دلت حاجته الى التعلم من آخر فى عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لاموسى بن عمران لان النبى يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وامامهم

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به

*قوله تعالى قال انك لن تستطيع (٢١٤) معي صبرا (قال نفى الاستطاعة على وجه التأكيد الخ) قال أحمد ومما يدل على ان موسى عليه السلام انما حمله على المبادرة بالانكار الالتهاب والحمية للحق انه قال حين خرق السفينة أخرقتها لتغرق أهلها ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي لا يلوى على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه

خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا

المرجوع اليه في أبواب الدين (قلت) لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله * نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار و (خبرا) تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر (ولا أعصى) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم * قرئ فلا تسئلني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي أنك اذا رأيت مني شيأ وقد علمت أنه صحيح الا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول (أخرقتها لتغرق أهلها) وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع (جئت شيأ إمرا) أتيت شيأ عظيما من أمر الامر اذا عظم قال * داهية دهياء إدا إمرا * (بما نسيت) بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم هذه أختي واني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه أي ولا تغشني (عسرا) من أمري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين (فقتله) قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين (فان قلت) لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فان قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام * وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب إما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد أذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (نكرا) وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه (فان قلت) ما معنى زيادة لك (قلت) زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية (بعدها) بعد هذه الكرة أو المسألة (فلا تصاحبني) فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني أي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك (من لدني عذرا) قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب

الاعاجيب

*قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (قال ان قلت قوله أردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها الخ) قال أحمد وكأنه جعل السبب في اعابتها كونها لمساكين ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن وهذا هو حد الترتيب في التعليل أن يرتب (٢١٥) الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد فلا يحتاج الى جعله مقدما والنية تأخيره والله أعلم ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الاسلوب عجبا ألا تراه في الاولى أسند الفعل الى ضميره خاصة بقوله فأردت أن أعيبها وأسنده في الثانية الى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما وخشينا أن يرهقهما ولعل اسناد الاول الى نفسه خاصة من باب الادب مع الله تعالى لان المراد ثم عيب فتأدب بان نسب الاعابة الى نفسه وأما اسناد الثاني الى الضمير المذكور فالظاهر انه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا أو دبرنا كذا وانما يعنون أمر الملك ودبره ويدل على ذلك قوله في الثالثة اراد ربك ان يبلغا أشدهما فانظر كيف تغايرت هذه الاساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الاسرار المذكورة فسبحان اللطيف الخبير

أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين

الاعاجيب (أهل قرية) هي انطاكية وقيل الابلة وهي أبعد أرض الله من السماء (أن يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه (يريد أن ينقض) استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي

في مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤس اذا أردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر أبي براء * ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال حسان

ان دهرا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال * اذا قالت الانساع للبطن ألحق * تقول سني للنواة طني * لا ينطق اللهو حتى ينطق العود * وشكا الي بعبرة وتحمحم * فان يك ظني صادقا وهو صادق * ولما سكت عن موسى الغضب * تمرد مارد وعز الابلق * ولبعضهم * يأبى على أجفانه اغفاءه * هم اذا انقاد الهموم تمردا *

أبت الروادف والثدي لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا

قالتا أتينا طائعين ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده ان ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الاعجاز وانقض اذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة * منقاص ومنكثب * بالصاد غير معجمة (فأقامه) قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء فان قلت (هذا) اشارة الى ماذا (قلت) قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار اليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز أن يكون اشارة الى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن أبي عبلة فأضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (لمساكين) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر (وراءهم) أمامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (فان قلت) قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها

فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ومافعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا

للساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظنى مقيم * وقيل فى قراءة أبى وعبد الله كل سفينة صالحة وقرأ الجحدرى وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشى الخضر منه ذلك لان الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها فى حياته وفى قراءة أبى فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد * والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب * والرحم الرحمة والعطف وروى أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما * قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف فى الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة (وكان أبوهما صالحا) اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الأب الذى حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبى وجدى خير منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون (رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لانه فى معنى رحمهما (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمرى) عن اجتهادى ورأيى وانما فعلته بأمر الله * ذو القرنين هو الاسكندر الذى ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبختنصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول ياذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن على رضى الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين أملك أم نبى فقال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبى صلى الله عليه وسلم سمى ذا القرنين لانه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان وقيل انقرض فى وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروى الروم والترك وعنه كانت صفيحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره * والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل واشياعه والخطاب فى (عليكم) لاحد الفريقين (من كل شئ) اى من اسباب كل شئ اراده من اغراضه ومقاصده فى ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة * فأراد بلوغ المغرب (فأتبع سببا) يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فاتبع * قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صار فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابى ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا أبا ذر أتدرى أين تغرب هذه قلت الله ورسوله

وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج

أعلم قال فانها تغرب فى عين حامية وهى قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة وروى فى ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد

أى فى عين ماء ذى طين وحمأ أسود ولا تنافى بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا * كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد فى استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى الا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين (وأما من آمن وعمل) ما يقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازى المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه (من أمرنا يسرا) أى لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا * وقرئ يسرا بضمتين * وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر * والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله * كأن مجر الرامسات ذيولها * يريد كأن آثار مجر الرامسات (على قوم) قيل هم الزنج * والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (من دونهما قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة

آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مفسدون فى الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر * قرئ خرجا وخراجا أى جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال * وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم (مامكنى فيه ربى خير) ماجعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة بى اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتانى الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه (فأعينونى بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (ردما) حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع * قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ * وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته * والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة * والقطر النحاس المذاب لانه يقطر و(قطرا) منصوب بأفرغ وتقديره آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه * وقرئ قال ائتونى أى جيئونى (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بادغام التاء فى الطاء فلاق بين ساكنين على غير الحد (أن يظهروه) أن يعلوه أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته (هذا) اشارة الى السد أى هذا السد نعمة من الله و(رحمة) على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربى) يعنى فاذا دنا مجىء يوم القيامة وشارف أن يأتى جعل السد (دكا) أى مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أى أرضا مستوية (وكان وعد ربى حقا) آخر حكاية قول ذى القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يموج فى بعض) أى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى أقفائهم فيدخل فى آذانهم فيموتون (وعرضنا جهنم) وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها (عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمى (وكانوا لا يستطيعون سمعا) يعنى وكانوا صما عنه الا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (عبادى من دونى أولياء) هم الملائكة يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم * وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقراءة على رضى الله عنه أفحسب الذين كفروا أى أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهى قراءة محكمة جيدة * النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (ضل سعيهم) ضاع وبطل وهم الرهبان وعن

مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم

على

على رضى الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن على رضى الله عنه أن ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبى سعيد الخدرى يأتى ناس بأعمال يوم القيامة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدرى بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لأن الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء (فان قلت) الذين ضل سعيهم فى أى محل هو (قلت) الأوجه أن يكون فى محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل (جهنم) عطف بيان لقوله جزاؤهم * الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادنى حبها عودا يعنى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح الطرف الى أرفع منه ويجوز أن يراد نفى التحول وتأكيد الخلود * المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفد) الكلمات (ولو جئنا) بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة و(مددا) تمييز كقولك لى مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضى الله عنه بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب فيكتب به * وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيى بن أخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء أو فمن كان يخاف سوء لقائه * والمراد بالنهى عن الاشراك بالعبادة أن لا يرائى بعمله وأن لا يبتغى به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت فى جندب بن زهير قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى أنه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله أعلم

﴿سورة مريم مكية وهى تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك أى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الأمر * راعى سنة الله فى اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء أولى لانه أبعد من الرياء وأدخل فى الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى أبان الكبرة والشيخوخة أو أسره من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف فى سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وثمانون * قرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه

فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

﴿سورة مريم مكية وهى تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا

(قال ان قلت لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتى الخ) قال أحمد وفيما أجاب به نظر لانه التزم أن زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز للنبى النطق بالا يسوغ لمثل هذه الفائدة التى عينها الزمخشرى ويمكن حصولها بدونه فالظاهر فى الجواب والله أعلم ان طلبة زكريا انما كانت ولدا من حيث الجملة وبحسب ذلك أجيب وليس فى الاجابة ما يدل على انه يولد له وهو هرم ولا أنه من زوجته وهى عاقر فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة واحتمل أن تعاد لهما قوتهما وشبابهما كما فعل الله ذلك لغيرهما أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر فاستبعد

وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى

الولد منهما وهما

بحالهما فاستخبر أيكون وهما كذلك فقيل كذلك أى يكون الولد وأنتما كذلك فقد انصرف الابعاد الى عين الموعود

وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها * ادغام السين فى الشين عن أبى عمرو شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة * توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته * كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به فى احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه (من ورائى) بعد موتى وقرأ ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يلون الامر من ورائى وقرأ عثمان ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم خفت الموالى من ورائى وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق الظرف بالموالى أى قلوا وعجزوا عن اقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه والثانى أن يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد (من لدنك) تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله تعالى وصادرا من عنده والا فهب لى وليا يرثنى كاف أو أراد اختراعا منك بلا سبب لأنى وامرأتى لا نصلح للولادة (يرثنى ويرث) الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردأ يصدقنى وعن ابن عباس والجحدرى يرثنى وارث آل يعقوب نصب على الحال وعن الجحدرى أويرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن على رضى الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود (سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا شاهد على أن الاسامى السنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم

سنع الاسامى مسبلى أزر * حمر تمس الارض بالهدب

وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه أنا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه ونحو يحيى فى أسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل فى أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا * أى كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أفحين اختل السببان جميعا أرزقه (فان قلت) لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتى والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب (قلت) ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا أولا وآخرا كان

على

يعتد به الخ) قال أحمد فسر أولا على ظاهر النفى الصرف وهو الحق لان المعدوم ليس شيأ قطعا خلافا للمعتزلة فى قولهم ان المعدوم الممكن شئ ومن ثم كافح الزمخشرى عن البقاء على التفسير الاول الى الثانى بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة فجعل المنفى الشيئية المعتد بها وان كانت الشيئية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم والحق بقاء الظاهر فى نصابه

غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها

مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا

على منهاج واحد فى أن الله غنى عن الاسباب * أى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن فى السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبى ومجاهد عسيا (كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول أى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على ووجه آخر وهو أن يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف فى كلتا القراءتين أى قال هو على هين قال وهو على هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق (شيأ) لان المعدوم ليس بشئ أو شيأ يعتد به كقولهم عجبت من لا شئ وقوله * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا * وقرأ الاعمش والكسائى وابن وثاب خلقناك * أى اجعل لى علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوى الخلق ما بك خرس ولا بكم * دل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن * أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض (سبحوا) صلوا أو على الظاهر وأن هى المفسرة * أى خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (الحكم) الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحى يقال حكم حكما كحلم وهو الفهم للتوراة والفقه فى الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله فى صباه وأوحى اليه (حنانا) رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه

وقالت حنان ما أتى بك ههنا * أذو نسب أم أنت بالحى عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحن فى معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل فى العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة * والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم * سلم الله عليه فى هذه الاحوال قال ابن عيينة انها أوحش المواطن (اذ) بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه * والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشئ يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبيناهى فى مغتسلها أتاها الملك فى صورة آدمى شاب أمرد وضئ الوجه جعد الشعر سوى الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيأ أو حسن الصورة مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه * ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت فى منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة فى الجبل لتفلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست فى المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحى وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذى هو عدة المقربين فى قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان أو لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أى مقربنا وذا روحنا * أرادت ان كان يرجى منك أن تتقى الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فانى عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير

قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا

لكم ان كنتم مؤمنين * أى انما أنا رسول من استعذت به (لأهب لك) لأكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع وفى بعض المصاحف انما أنا رسول ربك أمرنى أن أهب لك أوهى حكاية لقول الله تعالى * جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله تعالى من قبل أن تمسوهن أو لمستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب * والبغى الفاجرة التى تبغى الرجال وهى فعول عند المبرد بغوى فأدغمت الواو فى الياء وقال ابن جنى فى كتاب التمام هى فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر (ولنجعله) آية تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه (مقضيا) مقدرا مسطورا فى اللوح لابد لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا فى قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين * عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كان مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبى العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره (فانتبذت به) أى اعتزلت وهو فى بطنها كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * أى تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أى تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور فى موضع الحال (قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها فأتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها (فأجاءها) أجاء منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا فى الاعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان * قرأ ابن كثير فى رواية (المخاض) بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد فى بطنها * طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة فى الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما أن يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما أن يكون تعريف الجنس أى جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى انما أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شئ صبرا على البرد وثمارها انما هى من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها اليها * قرئ (مت) بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات * النسى ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح فى قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أى الشئ اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيأ تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى فى العادة وقد نسى وطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشوّر من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها اذا

فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا ياأخت هرون

بهتوها وهى عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظى نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر (من تحتها) هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهى قراءة عاصم وأبى عمرو وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجرى من تحتها الانهار وقيل كان أسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزنى وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص من تحتها وفى ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير فى تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها * سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول قال لبيد

فتوسطا عرض السرى فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا (فان قلت) ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب (قلت) لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل وأن لها أمورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها (تساقط) فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزى وليس بذاك والباء فى بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو على معنى افعلى الهز به كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب * عن طلحة بن سليمان (جنيا) بكسر الجيم للاتباع أى جمعنا لك فى السرى والرطب فائدتين احداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلى واشربى وقرى عينا أى وطيبى نفسا ولا تغتمى وارفضى عنك ما أحزنك وأهمك * وقرئ (وقرى) بالكسر لغة نجد (فاما ترئن) بالهمز ابن الرومى عن أبى عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين فى الابدال (صوما) صمتا وفى مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما الا أنهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ فى أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثانى كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق (إنسيا) أى أكلم الملائكة دون الانس الفرى البديع وهو من فرى الجلد (ياأخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بنى اسرائيل وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبى وكانت من أعقابه فى طبقة الاخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدى كانت من أولاده وانما قيل ياأخت هرون كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم وقيل رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به أى كنت عندنا مثله فى الصلاح أو

ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

شبهوها به ولم تردأ خوة النسب ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا * وقرأ عمر بن لجا التيمى (ما كان أباك امرؤ سوء) وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها (فأشارت اليه) أى هو الذى يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدى لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (كان) لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أى كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا فى المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا * أنطقه الله أولا بأنه عبد الله ردا لقول النصارى و (الكتاب) هو الانجيل * واختلفوا فى نبوته فقيل أعطيها فى طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا فى ظاهر الآية وقيل معناه أن ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى لا محالة كأنه قد وجد (مباركا أينما كنت) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير * قرئ (وبرا) عن أبى نهيك جعل ذاته برا لفرط بره أو نصبه بفعل فى معنى أوصانى وهو كلفنى لأن أوصانى بالصلاة وكلفنيها واحد (والسلام على) قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه الى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه الى والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمى مريم عليها السلام وأعدائهما من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعنى أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض * قرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك فى الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدا محذوف وأما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقا والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسماء والشحم بالندا ويحتمل اذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذى فيه يمترون أى أمره حق يقين وهم فيه شاكون (يمترون) يشكون والمرية الشك أو يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه تمترون على الخطاب وعن أبى ابن كعب قول الحق الذى كان الناس فيه يمترون * كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور فى العقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بأن من اذا أراد شيأ من الاجناس كلها أوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه أن ارادته للشئ يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بأمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل * قرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن ومعناه ولأنه ربى وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا والاستار وأبو عبيد

فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ

بالكسر على الابتداء وفى حرف أبى ان الله بالكسر بغير واو وبأن الله أى بسبب ذلك فاعبدوه (الأحزاب) اليهود والنصارى عن الكلبى وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من مشهد يوم عظيم) أى من شهودهم هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به فى عيسى وأمه * لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم * أوقع الظاهر أعنى الظالمين موقع الضمير اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه أى عن قضاء الامر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة (وهم فى غفلة) متعلق بقوله فى ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بأنذرهم أى وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين * يحتمل أنه يميتهم ويخرب ديارهم وأنه يفنى أجسادهم ويفنى الارض ويذهب بها * الصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة فى هذا التصديق للكتب والرسل أى كان مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا فى الصدق لان ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حرى أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعنى ابراهيم و (اذ قال) نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده فى تنزيله * التاء فى (يا أبت) عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا أبتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة * انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التى ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه فى أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا فى ذلك بنصيحة ربه عز وعلا حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشى وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جوارى وذلك أنه طلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغى المبين والظلم العظيم وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المثيب المعاقب الذى منه أصول النعم



يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك

وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيآت خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغنى عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها * ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى طائفة من العلم وشيأ منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فلا تستنكف وهب أنى واياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه * ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذى لا يريد بك الا كل هلاك وخزى ونكال وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذى ورطك فى هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت ان حققت النظر عابد الشيطان الا أن ابراهيم عليه السلام لامعانه فى الاخلاص ولارتقاء همته فى الربانية لم يذكر من جنايتى الشيطان الا التى تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن النظر فى عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه * ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وعما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التى هى معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا * (ما) فى ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول فى لا يسمع ولا يبصر منسى غير منوى كقولك ليس به استماع ولا ابصار (شيأ) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فى موضع المصدر أى شيأ من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثانى أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عنى وجهك (انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) فيه تجدد العلم عنده * لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بنى وقدم الخبر على المبتدإ فى قوله (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) لانه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغى أن يرغب عنها أحد وفى هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه (لأرجمنك) لأرمينك بلسانى يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمى باللعن أو لأقتلنك من رجم الزانى أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمى بالرجام (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عنى والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان ملى بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به (فان قلت) علام عطف واهجرنى (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أى فاحذرنى واهجرنى لأن لأرجمنك تهديد وتقريع (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك (قلت) قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهى الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لأبى انه

سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا

* قوله تعالى سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا (قال ان قلت لم استغفر لأبيه وهو كافر الخ) قال أحمد وهذه لمظ من الاعتزال مستطيرة من شرر شر قاعدة التحسين

كان من الضالين لانه وعده أن يؤمن واستشهدوا عليه بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل أن يقول ان الذى منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذى يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة وأما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر أى ما قال واغفر لأبى الا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم (حفيا) الحفى البليغ فى البر والالطاف حفى به وتحفى به (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة الى الشأم * المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن يراد الدعاء الذى حكاه الله فى سورة الشعراء * عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم فى قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) مع التواضع لله بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس * ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء (من رحمتنا) هى النبوة عن الحسن وعن الكلبى المال والولد وتكون عامة فى كل خير دينى ودنيوى أوتوه * لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية قال * انى أتتنى لسان لا أسر بها * يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم ابراهيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه * المخلص بالكسر الذى أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذى أخلصه الله * الرسول الذى معه كتاب من الانبياء والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع * الايمن من اليمين أى من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب * شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبى العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة (من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترأفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما فى قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضى الله عنه * ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان ذلك موجودا فى غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والأواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضى الله عنه أنه وعد صاحبا له أن ينتظره فى مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين * كان يبدأ بأهله فى الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالاحسان الدينى أولى وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لان أمم النبيين فى عداد أهاليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط فى شىء من ذلك * قيل سمى ادريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس أعجمى وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى ادريس فى تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوى مشتقا من الدرس * المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب

الجلود وعن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه أنه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الى السماء السادسة وعن الحسن رضى الله عنه الى الجنة لاشئ أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى أنه لما أنشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذى آخره

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة (أولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من لدن زكريا الى ادريس عليه السلام * ومن فى (من النبيين) للبيان مثلها فى قوله تعالى فى آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبى نوح وابراهيم عليه السلام من ذرية من حمل مع نوح لانه من ذرية سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لأن مريم من ذريته (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الاولى والثانية * ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان (اذا تتلى) كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير لان التأنيث غير حقيقى مع وجود الفاصل * البكى جمع باك كالسجود والقعود فى جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى رضى الله عنه قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى هذه القراءة يا صالح فأين البكاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك * خلفه اذا عقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بالفتح وفى عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد فى ضمان الخير ووعيد فى ضمان الشر عن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الاب وعن ابراهيم ومجاهد رضى الله عنهما أضاعوها بالتأخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعنى الكفار وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضى الله عنه هو فى هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك رضى الله عنهم الصلوات بالجمع * كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد قال المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وعن الزجاج جزاء غى كقوله تعالى يلق أثاما أى مجازاة أثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ منه أوديتها وقرأ الاخفش يلقون * قرئ يدخلون ويدخلون * أى لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك أو لا يظلمون البتة أى شيأ من الظلم * لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالى وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعانى الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء * أى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أو هم

والتقبيح والحق ان العقل لا مدخل له فى أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به ثم لم يوف الزمخشرى بها فانه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهدمة كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل فى الالهيات نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه وأما ما يظهر العقل خلافه فلا

غائبون

من كان تقيا وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا

غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والايمان به * قيل فى (مأتيا) مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى اليه احسانا أى كان وعده مفعولا منجزا * اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التى لا تكليف فيها وما أحسن قوله سبحانه واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا * أى ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هى دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام * من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهى عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهى العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين (نورث) وقرئ نورّث استعارة أى نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهى الجنة فاذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو أطاعوا (وما نتنزل) حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبى صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال انى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وأنزل الله سبحانه هذه الآية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسى ولكن لملأك * تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا (وما خلفنا) من الجهات والاماكن (وما بين ذلك) وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب فى ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التى بين أيدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى أنه المحيط بكل شئ لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه * وقيل معنى (وما كان ربك نسيا) وما كان تاركا لك كقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى أى ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به وأما احتباس الوحى فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هى حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أى وما ننزل الجنة الا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب

قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما (قال يجوز أن يكون من قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وأن يكون استثناء منقطعا) قال أحمد والفرق بين الوجهين أنه جعل الفلول عيبا على سبيل التجوز بنفى العيب بالكلية كأنه يقول ان كان فلول السيوف من القراع عيبا فانهم ذو عيب معناه وان لم يكن عيبا فليس فيهم عيب البتة لانه لا شئ سوى هذا فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون متصلا على أن يكون السلام هو الدعاء بالسلامة الخ) قال أحمد وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة لا كالاول الناشئ عن المجاز وفى هذا الباب بعد لأنه يقتضى البتة بأن الجنة يسمع فيها لغو وفضول وحاش لله فلا غول فيها ولا لغو

قوله تعالى ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا (قال ان قلت كيف اجتمعت اللام وهى للحال مع حرف الاستقبال الخ) قال أحمد ولاعتقاد تناقض الحرفين (٢٣٠) منع الكوفيين اجتماعهما وانما جردت اللام من معناها التلائم سوف دون أن تجرد سوف لتلائم اللام لانه لو عكس هذا للغت سوف اذلا معنى لها سوى الاستقبال وأما اللام اذا جردت من الحال بقى لها التوكيد فلم تلغ فتعين والله أعلم * قوله تعالى أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ (قال ذكر الله الانسان النشأة الاولى ليعترف بالاخرى الخ) قال أحمد مذهب أهل السنة ان اعادة المعدوم جائزة عقلا ثم

رب السموات والارض ومابينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر

واقعة نقلا والمعتزلة وان وافقت على ذلك الا أنها تزعم ان المعدوم له ذات ثابتة فى العدم يقضى عليها بانها شئ فليس عندهم عدم صرف ونفى محض قبل الوجود ولا بعده فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم ولأنكروا اعادة المعدوم كما أنكره القدماء وعقيدة أهل السنة هى المطابقة للآية لان النشأة الاولى لم يتقدمها وجود ولان المنشأ ابتداء لم يكن شيأ قبل ذلك وأما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود وكان المنشأ قبلها شيأ فى زمان وجوده ثم عدم وبطلت شيئيته فظهر فرق مابين النشأتين كما نطق به القرآن وأما المعتزلة فان قالوا ان الاجسام يعدمها الله ثم يوجدها فقد قالوا الحق لكن لايتم على أصلهم فرق بين النشأتين لان المعدوم فيهما كان شيأ قبل النشأة فان قالوا لاتنعدم الاجسام وانما تتفرق ثم تجمع اختراعا

الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف فى أعمال الخير والموفق لها والمجازى عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذى ملكوت السماء والارض ومابينهما * ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فحين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الأعرج رضى الله عنه ومايتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحى وعن ابن مسعود رضى الله عنه الابقول ربك * يجب أن يكون الخلاف فى النسى مثله فى البغى (رب السموات والارض) بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هو رب السموات والارض (فاعبده) كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين ومابعده من كلام رب العزة * (فان قلت) هلا عدى (اصطبر) بعلى التى هى صلته كقوله تعالى واصطبر عليها (قلت) لان العبادة جعلت بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك أى اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولاتهن ولايضق صدرك عن القاء عداتك من أهل الكتاب اليك الأغاليط وعن احتباس الوحى عليك مدة وشماتة المشركين بك * أى لم يسم شئ بالله قط وكانوا يقولون لأصنامهم آلهة والعزى اله وأما الذى عوض فيه الالف واللام من الهمزة فخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لايسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل فى كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها أى اذا صح أن لامعبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها * يحتمل أن يراد بالانسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة (فان قلت) لم جازت ارادة الاناسى كلهم وكلهم غير قائلين ذلك (قلت) لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد

فقد أسند الضرب الى بنى عبس مع قوله نبا بيدى ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى * (فان قلت) بم انتصب اذا وانتصابه بأخرج ممتنع لاجل اللام لاتقول اليوم لزيد قائم (قلت) بفعل مضمر يدل عليه المذكور (فان قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الامخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة فى ياألله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف ومافى اذاما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد * والمراد الخروج من الارض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا فى ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ * وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة ابن مصرف رضى الله عنه لسأخرج كقراءة ابن مسعود رضى الله عنه ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل أن مابعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسىء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه * الواو عطفت لايذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولايتذكر حال النشأة الاولى حتى لاينكر الاخرى فان تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التى تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن

(٢) كما صرح به الزمخشرى لانه تفطن لان القول بان الاجسام تنعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بان المعدوم شئ يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك وقد نطق به القرآن فالتزم ان الاجسام لاتنعدم ليتم له الفرق (٢٣١) بين النشأة الثانية وانما هى على هذا التقرير جمع وتأليف لوجود وبين النشأة الاولى التى هى ايجاد معدوم فتنبه لبعد غوره ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار والله ولى التوفيق ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين ان الجاحد متهافت لأنه اعترف بالاولى وهى أصعب بالنسبة الى قياس العقل وأنكر الثانية وهى أسهل وأهون لأن ذلك راجع الى قدرته تعالى فان الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء * عاد كلامه

الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا

قال (والانسان يحتمل ان يراد به العموم الخ) قال أحمد التبست عليه ارادة العموم بتناول العموم وبينهما بون ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرز والصون فصرح بان الله تعالى أراد بالانسان العموم ومعنى ارادة العموم ان يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر الى كل فرد من أفراد الانسان ومعاذ الله وقد صرح الزمخشرى بان الناطق بكلمة الشك بعض الجنس ففى العبارة خلل كما ترى

اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيأ دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لايتفاوت فى قدرته الصعب والسهل ولايحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر فى مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا فى بحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله * القراء كلهم على لايذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما رضى الله عنهم فقد خففوا وفى حرف أبى يتذكر (من قبل) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه * فى إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض فى قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق والواو فى (والشياطين) يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهى بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة (فان قلت) هذا اذا أريد بالانسان الكفرة خاصة فان أريد الاناسى على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين (قلت) اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة (فان قلت) هلا عزل السعداء عن الاشقياء فى الحشر كما عزلوا عنهم فى الجزاء (قلت) لم يفرق بينهم وبينهم فى المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التى نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم ومايغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم * (فان قلت) مامعنى احضارهم جثيا (قلت) أما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة فى مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثى أهلها على الركب لما فى ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة أولما يدهمهم من شدة الامر التى لايطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا فى الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب * المراد بالشيعة وهى فعلة كفرقة وفتية الطائفة التى شاعت أى تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فاذا اجتمعوا اطرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم * أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلى من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم واختلف فى اعراب (أيهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته حتى لو جىء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله سبحانه ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم

٣ (قوله كما صرح به الزمخشرى الخ) كذا بالاصل وليس فيه جواب الشرط فى قوله فان قالوا لاتنعدم الخ وليحرر فهما وكشفا اه مصححا

وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا

أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء (فان قلت) بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لاسبيل اليه (قلت) هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أى عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا (وان منكم) التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهما وان منهم أو خطاب الناس من غير التفات الى المذكور فان أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهى جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنه يردونها كأنها اهالة وروى دوابة وعن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى جامدة وعنه رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشئ الشئ ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين * الحتم مصدر حتم الامر اذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير أى كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره * قرئ (ننجى) وننجى وينجى وينجى على مالم يسم فاعله ان أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وان أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجى (الذين اتقوا) أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدرى وابن أبى ليلى ثم ننجى بفتح الثاء أى هناك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين (بينات) مرتلات الالفاظ ملخصات المعانى مبينات المقاصد إما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه أن تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا اذ لا تكون آيات الله الا واضحة وحججا (للذين آمنوا) يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لأجلهم وفى معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه * قرأ ابن كثير (مقاما) بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع * والندى المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أى الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم (كم) مفعول (أهلكنا) و (من) تبيين لابهامها أى كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم و (هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية * الأثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثى ما لبس منها وأنشد الحسن بن على الطوسى

تقادم العهد من أم الوليد بنا * دهرا وصار أثاث البيت خرثيا

* قرئ على خمسة أوجه (رئيا) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريئا على القلب كقولهم راء فى رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام أو من الرى الذى هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة

والعبارة الصحيحة ان يقال يحتمل أن يكون التعريف جنسيا فيكون عهديا فيكون اللفظ من أول وهلة خاصا والله أعلم * قوله تعالى وان منكم الاواردها (قال يحتمل أن يكون استئناف خطاب للناس ويحتمل أن يكون التفاتا) قال أحمد احتمال الالتفات مفرع على ارادة العموم من الاول فيكن المخاطبون أولاهم المخاطبين ثانيا الا أن الخطاب الاول بلفظ الغيبة والثانى بلفظ الحضور وأما اذا بنينا على أن الاول انما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا فالثانى ليس التفاتا وانما هو عدول الى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين والله أعلم

قبلها

قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا

قبلها وزيا واشتقاقه من الزى وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء * أى مد له الرحمن بمعنى أمهله وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما أو من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فى معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفس فى مدة حياته * فى هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التى هى رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أى قالوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (حتى اذا رأوا ما يوعدون) أى لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى أن يشاهدوا الموعود رأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزى والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الامر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها (فان قلت) حتى هذه ما هى (قلت) هى التى تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا ما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الانصار والاعوان (ويزيد) معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أى هى (خير ثوابا) من مفاخرات الكفار (وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاى زندا (فان قلت) كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه * أصلا اذا راح المطى غراثا وقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار (فان قلت) فما وجه التفضيل فى الخير كأن لمفاخرهم شركا فيه (قلت) هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره من الشتاء فى برده * لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذى هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه وطلع الثنية قال جرير * لاقيت مطلع الجبال وعورا * ويقولون مر مطلعا لذلك الامر أى عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا بأحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل الى ذلك * قرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وقيل فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبى هل عهد الله اليه أنه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاصى بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فانى اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا

فأنا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطأ أى هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه (فان قلت) كيف قيل (سنكتب) بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (قلت) فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى تبين وعلم بالانتساب انى لست بابن لئيمة والثانى أن المتوعد يقول للجانى سوف أنتقم منك يعنى أنه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد (ونمد له من العذاب مدا) أى نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذى يعذب به الكفار المستهزؤن أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى وتدل عليه قراءة على بن أبى طالب ونمد له بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه (ونرثه ما يقول) أى نزوى عنه ما زعم أنه يناله فى الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولى فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله فى الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك فى قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه فى العاقبة (ويأتينا فردا) غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدى عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به (ويأتينا) على فقره ومسكنته (فردا) من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين يأتى ثم يتفاوتون بعد ذلك * أى ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا (سيكفرون بعبادتهم) أى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفى محتسب ابن جنى كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأى والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول ان صحت هذه الرواية فهى كلا التى هى للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما فى قواريرا والضمير فى سيكفرون للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون أو للمشركين أى ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (عليهم ضدا) فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضد ما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من أضدادكم أى أعوانكم وكأن العون سمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه (فان قلت) لم وحد (قلت) وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشئ واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم أى أعداءهم ضدا أى كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها * الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج أى تغريهم على المعاصى وتهيجهم لها بالوسواس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التى ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم فى الغى وافراطهم فى العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك فى اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه أى لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين

كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا

* قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا (يحتمل أن تكون الواو فى لا يملكون ضميرا الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه تعسف من حيث انه اذا جعله علامة لمن فقد كشف معناها وأفصح بأنها متناولة جمعا ثم أعاد على لفظها بالافراد ضمير اتخذ ففيه الاعادة على لفظها بعد الاعادة على معناها عما يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لانه اجمال بعد ايضاح وذلك تعكيس فى طريق البلاغة وانما محجتها الواضحة الايضاح بعد الاجمال والواو على اعرابه وان لم تكن عائدة على من الا أنها (٢٣٥) كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له فتنبه لهذا العقد فانه أروج من النقد * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد * قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا (قال معناه كدت اهد السموات وافطر الارض الخ) قال احمد ويظهر لى وراءها معنى آخر

ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها فى سرعة تقضيها الساعة التى تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد * نصب (يوم) بمضمر أى يوم (نحشر) ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون * ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن على رضى الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت * وذكر الكافرون بأنهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء * والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال

ردى ردى ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الما

فسمى به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون * الواو فى (لا يملكون) ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بأنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع فى التنزيل وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا * قرئ (ادا) بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى الامر وآدنى أثقلنى وعظم على ادا (يكاد) قراءة الكسائى ونافع بالياء * وقرئ (ينفطرن) الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن * أى تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أى لانها تهد (فان قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى ووقارى وانى لا أعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا والثانى

يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

والله أعلم وذلك ان الله تعالى قد استعار لدلالتها على وجوده عز وجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له ان جعلها تسبح بحمده قال تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده وبما دلت عليه السموات والارض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها ان الله تعالى مقدس عن نسبة الولد اليه وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد فالمعتقد نسبة الولد الى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه فاستعير لابطال ما فيها من روح الدلالة التى خلقت لاجلها ابطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق فسبحان من قسم عباده فجعل العباد تتلذذ فتسبح بتسبيح داود يكاد ينهد لقاله من هو عن باب التوفيق مطرود مردود

أن يكون استعظاما للكلمة وتهو يلا من فظاعتها وتصو يرا لأثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده وأن مثال ذلك الاثر فى المحسوسات أن يصيب هذه الاجرام العظيمة التى هى قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا * فى (أن دعوا) ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه كقوله

على حالة لو أن فى القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصو با بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أى هذا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بأنه فاعل هدا أى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ما فى قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر * انا بنى نهشل لا ندعى لاب * أى لا ننتسب اليه * انبغى مطاوع بغى اذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لأنه محال غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها وأما التبنى فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (من) موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله * رب من انضجت غيظا صدره * وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة (آت الرحمن) على أصله قبل الاضافة * الاحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وعدهم عدا) الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموهم لله أولادا فى عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتى الرحمن أى يأوى اليه و يلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم و بجمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شئ من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم وقرأ جناح بن حبيش (ودا) بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة و يزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التى توجب الود و يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم * والسين اما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجا الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم و ينشر من ديوان أعمالهم وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى يحبهم الله و يحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة فى أهل الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه * هذه خاتمة

أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه

السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه (بلسانك) أى بلغتك وهو اللسان العربى المبين وسهلناه وفصلناه (لتبشر به) وتنذر * واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون فى كل لديد أى فى كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله (وكم أهلكنا) تخويف لهم وانذار * وقرئ (تحس) من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات * وقرأ حنظلة (تسمع) مضارع أسمعت * والركز الصوت الخفى ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به و يحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق و يعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله فى الدنيا و بعدد من لم يدع الله

﴿سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طه) أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون أمالوهما وعن الحسن رضى الله عنه طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه فأمر بأن يطأ الارض بقدميه معا وأن الاصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا فى يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر والهاء للسكت و يجوز أن يكتفى بشطرى الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال ان طاها فى لغة عك فى معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا فى يا هذا كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى فى البيت المستشهد به

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لا قدس الله أخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة فى الفواتح أعنى التى قدمتها فى أول الكاشف عن حقائق التنزيل هى التى يعول عليها الالباء المتقنون (ما أنزلنا) ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهى فى موضع المبتدا و(القرآن) ظاهر أوقع موقع الضمير لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهى قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن (لتشقى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك والشقاء يجىء فى معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر أى ما عليك الا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط فى أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقى لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب فى درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروى انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فان لها عليك حقا أى ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثانى جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط (فان قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة فى واختار موسى قومه وأما النصبة فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيدا لانه أحد المفاعيل الخمسة التى هى أصول وقوانين لغيرها (فان قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى الا فيه بمعنى لكن و يحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (لمن يخشى) لمن يؤل أمره الى الخشية

بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا

﴿سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى

﴿القول فى سورة طه﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (قال و يحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه الثانى بعد فان فيه اثبات كون الشقاء سببا فى نزوله عكس الاول وان لم تكن اللام سببية فكانت للصيرورة مثلا ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه صلى الله عليه وسلم من نهيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم وكان مضمون هذه الآية متباينا عن قوله تعالى فلا يكن فى صدرك حرج فلعلك باخع نفسك على آثارهم ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر

وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الاول * قوله عز وجل فانه يعلم السر وأخفى (قال هو أفعل التفضيل ومنهم

ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية * فى نصب (تنزيلا) وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشئ لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف * ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له (فان قلت) ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب (قلت) غير واحدة منها عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه * وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها * قرئ (الرحمن) مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لانه اما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق (فان قلت) الجملة التى هى (على العرش استوى) ما محلها اذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح (قلت) اذا جررت فهى خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز أن تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا * لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوا أيضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه وان كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يداه مبسوطتان أى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة * أى يعلم ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك (وأخفى) منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم أن أخفى فعل يعنى أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك (فان قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غنى عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر (الحسنى) تأنيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر وعلى مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود * يجوز أن ينتصب (اذ) ظرفا للحديث لانه حدث أو لمضمر أى حين (رأى نارا) كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة الجمعة (امكثوا) أقيموا فى مكانكم * الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به * لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان

ليوطن

من قال ان أخفى فعل ماض الخ) قال أحمد لا يخفى ان جعله فعلا قاصر لفظا ومعنى أما لفظا فانه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الاسمية ان كان المعطوف عليه الجملة الكبرى أو عطف الماضى على المضارع ان كان المعطوف عليه الصغرى وكلاهما دون الاحسن وأما معنى فان المقصود الحض على ترك الجهر

تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا

باسقاط فائدته من حيث ان الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما اذا جعل فعلا فيخرج عن مقصود السياق وان اشتمل على فائدة أخرى وليس هذا كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لان بين السياقين اختلافا والله سبحانه وتعالى أعلم

ليوطن أنفسهم * ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال (لعلى) ولم يقطع فيقول انى (آتيكم) لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به * القبس النار المقتبسة فى رأس عود أو فتيلة أو غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها (هدى) أى قوما يهدوننى الطريق أو ينفعوننى بهداهم فى أبواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان أفكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بقرب من زيد أو لان المصطلين بها والمستمتعين بها اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى * وبات على النار الندى والمحلق * قرأ أبو عمرو وابن كثير (انى) بالفتح أى نودى بأنى (أنا ربك) وكسر الباقون أى نودى فقيل يا موسى أو لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير فى انى أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى أنه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال له الله عز وجل انى أنا ربك وأن ابليس وسوس اليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى وروى أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس فى نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم * قيل أمر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام البقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادى (طوى) بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى أى نودى نداءين أو قدس الوادى كرة بعد كرة (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وأنا اخترناك (لما يوحى) للذى يوحى أو للوحى تعلق اللام باستمع أو باخترتك (لذكرى) لتذكرنى فان ذكرى ان أعبد ويصلى لى أو لتذكرنى فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد أو لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى أو لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة كقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى أو لان الذكر والنسيان من الله عز وجل فى الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى * أى أكاد أخفيها فلا أقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه أن فى مصحف أبى أكاد أخفيها من نفسى وفى بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها وعن أبى الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه اذا أظهره أى قرب اظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها

* قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (قال معناه قاربت ان لا أقول هى آتية الخ) قال أحمد ولا يقنع فى رد هذا التأويل بالهوينا فانه بين الفساد وذلك ان اخفاءها عن الله تعالى محال عقلا فكيف يوصف المحال العقلى بقرب الوقوع وأحسن ما فى محامل الآية ما ذكره الاستاذ أبو على حيث قال المراد أكاد أزيل خفاءها أى أظهرها اذ الخفاء الغطاء وهو أيضا ما تجعله المرأة فوق ثيابها أى يسترها ثم تقول العرب أخفيته اذا أزلت خفاءه كما تقول أشكيته وأعتبته اذا أزلت شكايته وعتبه وحينئذ يلتئم القراءتان أعنى فتح الهمزة وضمها والله سبحانه وتعالى أعلم

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين (لتجزى) متعلق بآتية (بما تسعى) بسعيها * أى لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة (فان قلت) العبارة لنهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود (قلت) فيه وجهان أحدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع فى صدك عما أنت عليه يعنى أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفى هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (وما تلك بيمينك يا موسى) كقوله تعالى وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد * قرأ ابن أبى اسحق عصى على لغة هذيل ومثله يا بشرى أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى أخت الكسرة وقرأ الحسن (عصاى) بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابن أبى اسحق سكون الياء (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة * هش الورق خبطه أى أخبطه على رؤس غنمى تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفى قراءة النخعى أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أى أنحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم * ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التى علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتدبها وتحتفل بشأنها وقالوا انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد فى اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام * السعى المشى بسرعة وخفة حركة (فان قلت) كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان (قلت) أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية

لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى

ينقلب

تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثانى أنها كانت فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا * لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شئ خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقى آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها * السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الاولى أى فى حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير * وعادك أن تلاقيها عداء * فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أى تسير سيرتها الاولى يعنى سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها * قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج * السوء الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالابرش والبرص أبغض شئ الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر * بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفى نصب آية وجه آخر وهو أن يكون باضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف (لنريك) أى خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك * لما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغى لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التى يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه فى الجملة أمره الذى هو خلافة الله فى أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب (فان قلت) لى فى قوله (اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) ما جدواه والكلام بدونه مستتب (قلت) قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لى ويسر لى فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدرى ويسر أمرى على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل * عن ابن عباس كان فى لسانه رتة لما روى من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وان فرعون اجتهد فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف فى زوال العقدة بكمالها فقيل ذهب بعضها وبقى بعضها لقوله تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين وكان فى لسان الحسين بن على رضى الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت بكمالها لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى * وفى تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة و (من لسانى) صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى * الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لان الملك

لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون

قوله تعالى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى (قال ان قلت ما فائدة لى والكلام مستتب بدونها الخ) قال أحمد ويحتمل عندى والله أعلم ان تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر راجعة اليه وعائدة عليه فان الله عز وجل لا ينتفع بارساله ولا يستعين بشرح صدره تعالى وتقدس على خلاف رسول الملك اذا طلب منه أن يربح عليه فانما يطلب منه ما يعود نفعه على مرسله ويحصل له غرضه من رسالته والله أعلم

يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره أومن المؤازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيأ صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في أخيه قلبت فيه وحمل الشئ على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر وأخوته والى الموازرة ● وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة أولى وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير و (أخي) في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن ● قرؤا جميعا اشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر وحده أشدد وأشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود أخي واشدد وعن أبي بن كعب أشركه في أمري واشدد به أزري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون ● الازر القوة وأزره قواه أي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر (انك كنت بنا بصيرا) أي عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين والشاد لعضدي بأنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا ● السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول ● الوحي الى أم موسى اما أن يكون على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ أوحيت الى الحواريين أو يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أي أوحينا اليها أمرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به أي هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى (أن) هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول ● القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال ● غلام رماه الله بالحسن يافعا ● أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم (فان قلت) المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل (قلت) ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر ● لما كانت مشيئة الله تعالى وارادته أن لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل وألقاه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل (فليلقه اليم بالساحل) روى أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبيناهو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله أي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر الى حيث البركة (مني) لا يخلو اما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب واما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه (على عيني) لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشئ بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ● ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني ● العامل في (اذ تمشي) ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من اذ أوحينا (فان قلت) كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان (قلت) كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها ● يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل

أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك

● قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله (قال العامل في اذا ما ألقيت واما ولتصنع الخ) قال أحمد والمعنى يوجب عمل ولتصنع فيه لان معنى صنعه على عين الله عز وجل تربيته مكلوأ بكلاءته مصونا بحفظه وزمان تربيته على هذه الحالة هو زمان رده الى أمه المشفقة الحنانة واما القاء المحبة عليه فقيل ذلك أول ما أخذه فرعون وأحبه والله سبحانه وتعالى أعلم

نديها وذلك أنه كان لا يقبل ندي امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل نديها ويروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع ● هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر به الى مدين (فتونا) يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة (مدين) على ثماني مراحل من مصر وعن وهب أنه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى الاجلين ● اي سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس أربعين سنة ● هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لئلا يكون أحد أقرب منزلة منه اليه ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينيه وأذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره ● الوني الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع أي لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين أن أمرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر ● روى أن الله تعالى أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل ألهم ذلك ● قرئ (لينا) بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عده شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ● والترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بأنه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ● أي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق (أو يخشى) أن يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة ● فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها ● وقرئ (يفرط) من أفرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط في الاذية أي نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة ● أو يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرف وجرب من شرارته وعتوه (أوأن يطغى) بالتخطي الى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة (معكما) أي حافظكما وناصركما (أسمع وأرى) ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز أن يقدر

فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم

● قوله تعالى اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى الآية (قال معنى يفرط علينا يعجل بعقوبتنا الخ) قال أحمد واذا روعي في الادب اطلاق هذه اللفظة عن مجرور بها فلا يبعد ان يراعى في الأدب بالاعتراف بتقلد منة الله عز وجل زيادة المجرور في قوله اشرح لي صدري كما قدمته آنفا والله أعلم

* قوله تعالى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (قال هذا من باب الالتفات الخ) قال أحمد الالتفات انما يكون فى كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فان الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ثم قوله الذى جعل لكم الارض مهدا الى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فاما أن يجعل من قول موسى

أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدر شئ وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو * كانت بنو اسرائيل فى ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شئ مع قتل الولدان واستخدام النساء (قد جئناك بآية من ربك) جملة جارية من الجملة الاولى وهى انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجئ بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين أو لو جئتك بشئ مبين * يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين * خاطب الاثنين ووجه النداء الى أحدهما وهو موسى لانه الاصل فى النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة فى لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (خلقه) أول مفعولى أعطى أى أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أى أعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيأ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أى كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه (ثم هدى) أى عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولله دره هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق * سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد فأجابه أن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرنى به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيأ أو ينساه * يقال ضللت الشئ اذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه فى احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول فى سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أى لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعى الربوبية بالجهل والوقاحة (الذى جعل) مرفوع صفة لربى أو خبر مبتدا محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومحازه (مهدا) قراءة أهل الكوفة أى مهدها مهدا أو يتمهدونها فهى لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبى (وسلك) من قوله تعالى ما سلككم فى سقر سلكناه نسلكه فى قلوب المجرمين أى حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبرارى (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بأنه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لأمره وتذعن الاجناس المتفاوتة

فيكون من باب قول خواص الملك أمرنا وعمرنا وانما يريدون الملك وليس هذا بالتفات واما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله ولا ينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف

قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به

ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس التفاتا أيضا وانما هو انتقال من حكاية الى انشاء خطاب وعلى هذا التأويل ينبغى للقارئ ان يقف وقيفة عند قوله ولا ينسى ليستقر بانتهاء الحكاية ويحتمل وجها آخر وهو ان موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير الى ذاته لان الحاكى هو المحكى فى كلام موسى فمرجع الضمير ين واحد وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية وهذا أقرب الوجوه الى الالتفات لكن الزمخشرى لم يعنه والله أعلم

لمشيئته

* قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى (قال ان جعلت موعدا الاول اسم مكان ليطابق قوله مكانا سوى لزمك الخ) قال أحمد وفى اعماله وقد وصف بقوله لا نخلفه بعد الا أن تجعل الجملة معترضة فهو مع ذلك لا يخلو من بعد من حيث ان وقوع الجملة عقيب النكرة يجيزها الشأن أن تكون صفة والله أعلم ويحتمل عندى وجه آخر أخصر وأسلم وهو أن يجعل موعدا اسم مكان فيطابق مكانا ويكون بدلا منه ويطابق الجواب بالزمان بالتقرير الذى

لمشيئته لا يمتنع شئ على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله * أى قائلين (كلوا وارعوا) حال من الضمير فى فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها * أراد بخلقهم من الارض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا * وأراد باخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التى منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى أصلهم الذى منه تفرعوا وأمهم التى منها ولدوا ثم هى كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة (أريناه) بصرناه أو عرفناه صحتها وبقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر * وفى قوله تعالى (آياتنا كلها) وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الاضافى حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعنى أنها كانت لا تعطى الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التى هى تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثانى أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبى صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا (وأبى) أن يقبل شيأ منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق * يلوح من جيب قوله (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاءه به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر * لا يخلو الموعد فى قوله (فاجعل بيننا وبينك موعدا) من أن يجعل زمانا أو مكانا أو مصدرا فان جعلته زمانا نظرا فى أن قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيآن أن تجعل الزمان مخلفا وأن يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله تعالى مكانا سوى لزمك أيضا ان توقع الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقى أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر

ذكره ويبقى عود الضمير فنقول هو والحالة هذه عائد على المصدر المفهوم من اسم المكان لان حروفه فيه والموعد اذا كان اسم مكان فحاصله مكان وعد كما اذا كان اسم زمان فحاصله زمان وعد واذا جاز رجوع الضمير الى ما دلت قوة

أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا

الكلام عليه وان لم يكن منطوقا به بوجه فرجوعه الى ما هو كالمنطوق به أولى ومما يحقق ذلك انهم قالوا من صدق كان خيرا له يعنون كان الصدق خيرا له فأعادوا الضمير على المصدر وقدروه منطوقا به للنطق بالفعل الذى هو مشتق منه واذا أوضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه فالنطق به كاف فى اعادة الضمير على مصدره والله أعلم وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى عليه السلام من جوامع الكلم الانبياء لانه سئل أن يواعدهم مكانا فعلم أنهم لابد أن يسألوه مواعدة على زمان أيضا فأسلف الجواب عنه وضمنها جوابا مفردا * ولقائل أن يقول ان كان المسؤل منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذى لم يسئل عنه صريحا وجعل جواب ما سئل عنه مضمنا (وجوابه) والله أعلم أن يقول اكتفى بقرينة السؤال عن صريح الجواب وأما ما لم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده اليه اذ لا قرينة تدل عليه والله أعلم

مضاف محذوف أى مكان موعد ويجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف (فان قلت) فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولابد من أن تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لابد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لاغير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا أيضا من طريق المعنى ويجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه (فان قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فان قلت) فكيف يطابقه الجواب (قلت) اما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ (نخلفه) بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ (سوى) وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لاتفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقف * قرئ (وأن تحشر الناس) بالتاء والياء يريد وأن تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجر عطفا على اليوم أو الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع أهل الوبر والمدر (لاتفتروا على الله كذبا) أى لاتدعوا آياته ومعجزاته سحرا وقرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الامسحتا أو مجلف فى بيت لاتزال الركب تصطك فى تسوية اعرابه * عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ماهذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما * قرأ أبو عمرو (ان هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبى ان ذان الا ساحران وقرأ ابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى وقيل فى القراءة المشهورة ان هذان لساحران هى لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التى آخرها ألف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد أعجب به أبو اسحق * سموا مذهبهم الطريقة (المثلى) والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى فأرسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضا هو طريقة قومه (فأجمعوا كيدكم) يعضده قوله فجمع كيده * وقرئ فاجمعوا كيدكم أى ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لاتختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها أمروا بأن يأتوا صفا لانه أهيب فى صدور الرائين وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا اقبالة واحدة وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين * ووجه صحته أن يقع علما لمصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراد ائتوا مصلى من المصليات (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض يعنى وقد فاز من غلب * أن مع ما بعده اما منصوب بفعل

لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا

* قوله تعالى قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون اول من ألقى (قال لقد ألهمهم الله حسن الادب مع موسى عليه السلام فى تخييره واعطاءه النصفة من أنفسهم) قال أحمد وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه ففوضوا ضرب الموعد اليه وكما ألهمهم الله عزوجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون القاء العصا بعد فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كذلك ألهمه من الاول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلج على رؤس الاشهاد فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لسترهم والله أعلم * قوله عزوجل وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا (قال وقال مافى يمينك ولم يقل عصاك الخ) قال أحمد وانما المقصود بتحقيرها فى جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الاولى لانها اذا كانت أعظم (٢٤٧) منه وهى حقيرة فى جانب قدرة الله تعالى فما الظن بكيدهم وقد تلقفته هذه الحقيرة الضئيلة ولاصحاب البلاغة طريق فى علو المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه فصغر الله أمر العصا ليلزم منه تصغير كيد السحرة الداحض بها فى طرفة عين * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون تعظيما للامر بها اذ فيه تثبيت لقلب موسى على النصر) قال أحمد وههنا الطيفة وهو انه تلقى من هذا النظم أولا قصد التحقير وثانيا قصد التعظيم فلابد من نكتة تناسب الامرين وتلك والله أعلم هى ارادة المذكور مبهما لان مافى يمينك أبهم من عصاك والعرب مذهب فى التنكير والابهام والاجمال تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته وانه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه ومرة للتعظيم شأنه وليؤذن انه من عناية المتكلم والسامع بمكان يعنى فيه الرمز والاشارة فهذا هو الوجه فى اسعادهما جميعا وعندى فى الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير والله أعلم وهو أن موسى عليه السلام أول ماعلم ان العصا آية من الله تعالى عندما سأله عنها بقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة الى ظهور الآية منها قال تعالى وألق مافى يمينك لينيقظ بهذه الصيغة للوقت الذى قال الله تعالى له وما تلك بيمينك وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيها له وتأنيسا حيث خوطب بما عهده ان يخاطب به وقت ظهور آيتها وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت ألا ترى الى قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى والله سبحانه وتعالى أعلم

فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لاتخف انك أنت الاعلى وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح

مضمرا ومرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر التاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله عزوعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار القائهم أولا مع مافيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرزوا ماعهم من مكايد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين * يقال فى اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت فى بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لاغير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعى * وقرئ (عصيهم) بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلى ودلى وقسى وقسى * وقرئ (تخيل) على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال قوله (أنها تسعى) من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبنى زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصى مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقته طريق تخيل ونخيل على أن الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك * ايجاس الخوف اضمار شئ منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لايكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (انك أنت الأعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله (مافى يمينك) ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أى لاتحتفل بهذه الاجرام الكثيرة الكبيرة فان فى يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ وأنزره عنده فألقه يتلقفها باذن الله ويمحقها * وقرئ (تلقف) بالرفع على الاستئناف أو على الحال أى ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف (صنعوا) ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون * قرئ (كيد ساحر) بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أوهم لتوغلهم فى سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو (فان قلت) لم وحد ساحر ولم يجمع (قلت) لان القصد فى هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى الى قوله (ولا يفلح

الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت (٣٤٨) قاض انما تقضى هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه

الساحر) أى هذا الجنس (فان قلت) لم نكر أولا وعرف ثانيا (قلت) انما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج * فى سعى دنيا طالما قد مدت * وفى حديث عمر رضى الله عنه لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة المراد تنكير الامر كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحرى وفى سعى دنيوى وأمر دنيوى وآخرى (حيث أتى) كقولهم حيث سيروا أية سلك وأينما كان * سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وروى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة (لكبيركم) لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة فى صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى وقال لى كبيرى كذا يريدون معلمهم وأستاذهم فى القرآن وفى كل شئ * قرئ (فلأقطعن) ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أى لأقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف * شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشئ الموعى فى وعائه فلذلك قيل فى جذوع النخل (أينا) يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله تعالى لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب فى شئ (والذى فطرنا) عطف على ما جاءنا أو قسم * قرئ (تقضى هذه الحيوة الدنيا) ووجهها أن الحياة فى القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروى أن السحرة يعنى رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بنى اسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه (تزكى) تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل فى هذه الآيات الثلاث هى حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله * اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب * وقرأ أبو حيوة (دركا) بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك * فى (ولا تخشى) اذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أى ومن شأنك انك آمن لا تخشى وأن لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التى هى لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله * كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا * (ما غشيهم) من باب الاختصار ومن جوامع

الكلم

* قوله تعالى فألقى السحرة سجدا الآية (قال سبحان من فرق بين الالقاءين القائهم حبالهم وعصيهم الخ) قال أحمد وفى تكرير لفظ الالقاء والعدول عن مثل فسجد السحرة ايقاظ السامع لالطاف الله تعالى فى نقله عباده من غاية الكفر والعناد الى نهاية الايمان والسداد وهذا الايقاظ لا يحصل على الوجه الى هذا القصد الا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين وهو يناسب ما قدمته آنفا فى ايجاز الخطاب فى قوله وألق ما فى يمينك وما تلك بيمينك فتأمله فان الحق حسن متناسب والله الموفق * قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا (قال قرئ بسكون الباء وبفتحها الخ) قال أحمد ووجه آخر وهو أن قدر كل جزء من أجزاء الطريق طريقا وقد كانت بهذه المثابة لانها كانت اثنى عشر طريقا والله أعلم

* قوله تعالى وأضل فرعون قومه وما هدى (قال انما قيل وما هدى تهكما به) قال أحمد فان قلت التهكم أن يأتى بعبارة والمقصود عكس مقتضاها كقولهم انك لانت الحليم الرشيد وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين وأما قوله تعالى وما هدى فمضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد اخبار عن عدم هدايته لقومه * قلت هو كذلك ولكن العرف فى مثل ما هدى زيد عمرا ثبوت كون زيد عالما بطريق الهداية مهتديا فى نفسه ولكنه لم يهد عمرا وفرعون أضل الضالين فى نفسه فكيف يتوهم أنه يهدى غيره وتحقيق ذلك ان قوله تعالى وأضل فرعون قومه كاف فى الاخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد اضلاله اياهم فان من لا يهدى قد لا يضل فيكون كفافا واذا تحقق غناء الاول فى الاخبار تعين كون الثانى لمعنى سواه وهو التهكم والله أعلم * قوله تعالى ومن (٣٤٩) يحلل عليه غضبى فقد هوى (قال الغضب عقوبة الله تعالى لهم الخ) قال أحمد لا يسعه أن يحمل الغضب الا على العقوبة لانه ينفى صفة الارادة فى جملة ما ينفونه من صفات الكمال وأما على قاعدة السنة فيجوز

وما هدى يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى

الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لانه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله (وما هدى) تهكم به فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يابنى اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول أى قلنا يابنى اسرائيل وحذف القول كثير فى القرآن * وقرئ (أنجيتكم) الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة * وقرئ (الايمن) بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه * طغيانهم فى النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها فى المعاصى وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا فى انفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا * قرئ (فيحل) وعن عبد الله لا يحلن (ومن يحلل) المكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم فى معنى النزول * وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك قالت

هوى من رأس مرقبة * ففتت تحتها كبده

ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطا لا نهوض بعده * الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخى دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين فى جاءنى زيد ثم عمرو أعنى أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها أعلى منها وأفضل (وما أعجلك) أى شئ عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب الى رضا الله تعالى وزل عنه أنه عز وجل ما وقت أفعاله الا نظرا الى دواعى الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله (هم أولاء على أثرى) وعن أبى عمرو ويعقوب إثرى بالكسر وعن عيسى بن عمر أثرى بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والاثر أفصح من الاثر وأما الاثر فمسموع فى فرند السيف مدون فى الاصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الاثر غريب (فان قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب

أن يكون المراد من الغضب ارادة العقوبة فيكون من أوصاف الذات ويحتمل أن يراد بمعاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهدا فيكون من صفات الافعال وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى حمله على الارادة ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا الى سماء الدنيا على التأويل المعروف أو عبر عن حلول أثر الارادة بحلولها تعبيرا عن الاثر بالمؤثر كما يقول الناظر الى عجيب من مخلوقات الله تعالى انظر الى قدرة الله يعنى أثر القدرة لا نفسها والله أعلم * قوله تعالى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم هؤلاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى (قال فيه ان قلت سئل عن سبب العجلة الخ) قال أحمد وانما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم أن يعلم موسى أدب السفر وهو أنه ينبغى تأخير رئيس القوم عنهم فى المسير ليكون نظره محيطا بطائفته ونافذا فيهم ومهيمنا عليهم وهذا المعنى لا يحصل فى تقدمه عليهم ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الادب لوطا فقال واتبع أدبارهم فأمره أن يكون أخيرهم على ان موسى عليه السلام انما أغفل هذا الامر مبادرة الى رضا الله عز وجل ومسارعة الى الميعاد وذلك شأن الموعود بما يسره يود لو ركب اليه أجنحة الطير ولا أسر من مواعدة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم

العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثرى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتد به فى العادة ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام * أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (فان قلت) فى القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامرى غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه وأخذ فى تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا * قرئ (وأضلهم السامرى) أى وهو أشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم وقيل كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر * الأسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين (فان قلت) متى رجع الى قومه (قلت) بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة * وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل حكى لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا (العهد) الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل (بملكنا) قرئ بالحركات الثلاث أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامرى وكيده * أى حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم أو أرادوا بالاوزار أنها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ (فقذفناها) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى وقرئ حملنا (فكذلك ألقى السامرى) أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى اليه وليه الشيطان أنها اذا خالطت مواتا صار حيوانا (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى التى سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل (فان قلت) كيف أثرت تلك التربة فى احياء الموات (قلت) أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهى أن يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه فى الدرع (فان قلت) فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبنى اسرائيل وضلالا (قلت) ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس أعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم (هذا الهكم واله موسى فنسى) أى فنسى موسى أن يطلبه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر (يرجع) من رفعه فعلى أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى أنها الناصبة للافعال (من قبل) من قبل أن يقول لهم السامرى ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامرى بادرهم

وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم

* قوله تعالى قال فانا قد قد فتنا قومك من بعدك (قال ان قلت لم خلق الله العجل فتنة لهم) قال أحمد هذا السؤال وجوابه تقدما له فى أول سورة الاعراف وقد أوضحنا أن الله تعالى انما تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لا علل أفعاله وجواب هذا السؤال فى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فهذا الامر جائز وقد أخبر الله تعالى بوقوعه فلا نبتغى وراء ذلك سبيلا لكن الزمخشرى تقتضى

هرون عليه السلام بقوله (انما فتنتم به وان ربكم الرحمن) * لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك لم تلحقنى * قرئ (بلحيتى) بفتح اللام وهى لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب فى كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره اليه * أى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافى برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتنى به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها * الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له * قرئ (بصرت بما لم يبصروا به) بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له * قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهى اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد المهملة الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه * قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول (فان قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامرى فقال ان لهذا لشأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل * عوقب فى الدنيا بعقوبة لا شئ أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد فى الناس أوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم * وقرئ (لا مساس) بوزن فجار ونحوه قولهم فى الظباء اذا وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا أباب وهى أعلام للمسة والعبة والأبة وهى المرة من الأب وهو الطلب (لن تخلفه) أى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الأعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أى لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر فى لأهب لك (ظلت) وظلت وظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل (لنحرقنه) ولنحرقنه ولنحرقنه وفى حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر أبو على الفارسى فى لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهى قراءة على بن أبى طالب رضى الله عنه (لننسفنه) بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهى ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * قرأ طلحة الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شئ علما) وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه أن وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شئ وأما علما فانتصابه على التمييز وهو فى المعنى فاعل فلما نقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل فى المعنى كما تقول فى خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا * الكاف فى (كذلك) منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الامم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا

انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحيوة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما كذلك

قاعدته فى وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه أن يؤول ذلك ويحرفه فذرهم وما يفترون

لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند
وكابر وان هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القرآن مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر
والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقى
٭ يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى
يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل ٭ جمع (خالدين)
على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى أعرض وما بعده للحمل على اللفظ
ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها (فيه) أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله
(ساء) فى حكم بئس والضمير الذى فيه يجب أن يكون مبهما يفسره (حملا) والمخصوص بالذم محذوف
لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف فى قوله تعالى نعم العبد انه أواب أيوب هو
المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا أى وساءت مصيرا جهنم (فان قلت) اللام فى لهم
ماهى وبم تتعلق (قلت) هى للبيان كما فى هيت لك (فان قلت) ما أنكرت أن يكون فى ساء ضمير الوزر (قلت)
لا يصح أن يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شئ بعينه غير مبهم (فان قلت) فلا يكن ساء الذى حكمه حكم
بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أهم وأحزن (قلت) كفاك صادا عنه
أن يؤول كلام الله الى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام
وعهدة هذا المنصوب ٭ أسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون أو لأن الملائكة المقربين واسرافيل
منهم بالمنزلة التى هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه الى ذاته تعالى
٭ وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل أو لاسرافيل
عليه السلام وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن ٭ وقرئ فى الصور بفتح الواو جمع صورة وفى الصور
قولان أحدهما أنه جمع الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى أنه القرن ٭ قيل فى الزرق قولان
أحدهما أن الزرقة أبغض شئ من ألوان العيون الى العرب لان الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك
قالوا فى صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين والثانى أن المراد العمى لان حدقة من يذهب
نور بصره تزراق ٭ يخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول ٭ يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا إما لما
يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور
قصار وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز
تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا
ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم فى قوله
تعالى (اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما) ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا
يوما أو بعض يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب
الله الى يوم البعث (ينسفها) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام (فيذرها) أى
فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة
(فان قلت) قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر فى المعانى والعوج بالفتح فى الاعيان والارض
عين فكيف صح فيها المكسور العين (قلت) اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الارض
بالاستواء والملاسة ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت الى قطعة أرض فسويتها
وبالغت فى التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم
استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج فى
غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسى فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذى

نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا

٭ قوله تعالى وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث (٢٥٣) لهم ذكرا (قال معناه وكما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة للوعيد الخ) قال أحمد الصواب فى تفسيرها ليكونوا على رجاء

دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما
لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر ٭ الأمت النتو اليسير يقال
مد حبله حتى ما فيه أمت ٭ أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال فى قوله (يومئذ) أى يوم اذ نسفت ويجوز
أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة ٭ والمراد الداعى الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت
المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون (لا عوج له) أى لا يعوج له مدعو بل
يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته ٭ أى خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت (فلا تسمع الا
همسا) وهو الركز الخفى ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت أخفافها اذا مشت
أى لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر (من) يصلح أن يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من
الشفاعة بتقدير حذف المضاف أى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من (أذن له الرحمن) والنصب على المفعولية
ومعنى أذن له (ورضى له) لأجله أى أذن للشافع ورضى قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام فى قوله تعالى وقال
الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ٭ أى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا
يحيطون بمعلوماته علما ٭ المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء
الحساب صارت وجوههم عانية أى ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله تعالى (وقد خاب) وما بعده اعتراض كقولك خابوا
وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ٭ الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه ٭ والهضم أن يكسر من
حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم أو
وزنوهم يخسرون ٭ أى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم ٭ وقرئ فلا يخف على النهى
(وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا
القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصى أو فعل الخير
والطاعة ٭ والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة ٭ وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أى تحدث أنت
وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما فى فاليوم أشرب غير مستحقب ٭ إثما من الله ولا واغل
(فتعالى الله الملك الحق) استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة
بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجرى عليه أمر ملكوته ٭ ولما ذكر القرآن وانزاله قال على
سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل
عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل
معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان ٭ وقرئ حتى نقضى اليك وحيه وقوله تعالى (رب زدنى علما)
متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أى علمتنى يا رب لطيفة فى باب التعلم وأدبا جميلا
ما كان عندى فزدنى علما الى علم فان لك فى كل شئ حكمة وعلما وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة فى شئ
الا فى العلم ٭ يقال فى أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه
عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم
آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول فى جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن
قبل أن نتوعدهم فخالف الى ما نهى عنه وتوعد فى ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه
يقول ان أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فان قلت) ما المراد بالنسيان (قلت) يجوز أن يراد
النسيان الذى هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط
النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصى به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها

ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس

التقوى والتذكر الا فلو أراد الله من جميعهم التقوى لوقعت وقد تقدمت أمثالها
والعجب انه نقل عن سيبويه فى تفسير لعل أول هذه السورة عند قوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى ان معناه كونا على رجائكما ثم رجع
عن ذلك ههنا لان المعتقد الفاسد يحدوه الى هذا التأويل الباطل والله الموفق

أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من

* وقرئ فنسى اى نساه الشيطان * العزم التصميم والمضى على ترك الأكل وأن يتصلب فى ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له * والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمناله عزما (اذ) منصوب بمضمر أى واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من أولى العزم والثبات *(فان قلت) ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة (قلت) كان فى صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجنى الذى معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم فى المنزلة أوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام (فان قلت) فكيف صح استثناؤه وهو جنى عن الملائكة (قلت) عمل على حكم التغليب فى اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الاباء وتوقف وتثبط (فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما * وانما أسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما فى الخروج لأن فى ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن فى ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع اليه وروى انه أهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه * قرئ (وانك) بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع (فان قلت) ان لا تدخل على أن فلا يقال ان أن زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها (قلت) الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن ان انما هى نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن * الشبع والرى والكسوة والكن هى الاقطاب التى يدور عليها كفاف الانسان فذكر استجماعها له فى الجنة وأنه مكفى لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفى لنقائضها التى هى الجوع والعرى والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامى أصناف الشقوة التى حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها * (فان قلت) كيف عدى وسوس تارة باللام فى قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بالى (قلت) وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة فى أنها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الاعرابى

* وسوس يدعو مخلصا رب الفلق * فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله * أجرس لها يا ابن أبى كباش * ومعنى وسوس اليه أنهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه وأسر اليه * أضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأن من باشر أثره حيى (وملك لا يبلى) دليل على قراءة الحسن بن على وابن عباس رضى الله عنهم الا أن تكونا ملكين بالكسر * طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هى للشروع فى أول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه * قرئ (يخصفان) للتكثير والتكرير من خصف النعل

* قوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (قال ذكر تعالى الاصناف التى بها قوام الانسان الخ) قال احمد تنبيه حسن وفى الآية سر بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير وذلك انه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب والغرض من (٢٥٤) ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ولو قرن كلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديما وحديثا فقال الكندى الاول

كأنى لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أرشف الزق الروى ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

فقطع ركوب الجواد عن قوله لخيلى كرى كرة وقطع تبطن الكاعب عن ترشف الكاس مع التناسب وغرضه أن يعدد ملاذه ومفاخره ويكثرها وتبعه الكندى الآخر فقال

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم * تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشئ عن نظيره ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت اليه يد أبى الطيب من هذا المعنى الطائل البديع على ان فى هذه الآية سرا لذلك زائدا على ما ذكر وهو أن قصد تناسب الفواصل ولو قرن الظمأ بالجوع فقيل ان لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ لانتثر سلك رؤس الآى وأحسن به منتظما والله أعلم

ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون

وهو أن يخرزا عليها الخصاف أى يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا فى أطراف الاصابع عن ابن عباس * لا شبهة فى أن آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن الغى خلاف الرشد ولكن قوله (وعصى آدم ربه فغوى) بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبى المعصوم حبيب الله الذى لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيآت والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط فى الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول فى فنى وبقى فنا وبقا وهم بنو طى تفسير خبيث (فان قلت) ما معنى (ثم اجتباه ربه) (قلت) ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الى كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أى هلا جبيت اليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار و(هدى) أى وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى * لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلى البشر والسببين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر فى أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل (فاما يأتينكم) على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو فى الحقيقة للمسبب (هدى) كتاب وشريعة * وعن ابن عباس رضى الله عنه لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا قوله (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) والمعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه * الضنك مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث * وقرئ (ضنكى) على فعلى ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم فى النار وعن أبى سعيد الخدرى عذاب القبر * وقرئ (ونحشره) بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى (كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك * لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) كأنه قال وللحشر على العمى الذى لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى أو أراد ولتركنا اياه فى العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا * فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين أى تركنا عليه هذا الكلام



يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى

و يجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون * وقرئ (يمشون) يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون (في مساكنهم) ويعاينون آثار هلاكهم * الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة * واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم (وأجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان أي لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل (بحمد ربك) في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الاوقات أولا والاوقات على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولأن الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين (فان قلت) ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار (قلت) الوجه أمن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الآيتين مجيئهما في قوله * ظهراهما مثل ظهور الترسين * وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل * ولعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولو العلم والايمان بو يلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (فان قلت) علام انتصب (زهرة) (قلت) على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة (فان قلت) ما معنى الزهرة فيمن حرك (قلت) معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن تكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب (لنفتنهم) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة أو لان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال (خير وأبقى) لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث

* قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى (قال معناه ان رزق هؤلاء المتمتعين في الدنيا أكثره مكتسب من الحرام الخ) قال أحمد لولا أن غرض القدرية من هذا اثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقا سوى الله تعالى لكان البحث لفظيا فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى سواء كان حلالا أو غيره ولا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالا فكما يخلق الله تعالى على يدي العبد ما نهاه عنه كذلك يرزقه ما أباح له تناوله وما لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله الموفق للصواب

والحرام

وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

(سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم

والحرام لا يسمى رزقا أصلا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني الى رجب فقال والله لا أقرضته الا برهن فقال رسول الله اني لأمين في السماء واني لأمين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك (وأمر أهلك بالصلاة) أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من دان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية * اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة * وقرئ الصحف بالتخفيف * ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل قرئ (نذل ونخزى) على لفظ ما لم يسم فاعله (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) للعاقبة ولما يؤول اليه أمرنا وأمركم * وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء * وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا طه ويس

(سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك أزف للحي رحيلهم الاصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما تثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه أغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق (فان قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وان طالت أوقات استقباله وترقبه قريب انما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين * وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا * وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد الا لعبا وتلهيا

القول في سورة الأنبياء (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم (قال ان قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع أن المتقدم وأسروا النجوى الخ) قال أحمد وهذا من إتباع القرآن للرأي نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأي ينفي صفات الكمال عن الله تعالى ٣ وما الذي دل عليه السميع العليم من نفي صفتي السمع والعلم في تفسيرهما بذلك مع انه لا يفهم في اللغة سميع الا بسمع ولا عليم (٢٥٨) الا بعلم فانها صفات مشتقات من مصادر لابد من فهمها وثبوتها أولا ثم ثبوت ما اشتقت منه ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع الى انكار السميع العليم وهو لا يشعر وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الايقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر وأما الادلة الكلامية فمن فنها تتلقى وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزغات مختلف فمرة يوردها عند كلام يتخيل في ظاهره اشعارا بغرضه فوظيفتنا معه حينئذ ان ننازع في الظهور ثم قد نترقى الى بيان ظهوره في عكس مراده أو نصوصيته حتى لا يحتمل ما ادعيه بوجه ما وقد يلجئنا الانصاف الى تسليم الظهور له فنذكر وجه التأويل الذي يرشد اليه دليل العقل ومرة يوردنبذا من هذا الرأي عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه وغرضه التعسف حتى لا يخلى شيأ من كلامه من تعصب واصرار على باطل فننبه على ذلك أيضا وما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

(٣) قوله وما الذي الخ كذا بالاصل وليحرر فهما وكشفا اهـ مصححه

واستسحارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة (محدث) بالرفع صفة على المحل * قوله (وهم يلعبون لاهية قلوبهم) حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم والاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل يعني أنهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فان قلت) النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالغوا في اخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون * أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا اشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (فان قلت) لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا (فان قلت) هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى (قلت) القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم * ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية (فان قلت) فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (قلت) ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية بخلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول ان ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة * وقرئ (قال ربي) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم * أضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الاول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث * صحة التشبيه في قوله (كما أرسل الاولون) من حيث انه في معنى كما أتى الاولون بالآيات لأن ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى

محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها

أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أفهم يؤمنون) فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث * أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما أحالهم على أولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء عليهم السلام قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام (فان قلت) نعم قد رد انكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا (صدقناهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الامانة والسخاء وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين) لان المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها احدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية * فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقول محذوف (فان قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وبماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لانهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ (تلك) اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (فان قلت) لم سميت دعوى (قلت) لان المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك

أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا

* قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا (قال معناه سبحاننا أن نتخذ لهوا ولعبا الخ) قال أحمد وله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة ولكنه من الكنوز التي يحمى عليها في نار جهنم وذلك ان القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسنا بعقولهم ويظنون أن الحكمة تقتضي ذلك فلا يستغني الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح فان الحكمة تقتضي الاستغناء عنه فالى ذلك يلوح الزمخشري وما هي الا نزغة سبق اليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس في الامكان أكمل من هذا العالم لانه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن ثم لم يخلقه الله تعالى لكان بخلا ينافي الجود أو عجزا ينافي القدرة حتى اتبعهم في ذلك من (١٦٠) لا نسميه من أهل الملة عفا الله عنه ان كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الافعال حسنة كانت أو غيرها مصلحة كانت أو مفسدة وان له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسنا وله أن يفعل ما يتوهمونه في الشاهد قبيحا وان كل موجود من فاعل وفعل على الاطلاق فبقدرته وجد فليس في الوجود الا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه فلو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكه شيأ ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيأ اللهم ألهمنا الحق واستعملنا به * عاد كلامه (قال وفي قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبيه من حسناته ولولا أن السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت ان الحسنات يذهبن السيئات والله أعلم * قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه ان قلت لم استعمل الاستحسار ههنا في النفي الخ) قال أحمد وبمثله أجيب عن قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد فانظره * قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون (قال ان قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة الخ) قال أحمد فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الانكار والله سبحانه وتعالى أعلم

قبيل

لا تتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة

دعواهم * الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية (فان قلت) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أي وما سوّيناها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوّي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سوّيناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى * ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه والا فأنا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير * وقوله (لاتخذناه من لدنا) كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الانس رد للولادة المسيح وعزير (بل) اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل مما تصفون) به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

وقرئ فيدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه * (فان قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون * أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر * هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهة من الارض هم ينشرون) الموتى ولعمري ان من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات (فان قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من

* عاد كلامه (قال ان قلت لا بد لقوله هم من فائدة والا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفي هذه النكتة نظر لان آلات الحصر مفقودة وليس ذلك من قبيل صديقي زيد فان المبتدأ في الآية أخص شيء لانه ضمير وأيضا فلا ينبني على ذلك الزامهم حصر الالوهية فيهم وتخصيص الانشار بهم ونفيه عن الله تعالى اذ هذا لا يناسب السياق فانه قال عقبها لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومعناه لو كان فيهما اله غير الله شريك لله لفسدتا وكان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال لو لم يكن فيهما آلهة الا الاصنام لفسدتا وأما والمتلو على خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزمخشري وعندي أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الايذان بأنهم لم يدعوا لها الانشار وان قوله هم ينشرون استئناف الزام لهم وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم اذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة ثم لما انتظم من دعواهم الالوهية للاصنام والزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على احياء الموتى نظم في ابطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وأزيد هذا التقرير وضوحا فأقول ان (١٦١) دليل التمانع المعترف من بحر هذه الآية المقتبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله اله آخر وربما قالوا لو فرضنا وجود الهين فاما أن يكونا جميعا موصوفين بصفات الكمال اللائق يندرج فيها القدرة على احياء الموتى وانشارهم وغير ذلك من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر ثم يحلون جميع الاقسام وهو المسمى برهان الخلف وأدق الاقسام ابطالا قسم اتصافهما جميعا بصفات الكمال وما عداه فببادي الرأي يبطل فانظر كيف اختاره له تعالى ابطال هذا القسم الخفي البطلان فأوضح فساده في أخصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الكلام ومعجزه وانما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون الزامهم ادعاء صفات الالوهية لآلهتهم حتى يتحرى انهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى ووكل ابطال ما عداه من الاقسام الى ما ركبه في عباده من العقول وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل والله الموفق فتأمل هذا الفصل بعين الانصاف تجده أنفس الانصاف والله المستعان * قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قال لما بين تعالى أنه رب الارباب وخالقهم ومالكهم ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الاجلال والاعظام فان آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعله فما ظنك بمالك الملوك وربهم ثم ان آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول أن أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح) (قال أحمد) صحف الهامن لفظة ماسوأ أدبها مع الله تعالى أعني قوله دواعي الحكمة فان الدواعي والصوارف انما تستعمل في حق المحدثين

من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كما في القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا (قلت) الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم أن يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله (من الارض) قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها اما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الارض (فان قلت) لا بد من نكتة في قوله هم (قلت) النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها * وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله (فان قلت) ما منعك من الرفع على البدل (قلت) لان لو بمنزلة ان في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك وذلك لان أعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله (فان قلت) لم وجب الامران (قلت) لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر * اذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسئل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يسئلون) أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما

كقولك هو عما توفر دواعى الناس اليه أو صوارفهم عنه وقوله لا يجوز عليه فعل القبائح (قلت) وهذا من الطراز الاول ولو أنه فى الذيل

* فقد نسيت وما بالعهد من قدم * وبعد ما انقضى دليل التوحيد وابطال الشرك من سمعك أيها الزمخشرى وقلمك رطب بتقريره فلم نكصت وانتكست أتقول ان أحدا شريك الله فى ملكه بفعل ما يشاء من الافعال التى تسميها قبائح فتنفيها عن قدرة الله تعالى وارادته

وما الفرق بين من يشرك بالله ملكا من الملائكة و بين من يشرك نفسه بربه حتى يقول إنه يفعل و يخلق لنفسه شاء الله

أولم يشأ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والقدرية ارتضوا لأنفسهم شر شرك لأن غيرهم أشرك بالملائكة وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات نعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك * قوله تعالى سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله) قيل

قال أحمد وهذا التفسير من جعل القرآن تبعا للرأى فانه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وليس غرضنا الا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتمله وتناول منها ما لا تعطيه لانه ادعى انهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم فدعواه

أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون

أخلقهم بأن يقال لهم لم نعلتم فى كل شىء فعلوه * كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أى وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحى فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهى عنه متوعد عليه * أى (هذا) الوحى الوارد فى معنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر أى عظة للذين معى يعنى أمته وذكر للذين من قبلى يريد أمم الانبياء عليهم السلام وقرئ (ذكر من معى وذكر من قبلى) بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معى ومن قبلى على من الاضافية فى هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل و بعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معى وذكر قبلى * كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هنالك ورد هذا الانكار * وقرئ (الحق) بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل (يوحى) ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آى التوحيد * نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله * نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافى الولادة الا أنهم (مكرمون) مقربون عندى مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذى غر منهم من زعم أنهم أولادى تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون و (لا يسبقونه) بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة أى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسى فرسه * وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبنى على أمره لا يعملون عملا مالم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا الا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة فى ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله (مشفقون) أى متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله * وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد * قرئ (ألم ير) بغير واو (رتقا) بفتح التاء وكلاهما فى معنى المفعول كالخلق والنفض أى كانتا مرتوقتين (فان قلت) الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق (قلت) هو على تقدير موصوف أى كانتا شيأ رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما

شاملة ودليله مطلق والله الموفق * قوله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم (قال معناه كراهية أن تميد بهم أو تكون لا محذوفة لأمن الالباس) قال أحمد وأولى من هذين الوجهين أن يكون من قولهم أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فادعمه قال سيبويه ومعناه ان ادعم الحائط اذا مال وانما قدم ذكر الميل اهتماما بشأنه ولانه أيضا هو السبب فى الادعام والادعام سبب فى اعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى كذلك ما نحن فيه يكون الاصل وجعلنا فى الارض رواسى لاجل أن تثبتها اذا مادت بهم فجعل الميد هو السبب كما جعل الميل فى المثل المذكور سببا وصار الكلام وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد فتثبتها ثم حذف قوله فتثبتها لأمن الالباس ايجازا واختصارا وهذا التقرير أقرب الى الواقع مما أول الزمخشرى الآية عليه فان مقتضى تأويله أن لا تميد الارض بأهلها لان الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة مادت لها الارض وكادت تقلب عاليها سافلها وأما على تقريرنا فالمراد أن الله تعالى يثبت الارض بالجبال اذا مادت وهذا لا يأبى وقوع الميد كما ان قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى لا يأبى وقوع الضلال والنسيان من احداهما لكنه ميد يستعقبه التثبيت وكذلك الواقع من الزلازل انما هو كاللمحة ثم يثبتها الله تعالى

وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير

قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سودا وان أى جماعتان فعل فى المضمر نحو ما فعل فى المظهر (فان قلت) متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى أن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يخلو أن يتعدى الى واحد أو اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شىء حى بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من فى قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدد منى وقرئ حيا وهو المفعول الثانى والظرف لغو * أى كراهة (أن تميد بهم) وتضطرب أو لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين * الفج الطريق الواسع (فان قلت) فى الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما فى قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا (قلت) لم تقدم وهى صفة ولكن جعلت حالا كقوله * لعزة موحشا طلل قديم * (فان قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثانى بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة (محفوظا) حفظه بالامساك بقدرته من أن يقع على الارض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أى عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها ما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة فى الدلالة على الجنس أى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق (معرضون) * كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه أى كلهم (فى فلك يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب فى جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فان قلت) الجملة ما محلها (قلت) محلها النصب على الحال من الشمس والقمر (فان قلت) كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى فى هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أو لا محل لها لاستئنافها (فان قلت) لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون فى فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا أى كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس * كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته

*قوله تعالى أهذا الذى يذكر آلهتكم (قال فيه الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد فان كان الذاكر صديقا فهم منه الخير وان كان عدوا فهم منه الذم) قال أحمد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم معناه أتعيبون الحق (٣٦٤) لما جاءكم ثم ابتدأ فقال أسحر هذا وانما لم يجعله معمولا للقول ومحكيا به لانهم قفوا القول بأنه

فنعى الله تعالى عنه الشماتة بهذا أى قضى الله أن لا يخلد فى الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت أنت أيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

* أى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه فى صورة الاختبار * (وفتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه * الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله (أهذا الذى يذكر آلهتكم) والمعنى انهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزؤا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله * كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أراد بالانسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح فى عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل * والله أعلم بصحته (فان قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لانه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان * جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم * ويجوز أن يكون (يعلم) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين (وحين) منصوب بمضمر أى حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم أى لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم * يقال للمغلوب فى المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذى كفر أى غلب ابراهيم عليه السلام الكافر * وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فان قلت) فالام يرجع الضمير المؤنث فى هذه القراءة (قلت) الى النار أو الى الوعد لانه فى معنى النار وهى التى وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو الى الحين لانه فى معنى الساعة أو الى البغتة وقيل فى القراءة الاولى الضمير للساعة * وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين (ولا هم ينظرون) تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أى لا يمهلون بعد طول الامهال

سحر فقالوا ان هذا الا سحر مبين ولم يشككوا أنفسهم ولا استفهموا وقد مضى فيه غير هذا وانما أطلقوا فى قولهم أهذا الذى يذكر آلهتكم

فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار

ولم يقولوا أهذا الذى يذكر آلهتكم بكل سوء لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبى من القدح فى آلهتهم ورميا بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وحاشوها من نقل ذمها مفصلا فأومؤا اليه بالاشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر فيومى اليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان وأساؤا الأدب على الرحمن

* سلى

* سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له فى الانبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء عليهم السلام ما فعلوا (من الرحمن) أى من بأسه وعذابه (بل هم معرضون عن ذكره) لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما فى أم من معنى بل وقال (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا * ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره * ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم (حتى طال عليهم) الامد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمل كاذب (أفلا يرون أنا) ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام (فان قلت) أى فائدة فى قوله نأتى الارض (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها * قرئ (ولا يسمع الصم) ولا تسمع الصم بالتاء والياء أى لا تسمع أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من أسمع (فان قلت) الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل (اذا ما ينذرون) (قلت) اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا أنذروا أى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار (ولئن مستهم) من هذا الذى ينذرون به أدنى شئ لأذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة * وصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى أنفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط واللام فى (ليوم القيامة) مثلها فى قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

ترسمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل لأهل يوم القيامة أى لأجلهم (فان قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما ارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثانى أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة (فان قلت) كيف توزن الاعمال وانما هى أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الاعمال والثانى تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة * وقرئ (مثقال حبة) على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة * وقرأ ابن عباس ومجاهد (آتينا بها) وهى مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم أتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء * وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفى حرف أبى جئنا بها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه * أى آتيناهما (الفرقان) وهو التوراة (و) آتينا به (ضياء وذكرا للمتقين) والمعنى أنه فى نفسه ضياء وذكر أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات * وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم أو الشرف * محل (الذين) جر على

من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

وهــذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ولقـد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيـه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجـدنا آباءنا لها عابدين قال لقـد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبـين قال بل ربكـم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهـدين وتالله لأكيـدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون

الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره * الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم * وقرئ رشده والرشد والرشد كالعـدم والعدم ومعنى اضافته اليه أنه رشـد مثله وأنه رشد له شأن (من قبل) أى من قبل موسى وهرون عليهما الســلام * ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها وأحمـدها حتى أهله لمخالتـه ومخالصتـه وهذا كقولك فى خـير من الناس أنا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل (اذ) اما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحـذوف أى اذكر من أوقات رشده هذا الوقت * قوله (ما هذه التماثيل) تجاهل لهم وتغابٍ ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها * لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها (فان قلت) هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم (قلت) لو قصد التعدية لعداه بصلته التى هى على * ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيـد الشـيطان للمقلدين حين استدرجهم الى أن قلدوا آباءهـم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهـم معتقدون أنهـم على شئ وجادون فى نصرة مـذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الاصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجـك الجنـة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضـلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غـير دليـل بل الى هوى متبع وشـيطان مطاع * لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا أن ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذى جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل * الضمير فى (فطرهن) للسموات والارض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم * وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشـهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليـه كما تبين الدعاوى بالبينات لأنى لست مثلكم فأقول ما لا أقدر على اثباته بالحجة كما لم تقـدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم * قرأ معاذ بن جبـل بالله * وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين (فان قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) ان الباء هى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسـهل الكيـد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبتـه وتعـذره ولعـمرى ان مثلـه صـعب متعـذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن

اذا الله سنى عقد شئ تيسرا

روى أن آزر خرج به فى يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيآن بالليـل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الكبـير علق الفأس فى عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومـه وروى سمعـه رجـل واحـد (جذاذا) قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جـذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جـذة * وانما استبقى الكبير لانه غلب فى ظنه أنهـم لا يرجعون الا اليـه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعلـه كبيرهم هـذا فاسألوهم وعن الكلبى (اليه) الى كبيرهـم ومعنى هـذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم فى حـل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هـذا بناء على ظنه بهـم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع اليه فى حـل كل مشكل (فان قلت) فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهـم ورسوخ الاشراك فى أعراقهـم فأى فائدة دينية فى رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا

(قلت)

(قلت) اذا رجعوا اليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم فى عبادته على جهل عظيم * أى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود فى الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لأنهم رأوا افراطا فى حطمها وتمادياً فى الاستهانة بها (فان قلت) ما حكم الفعلين بعد (سمعنا فتى) وأى فرق بينهما (قلت) هما صفتان لفتى الا أن الاول وهو (يذكرهم) لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع وأما الثانى فليس كذلك (فان قلت) (ابراهيم) ما هو (قلت) قيـل هو خبر مبتدإ محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى (على أعين الناس) فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أى بمرأى منهم ومنظر (فان قلت) فما معنى الاستعلاء فى على (قلت) هو وارد على طريق المثل أى يثبت اتيانه فى الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روى أن الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه فأمروا باحضاره * هذا من معاريض الكلام ولطائف هـذا النوع لا يتغلغل فيها الا الأذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه أن قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعـل الصادر عنه الى الصنم وانما قصـد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجـة وتبكيتهم وهـذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسـدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصـدك بهـذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للأمى أو المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها * وقرأ محمد بن السميفع فعلـه كبيرهم يعنى فلعله أى فلعل الفاعل كبيرهـم * فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا الى أنفسـهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمـين * نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أى استقاموا حين رجعوا الى أنفسـهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة بالباطـل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم عليه السـلام فما أحاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمى فاعـله أى نكسوا أنفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود (أف) صوت اذا صوت به علم أن صاحبـه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق البـاطـل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف * أجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذى أشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضى الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد الاكراد وروى أنهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثا وجمعوا شهرا أصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافانى الله لأجمعن حطبا لابراهيم عليه السلام ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام (يا نار كونى بردا وسلاما) ويحكى ما أحرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمى به هـل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسـل ربك قال

قالوا من فعل هـذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعلـه كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقـون فرجعـوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقـد علمت ما هـؤلاء ينطقون قال أفتعبدون مـن دون الله ما لا ينفعكم شـيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم

حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضى الله عنه انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال انى مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه اذذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأقطعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا (ان كنتم فاعلين) أى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهى الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا فى تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا فى ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور أمر بشئ فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردى فيسلم منك ابراهيم أو ابردى بردا غير ضار وعن ابن عباس رضى الله عنه لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها (فان قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله (على ابراهيم) * وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه * نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين أن أكثر الانبياء عليهم السلام بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفيان أنه خرج الى الشام فقيل له الى أين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس وروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة * النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قدوة فى دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدى بنفسه لان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدى أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات * وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة (حكما) حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة * والقرية سذوم * أى فى أهل رحمتنا أو فى الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى أرحم بها من أشاء (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين * هو نصر الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أى اجعلهم منتصرين منه * والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه * أى واذكرهما واذ بدل منهما * والنفش الانتشار بالليل * وجمع الضمير لانه أرادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما * والضمير فى (ففهمناها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فان قلت) أحكما بوحى أم باجتهاد (قلت) حكما جميعا بالوحى الا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان عليه السلام أشبه بالصواب (فان قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود عليه السلام فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجنى عليه كما قال أبو حنيفة رضى الله عنه فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعى رضى الله عنه يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ووجه حكومة سليمان عليه السلام انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق من يده انه يضمن

ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان

القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا (فان قلت) فلو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعى رضى الله عنه يوجب الضمان بالليل وفى قوله ففهمناها سليمان دليل على أن الاصوب كان مع سليمان عليه السلام وفى قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب (يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) اما معطوف على الجبال أو مفعول معه (فان قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الاعجاز لأنها جماد والطير حيوان الا أنه غير ناطق روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (فان قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالانبياء مثل ذلك * اللبوس اللباس قال * البس لكل حالة لبوسها * والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس * قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فان قلت) وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت فى نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أبعدت به فى مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين أن تكون رخاء فى نفسها وعاصفة فى عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته * وقد أحاط علمنا بكل شئ فنجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا * أى يغوصون له فى البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل * والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد فى الجملة فيما هم مسخرون فيه * أى ناداه بأنى مسنى الضر وقرئ انى بالكسر على اضمار القول أو لتضمن النداء معناه * والضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتى على العصى فقال لها ألطفت فى السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحى من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا * أى لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب فى الدنيا والآخرة * قيل فى ذى الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمى بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين

وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين

* قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة (قال ان قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها (٢٦٩) عاصف فما وجه ذلك قلت ماهى الا جمعتهما وكانت فى نفسها رخاء طيبة وفى سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافى منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت فى خفتها وفى سرعة حركتها كالجان وكانت فى عظم خلقها كالثعبان ففى كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

* قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا (قال ان قلت نفخ الروح فى الجسد عبارة عن إحيائه وحينئذ يكون معناه فأحيينا مريم و يشكل اذ ذاك قلت معناه فنفخنا الروح فى عيسى فى مريم أى أحييناه فى جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشرى فى

قوله عز وجل إذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل أن تكون

وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون

اسرائيل و يعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (النون) الحوت فأضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه و بغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر و ينتظر الاذن من الله فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت * ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف مغضبا * قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا و يقدر بالياء بالتخفيف و يقدر و يقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه و بتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال أو يظن نبى الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه و يرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه فى كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنون والخطاب للمؤمنين (فى الظلمات) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر * أى بأنه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم (ننجى) وننجى ونجى والنون لا تدغم فى الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجى النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف * سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى فانك خير وارث * اصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق * الضمير للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها كما يفعل الراغبون فى الامور الجادون * وقرئ (رغبا ورهبا) بالاسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذللا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم فى القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال أما انى سألت ابراهيم فقال ألا تدرى قلت أفدنى قال بينه و بين الله اذا أرخى ستره وأغلق بابه فليرا الله منه خيرا لعلك ترى أنه أن يأكل خشنا و يلبس خشنا و يطأطئ رأسه (أحصنت فرجها) احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * (فان قلت) نفخ الروح فى الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى أى أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله (فنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الاشكال لانه يدل على إحياء مريم (قلت) معناه نفخنا الروح فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت فى بيت فلان أى نفخت فى المزمار فى بيته و يجوز أن يراد وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ فى جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها (فان قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها اياه من غير فحل * الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام أى ان ملة الاسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) الهكم اله واحد (فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة

الضمائر كلها راجعة الى موسى أما الاول فلا اشكال فيه وأما التابوت اذا قذف فى اليم وموسى فيه فقد قذف موسى فى اليم وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الاخيرين الى التابوت لانه فهم من قوله فاقذفيه فى اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف فى اليم والزمخشرى نزل قذف التابوت فى اليم وموسى فيه منزلة قذفه فى اليم وفى هذه الآية مصداق لما اختاره فان الله تعالى نزل نفخ الروح فى عيسى لكونه فى جوف مريم منزلة نفخ الروح فى مريم فعبر عما يفهم ظاهر هذا

خبرا

خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى للثانى مبتدأ والخطاب للناس كافة * والاصل وتقطعتم الا أن الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه الى آخرين و يقبح عندهم فعلهم و يقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشئ و يتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى * ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم * الكفران مثل فى حرمان الثواب كما أن الشكر مثل فى اعطائه اذا قيل الله شكور وقد نفى نفى الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا نكفر سعيه (وانا له كاتبون) أى نحن كاتبو ذلك السعى ومثبتوه فى صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه * استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين أى منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم * وقرئ حرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم * ومعنى (أهلكناها) عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها * ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية أن قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور أن يرجعوا و ينيبوا الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون و يقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعنى أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم و يموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أى لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول (فان قلت) بم تعلقت (حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هى (قلت) هى متعلقة بحرام وهى غاية له لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهى حتى التى يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعنى اذا وما فى حيزها * حذف المضاف الى (يأجوج ومأجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد * الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس رضى الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية * وقرئ (ينسلون) بضم السين ونسل وعسل أسرع و (اذا) هى المفاجأة وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هى شاخصة أو فهى شاخصة كان سديدا (هى) ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا و يقولون فى موضع الحال من الذين كفروا (ما تعبدون من دون الله) يحتمل الاصنام وابليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم و يصدقه ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح و بنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعنى عزيرا والمسيح والملائكة عليهم السلام (فان قلت) لم قرنوا بآلهتهم (قلت) لانهم لا يزالون لمقارنتهم فى زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون بهم فى الآخرة و ينتفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شئ أبغض اليهم منهم

وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل

* قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (قال فيه ان قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت أول الخلق ايجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت هذا الذى ذكره ههنا فى المعاد قد عاد به الى الحق ورجع عما قاله فى سورة مريم حيث فسر الاعادة بجمع المتفرق خاصة الا أنه كدر صفو اعترافه بالحق بتفسيره قوله انا كنا فاعلين بالقدرة على الفعل ولا يلزم على هذا من القدرة على الفعل حصوله تحوعا على ان الموعود به ليس اعادة الاجسام عن عدم وان كانت القدرة صالحة لذلك ولكن اعادة الاجزاء على صورها مجتمعة مؤتلفة على ما تقدم له فى سورة مريم الا أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة ان الله ذكر ماضيا والاعادة وقوعها مستقبل فتعين عنده من ثم حمل الفعل على القدرة على فقد قارب ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره لان الافعال المستقبلة التى علم الله وقوعها كالماضية فى التحقق فمن ثم عبر عن المستقبل بالماضى فى مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والغرض الايذان بتحقيق وقوعه والله أعلم

(فان قلت) اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى (لهم فيها زفير) (قلت) اذا كانوا هم وأصنامهم فى قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وان لم يكن الزافر بن الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس * والحصب المحصوب به أى يحصب بهم فى النار والحصب الرمى وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا * وعن ابن مسعود يجعلون فى توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم (الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب وإما التوفيق للطاعة يروى أن عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول (لا يسمعون حسيسها) والحسيس الصوت يحس * والشهوة طلب النفس اللذة * وقرئ (لا يحزنهم) من أحزن و(الفزع الأكبر) قيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح * أى تستقبلهم (الملائكة) مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حل * العامل فى (يوم نطوى) لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول * (والسجل) بوزن (٣) العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة أى كما يطوى الطومار للكتابة أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذى يفسره (نعيده) والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء (فان قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه (قلت) أوله ايجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فان قلت) ما بال خلق منكرا (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى (وعدا) مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة للاعادة (انا كنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبى رحمة الله عليه * زبور داود عليه السلام * والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى اللوح * أى يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضى الله عنه هى أرض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم * الاشارة الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة * والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية * أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة

فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال * انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لأن (انما يوحى الىّ) مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد و(أنما الهكم اله واحد) بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفى قوله (فهل أنتم مسلمون) أن الوحى الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى ان الذى يوحى الىّ فتكون ما موصولة * آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله * وقول ابن حلزة

* آذنتنا ببينها أسماء * والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك (على سواء) أى مستوين فى الاعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائه و(ما توعدون) ه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا أدرى متى يكون ذلك لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين فى الاسلام و(ما تكتمون) ه فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو يجازيكم عليه * وما أدرى لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم (الى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة * قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و(رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى أحكم على أفعل التفضيل وربى أحكم من الاحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر * ومعنى (بالحق) لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر * قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

﴿ سورة الحج مكية غير ست آيات وهى هذان خصمان الى قوله الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* الزلزلة شدة التحريك والازعاج وأن يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها * ولا تخلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز الحكمى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع فى الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها * أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى لا يؤمنهم من تلك الأفزاع الا أن يتردوا به وروى أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة * وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أى

قل انما يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

﴿ سورة الحج مكية وهى ثمان وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل

﴿القول في سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل) قال أحمد والفرق بينهما ان وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه انه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل (٢٧٤) وخروج الصفة عليه وكذلك هو في الآية لقوله عما أرضعت فأخرج الصفة على الفعل وألحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكارى وماهم بسكارى أثبت لهم أولا السكر المجازى ثم نفى عنهم السكر الحقيق) قال أحمد والعلماء يقولون ان من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار اذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول وماهو بحمار فتنفى عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازى نفى الحقيقى أبلغ نفى مؤكد بالباء والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذى هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء وانما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع الى قوله وماهم بسكارى وكأنه تعليل لاثبات السكر المجازى كأنه قيل اذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سببه فقال سببه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أنه قال هو الوقت الذى يقول كل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه نفسى نفسى الخلقة

مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وماهم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة

تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة (فان قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التى هى في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام * قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائما أو رؤيتك قائما (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة * وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وماهم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (فان قلت) لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الافراد (قلت) لان الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهى معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم * قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا وهى عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) في ذلك خطوات (كل شيطان) عات * علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما أرى رؤساء أهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين اضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال

ويارب مقفو الخطابين قومه * طريق نجاة عندهم مستو نهج
ولو قرؤا في اللوح ماخط فيه من * بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذى رضيته لملائكتك في سمواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين * والكتبة عليه مثل أى كأنما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله * وقرئ أنه فأنه بالفتح والكسر فمن فتح فلأن الاول فاعل كتب والثانى عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغنى الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول * قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كأنه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم * والعلقة قطعة الدم الجامدة * والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل

لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه

الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم * وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما أبدأه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبى عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بأنه يقر (في الارحام) ما يشاء أن يقره من ذلك (الى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع * أو كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثانى أن نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) * ووحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا * الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والاباطيل وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع * وقرئ ومنكم من يتوفى أى يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في أوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهى به الى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أى ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ أبو عمرو العمر بسكون الميم * الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله في كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أى ارتفعت * البهيج الحسن السار للناظر اليه * أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو (أن الله هو الحق) أى الثابت الموجود وأنه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفى بما وعد * عن ابن عباس انه أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين * والمراد بالعلم العلم الضرورى * وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدى الى المعرفة * وبالكتاب المنير الوحى * أى يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة * وثنى العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولى الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه (ليضل) تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها (فان قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال (قلت) لما أدى جداله الى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال * وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل * والسبب فيما منى به من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذى يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت

الاشراوانقلب وعن أبى سعيد الخدرى أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت * المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدإ محذوف * استعير (الضلال البعيد) من ضلال من أبعد فى التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته * (فان قلت) الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها فى الآيتين وهذا تناقض (قلت) اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التى ادعاها لها (لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفى حرف عبد الله من ضره بغير لام * المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين * هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده فى ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور فى نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه * وسمى الاختناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع * وسمى فعله كيدا لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس يذهب ما يغيظه وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحى أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت * وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولابد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا * أى ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات و) لأن (الله يهدى) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا * الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد وقيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن * جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضى بينهم أى بين المؤمنين والكافرين وأدخلت ان على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

* سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخال أفعال المكلف فى باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذى كل خضوع دونه (فان قلت) فما تصنع بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذى فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثانى أن السجود قد أسند على سبيل العموم الى من فى الارض من الانس والجن أولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة (قلت) لا أنظم كثيرا فى المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أى ويسجد كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذى هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة فى حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله فى حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أى من الناس الذين هم الناس

خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب

على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ فى تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب * وقرئ حق بالضم وقرئ حقا أى حق عليهم العذاب حقا ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق فى علمه من كفره أو فسقه فقد بقى مهانا لن تجد له مكرما * وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه (يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين * الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى أهل الاديان الستة (فى ربهم) أى فى دينه وصفاته وروى أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وفى رواية عن الكسائى خصمان بالكسر * وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها (يصهر) يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة أى اذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره فى الباطن نحو تأثيره فى الظاهر فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم * والمقامع السياط فى الحديث لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها * وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهى حال (ولؤلؤا) بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولؤلوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولول كأدل فيمن جر ولؤلؤ وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس * وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة * يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة فى جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى الصدود منهم مستمر دائم (للناس) أى الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ وطارئ ومكى وآفاقى وقد استشهد به أصحاب أبى حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعى لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا من ديارهم وقال أنسب الديار الى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثانى مفعولى جعلناه أى جعلناه مستويا العاكف فيه والباد) وفى القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان * الالحاد العدول عن القصد وأصله الحاد الحافر وقوله (بالحاد بظلم) حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) يعنى أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل فى جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد فى الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل فى المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله ابن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل

ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم

فقيل له فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم أراد الحادا فيه فأضافه على الاتساع فى الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة فى الحرم تكتب ذنبا ٭ واذكر حين جعلنا (لابراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم ٭ وأن هى المفسرة (فان قلت) كيف يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له (لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى) من الاصنام والاوثان والاقذار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن فى الناس) نادفيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج أن يقول حجوا أو عليكم بالحج وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع (رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال كأنه قال رجالا وركبانا (يأتين) صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ٭ نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادات وعن أبى حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص ٭ وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان أهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الاصلى فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيأ من ذلك الحسن والروعة ٭ الأيام المعلومات أيام العشر عند أبى حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر ٭ البهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالانعام وهى الابل والبقر والضأن والمعز ٭ الأمر بالأكل منها أمر اباحة لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدى وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعنى ابنه وفى الحديث كلوا وادخروا وائتجروا (البائس) الذى أصابه بؤس أى شدة و(الفقير) الذى أضعفه الاعسار ٭ قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث ٭ وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر فى حجهم (وليطوفوا) طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير (فان قلت) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدا محذوف أى الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه فى بعض المعانى ثم اذا أراد الخوض فى معنى آخر قال هذا وقد كان كذا ٭ والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد ابن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها ٭ المتلو

واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام

٭ قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (قال) يجوز فى هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فان كان مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فصيرته مزعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء وشبه الاهواء التى تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة (قال أحمد) اما على تقدير أن يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاوى من السماء الى التنبيه على أحد أمرين اما أن يكون الاشراك المراد ردته فانه حينئذ كن علا الى السماء بايمانه ثم هبط بارتداده واما أن يكون الاشراك أصليا فيكون قد عد تمكن المشرك من الايمان ومن العلو به ثم عدوله عنه اختيارا بمنزلة من علا الى السماء ثم هبط كما قال تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فعدهم مخرجين من النور وما دخلوه قط ولكن كانوا متمكنين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بابسط من هذا وفى تقريره

لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى (الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها الا ما استثناه فى كتابه فحافظوا على حدوده واياكم أن تحرموا مما أحل شيأ كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك ٭ لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفى الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور فى قران واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيأ منه لتماديه فى القبح والسماجة وما ظنك بشئ من قبيله عبادة الاوثان ٭ وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة فى اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب (من الاوثان) بيان للرجس وتمييز له كقولك عندى عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شئ كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان ٭ والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الافك من أفكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ٭ يجوز فى هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التى تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ٭ وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء

الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق

تشبيه الافكار المتوزعة للكافر بالطير المختطفة وفى تشبيه تطويح الشيطان بالهوى مع الريح فى مكان سحيق نظر لان الامرين ذكرا فى سياق تقسيم حال الكافر الى قسمين فاذا جعل الاول مثلا لاختلاف الاهواء والافكار والثانى مثلا لنزغ الشيطان فقد جعلهما شيأ واحدا لان توزع الافكار واختلاف الاهواء مضاف الى نزغ الشيطان فلا يتحقق التقسيم المقصود والذى يظهر فى تقرير التشبيه غير ذلك فنقول لما انقسمت حال الكافر الى قسمين لا مزيد عليهما الاول منهما المتذبذب والمتمادى على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين مشبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولى طائر على مزعة منه الا انتهبها منه آخر وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال الا اتبعه ونزل عما كان عليه والثانى مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لا سبيل الى تشكيكه ولا مطمع فى نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج بضلالته فهذا مشبه فى اقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح الى واد سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار فى الوادى السحيق الذى هو أبعد الاحياء عن السماء وصف ضلاله بالبعد فى قوله تعالى أولئك فى ضلال بعيد وضلوا ضلالا بعيدا أى صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم الى الحق فهذا تحقيق القسمين والله أعلم

ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون

مع كسرهما وهى قراءة الحسن وأصلها تختطفه * وقرئ الرياح * تعظيم الشعائر وهى الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا سمانا غالية الأثمان ويترك المكاس فى شرائها فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطى فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله فى التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الاعضاء (الى أجل مسمى) الى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها * و (ثم) للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الاحوال والمعنى أن لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة. وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا فى النفع (محلها الى البيت) أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها فى الحرم منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه * شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك * وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أى أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أى خالصا لا تشوبوه بالشرك * المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا * وقرأ الحسن (والمقيمى الصلاة) بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل (البدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهى الابل خاصة ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر فى حكم الابل صارت البدنة فى الشريعة متناولة للجنسين عند أبى حنيفة وأصحابه والا فالبدن هى الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر فى جمع ثمرة وابن أبى اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه (من شعائر الله) أى من أعلام الشريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها (لكم فيها خير) كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شئ فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب * وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافى أى خوالص لوجه الله وعن عمرو ابن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء * وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام (القانع) السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بسؤال وقرأ الحسن والمعترى وعره وعراه واعتراه واعتره بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع * من الله على عباده واستحمد اليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقادة

للأخذ

* قوله تعالى فقد كذبت قبلهم الى قوله وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم (قال) فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب قلت لأن قوم موسى هم بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط أولا لأن آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكأنه قال وكذب موسى أيضا

طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة * أى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم * وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت * كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لأعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجىء أقوى وأبلغ * أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) أى بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم * والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا (أن يقولوا) فى محل الجر على الابدال من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله * دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا (من ينصره) أى ينصر دينه وأولياءه هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم ان مكنهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ فى ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم * يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدى فى التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة (فان قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت) لأن موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شئ آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته

بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية

على ظهور آياته) قال أحمد ويحتمل عندى والله أعلم انه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته الى موسى الا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلى قوله فأمليت للكافرين فيتصل المسبب بالسبب كما قال فى آية ق بعد تعديدهم كل كذب الرسل فحق وعيد فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدد ذكره والله أعلم

وعظم معجزاته فخاطئك بغيره * النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا * كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش * والخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط أو الخالى من خوى المنزل اذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل * وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هى خالية وهى على عروشها أى قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة (فان قلت) ما محل الجملتين من الاعراب أعنى وهى ظالمة فهى خاوية (قلت) الاولى فى محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل * قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا أنها عطلت أى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها * والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه روى أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم * يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا * وقرئ (فيكون لهم قلوب) بالياء * أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى (فانها) الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفى قراءة ابن مسعود فانه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره (الابصار) وفى تعمى ضمير راجع اليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الابصار فكأنه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب (فان قلت) أى فائدة فى ذكر الصدور (قلت) الذى قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا منى ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا * أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا عنده كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه فى طول ألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء * ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع الى والى حكمى (فان قلت) لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة * يقال سعيت فى أمر فلان اذا أصلحته أو أفسدته بسعيه * وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر

على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين

* قوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (قال فيه انذار بحلم الله تعالى ووقاره واستقصاره الامد الطويل حتى إن يوما واحدا عنده كألف سنة) قال أحمد الوقار المقرون بالحلم يفهم لغة السكون وطمأنينة الاعضاء عند المزعجات والاناة والتؤدة ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى الا بتوقيف وأما الوقار فى قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فقد فسر بالعظمة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت فى النقل

عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للاسلام يتم لهم (فان قلت) كان القياس أن يقال انما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده (قلت) الحديث مسوق الى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا فى الارض ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا (من رسول ولا نبى) دليل بين على تغاير الرسول والنبى وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر أن يدعو الناس الى شريعة من قبله والسبب فى نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو فى نادى قومه وذلك التمنى فى نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى (ألقى الشيطان فى أمنيته) التى تمناها أى وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروى الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى أن الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقى فى أمانيهم مثل ما ألقى فى أمنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد فى عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة أى هم الشفعاء لا الاصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها والذين (فى قلوبهم مرض) المنافقون والشاكون (والقاسية قلوبهم) المشركون المكذبون (وان الظالمين) يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (أنه الحق من ربك) أى ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة (وإن الله لهادى الذين آمنوا الى) أن يتأولوا ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين * الضمير فى (مرية منه) للقرآن أو للرسول صلى الله عليه وسلم * اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لان المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير * (فان قلت) التنوين فى (يومئذ) عن أى جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة * لما جمعتهم المهاجرة فى سبيل الله سوى بينهم فى الموعد وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطى من قتل تفضلا منه واحسانا * والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا

أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم

قدعلمناما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين * تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة * (فان قلت) كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عزوجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ماندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر فى قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وان تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور أى لا يلومه على ترك مابعثه عليه وهو ضامن لنصره فى كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغى عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغى ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر بسبب أنه قادر * ومن آيات قدرته البالغة أنه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه مايجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشر والبغى والانصاف وأنه (سميع) لما يقولون (بصير) بما يفعلون (فان قلت) مامعنى ايلاج أحد الملوين فى الآخر (قلت) تحصيل ظلمة هذا فى مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك فى مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضىء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته فى أحدهما ماينقص من الآخر من الساعات * وقرئ (تدعون) بالتاء والياء وقرأ اليمانى وأن مايدعون بلفظ المبنى للمفعول والواو راجعة الى مالأنه فى معنى الآلهة أى ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجرى فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت الهيته وأن كل مايدعى الها دونه باطل الدعوة وأنه لاشئ أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا * قرئ (مخضرة) أى ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة (فان قلت) هلا قيل فأصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع (قلت) لنكتة فيه وهى افادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علىّ فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (فان قلت) فماله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (قلت) لو نصب لأعطى ماهو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم ترانى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم فى علم الاعراب وتوقير أهله (لطيف) واصل علمه أو فضله الى كل شئ (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم (مافى الارض) من البهائم مذللة للركوب فى البر ومن المراكب جارية فى البحر وغير ذلك من سائر المسخرات * وقرئ (والفلك) بالرفع على الابتداء (أن تقع) كراهة أن تقع (الا) بمشيئته (أحياكم) بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة (لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم * هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى الدين وهم جهال لاعلم عندهم وهم كفار خزاعة روى أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهى له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أى لا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يكون الا بين اثنين (فى الامر) فى أمر الدين وقيل فى أمر النسائك وقرئ فلا ينزعنك أى اثبت فى دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت للنبى صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ماقلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزعه أى غلبته أى لا يغلبنك فى المنازعة (فان قلت) لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه (قلت) لأن تلك وقعت مع ماندانيها ويناسبها من الآى الواردة

ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلىّ الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له مافى السموات ومافى الارض وإن الله لهو الغنى الحميد ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم

فى

* قوله تعالى وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (قال فيه معناه ان الله عالم بالذات لا يتعذر عليه تعلق بمعلوم)

فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا * أى وان أبوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين (الله يحكم بينكم) خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبى صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه مايعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل مايحدث فى السموات والارض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه * والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه (يسير) لان العالم بالذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم (ويعبدون) مالم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى والسمع ولا ألجأهم اليها علم ضرورى ولا حملهم عليها دليل عقلى (وما) للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (المنكر) الفظيع من التجهم والبسور أو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام * وقرئ يعرف والمنكر * والسطو الوثب والبطش * قرئ (النار) بالرفع على انه خبر مبتدإ محذوف كأن قائلا قال ماهو فقيل النار أى هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ماتلى عليكم (وعدها الله) استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وأن يكون حالا عنها اذا نصبتها أو جررتها باضمار قد * (فان قلت) الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم * قرئ (تدعون) بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول (لن) أخت لا فى نفى المستقبل الا أن لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا (فان قلت) مامحل (ولو اجتمعوا له) (قلت) النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ماأنزله الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ماخلقه الله وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الاقل الأذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا * وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به * هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر * ثم ذكر أنه تعالى دراك للمدركات عالم بأحوال المكلفين مامضى منها وماغبر لا تخفى عليه منهم خافية * واليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله * لما ذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفى هذه السورة دلالات على ذلك فى غمة دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التى هى ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى (واعبدوا ربكم) اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله * وعن ابن عباس فى قوله (وافعلوا الخير) صلة الارحام ومكارم

وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم مابين أيديهم وماخلفهم والى الله ترجع الأمور ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير

قال أحمد وقد تقدم مثله وأنكرنا عليه تحميله القرآن مالا يحتمله فان الأعلم فى اللغة ذو العلم الزائد المفضل على علم غيره فكيف يفسر بما ينفى صفة العلم البتة هب أن الادلة العقلية لا وجود لها والله الموفق للصواب.

﴿القول في سورة المؤمنين﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الآية (قال اختلف في الايمان على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فقد اتصف بالايمان والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقى دون الفاسق الشقى) قال أحمد والاول مذهب الاشعرية والثانى مذهب المعتزلة والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر ولولم يبن المعتزلة على هذا المعتقد تحريم الجنة على الموحد الفاسق بناء على انه لا يندرج في وعد المؤمنين لكان البحث

معهم لفظيا ولكن رتبوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد نقل

لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

﴿سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون

الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى رضى الله عنه فرأى سجدتين في سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة (وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (في الله) أى في ذات الله ومن أجله * يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا ومنه (حق جهاده) (فان قلت) ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا (اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هى الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة * نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه أو على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فان قلت) لم يكن (ابراهيم) أبا للامة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأمته لان أمة الرسول في حكم أولاده (هو) يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة أبى بن كعب الله سماكم (من قبل وفي هذا) أى من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بأن الرسل قد بلغتهم * واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد) نقيضة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه * والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير و(أفلح) دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه أصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلونى البراغيث أو على الابهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله * فلو أن الاطبا كان حولى * (فان قلت) ما المؤمن (قلت) هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر

القاضى عنهم في رسالة الايمان خبطا طويلا فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته أن الايمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلا وتركا ونقل عن أبى الهذيل العلاف أن الايمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضى لاهل السنة أن الايمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقا فوجب أن يكون كذلك شرعا عملا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فانه لو كان لبينه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لانه مما ينبنى عليه قاعدة الوعد والوعيد ولم ينقل لان النقل اما آحاد أو تواتر الى

الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلوتهم يحافظون

والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقى دون الفاسق الشقى * الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره الى شئ أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصا وهو يقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث * (فان قلت) لم أضيفت الصلاة اليهم (قلت) لان الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى له فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهى عدته وذخيرته فهى صلاته وأما المصلى له فغنى متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها * اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه يعنى أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف * الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكى الذى هو التزكية وهو الذى أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكى فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لأمية بن أبى الصلت

المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا أصح لانها فيه مجموعة (على أزواجهم) في موضع الحال أى الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون الا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى على تضمينه معنى النفى كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك * (فان قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لانه أريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الاناث * جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة أربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت (فأولئك هم) الكاملون في العدوان المتناهون فيه (فان قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح * وقرئ (لأماناتهم) سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعانى ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها * والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويقال من راعى هذا الشئ أى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم * وقرئ (على صلاتهم) (فان قلت) كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت

آخر مادته * قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المزكى الذى هو التزكية ويتعين ههنا أن يكون المراد التزكية لقوله فاعلون اذ العين المخرجة لم يفعلها المزكى ثم ضبط المصدر على الاطلاق بانه الذى يصدق عليه انه فعل الفاعل فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدرا بالنسبة الى الله تعالى وكذلك السموات والارض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال فجميع الحوادث اذا قيل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد) ويقول السنى فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له ولكن اذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل ان يقال له من القائم من القاعد أجاب بمن خلق الله الفعل على يديه وجعله محلا له كزيد وعمرو

أولئك هـم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سـلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقـة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامـة تبعثون ولقـد خلقنا فوقكم سـبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقـدر فأسكناه فى الارض

أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصـلاة أى صـلاة كانت وجعت آخرا لتفاد المحافظة على أعـدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصـلاة الضحى والتهـجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل ✽ أى (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وراثا دون من عـداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لاتخفى على الناظر ومعنى الارث مامر فى سـورة مريم ✽ أنث الفردوس على تأويل الجنـة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ✽ السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ما بين ظهرانى الطين (فان قلت) ما الفرق بين من ومن (قلت) الاول للابتداء والثانى للبيان كقوله من الاوثان (فان قلت) ما معنى (جعلنا) الانسان (نطفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة ✽ القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التى هى صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها لانها مكنت بحيث هى وأحرزت ✽ قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة (خلقا آخر) أى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لاتدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أحسن الخالقين) أى أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه فى قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح ✽ قرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحى صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق فى قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التى هى اعدام الحياة والبعث الذى هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع (فان قلت) فاذا لاحياة الا حياة الانشاء وحياة البعث (قلت) ليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر كما لو ذكرت ثلثى ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوى ذكرها من جنس الاعادة ✽ الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة أولا نها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها ✽ أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وامساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض وقيل انها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف

معايشهم

وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهـذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ان هو الارجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا

معايشهم ✽ وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع النكرات وأحزها للفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايا عليه شئ اذا أراده وهو أبلغ فى الايعاد من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة فى الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر ✽ خص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أى ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لايخلو اما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لانها بقعة وفعلاء لايكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودى موسى عليه السلام وقرأ الاعمش سينا على القصر (بالدهن) فى موضع الحال أى تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ✽ قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

والثانى أن مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفى حرف أبى تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة فى قوله توقد من شجرة مباركة ✽ قرئ تسقيكم بتاء مفتوحة أى تسقيكم الانعام (ومنها تأكلون) أى تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لايؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهى الاكل الذى هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة وقرنها بالفلك التى هى السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة ✽ سفينة بر تحت خدى زمامها ✽ يريد صيدحه (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التى لاتحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شئ (أن يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء فى الارض (بهذا) اشارة الى نوح عليه السلام أو الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله أى ما سمعنا بمثل هذا الكلام أو بمثل هـذا الذى يدعى وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ماسمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا فى فترة متطاولة أو تكذبوا فى ذلك لانهماكهم فى الغى وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا تراهم كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا ✽ والجنة الجنون أو الجن أى به جن يخبلونه (حتى حين) أى احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلى أمره عن عاقبة فان أفاق من جنونه والا قتلتموه ✽ فى نصرته اهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم اياى أو انصرنى بدل ما كذبونى كما تقول هذا بذاك أى بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرنى بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (بأعيننا) بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه

ووحينا فاذا جاء أمرنا
وفار التنور فاسلك فيها
من كل زوجين اثنين
وأهلك الا من سبق
عليه القول منهم ولا
تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون فاذا
استويت أنت ومن
معك على الفلك فقل
الحمد لله الذى نجانا من
القوم الظالمين وقل
رب أنزلنى منزلا مباركا
وأنت خير المنزلين ان
فى ذلك لآيات وان كنا
لمبتلين ثم أنشأنا من
بعدهم قرنا آخرين
فأرسلنا فيهم رسولا
منهم أن اعبدوا الله
مالكم من اله غيره
أفلا تتقون وقال الملأ
من قومه الذين كفروا
وكذبوا بلقاء الآخرة
وأترفناهم فى الحيوة
الدنيا ماهذا الابشر
مثلكم يأكل مما تأكلون
منه ويشرب مما تشربون
ولئن أطعتم بشرا مثلكم

قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أى نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى أنه أوحى اليه أن يصنعها على
مثال جؤجؤ الطائر ٭ روى أنه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن
معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان
من حجارة فصار الى نوح واختلف فى مكانه فعن الشعبى فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب
كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن
عباس رضى الله عنه التنور وجه الارض وعن قتادة أشرف موضع فى الارض أى أعلاه وعن على رضى
الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم
حمى الوطيس والقول هو الاول ٭ يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال ٭ حتى اذا أسلكوهم فى
قتائدة ٭ (من كل زوجين) من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن
والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل الا ما يلد
ويبيض وقرئ من كل بالتنوين أى من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان ٭ جئ بعلى مع
سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا
لا على ولا لى ٭ (فان قلت) لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة (قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب
الحكمة أن يغرقوا لاستحالة لما عرف من المصلحة فى اغراقهم والمفسدة فى استبقائهم وبعد أن أملى لهم الدهر
المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ٭ ولقد بالغ فى ذلك حيث
أتبع النهى عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين ٭ ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله فى السفينة أو فى الارض عند
خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسئلته
وهو قوله (وأنت خير المنزلين) (فان قلت) هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت أنت ومن معك لانه فى
معنى فاذا استويتم (قلت) لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار
كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبى ٭ وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال
كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه (ان) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها فى المعنى
وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) أى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه
الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (قرنا آخرين)
هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضى الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح ومجئ قصة هود على أثر قصة نوح فى سورة الاعراف وسورة هود والشعراء ٭ (فان
قلت) حق أرسل أن يعدى بالى كأخواته التى هى وجه وأنفذ وبعث فما باله عدى فى القرآن بالى تارة وبفى
أخرى كقوله كذلك أرسلناك فى أمة وما أرسلنا فى قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أى فى عاد وفى
موضع آخر والى عاد أخاهم هودا (قلت) لم يعد بفى كما عدى بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة أو القرية
جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ٭ أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام ٭ وقد جاء بعث على ذلك فى قوله ولو شئنا
لبعثنا فى كل قرية نذيرا (أن) مفسرة لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) ٭ (فان قلت)
ذكر مقال قوم هود فى جوابه فى سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملأ الذين كفروا من قومه انا
لنراك فى سفاهة قالوا ياهود ماجئتنا ببينة وههنا مع الواو فأى فرق بينهما (قلت) الذى بغير واو على تقدير
سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذى مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه
أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما (بلقاء الآخرة) بلقاء ما فيها من الحساب والثواب
والعقاب كقولك ياحبذا جوار مكة أى جوار الله فى مكة ٭ حذف الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه

انكم اذا لخاسرون
أيعدكم أنكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما أنكم
مخرجون هيهات
هيهات لما توعدون ان
هى الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيى ومانحن
بمبعوثين ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا
ومانحن له بمؤمنين قال
رب انصرنى بما كذبون
قال عما قليل ليصبحن
نادمين فأخذتهم
الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم
الظالمين ثم أنشأنا من
بعدهم قرونا آخرين
ماتسبق من أمة
أجلها ومايستأخرون
ثم أرسلنا رسلنا تترى
كلما جاء أمة رسولها
كذبوه فأتبعنا بعضهم
بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم
لايؤمنون ثم أرسلنا
موسى وأخاه هرون
بآياتنا وسلطان مبين
الى فرعون وملئه
فاستكبروا وكانوا قوما
عالين فقالوا أنؤمن
لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين
ولقد آتينا

لدلالة ماقبله عليه (اذا) واقع فى جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم أى تخسرون عقولكم
وتغبنون فى آرائكم ٭ ثنى (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثانى بالظرف ومخرجون
خبر عن الاول أو جعل أنكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن
أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية
خبرا عن أنكم وفى قراءة ابن مسعود أيعدكم اذا متم ٭ قرئ (هيهات) بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا
تنوين وبالسكون على لفظ الوقف (فان قلت) ماتوعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع
فى قوله ٭ فهيهات هيهات العقيق وأهله ٭ فما هذه اللام (قلت) قال الزجاج فى تفسيره البعد لما توعدون
أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو
بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به ٭ هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما
يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الا حياتنا الدنيا) ثم وضع هى موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها
ومنه هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لأن ان النافية
دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى نفت ما بعدها نفى الجنس (نموت
ونحيى) أى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر ٭ ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه
من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث ومانحن بمصدقين (قليل) صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك
ما رأيته قديما ولا حديثا وفى معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل
عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من
قولك فلان يقضى بالحق اذا كان عادلا فى قضاياه ٭ شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود
من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا فى قول امرئ القيس
٭ من السيل والغثاء فلكة مغزل ٭ بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهى من
جملة المصادر التى قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا أى هلكوا يقال بعد بعدا
وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا و (للقوم الظالمين) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون (قرونا)
قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما بنى اسرائيل (أجلها) الوقت الذى حد
لهلاكها وكتب (تترى) فعلى الالف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو
كما فى تولج وتيقور أى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل اليه تعالى والى أممهم
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس
المرسل والمرسل اليه جميعا (فأتبعنا) الامم أو القرون (بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم) أخبارا يسمر
بها ويتعجب منها ٭ الأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون
جمعا للاحدوثة التى هى مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهى مما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو
المراد ههنا (فان قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لانها كانت أم آيات موسى
وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها
ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن
تراد الآيات أنفسها أى هى آيات وحجة بينة (عالين) متكبرين ان فرعون علا فى الارض لا يريدون علوا
فى الارض أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغى والظلم ٭ البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين
فاما ترين من البشر ٭ ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن
الارض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما)
يعنى بنى اسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا أو لانه كان يدعى الالهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم

* وقوله عزوجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (قال هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك) قال أحمد هذه نفحة اعتزالية فان مذهب أهل السنة ان الله تعالى متكلم آمر ناه أزلا ولا يشترط فى تحقق الامر وجود المخاطب فعلى هذا قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت أزلا على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كما فى هذا الخطاب أو مجتمعين كما فى زعمه والمعتزلة لما أبت اعتقاد قدم الكلام زلت بهم القدم حتى حملوا هذه الآية وأمثالها على المجاز وخلاف الظاهر وما بال الزمخشرى نص هذه الآية بأنها على خلاف الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الاوامر العامة فى الامة على خلاف الظاهر

موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون

له عبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أى قوم موسى التوراة (لعلهم) يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملئهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويرادقومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير فى لعلهم الى فرعون وملئه لان التوراة انما أوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * (فان قلت) لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمه آية) ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها * الربوة والرباوة فى رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهى الارض المرتفعة قيل هى ايليا أرض بيت المقدس وانها كبد الارض وأقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبى هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر * والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها * والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض وقد اختلف فى زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة * هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه * والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المباح كل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آويناهما وقلنا لهما هذا أى أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل * قرئ وان بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من الثقيلة و(أمتكم) مرفوعة معها * وقرئ (زبرا) جمع زبور أى كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل فى رسل * أى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق * الغمرة الماء الذى يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال * كأننى ضارب فى غمرة لعب * وعن على رضى الله عنه فى غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره * وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه وتعالى ويجوز فى يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى أن هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد فى جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين و(بل) استدراك لقوله أيحسبون يعنى بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا فى ذلك أهو استدراج أم مسارعة فى الخير (فان قلت) أين الراجع من خبر أن الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره (قلت) هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور أى ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الالباس

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق

(يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون فى الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون فى الخيرات (لها سابقون) أى فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لاجلها أو اياها سابقون أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله * أنت لها أحمد من بين البشر * يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح أو صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد أن الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته * بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها (من هذا) أى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال) متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وحتى هذه هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد * الجؤار الصراخ باستغاثة قال * جأر ساعات النيام لربه * أى يقال لهم حينئذ (لا تجأروا) فان الجؤار غير نافع لكم (منا لا تنصرون) لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة * قالوا الضمير فى (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة الا أنهم ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع الى آياتى الا أنه ذكر لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامرا أى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تهجرون والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر فى منطقه اذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أ(جاءهم ما لم يأت آباءهم) فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد ابن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشكوا فى أن تبعا كان مسلما وروى فى أن ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمدا وصحة نسبه وحلوله فى سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها أبو طالب

* قوله تعالى بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (قال فان قلت أكثرهم يعطي ان أقلهم لا يكره الحق وكيف ذلك والكل كفرة قلت فيهم من أبي الاسلام حذرا من مخالفة آبائه ومن أن يقال صبأ كأبي طالب لا كراهة للحق) قال أحمد وأحسن من هذا أن يكون الضمير في قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولماذا كره هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق والنبي صلى الله عليه وسلم جاء (٢٩٤) الناس كلهم وبعث الى الكافة ويحتمل أن يحمل الاكثر على الكل كما حمل القليل على النفي والله أعلم وأما قول الزمخشري ان من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليد الآباء ليس كارها للحق فمردود فان من أحب شيأ كره ضده

فاذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه الى الايمان ضرورة والله أعلم ثم انجر الكلام الى استبعاد ايمان أبي طالب وتحقيق القول فيه انه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم لاشتهر اسلامه كما اشتهر اسلام العباس وحمزة وأجدر لانه أشهر وللقائل باسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بانه انما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف في الاسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام هذا والظاهر أنه لم يسلم وحسبك دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وانه بعد ذلك لفي ضحضاح من نار يغلي رأسه من قدميه * فان قيل لا يلزم من ذلك موته على الكفر لان كثيرا من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك * قلنا من أثبت اسلامه ادعى ان ذلك كان قبيل الاحتضار فالاسلام جب ما قبله وتلك الدقيقة التي صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصي ما يوجب ذلك والله أعلم

وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم

في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها منادياء الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشؤا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فأخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر (فان قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الايمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب (فان قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح اسلامه (قلت) يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى اسلام أبي طالب * دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والارض (بذكرهم) أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم * قرئ خرجا فخراج وخراجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعي بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر * يحتمل أن هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لناكبون) أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب * لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع والمعنى

* قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال استكان استفعل من الكون أي انتقل من كون الى كون كما يقال استحال اذا انتقل من حال الى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل ثم أشبعت الفتحة فتولدت الالف كتولدها في قوله * ينباع من ذفرى غضوب جسرة * فان هذا الاشباع ليس بفصيح وهو من ضرورات الشعر فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه لكن تنظير الزمخشري له باستحال وهم فان استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل وأما استحال فمثاله حال يحول اذا انتقل من حال الى حال واذا كان الثلاثي يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل للتحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه اذ لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى والله أعلم ثم نعود الى تأويله فنقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص الى كون الخضوع والضراعة الى الله تعالى * ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون الى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر الى الخضوع بأولى من العكس وترى هذه الصيغة لا تفهم الا أحد الانتقالين فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعا * والجواب أن أصلها كذلك على الاطلاق ولكن غلب العرف (٢٩٥) على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها والله أعلم وكان جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر لي أنه لما دخل بغداد زمن الامام الناصر رضي الله عنه أظهر من جملة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلا للمناظرة وكان يذكر لي أن مما انجر الكلام اليه حينئذ هذه الآية وان أحدهم وكان يعرف بالاجل اللغوي خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك اذا خضعت وهي لغة هذلية فاستحسن منه ذلك * قال أحمد وقد وقفت عليها بعد ذلك في غريب أبي عبيد الهروي وهو أحسن محامل الآية وأسلمها والله أعلم وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وقد قال لي بعضهم يوما لم لا تجعله على هذا التأويل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم فقلت لا يسعني ذلك لان المعنى يأباه وذلك انها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب فلو ذهبت الى جعلها للمبالغة أفادت نقص المبالغة لان نفي الابلغ أدنى من نفي الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير وانهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها وليس الواقع فانهم ما تسموا بالضراعة ولا بلمظة منها فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية والله أعلم

وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه * واستشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فان قلت) ما وزن استكان (قلت) استفعل من الكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح (فان قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا * انما خص السمع والأبصار والأفئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك * أي تشكرون شكرا قليلا و(ما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقا (ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (واليه) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله اختلاف الليل والنهار) أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره * وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو * أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم * الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة * اني وأسطار سطرن سطرا *

* قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى أحسن (قال أحمد) ما ذكره تقرير المفاضلة عبارة عن الاشتراك فى أمر والتميز بغيره ولا اشتراك بين الحسنة والسيئة فانهما ضدان متقابلان فكيف تتحقق المفاضلة * قلت المراد أن الحسنة من باب الحسنات أزيد من السيئة من باب السيئات فتجيء المفاضلة بما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن (٢٩٦)

كل مفاضلة بين ضدين كقولهم العسل أحلى من الخل يعنون أنه فى الاصناف الحلوة أميز من الخل فى الاصناف الحامضة وليس لان

بينهما اشتراكا خاصا ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال نشأت أنا والاعمش فى حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا يعنى أنهما استويا فى بلوغ كل منهما الغاية أشعب بلغ الغاية على السفلة والاعمش بلغ الغاية على العلية هذا تفسير كلامه عن نفسه ونعود الى الآية فنقول هى تحتمل وجها آخر من التفضيل أقرب متناولا وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التى تدفع بها السيئة فانها قد تدفع بالصفح والاغضاء و يقنع فى دفعها بذلك وقد يزاد على الصفح الاكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الانواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات فى الدفع هى الاخيرة لاشتمالها على عدد من الحسنات فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات فى دفع السيئة فعلى هذا تجرى المفاضلة على حقيقتها من غير حاجة الى تأويل والله أعلم فتأمله فانه حسن جدا ٣ (إما ترئنهم) هذه نسخة وفى أخرى وإما ترئنى بالهمز كما قرئ الخ اه مصححه

أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم

وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق * أى أجيبونى عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين * وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية * قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا فى مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشأم و بغير اللام وهو هكذا فى مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد و بغير اللام على اللفظ * ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت فى الرواية (أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله * أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى * وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم (بالحق) بأن نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا (لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ * (فان قلت) اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله و بالرفع خبر مبتدا محذوف * ما والنون مؤكدتان أى ان كان لا بد من أن ترينى ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (فلا تجعلنى) قرينا لهم ولا تعذبنى بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له فى أمته نقمة ولم يخبره أفى حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء (فان قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه ٣ * وقرئ اما ترئنهم بالهمز مكان ترينى كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهى ضعيفة * وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار * كانوا ينكرون الموعد بالعذاب و يضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار * هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها

* قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (قال ان قلت قد ناقض هذا قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال أحمد يجب أن لا يسلك هذا المسلك فى ايراد الأسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل (٢٩٧) من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسؤال الادب أن يقال قصر فهمى عن الجمع بين هاتين الآيتين فما وجهه ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن شئ من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة لأوجع ظهره بالدرة * عاد كلامه الى جواب السؤال (قال وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة) قال أحمد وكثيرا ما ينتهز الزمخشرى الفرصة فى انكار الشفاعة و يشمر ذيله للرد على القائلين بها اذا انتهى الى مثل قوله ولا تنفعها شفاعة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة و يتغافل حينئذ عن طريق الجمع بين ما ظاهره نفى الشفاعة و بين ما ظاهره ثبوتها بحمل الامر على اختلاف الاحوال فى القيامة والله الموفق

عما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا

ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى أحسن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء مروءة (بما يصفون) بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصى ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى ونحو الهمز الأز فى قوله تعالى تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع (حتى) يتعلق بيصفون أى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم و يغريه على الانتصار منهم أو على قوله وانهم لكاذبون * خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * وقوله * ألا فارحمونى يا اله محمد * اذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الامر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلى أعمل صالحا) فى الايمان الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أؤسس أساوأبنى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد * والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أى أمامهم حائل بينهم و بين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة * الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبى رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة * ونفى الانساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف الا بالاعمال فتلغو الأنساب وتبطل وأنه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يساءلون بادغام التاء فى السين (فان قلت) قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسئل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما (قلت) فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثانى أن التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس * الموازين جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال أى الصالحات التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا أن اللفح أشد تأثيرا والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الأسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك ابن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر فى السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن

* قوله عزوجل ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به (قال فيه لا برهان له به اما صفة لازمة أو كلام معترض لان فى الصفة افهاما لان الها سوى الله يمكن أن يكون به برهان) قال أحمد ان كان صفة فالمقصود بها التهكم بمدعى اله مع الله كقوله بما أشركوا بالله ما لم

ورو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كالحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك غلبنى فلان على كذا اذا أخذه منك وامتلكه * والشقاوة سوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما (اخسؤا فيها) ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه (ولا تكلمون) فى رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا فيجابون أولم تكونوا فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها * فى حرف أبى أنه كان فريق بالفتح بمعنى لأنه * السخرى بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما قيل الخصوصية فى الخصوص وعن الكسائى والفراء أن المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية أى تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى تركتم أن تذكرونى فتخافونى فى أوليائى * وقرئ (أنهم) بالفتح فالكسر استئناف أى قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم أحسن الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم (قال) فى مصاحف أهل الكوفة وقل فى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشأم ففى قال ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة وفى قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار * استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة اليها أو لأنهم كانوا فى سرور وأيام السرور قصار أو لأن المنقضى فى حكم ما لم يكن وصدقهم الله فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها * وقرئ (فسل العادين) والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر أن يلقى اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين * (عبثا) حال أى عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهى أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصى ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسىء * (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا أى للعبث ولتركتكم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء (الحق) الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه * وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لنسبته الى أكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد (لا برهان له به) كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جىء بها للتوكيد لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فالله مثيبه * وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح

ينزل به سلطانا فنفى انزال السلطان به وان لم يكن فى نفس الامر سلطان

غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به

لا منزل ولا غير منزل ومن جنس مجىء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما قدمه عند قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت حيث أعرب الزمخشرى موعدا مصدرا ناصبا لمكانا سوى واعترضه بان المصدر الموصوف لا يعمل الا على كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم والاصل

﴿القول فى سورة النور﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر فى الرفع وجهين أحدهما الابتداء والخبر محذوف وهو اعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيما فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدهما الثانى أن يكون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وانما عدل سيبويه الى هذا الذى نقله عنه لوجهين لفظى ومعنوى أما اللفظى فلان الكلام أمر وهو يختار النصب ومع ذلك قراءة العامة فلو جعل فعل الامر خبرا وبنى المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ الى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنيا على الامر تخلص من مخالفة الاختيار وقد مثلهما سيبويه فى كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار الآية ووجه التمثيل انه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره فتعين تقدير خبره محذوفا وأصله وفيما نقص عليكم مثل الجنة ثم لما كان هذا اجمالا لذكر المثل فصل المجمل بقوله فيها أنهار الى آخرها فكذلك ههنا كأنه قال وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزانى ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد وناسب هذا ترجمة الفقهاء فى كتبهم حيث يقولون مثلا الصلاة الزكاة السرقة ثم يذكرون فى كل باب أحكامه يريدون مما يصنف فيه ويبوب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا بيان المقتضى عند سيبويه لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر

والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح فى معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة) خبر مبتدا محذوف و (أنزلناها) صفة أوهى مبتدأ موصوف والخبر محذوف أى فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لأنزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت فى حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التى فيها وأصل الفرض القطع أى جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة فى الايجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى وأنك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الذال وتخفيفها * رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم (الزانية والزانى) أى جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط تقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الامر وقرئ والزان بلا ياء * والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه (فان قلت) أهذا حكم جميع الزناة والزوانى أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند أبى حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعى الاسلام ليس بشرط لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة أبى حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فان قلت) اللفظ يقتضى تعلق الحكم بجميع الزناة والزوانى لأن قوله الزانية والزانى عام فى الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزانى يدلان على الجنسين المنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة فى الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله

فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

يفعل بالاسم المشترك * وقرئ ولا يأخذ كم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآ فة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله و يستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة فى استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فى ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت أرحم بهم منى فيؤمر به الى النار و يؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبى هريرة اقامة حد بارض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفى لفظ الجلد اشارة الى أنه لا ينبغى أن يتجاوز الألم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعى على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعى فى تغريب الحر واحد وله فى العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر و يغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى فى قوله تعالى فأمسكوهن فى البيوت وقوله تعالى فآذوهما وقيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمى نكالا * الطائفة الفرقة التى يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهى صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشئ وعن ابن عباس فى تفسيرها أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هى الجماعة التى يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس فى قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فأما اللاتى فى الدنيا فيذهب البهاء و يورث الفقر و ينقص العمر وأما اللاتى فى الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود فى النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهى الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل و يشهد له قول ابن عباس رضى الله عنهما الى أربعين رجلا من المصدقين بالله * الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء واللاتى على خلاف صفته وانما يرغب فى فاسقة خبيثة من شكله أو فى مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال و ينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزوانى والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين فى نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس رضى الله عنهما وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح

والحرام

ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا

لانه يكون قد ذكر حكم الزانية والزانى مجملا حيث قال الزانية والزانى وأراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزانى فلما تشوف السامع الى تفصيل هذا المجمل ذكر حكمهما مفصلا فهو أوقع فى النفس من ذكره أول وهلة والله أعلم

والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت فى القرآن لم ترد الا فى معنى العقد والثانى فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزانى لا يزنى الا بزانية والزانية لا يزنى بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما فى أول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وأنكحوا الأيامى منكم وقيل الاجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه (فان قلت) أى فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فان قلت) كيف قدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هى المادة التى منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا فى ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضى الله عنه لا ينكح بالجزم على النهى والمرفوع فيه أيضا معنى النهى ولكن أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها * وقرئ وحرم بفتح الحاء * القذف يكون بالزنا وبغيره والذى دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيآن أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزوانى والثانى اشتراط أربعة شهداء لأن القذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية أو لمحصن يا زانى يا ابن الزانى يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لأبيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودى يا مجوسى يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة * وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة (فان قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم أن يحضروا فى مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعى رضى الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فان قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم (قلت) يجوز عند أبى حنيفة خلافا للشافعى (فان قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما جلد الزانى الا أنه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضا كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها (فان قلت) فاذا لم يكن المقذوف محصنا (قلت) يعزر القاذف ولا يحد الا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير * رد شهادة القاذف معلق عند أبى حنيفة رضى الله عنه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته أبدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعى رضى الله عنه

* قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك (قال ان قلت أى فرق بين الجملتين فى المعنى قلت معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان) قال أحمد وليس فيما ذكره ايضاح انطباق الجملتين ونحن نوضحه فنقول الاقسام أربعة الزانى لا يرغب الا فى زانية الزانية لا ترغب الا فى زان العفيف لا يرغب الا فى عفيفة العفيفة لا ترغب الا فى عفيف وهذه الاقسام الاربعة مختلفة المعانى وحاصرة للقسمة فنقول اختصرت الآية من هذه الاربعة قسمين واقتصرت على قسمين أخرى من المسكوت عنهما فجاءت مختصرة جامعة فالقسم الاول صريح فى القسم الاول و يفهم الثالث والقسم الثانى صريح فى القسم الثانى و يفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث ان المقتضى لانحصار رغبة العفيف فى العفيفة هو اجتماعهما فى العفة وذلك بعينه مقتض لانحصار رغبتها فيه ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والاعفاء عما لا يقل عن ذكر الزناة وجودا وسلبا فان معنى الاول الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثانى العفيفة لا ينكحها زان والسر فى ذلك أن الكلام فى أحكامهم فذكر الاعفاء بسلب نقائصهم حتى لا يخرج بالكلام عما هو المقصود منه ثم بينه فى اسناد النكاح فى هذين القسمين للذكور دون الاناث بخلاف قوله الزانية والزانى فانه جعل لكل واحد منهما تماما استقلالا وقدم الزانية على الزانى والسبب فيه ان الكلام الاول فى حكم الزنا والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من الايماض والاطماع والكلام الثانى فى نكاح الزناة اذا وقع ذلك على الصحة والاصل فى النكاح الذكور وهم المبتدؤن بالخطبة فلم يسند الا لهم لهذا وان كان الغرض من الآية تنفير الاعفاء من الذكور والاناث من مناكحة الزناة ذكورا واناثا زجرا لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك ومن ثم كره مالك رحمه الله مناكحة المشهورين بالفاحشة وقد نقل بعض أصحابه الاجماع فى المذهب على أن للمرأة أو لمن قام من أوليائها فسخ نكاح الفاسق ومالك أبعد الناس من اعتبار الكفاءة

يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك
بالآية فأبو حنيفة رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد
فكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاما مستأنفا
غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و (الا الذين تابوا)
استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فان الله غفور رحيم) والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط
الجملتين أيضا غير أنه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل
الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي
حنيفة رضي الله عنه أن يكون منصوبا لأنه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون
الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم
أي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير
مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فان قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع
والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رضي الله عنه كأن القذف مع
الكفر أهون من القذف مع الاسلام (قلت) المسلمون لا يعبؤن بسب الكفار لأنهم شهروا بعداوتهم
والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد
على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار (فان قلت) هل للمقذوف أو للامام أن يعفو عن حد
القاذف (قلت) لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى أن لا يرافع القاذف
ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه
لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح
عنه بمال (فان قلت) هل يورث الحد (قلت) عند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم
الحد لا يورث وعند الشافعي رضي الله عنه يورث واذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه
الآية في حسان بن ثابت رضي الله عنه حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها * قاذف امرأته اذا كان
مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح
الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة
محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع
شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في
الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رضي الله عنه يقام
الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على
فيه ويقول له اني أخاف ان لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على
المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا
الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما
ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان
وعن عثمان البتي لا فرقة أصلا وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم
التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها فاذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك
فحد جاز أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هي فرقة بغير طلاق
توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل

وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل

الافى الدين وأما في النسب فقد بلغه أنهم فرقوا بين عربية ومولى فاستعظمه وتلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم

* قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا (قال معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى
ولا تلمزوا أنفسكم) قال أحمد والسر في هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن (٣٠٣) يذكره بسوء وتصوير ذلك

مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على
غيظ والى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية
أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال
هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت
لا أدري ألغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن
بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه إن غضب الله عليها آمين وقال
القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به أورق جعدا
جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت بأشبه خلق الله لشريك
فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن * وقرئ ولم تكن بالتاء لأن الشهداء جماعة أو
لأنهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر
الذي هو فشهادة أحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله
وقرئ أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئ أن غضب الله على فعل الغضب
وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة (فان قلت) لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب
الله (قلت) تغليظا عليها لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد
ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله * الفضل التفضل وجواب
لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به * الافك أبلغ ما يكون
من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك
عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها * والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك
العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن
أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم * وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله
لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة * أي يصيب
كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه * والعذاب العظيم لعبد الله
لأن معظم الشر كان منه يحكى أن صفوان رضي الله عنه مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من
هذه فقالوا عائشة رضي الله عنها فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى
أصبحت ثم جاء يقودها * والخطاب في قوله (هو خير لكم) لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهم ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه
الثواب العظيم لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو
تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لأهل
البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه وعدة ألطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة
وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها (بأنفسهم) أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات
كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما روي أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت
لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل
عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (فان قلت)
هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر

بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شيء أشنع من ذلك والله أعلم * عاد كلامه (قال ونقل أن أبا أيوب الانصاري قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير مني) قال أحمد ولقد ألهمت بنور الايمان الى هذا السر الذي انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس فانها نزلت زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والامانة حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الاولى

هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا

رضي الله عنها ويحتمل والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشري وهو أن يكون التعبير بالانفس حقيقة والمقصود الزام سيء الظن بنفسه لأنه
لم يعتد بوازع الايمان في حق غيره وألغاه واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى والله أعلم

* قوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم (قال ان قلت القول لا يكون الا بالأفواه فما فائدة ذكرها قلت المراد ان هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب (٣٠٤) وانما هو مجرد قول اللسان) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد المبالغة أو تعريضا بأنه ربما يتشدق
ويقضي بتصدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع وهو السر الذي أتبعه قوله تعالى قد بدت البغضاء من أفواههم والله أعلم * قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم (قال معناه التعجب

(قلت) ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا إفك مبين) هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات * جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا (عند الله) أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله لولا الأولى للتحضيض وهذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك * يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض (اذ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات * وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمي تقرأ اذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فان قلت) ما معنى قوله (بأفواهكم) والقول لا يكون الا بالفم (قلت) معناه أن الشئ المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم * أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشئ من سيآتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الافك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم * (فان قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها (فان قلت) فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق و (سبحانك) للتعجب من عظم الامر (فان قلت) ما معنى التعجب في كلمة التسبيح (قلت) الاصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فان قلت) كيف جاز أن تكون امرأة

هذا إفك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله

من عظيم الامر وأصله ان الانسان اذا رأى عجيبا من صنائع الله تعالى سبحه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه ثم أوردها سؤالا على توبيخهم على ترك التعجب فقال ان قلت لم جاز أن تكون زوجة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة ولم يكن كفرها متعجبا منه وفجورها متعجب منه قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويتألفوا اليهم وكفر الزوجة غير مانع ولا منفر بخلاف الكشخنة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحدا يشكل عليه أن ينسب الفاحشة الى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

النبي

النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة (قلت) لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات * أي كراهة (أن تعودوا) أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه * وأبدهم ما داموا أحياء مكلفين و (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح * ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شئ فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة * المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم (والله يعلم) ما في القلوب من الاسرار والضمائر (وأنتم لا تعلمون) يعني أنه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤف والرحيم * الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب * ضرائر حرمي تفاحش غارها * أي أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه * وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها * وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم * وهو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم تدخر منه شيأ ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله * وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شئ تغليظه في افك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لأمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان

أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين

قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية (قال ان كانت عائشة هى المرادة فلم جمع قلت المراد إما أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن واما عائشة وجمعت ارادة لها ولبناتها كما قال * قدنى من نصر الخبيبين قدى * يعنى عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان يكنى أبا خبيب) قال أحمد والاظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع فى عائشة على أبلغ الوجوه لانه اذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت وأرادت يوسف تهويلا عليه وارجافا (٣٠٦) والمعصوم من عصمه الله تعالى * قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات الآية

الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه (فان قلت) ان كانت عائشة هى المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثانى أنها أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال * قدنى من نصر الخبيبين قدى * أراد عبد الله ابن الزبير وأشياعه وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبو بكر الا أن هذا فى الاسم وذاك فى الصفة (فان قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق البين أى العادل الظاهر العدل الذى لا ظلم فى حكمه والمحق الذى لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسئ ولا احسان محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه * أى (الخبيثات) من القول تقال أو تعد (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون (أولئك) اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك اشارة الى أهل البيت وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك أهل الطيب * وذكر الرزق الكريم ههنا مثله فى قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه لفى حجرى ولقد قبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى وان الوحى لينزل عليه فى أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما (تستأنسوا) فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لأن الذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش

(قال) تحتمل الآية أمرين أحدهما أن يكون المراد الكلمات الخبيثة للخبيثين والمراد الافك ومن أفاض فيه وعكسه فى الطيبات والطيبين الثانى أن يكون المراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها

الرجال (قال أحمد) ان كان الامر على التأويل الثانى فهذه الآية تفصيل لما أجمله قوله تعالى الزانية لا ينكحها الا زان وقد بينا أنها مشتملة على هذه الاقسام الاربعة تصريحا وتضمينا لجاءت هذه الآية مصرحة بالجميع وقد اشتملت على فائدة أخرى وهى الاستشهاد من على براءة أم المؤمنين بانها زوجة أطيب الطيبين فلابد وأن تكون طاهرة طيبة مبرأة مما أفكت به وهذا التأويل الثانى هو الظاهر فان بعد الآية لهم مغفرة ورزق كريم وبهذا وعد أزواجه عليه السلام فى قوله تعالى نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما والله أعلم * عاد كلامه (قال ونقل عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة فذكرت منهن أنها خلقت طيبة عند طيب (قال أحمد) وهذا أيضا يحقق ما ذكرته من أن المراد بالطيبات والطيبين النساء والرجال وان المراد بذلك اظهار براءة عائشة بانها زوج أطيب الطيبين فيلزم أن تكون طيبة وفاء بقوله والطيبون للطيبات والله أعلم * قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها (قال فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الذى هو ضد الاستيحاش أى حتى يؤذن لكم فتستأنسوا عبر

من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثانى أن يكون من الاستئناس الذى هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أى تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز أن يكون من الانس وهو أن يتعرف هل ثمة انسان وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت * والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وعن أبى موسى الاشعرى أنه أتى باب عمر رضى الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثة واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومى الى هذا فعلميه فانه لا يحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت فى بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية وفى قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفى قراءة أبى حتى تستأذنوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفى الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به فى باب الاستئذان * يحتمل (فان لم تجدوا فيها أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التى يطويها الناس فى العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف فى ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أى لا تلحوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح فى قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوى مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فى عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبى عبيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (فان قلت) هل يصح أن يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد أن جزم النهى عن الدخول مع فقد الاذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة فى كونه منهيا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع الى فقد الاذن (فان قلت) فاذا عرض أمر فى دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل * أى الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيرا * ثم أوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاء

ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم

بالشئ عما هو رادف له الثانى أن يكون من الاستعلام من آنس اذا أبصر والمعنى حتى تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وذكر أيضا وجها بعيدا وهو أن المراد حتى تعلموا هل فيها انسان أم لا (قال أحمد) فيكون على هذا الاخير بنى من الانس استفعل والوجه الاول هو البين وسر التجوز فيه والعدول اليه عن الحقيقة ترغيب المخاطبين فى الاتيان بالاستئذان بواسطة ذكر فائدته وثمرة تميل النفوس اليها وتنفر من ضدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان ففيه تنهيض للدواعى على سلوك هذا الادب والله سبحانه وتعالى أعلم

والله يعلم ماتبـــدون وماتكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهــم ويحفظوا فروجهــم ذلك أزكى لهــم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهــن ويحفظن فروجهن ولا يبــدين زينتهن الاماظهر منهــا

* قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الاماظهر منها (قال المراد النهى عن ابداء مواضع الزينــة فليس النهى عن اظهار الزينة مقصودالعينه ولكن جعل نفسها كناية عن النهى عــن ابداء مواقعها بطريق الأولى) قال أحمد وقوله تعــالى عقيب ذلك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن محقــق أن ابداء الزينـــة بعينـــه مقصــود بالنهى لأنه قد نهى عماهو ذريعة المخاصــة اذا الضرب بالأرجل لم يعلل النهى عنه الا بعلــم ان المرأة ذات زينة وان لم تظهر فضــلا عن مواضعها والله أعلم

عليه * واستثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ماليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهى
الخانات والربط وحوانيت البياعين * والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع
والشراء والبيع وروى أن أبا بكر رضى الله عنــه قال يارســول الله ان الله تعالى قــد أنزل عليــك آية فى
الاستئذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها
والمتاع التبرز (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة
* من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على مايحل وجوز الاخفش أن تكون مزيدة وأباه
سيبويه (فان قلت) كيف دخلت فى غض البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا
ترى أن المحارم لابأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك
الجوارى المستعرضات والأجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها فى احدى الروايتين وأما أمر الفرج
فضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر الا مااستثنى منه وحظر الجماع الا مااستثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها
عن الافضاء الى مالايحــل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل مافى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا
الا هــذا فانه أراد به الاستتار ثم أخبر أنه (خبير) بأفعالهم وأحوالهــم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف
يصنعون بسائر حواســهم وجوارحهم فعليهــم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة
وسكون * النساء مأمورات أيضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبى الى ماتحت سرته الى
ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب أصلا
أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم
وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يارسول الله
أليس أعمى لايبصرنا قال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه (فان قلت) لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج
(قلت) لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه * الزينة
ماتزينت به المرأة من حلى أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس
بابدائه للأجانب وماخفى منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه
الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة
على مواضع من الجسد لايحل النظر اليها لغير هؤلاء وهى الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر
والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم أن النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر اليها
غير ملابسة لها لامقال فى حله كان النظر الى المواقع أنفسها متمكنا فى الحظر ثابت القدم فى الحرمة شاهدا
على أن النساء حقهن أن يحتطن فى سترها ويتقين الله فى الكشف عنها (فان قلت) ماتقول فى القراميل هل
يحل نظر هؤلاء اليها (قلت) نعم (فان قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما
ورد الشعر فوقعت القراميل على مايحاذى ماتحت السرة (قلت) الأمر كما قلت ولكن أمر القراميل
خلاف أمر سائر الحلى لانه لايقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن
للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل
واقعة عليه (فان قلت) ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذى تلابسه الزينة
منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة
الوجه موقع الكحل فى عينيه والخضاب بالوسمة فى حاجبيه وشاربيه والغمرة فى خديه والكف
والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء (فان قلت) لم سومح مطلقا فى الزينة الظاهرة (قلت)
لان سترها فيه حرج فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا
فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا
معنى قوله (الاماظهر منها) يعنى الا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح فى
الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة

وليضربن بخمرهن عــلى جيوبهن ولا يبــدين زينتهن الا لبعولتهــن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعــولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخــواتهن أو نسائهــن أو ماملكت أيمانهن أو التابعــين غــير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النســاء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهــن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله

توقع الفتنة من جهاتهم ولما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم فى الأسفار
للنزول والركوب وغير ذلك * كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وماحواليها وكن يسدلن
الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب
الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهــم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك
ضربت بيــدى على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضى الله عنها مارأيت نساء خيرا من نساء الانصار
لما نزلت هــذه الآية قامت كل واحــدة منهن الى مرطها المرحــل فصدعت منه صدعة فاختمرن فأصبحن
كأن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم * قيل فى نسائهن
هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدى مشركة أو كتابية عن ابن عباس رضى الله عنهما والظاهر
أنه عنى بنسائهن وماملكت أيمانهن من فى صحبتهن وخــدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء فى
حــل نظر بعضهن الى بعض وقيل ماملكت أيمانهن هــم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضى الله
عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان إنك اذا وضعتنى فى القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد
ابن المسيب مثله ثم رجع وقال لاتغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة
الأجنبى منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصى
فتقنعت منــه فقال هو خصى فقالت يامعاوية أترى أن المثلة به تحلل ماحرم الله وعنــد أبى حنيفة لايحل
استخدام الخصيان وامساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم (فان قلت) روى
أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصى فقبله (قلت) لايقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف
فان صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الاسباب (الاربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من
فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لايعرفون شيأ من أمرهن أو شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن
غضوا أبصارهم أو بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية * وضع الواحد
موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين مابعده أن المراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا (لم يظهروا) إما من ظهر
على الشئ اذا اطلع عليه أى لايعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإما من ظهر على فلان اذا قوى
عليــه وظهر على القرن أخذه وأطاقه أى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهى لغة هذيل
(فان قلت) لم لم يذكر الله الأعمام والاخوال (قلت) سئل الشعبى عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه
والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات يشترك الاب والابن فى المحرمية الا العم والخال وأبناءهما فاذا رآها
الاب فربما وصفها لابنــه وليس بمحرم فيدانى تصوره لها بالوصف نظره اليها وهــذا أيضا من الدلالات
البليغة على وجوب الاحتياط عليهن فى التستر * كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم
أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار
صوت الحلى بعدما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك أن النهى عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ * أوامر الله
ونواهيه فى كل باب لايكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع
منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس
رضى الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة (فان قلت) قد صحت
التوبة بالاسلام والاسلام يجب ماقبله فما معنى هــذه التوبة (قلت) أراد بها مايقوله العلماء ان من أذنب
ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر عــلى ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه
وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء
الساكنين أتبعت حركتها حركة ماقبلها (الأيامى) واليتامى أصلهما أيايم ويتايم فقلبا والأيم للرجل والمرأة
وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

* قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم الآية (قال هذا أمر والمراد به الندب ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك وأدرج فيها قوله عليه الصلاة والسلام من وجد كاحا فلم ينكح فليس منا) قال أحمد وهذا بأن يدل على الوجوب أولى ولكن قد ورد مثله فى ترك السنن كثيرا وكأن المراد من لم يستن بسنتنا على أنه قد ورد فى الواجب كقوله من غشنا فليس منا ومجانبة الغش واجبة ومن شهر السلاح فى فتنة فليس منا ومثله كثير * عاد كلامه قوله إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (قال فيه ينبغى أن تكون شريطة الحكمة والمصلحة غير منسية واستشهد على ذلك بقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) قال أحمد جنوحه لمعتقد الفاسد يمنع عليه الصواب فان معتقده وجوب رعاية المصالح على الله تعالى فمن ثم شرط الحكمة والمصلحة محجرا واسعا من فضل الله تعالى ثم استشهد على ذلك بما يشهد عليه لا له فان قوله تعالى فى الآية الاخرى ان شاء يقتضى أن وقوع الغنى مشروط بالمشيئة خاصة وهذا معتقد أهل الحق فطاح اشتراط الحكمة عن محل الاستدلال تعالى عن الايجاب رب الارباب لكن ينبغى التنبه لنكتة تدعو الحاجة الى التنبيه عليها ليم نفعها و يعظم وقعها ان شاء الله وذلك أنا اذا بنينا على أن ثم شرطا محذوفا لابد من تقديره ضرورة صدق الخبر اذ لو اعتقدنا ان الله تعالى يغنى كل متزوج على الاطلاق مع انا نشاهد كثيرا ممن استمر به الفقر بعد النكاح بل زاد للزم خلف الوعد تقدس الله وتعالى عن ذلك فقد ثبت الاضطرار الى تقدير شرط للجمع بين الوعد والواقع فالقدرية يقولون المراد ان اقتضت الحكمة ذلك فكل من لم يغنه الله بأثر التزوج فهو ممن لم تقتض الحكمة إغناءه وقد أبطلنا أن يكون هذا الشرط هو المقدر وحتمنا ان المقدر شرط المشيئة كما ظهر فى الآية الاخرى وحينئذ فكل من لم يستغن بالنكاح فذلك لأن الله تعالى لم يشأ غناءه * فلقائل أن يقول اذا كانت المشيئة هى المعتبرة فى غنى المتزوج فهى أيضا المعتبرة فى غنى الأعزب فما وجه ربط وعد الغنى بالنكاح مع أن حال الناكح منقسم فى الغنى على حسب المشيئة فمن مستغن به ومن مفتقر كما أن حال غير الناكح كذلك منقسم وليس هذا كاقرار شرط المشيئة فى الغفران للموحد العاصى فان الوعد ثم له ارتباط بالتوحيد وان ارتبط بالمشيئة أيضا من حيث ان غير الموحد لا يغفر الله له حتما ولا تستطيع أن تقول وغير الناكح لا يغنيه الله حتما لان الواقع يأباه * فالجواب وبالله التوفيق أن فائدة ربطه الغنى بالنكاح أنه قد ركز فى الطباع السكون الى الاسباب والاعتماد عليها والغفلة عن المسبب جل وعلا حتى غلب الوهم على العقل فخيل أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتما وعدمها سبب يوجب توفير المال جزما وان كان واحد من هذين السببين غير مؤثر فيما ربطه الوهم به فأريد قلع هذا الخيال المتمكن من الطبع بالايذان بأن الله تعالى قد يوفر المال وينميه مع كثرة العيال التى هى سبب فى الاوهام لنفاد المال وقد يقدر الاملاق مع عدمه الذى هو سبب فى الاكثار عند الاوهام والواقع يشهد لذلك بلا مراء فدل ذلك قطعا على أن الاسباب التى يتوهمها البشر مرتبطات بمسبباتها ارتباطا لا ينفك ليست على مايزعمونه وانما يقدر الغنى والفقر مسبب الاسباب غير موقوف تقديرذلك الا على مشيئته خاصة وحينئذ لا ينفر العاقل المتيقظ من النكاح لانه قد استقر عنده أن لا أثر له فى الاقتار وأن الله تعالى لا يمنعه ذلك من اغنائه ولا يؤثر أيضا الخلو عن النكاح لاجل التوفير لانه قد استقر أن لا أثر له فيه وأن الله تعالى لا يمنعه مانع أن يقتر عليه وأن العبد ان تعاطى سببا فلا يكن ناظرا اليه ولكن الى مشيئة الله تعالى وتقدس فمعنى قوله حينئذ ان يكونوا فقراء الآية أن النكاح لا يمنعهم الغنى من فضل الله فعبر عن نفى كونه مانعا من الغنى بوجوده معه ولا تبطل المانعية الا وجود ما يتوهم ممنوعا مع ما يتوهم مانعا ولو فى صورة من الصور على اثر ذلك فى هذا الوادى

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم والمراد أنكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب اليه وقد يكون للوجوب فى حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه عليه الصلاة والسلام من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم منى ثلثى دينه وعنه عليه الصلاة والسلام يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر والاحاديث فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا أدى الى معصية أو مفسدة وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتى مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفى الحديث يأتى على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة (فان قلت) لم خص الصالحين (قلت) ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد فى الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح * ينبغى أن تكون شريطة الله غير منسية فى هذا الموعد ونظائره وهى مشيئته ولا يشاء

الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة فى قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شئ ففنى وأصبح مسكينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضى الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت فى أول أمرى على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن الفقر فلما ولد لى الثانى زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله على الخير صبا فأصبحت الى ما ترى (والله واسع) أى غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه (لا يجدون نكاحا) أى استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله) ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم فى استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه الاوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يرزق القدرة عليه (والذين يبتغون) مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند أبى حنيفة رضى الله عنه حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعى رضى الله عنه لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيأ فعقده حالا منع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة فى مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر فى مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان أداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له أن يطأ المكاتبة واذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذى هو فى الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رضى الله عنه ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضى الله عنه هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود (خيرا) قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة وتكسبا وعن سلمان رضى الله عنه أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرنى أن آكل غسالة أيدى الناس (وآتوهم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى وفى الرقاب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم (فان قلت) هل يحل لمولاه اذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه (قلت) نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقى طاب للمولى ما أخذه لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعى رضى الله عنه هو ايجاب على الموالى أن يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا أجبروا وعن على رضى الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرضخ له من كتابته شيأ وعن عمر رضى الله عنه أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب فى الاسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر رضى الله عنه وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبى حنيفة رضى الله عنه على وجه الندب وقال انه عقد

والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم

أمثال قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض فان ظاهر الامر طلب الانتشار عند انقضاء الصلاة وليس ذلك بمراد حقيقة ولكن الغرض تحقيق زوال المانع وهو الصلاة وبيان أن الصلاة متى قضيت فلا مانع فعبر عن نفى المانع بالانتشار بما يفهم تقاضى الانتشار مبالغة فى تحقيق المعنى عند السامع والله أعلم فتأمل هذا الفصل واتخذه عضدا حيث الحاجة اليه

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور

معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت * كانت اماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي * والبغاء مصدر البغي (فان قلت) لم أقحم قوله (ان أردن تحصنا) (قلت) لأن الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أو لهن أو لهم ولهن ان تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم (فان قلت) لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة (قلت) لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة (مبينات) هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين (ومثلا من) أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله تعالى عنها (وموعظة) ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا * نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور الى السموات والارض لأحد معنيين إما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض وإما أن يراد أهل السموات والارض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (في زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر * شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (توقد) هذا المصباح (من شجرة) أي ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لأنها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور (لاشرقية ولاغربية) أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه (يكاد) يضيء من غير نار (نور على نور) أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك أن المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف

* قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا (فان قلت لم أقحم قوله ان أردن تحصنا قلت لأن الاكراه لا يكون الا اذا أردن تحصنا ولا يتصور الا كذلك اذ لولا ذلك لكن مطاوعات) ولم يجب عما يشفي العليل وعند العبد الفقير الى الله تعالى ان فائدة ذلك والله أعلم أن يشنع عند المخاطب الوقوع فيه لكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وان لم يكن زاجر شرعي ووجه التشنيع عليه ان مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لانها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى الا اكراهها عليها ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العربية والله الموفق

المكان

يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات

المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه (يهدي الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض أي نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب رضي الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر أي أبيض متلألئ ودرّيء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرّيء كمريق ودري كالسكينة عن أبي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وفتح الياء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويوقد بالياء لان التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل (في بيوت) يتعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوا في بيوت * والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن رضي الله عنه ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) أوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما وأن يتلى فيها كتابه * وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبي جعفر رضي الله عنه بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما * والآصال جمع أصل وهو العشي والمعنى بأوقات الغدو أي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كأظهر وأعتم * التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء أدخل من قبل أن التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لأن هذا يقين وذاك مظنون وإما أن يسمى الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح أو شراء وقيل التجارة لاهل الجلب اتجر فلان في كذا اذا جلبه * التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل إقوام فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه * وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا * وتقلب القلوب والابصار إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد أن كانت عميا لا تبصر (أحسن ما عملوا) أي أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله تعالى إما تفضل وإما ثواب وإما عوض (والله يرزق) ما يتفضل به (بغير حساب) فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق * السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجري * والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء مطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة

وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه و يجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام * اللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر * وفى (أخرج) ضمير الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

أى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيأ (١) كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب * ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الألطاف انما تردف الايمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى (صافات) يصففن أجنحتهن فى الهواء * والضمير فى (علم) لكل أو لله وكذلك فى (صلاته وتسبيحه) والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (يزجى) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التى يزجيها كل أحد لا يرضاها * والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل فى قوله * بين الدخول فحومل * والركام المتراكم بعضه فوق بعض * والودق المطر (من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله (وينزل) بالتشديد * ويكاد سنا على الادغام * وبرقه جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل فى جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للمرتفع * و (يذهب بالابصار) على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم عن أبى جعفر المدنى وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من فى السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وأنه سخر السحاب التسخير الذى وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق فى السحاب الذى يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين فى غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فان قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من فى السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد فى السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) علمه من جهة إخبار الله اياه بذلك على طريق الوحى (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال (فان قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الارض جبال حجر والثانى أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب * وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشى فى الماشى على بطن والماشى

على

فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار والله خالق كل دابة

(١) كغيره من السراب كذا فى الاصل ولعل فيها تحريفا والاصل كغره السراب كتبه مصححه

* قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء (قال فيه ان قلت لم نكر ماء هنا وعرفه فى قوله وجعلنا (٣١٥) من الماء كل شئ حى قلت الغرض فيما نحن فيه انه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف نطفها فمنها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وأما آية اقرب

على أربع قوائم * (فان قلت) لم نكر الماء فى قوله (من ماء) (قلت) لان المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل (فان قلت) فما باله معرفا فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى (قلت) قصد ثمة معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وذلك أنه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه * (فان قلت) لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ما هو أعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو قوائم ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (فان قلت) لم سمى الزحف على البطن مشيا (قلت) على سبيل الاستعارة كما قالوا فى الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين آمنا وأطعنا أو الى الفريق المتولى فمعناه على الاول اعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولى وحده وعلى الثانى اعلام بأن الفريق المتولى لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولى والاعراض والتعريف فى قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا * معنى (الى الله ورسوله) الى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله * غلسته قبل القطا وفرطه * أراد قبل فرط القطا روى أنها نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروى أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين على بن أبى طالب رضى الله عنه خصومة فى ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضنى وأنا أخاف أن يحيف على (اليه) صلة يأتوا لان أتى وجاء قد جاآ معديين بالى أو يتصل بمذعنين لانه فى معنى مسرعين فى الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم فى ذمة الخصم * ثم قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه * وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان فى قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فان قلت) الام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أى وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا * قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله * قالت سليمى اشتر لنا سويقا * ولقد جمع الله فى هذه الآية أسباب الفوز

من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله

فالغرض فيها أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحمد وتحرير الفرق أن المقصد فى الاولى اظهار الآية بأن شيأ واحدا تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها فى آية النور والرعد والمقصد فى آية اقرب أنه خلق الاشياء المتفقة فى جنس الحياة من جنس الماء المختلف الانواع فذكر معرفا ليشمل أنواعه المختلفة فالآية فى الاول لاخراج المختلف من المتفق والله أعلم

عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض

* وعن ابن عباس فى تفسيرها (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية * جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدا محذوف الخبر أى أمركم والذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة وقرأ اليزيدى طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (ان الله خبير) يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم * صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ فى تبكيتهم * يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا أن يبلغ ماله نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر فى توليكم * والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية * ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات * الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتى فى آخر سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها * وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد (فان قلت) أين القسم المتلقى باللام والنون فى (ليستخلفنهم) (قلت) هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنهم (فان قلت) ما محل (يعبدوننى) (قلت) ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وان جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب (ومن كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون) أى هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها (فان قلت) هل فى هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل وأبينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها * وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين فى الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله فى الارض حتى يطمعوا هم فى مثل ذلك وهذا معنى قوى

وما أواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن

جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره فى قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذى هو المفعول الاول وكان الذى سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشئ واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله (ومأواهم النار) على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم * أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين * ثم عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر فى قوله (طوافون عليكم) يعنى أن بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان فى كل وقت لأدى الى الحرج وروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهى احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضى الله تعالى عنه وقيل نزلت فى أسماء بنت أبى مرشد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان فى لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير فى وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها * وعن أبى عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات وعن الأعمش عورات على لغة هذيل * (فان قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك فى محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للأمر بالاستئذان فى تلك الاحوال خاصة (فان قلت) بم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة (الاطفال منكم) أى من الاحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الاطفال مأذون لهم فى الدخول بغير اذن الا فى العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التى يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه فى غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لآمر جاريتى أن تستأذن على وسأله عطاء أأستأذن على أختى قال نعم وان كانت فى حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبى ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة ولا والله ما هى منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها (فان قلت) ما السن التى يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثمانى عشرة سنة فى الغلام وسبع عشرة فى الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن على رضى الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق فى قوله

مازال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار

واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضى الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل اخضر ازاره * القاعد التى قعدت عن الحيض والولد لكبرها (لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة

* قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير
لهن * قرر الزمخشرى هذه الآية على ظاهرها * ويظهر لى والله أعلم أن قوله تعالى غير متبرجات بزينة من باب * على لاحب لا يهتدى
بمناره * أى لا منار فيه فيهتدى به وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتى لا زينة لهن فيتبرجن بها لان الكلام فيمن
هى بهذه المثابة وكأن
الغرض من ذلك ان
هؤلاء استعفافهم عن
وضع الثياب خير لهن
فما ظنك بذوات الزينة
من الشباب وأبلغ ما فى
ذلك أنه جعل عدم وضع
الثياب فى حق القواعد
من الاستعفاف ايذانا
بأن وضع الثياب
لا مدخل له فى العفة
هذا فى القواعد
فكيف بالكواعب
والله أعلم * قوله تعالى
ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله تعالى أو صديقكم (قال الصديق يكون واحدا
وجمعا والمراد هنا الجمع) قال أحمد وقد قال الزمخشرى ان سر افراده فى قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم دون الشافعين
التنبيه على قلة الاصدقاء ولا كذلك الشافعون فان الانسان قد يحمى له ويشفع فى حقه من لا يعرفه فضلا عن أن يكون صديقا
ويحتمل فى الآيتين والله أعلم أن يكون المراد به الجمع فلا كلام ويحتمل أن يراد الافراد فيكون سره ذلك والله أعلم

غير متبرجات بزينة وأن
يستعففن خير لهن
والله سميع عليم ليس
على الاعمى حرج ولا
على الاعرج حرج ولا
على المريض حرج ولا
على أنفسكم أن تأكلوا
من بيوتكم أو بيوت
آبائكم أو بيوت أمهاتكم
أو بيوت اخوانكم أو
بيوت أخواتكم أو
بيوت أعمامكم أو بيوت
عماتكم أو بيوت
أخوالكم أو بيوت
خالاتكم أو ما ملكتم
مفاتحه أو صديقكم
ليس عليكم جناح أن

والجلباب الذى فوق الخمار (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التى أرادها فى قوله
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف
من الوضع خير لهن * لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها كقوله وأن
تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم (فان قلت) ما حقيقة التبرج (قلت) تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه
من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شىء الا
أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج
وتبلج كذلك * كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت
قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة فى ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه
حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على
الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك وعن عكرمة كانت
الانصار فى أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة
الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدى الى الكراهة من قبلهم ولأن الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين
أكيله اليه وهو لا يشعر والأعرج يتفسح فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض
لا يخلو من رائحة تؤذى أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء
فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكى عن الحرث بن عمرو
أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شىء ولم
يحل لى أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه
البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج فى القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا
من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين فى أن كل واحدة منهما منفى عنها الحرج ومثال هذا أن يستفتيك
مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر
ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر (فان قلت) هلا ذكر الاولاد (قلت) دخل ذكرهم تحت قوله
(من بيوتكم) لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفى الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان
ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم ولان الولد أقرب ممن عدد من
القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذى هو أقرب منهم أولى (فان قلت) ما معنى (أو ما ملكتم
مفاتحه) (قلت) أموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن
ماشيته وملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه (فان
قلت) فما معنى (أو صديقكم) (قلت) معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك
الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت
سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك
وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضى الله عنهم وكان الرجل
منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها

سرورا

سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الانس
والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن وعن ابن عباس رضى الله عنهما
الصديق أكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان
وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه فى الاكل منه (جميعا أو أشتاتا) أى مجتمعين أو متفرقين نزلت فى
بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان
لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم وقيل
تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا)
من هذه البيوت لتأكلوا فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) أى
ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله
ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق * وعن أنس
رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لى لشىء فعلته
لم فعلته ولا قال لى لشىء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك
ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبى وأمى يا رسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن
فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت
ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله
وانتصب تحية بسلموا لانها فى معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا * أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية
فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه (اذا كانوا معه على أمر جامع)
فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط
لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر
الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك
أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيأ آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين
وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا * ومعنى قوله (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) لم يذهبوا حتى يستأذنوه
ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب أن يأذن له * والامر
الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو وتشاور فى خطب
مهم أو تضام لارهاب مخالف أو تماسح فى حلف وغير ذلك أو الامر الذى يعم بضرره أو بنفعه * وقرئ أمر
جميع وفى قوله اذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوى
رأى وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضىء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته فمفارقة أحدهم فى
مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الامر فى الاستئذان
مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله (لبعض شأنهم) * وذكر
الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الاحسن الافضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل
نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم
فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر فى الاذن مفوض الى
الامام ان شاء أذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه * اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم
عن المجمع بغير اذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه

تأكلوا جميعا أو أشتاتا
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على أنفسكم تحية من
عند الله مباركة طيبة
كذلك يبين الله لكم
الآيات لعلكم تعقلون
انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله واذا
كانوا معه على أمر جامع
لم يذهبوا حتى يستأذنوه
ان الذين يستأذنونك
أولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فاذا
استأذنوك لبعض شأنهم
فأذن لمن شئت منهم
واستغفر لهم الله ان الله
غفور رحيم لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا
قد يعلم الله

* قوله تعالى فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على أنفسكم
تحية من عند الله مباركة
طيبة (قال معناه فسلموا
على الجنس الذى هو
منكم دينا وقرابة) قال
أحمد وفى التعبير عنهم
بالانفس تنبيه على
السر الذى اقتضى اباحة
الاكل من هذه البيوت
المعدودة وان ذلك انما
كان لانها بالنسبة الى
الداخل كبيت نفسه
لاتحاد القرابة فليطب
نفسا بالبساط فيها
والله أعلم

به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسللون) ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل * واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لواذا) حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح * يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه * الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر * أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود

ونحوه قول زهير

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها * وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه) يجوز أن يكونا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شئ وتعالى عنه في صفاته وأفعاله * والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال

* ومشركي كافر بالفرق * وعن ابن الزبير رضي الله عنه على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال لقد أنزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا * والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي له) رفع على الابدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه (فان قلت) كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما بشئ لأن المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم الا به (فان قلت) في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) كأنه قال وقدر كل شئ فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شئ احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف

عنه

الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا إن لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم

(سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا

القول في سورة الفرقان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده (قال يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل ويجوز أن يراد نزوله مفرقا شيأ فشيأ كما قال وقرآنا فرقناه) قال أحمد والاظهر ههنا هو المعنى الثاني لأن في أثناء السورة بعد آيات وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال الله تعالى كذلك أي أنزلناه مفرقا كذلك لنثبت به فؤادك فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة والله أعلم كالمقدمة والتوطئة لما يأتي بعد

عنه أو سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شئ فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم * الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شئ من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيأ وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير (ولا يملكون) أي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله أعجز (قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار * جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل * وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب * والزور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه (أساطير الاولين) ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى (فان قلت) كيف قيل اكتتبها (فهي تملى عليه) وانما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهي تملى عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الاولين (بكرة وأصيلا) أي دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم * أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فان قلت) كيف طابق قوله (انه كان غفورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل * وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون أي ان صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش * ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا الى اقتراح أن يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف * ثم نزلوا أيضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش * ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم * وأراد بالظالمين اياهم بأعيانهم وضع

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون

* قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد (٣٢٢) سمعوا لها تغيظا وزفيرا (قال فيه هو من قولهم دور بنى فلان تترا أى على المجاز) قال أحمد لا حاجة الى حمله على المجاز فان رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز وعلى أن الله تعالى يخلق لها ادراكا حسيا وعقليا ألا ترى الى قوله سمعوا لها تغيظا والى محاجتها مع الجنة والى قولها هل من مزيد والى اشتكائها الى ربها فأذن لها فى نفسين الى غير ذلك من الظواهر التى لا سبيل الى تأويلها اذ لا محوج اليه ولو فتح باب التأويل والمجاز فى أحوال المعاد لتطوح الذى يسلك ذلك الى وادى الضلالة والتحيز الى فرق الفلاسفة فالحق انا متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع والله أعلم

الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون (فان قلت) ما وجها الرفع والنصب فى فيكون (قلت) النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما فى حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * تكاثر خير (الذى ان شاء) وهب لك فى الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور * وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

ويجوز فى ويجعل لك اذا أدغمت أن تكون اللام فى تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة * السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن رضى الله عنه أنه اسم من أسماء جهنم (رأتهم) من قولهم دورهم تترا أى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تترا أى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم * الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء فى الاحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والارهاق حيث ألقاهم فى مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الأصفاد * والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبوراه أى تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك (لا تدعوا) أى يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لهم وان لم يكن ثمة قول * ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم * الراجع الى الموصولين محذوف يعنى وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو فى تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا فى اللوح قبل ان برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قلت) ما معنى قوله (كانت لهم جزاء ومصيرا) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * والضمير فى (كان) لما يشاؤن * والوعد الموعود أى كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا أن يسئل ويطلب لانه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة فى دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات

الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا

عدن

* قوله تعالى ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله الى قوله قوما بورا (قال) فى هذه الآية كسر بين لمن يزعم أن الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن منهم ويستعيذون مما نسب اليهم ويقولون بل تفضلت على هؤلاء أوجب أن جعلوا عوض الشكر كفرا فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حيث أضافوا التفضل بالنعمة الى الله تعالى وأسندوا الضلال الذى نشأ عنه الى الضالين فهو شرح للاسناد المجازى فى قوله يضل من يشاء ولو كان مضلا حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم (قال أحمد) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق فى هذا المعنى وأن الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم للتوحيد المحض والايمان الصرف الذى دل على صحته بعد الادلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شئ والضلال شئ فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم وأما من حيث الخصوص فأمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء والاصل الحقيقة (٣٢٣) وقول موسى عليه السلام ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء فلو كان الاضلال مستحيلا على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه الكليم بما لا يجوز فاذا أوضح ذلك فالملائكة لم يسئلوا فى هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة فيقال لهم من أضل هؤلاء وانما قيل لهم أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق العتيد أن يقولوا أنت أضللتهم ولو كان معتقدهم أن الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم فى جواب هذا السؤال بل أنت أضللتهم مجاوزة لحز السؤال ومحله وانما كان هذا الجواب مطابقا لو قيل لهم من أضل عبادى هؤلاء فقد وضح ان هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله الزمخشرى بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذى أضلهم وان عدولهم عنه ليس لانهم لا يعتقدونه ولكن لانه لا يطابق وبقى وراء ذلك نظر فى أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لاهل الحق لان أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وان خلق لهم الضلالة الا أن لهم اختيارا فيها وتميزا لها ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات الرعشية ونحوها وقد قدمنا فى مواضع أن كل فعل اختيارى له نسبتان ان نظر الى كونه مخلوقا فهو منسوب الى الله تعالى وان نظر الى كونه اختياريا للعبد فهو منسوب الى العبد وبذلك قطعت الملائكة فى قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فنسبوا نسيان الذكر اليهم أى الانهماك فى الشهوات الذى نشأ عنه النسيان لانهم اختاروه لانفسهم فصدقت نسبته اليهم ونسبوا السبب الذى اقتضى نسيانهم وانهماكهم فى الشهوات الى الله تعالى وهو استدراجهم ببسط النعم عليهم فبها ضلوا فلا تنافى بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حينئذ بل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

عدن التى وعدتهم * يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى الاصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا (فان قلت) كيف صح استعمال ما فى العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب * (فان قلت) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤل عنه (فان قلت) فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك فى القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الاضلال الذى هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغنى العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازى الذى أسنده الله الى ذاته فى قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم * وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير فى معنى جعله ضالا أى ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل

صاحبه وقلة احتياط فى حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أولم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الانداد وأن يكون له نبى أو ملك أو غيرهما أندادا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغى لنا أن نكون أمثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدنى نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعنى اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى الى واحد وهو من أولياء والاصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفى والثانية من المتعدى الى مفعولين فالاول ما بنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام * والذكر ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع * والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ * هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

* وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فان قلت) هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء (قلت) إى والله هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهى مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضا يعنى فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم * الخطاب على العموم للمكلفين * والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعنى من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد * وقرئ يمشون على البناء للمفعول أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه فى الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتى وموجب حكمتى على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم فان فى صبرك عليها سعادتك وفوزك فى الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغنى من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى وقيل كان أبو جهل والوليد بن

قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا

المغيرة والعاصى بن وائل ومن فى طبقتهم يقولون ان أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض * أى لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء فى لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وأن الله لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التى نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فان قلت) ما معنى (فى أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم واعتقدوه كما قال إن فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم يقال عتا علينا فلان * وقد وصف العتو بالكبير فبالغ فى افراطه يعنى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفى أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفى فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب (يوم يرون) منصوب بأحد شيئين إما بما دل عليه لا بشرى أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ للتكرير وإما باضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وقوله للمجرمين إما ظاهر فى موضع ضمير وإما لانه عام فقد تناولهم بعمومه (حجرا محجورا) ذكره سيبويه فى باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهى من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل فى قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز

قالت وفيها حيدة وذعر * عوذ بربى منكم وحجر

(فان قلت) فاذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى فى الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم * ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا * والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفى أمثالهم أقل من الهباء (منثورا) صفة للهباء شبهه بالهباء فى قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالأكال ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعول ثالث لجعلناه أى فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أى جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة * المستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون * والمقيل المكان الذى يأوون

فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا

اليه للاسترواح الى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما أن المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى معناه قوله تعالى أن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ الأحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين ٭ وقرئ (تشقق) والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذى تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فان قلت) أى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ٭ وقرئ وننزل الملائكة وننزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من ننزل قراءة أهل مكة ٭ الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه ٭ عض اليدين والأنامل والسقوط فى اليد وأكل البنان وحرق الاسنان والأرم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضى الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بأحد فرجع الى مكة فمات ٭ واللام فى (الظالم) يجوز أن تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره ٭ تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد انى كنت ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا ٭ وقرئ ياويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى ٭ فلان كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام ٭ والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة أو أراد ابليس وأنه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله ٭ اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام أكثر ٭ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجؤا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ٭ ثم أقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال (وكذلك)

كان

نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم

كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم ٭ مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أى جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما ازعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الاولين والثانى أنهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا ٭ والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى أنزل لا غير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا والحكمة فيه أن نقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شىء وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما فى عشرين سنة وقيل فى ثلاث وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا (فان قلت) ذلك فى كذلك يجب أن يكون اشارة الى شىء تقدمه والذى تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا (قلت) لان قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته (ورتلناه) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضى الله عنها فى صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وأصله الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الأقحوان فى تفليجه وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل فى مدة متباعدة وهى عشرون سنة ولم يفرقه فى مدة متقاربة (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان الا أتيناك نحن بالجواب الحق الذى لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ٭ ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شىء منها أدخل فى الاعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيؤا بمثل هذا الكتاب فى فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ٭ ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أى الفريقين

خيرمقاما وأحسن نديا ووصف السيل بالضلال من الاسناد المجازى وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا
* الوزارة لاتنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا * والمعنى
فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك الحجر فانفلق أى فضرب فانفلق أراد اختصار
القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون
الثقيلة * كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كأن تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع
أولم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للظالمين) اما أن يعنى بهم قوم
نوح وأصله وأعتدنا لهم الا أنه قصد تظليمهم فاظهر وإما أن يتناولهم بعمومه * عطف عادا على هم فى
جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين * وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى
تأويل الحى أولانه اسم الاب الاكبر * قيل فى أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام أصحاب آبار
ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وفى ايذائه فبيناهم حول الرس وهو
البئر غير المطوية عن أبى عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم
فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهى أعظم
مايكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ وهى تنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم
أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه
فى بئر أى دسوه فيها (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك
ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا
له الأمثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما أجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى
عليهم من عذاب الله وتدميره * والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج
* وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له * أراد
بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة * ومطر السوء
الحجارة يعنى أن قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من
السماء (أفلم يكونوا) فى مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون (بل كانوا) قوما
كفرة بالبعث لايتوقعون (نشورا) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من
يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم
فى الوصول الى ثواب أعمالهم أولا يخافون على اللغة التهامية * ان الاولى نافية والثانية مخففة من
الثقيلة واللام هى الفارقة بينهما * واتخذه هزوا فى معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوا به
(أهذا) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار و (بعث الله رسولا) واخراجه فى معرض التسليم والاقرار
وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا الذى زعم أو ادعى انه مبعوث من
عند الله رسولا وقولهم (ان كاد ليضلنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم
وبذله قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن
يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم و (لولا) فى مثل هذا الكلام
جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم
لايفوتونه وان طالت مدة الامهال ولابد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا)
كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة الرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث
لايضل غيره الا من هو ضال فى نفسه ويروى أنه من قول أبى جهل لعنه الله * من كان فى طاعة

وجعلناهم للناس آية
وأعتدنا للظالمين عذابا
أليما وعادا وثمود وأصحاب
الرس وقرونا بين ذلك
كثيرا وكلا ضربنا له
الامثال وكلا تبرنا
تتبيرا ولقد أتوا على
القرية التى أمطرت
مطر السوء أفلم يكونوا
يرونها بل كانوا لايرجون
نشورا واذا رأوك ان
يتخذونك الاهزوا
أهذا الذى بعث الله
رسولا ان كاد ليضلنا
عن آلهتنا لولا أن صبرنا
عليها وسوف يعلمون
حين يرون العذاب
من أضل سبيلا

الهوى فى دينه يتبعه فى كل ما يأتى ويذر لايتبصر دليلا ولا يصغى الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول
لرسوله هذا الذى لايرى معبودا الا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على
الاسلام وتقول لابد أن تسلم شئت أو أبيت ولا اكراه فى الدين وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم
بمصيطر ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن
قيس السهمى * أم هذه منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التى تقدمتها حتى حقت
بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لايلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره
عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة منها (فان قلت) لم أخر هواه والاصل
قولك اتخذ الهوى الها (قلت) ما هو الا تقديم المفعول الثانى على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا
لفضل عنايتك بالمنطلق (فان قلت) ما معنى ذكر الاكثر (قلت) كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء
واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا (فان قلت) كيف جعلوا أضل من الانعام (قلت) لان الانعام تنقاد
لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها
وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى
هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته * ومعنى
مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس (ولو شاء لجعله ساكنا) أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل
وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا * ومعنى
كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا
فى مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك * وقبضه اليه
أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيأ بعد شىء من المنافع ما لا يعد ولا
يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فان قلت) ثم فى هذين
الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كأن الثانى أعظم من الاول والثالث
أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل
حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فألقت القبة ظلها على الارض فينانا مافى أديمه جوب
لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه
ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه
قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل
فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله
يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير * شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر * والسبات الموت والمسبوت
الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فان قلت) هلا فسرته بالراحة
(قلت) النشور فى مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها
اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية
والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أى عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ
كذلك تموت فتنشر * قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهى المحيية ونشرا تخفيف نشر
وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى و (بين يدى رحمته) استعارة مليحة أى قدام المطر (طهورا)
بليغا فى طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته
فى الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من
التفعيل فى شىء والطهور على وجهين فى العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر

أرأيت من اتخذ الهه
هواه أفأنت تكون
عليه وكيلا أم تحسب
أن أكثرهم يسمعون
أو يعقلون ان هم الا
كالانعام بل هم
أضل سبيلا ألم تر الى ربك
كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا ثم
قبضناه الينا قبضا يسيرا
وهو الذى جعل لكم
الليل لباسا والنوم سباتا
وجعل النهار نشورا
وهو الذى أرسل الرياح
بشرا بين يدى رحمته
وأنزلنا من السماء ماء
طهورا

* قوله تعالى أرأيت من
اتخذ الهه هواه (قال
ان قلت لما قدم الهه
وهو المفعول الثانى
وأجاب بأنه قدم عناية به
كقولك ظننت منطلقا
زيدا اذا كانت عنايتك
بالمنطلق) قال أحمد
وفيه نكتة حسنة وهى
افادة الحصر فان الكلام
قبل دخول أرأيت
مبتدأ وخبر المبتدأ هواه
والخبر الهه وتقديم الخبر
كما علمت يفيد الحصر
فكأنه قال أرأيت من
لم يتخذ معبوده الا هواه
فهو أبلغ فى ذمه وتوبيخه
والله أعلم

لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين

والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوأ حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لاصلاة الا بطهور أى طهارة (فان قلت) ما الذى يزيل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله فى البدن لاداء عبادة عند أبى حنيفة وعند مالك بن أنس رضى الله عنهما مالم يتغير أحد أوصافه فهو طهور (فان قلت) فما تقول فى قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شئ الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدى كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال (ميتا) لان البلدة فى معنى البلد فى قوله فسقناه الى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل * وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا * الاناسى جمع انسى أو انسان ونحوه ظرابى فى ظربان على قلب النون ياء والاصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم فى أناعيم (فان قلت) انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بأن الطهارة شرط فى صحة ذلك كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقى الاناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها فى بواطنهم ثم فى ظواهرهم وأن يربؤا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فان قلت) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت) لان الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسى وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قلت) فما معنى تنكير الانعام والاناسى ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فبهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فان قلت) لم قدم احياء الارض وسقى الانعام على سقى الاناسى (قلت) لان حياة الاناسى بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم * يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب والصحف التى أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فأبى أكثرهم الا) كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا الا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى كأنه قال لنحيى به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسى وذلك البعض كثير (فان قلت) هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء (قلت) ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد أن تكون هى والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر * يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و (لبعثنا فى كل قرية) نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وانما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم * والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذى يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير فى به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على

وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذير كافة القرى (جهادا كبيرا) جامعا لكل مجاهدة * سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه * ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفى كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج (برزخا) حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته * وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا (فان قلت) (وحجرا محجورا) ما معناه (قلت) هى الكلمة التى يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهى ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أى لا يبغى أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما فى صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهى من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة * أراد فقسم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى * الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روى أنها نزلت فى أبى جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم * مثال (الا من شاء) والمراد الا فعل من شاء واستثنائه عن الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع فى الثواب من أصله كأنه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فانى أطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وأنك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه * ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة فى سبيل الله * أمره بأن يثق به ويسند أمره اليه فى استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحى الذى لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس اليه من أمر عباده شئ آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (فى ستة أيام) يعنى فى مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام وأما الداعى الى هذا العدد أعنى الستة دون سائر الاعداد فلا نشك أنه داعى حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا الا بداعى حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدى الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنى عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعى الحكمة فى جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه فى قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد

الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب أيضا فى أن لم يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنهما انما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين * الذى خلق مبتدأ و (الرحمن) خبره أو صفة للحى والرحمن خبر مبتدا محذوف أو بدل عن المستتر فى استوى * وقرئ الرحمن بالجر صفة للحى * وقرئ فسل والباء فى به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته فى نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أى برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شئ وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة (وما الرحمن) يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم أو لانهم أنكروا اطلاقه على الله تعالى (لما تأمرنا) أى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله أمرتك الخير أو لامرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد صلى الله عليه وسلم أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفى (زادهم) ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول * البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره * والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار معها * وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهى جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالى تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره فى بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان * بردى يصفق بالرحيق السلسل * يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب * الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة أى ذوى عقبة أى يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه * وقرئ يذكر ويذكر وعن أبى بن كعب رضى الله عنه يتذكر والمعنى لينظر فى اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته فى أحدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر وعن الحسن رضى الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له فى الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له فى النهار مستعتب (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره فى آخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون وأضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا * وقرئ وعباد الرحمن * وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة للمشى بمعنى هينين أو مشيا هينا الا أن فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز أخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا

الرحمن فاسئل به خبيرا
واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن
أنسجد لما تأمرنا وزادهم
نفورا تبارك الذى جعل
فى السماء بروجا وجعل
فيها سراجا وقمرا منيرا
وهو الذى جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا
وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا

ولذلك كره بعض العلماء الركوب فى الاسواق ولقوله ويمشون فى الاسواق (سلاما) تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر أى نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبى العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن فى الادب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع * البيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيأ من القرآن فى صلاته وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما (غراما) هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال

يوم النسار ويوم الجفا * ركانا عذابا وكانا غراما

وقال

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالى

ومنه الغريم لالحاحه ولزامه * وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله فى صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (ساءت) فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم * قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة * ووصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق فى المعاصى فاما فى القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى أهذا أيضا مما أعده وقيل أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى رجل شيأ الا اشتراه فأكله * والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشئ يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعنى بين ذلك قواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبنى لاضافته الى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أى حرمها والمعنى حرم قتلها و (الا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضى الله عنه قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل

واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما والذين
يبيتون لربهم سجدا
وقياما والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان
غراما انها ساءت
مستقرا ومقاما والذين
اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك
قواما والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا
يقتلون النفس التى حرم
الله الا بالحق ولا يزنون
ومن يفعل ذلك يلق
أثاما



يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة

معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديقه * وقرئ يلق فيه أناما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

وقيل هو الاثم ومعناها يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات (يبدل) مخفف ومثقل وكذلك سيآتهم (فان قلت) مامعنى مضاعفة العذاب وابدال السيآت حسنات (قلت) اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيآت حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا * يريد ومن يترك المعاصى ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله (متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فانه تائب متابا الى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع * يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة الى كل مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذى سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين * اللغو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وعن الحسن رضى الله عنه لم تسفههم المعاصى وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه (لم يخروا عليها) ليس بنفى للخرور وانما هو اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء والمعنى أنهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم فى اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم * قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم * أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا اماما أو أراد جمع آم كصائم وصيام أو أرادوا اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم فى الآية ما يدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات فى العشرة المبشرين بالجنة (فان قلت) من فى قوله من أزواجنا ماهى (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة

بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

﴿سورة الشعراء مكية وهى مائتان وسبع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك

* قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين (قال ان قلت لم قلل الاعين اذ الاعين صيغة جمع قلة قلت لان أعين المتقين قليل بالاضافة الى غيرهم يدل على ذلك قوله وقليل من عبادى الشكور) قال أحمد والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهذا أسلم من تأويله فان المتقين وان كانوا بالاضافة الى غيرهم قليلا الا أنهم فى أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر فى اطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلا فى نفسه لا بالنسبة والاضافة والله أعلم

أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فان قلت) لم قال قرة أعين فنكر وقلل (قلت) أما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل أعين دون عيون لانه أراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تنكير أعين انها أعين خاصة وهى أعين المتقين * المراد يجزون الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم فى الغرفات آمنون وقراءة من قرأ فى الغرفة (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع فى كل مصبور عليه * وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أثاما * والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم فى دار رضوانك * لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم فى الجنة أتبع ذلك بيان أنه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيأ يبالى به * والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محل النصب وهى عبارة عن المصدر كأنه قيل وأى عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعنى أنكم لا تستأهلون شيأ من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومى ومما يكون عبأ على كما تقول ما اكترثت له أى ما اعتددت به من كوارثى ومما يهمنى وقال الزجاج فى تأويل ما يعبأ بكم ربى أى وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية (فقد كذبتم) يقول اذا أعلمتكم أن حكمى أنى لا أعتد بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم فى النار ونظيره فى الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتى أن أحسن الى من يطيعنى ويتبع أمرى فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة (فان قلت) الى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب * وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضى الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما * وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله أعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهى مائتان وسبع وعشرون آية وفى رواية ست وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها (الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين * البخع أن يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعنى

ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى

القول فى سورة الشعراء

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (قال ان قلت ما فائدة الجمع بين كل وكم وأجاب بأن كلا دخلت للاحاطة بأزواج النبات وكم دلت على أن هذا المحاط به متكاثر مفرط الكثرة) قال أحمد فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير الانواع والظاهر أن المقصود آحاد الازواج والانعام ويدل عليه أنك لو أسقطت كل فقلت انظروا الى الارض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلانى لكنت مكنيا عن آحاد ذلك الصنف المشار اليه فاذا أدخلت كلا فقد أديت بتكريره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين والله أعلم

أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك (الا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا ولامتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضى الله عنه باخع نفسك على الاضافة * أراد آية ملجئة الى الايمان قاصرة عليه (فظلت) معطوف على الجزاء الذى هو ننزل لانه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل أعناقهم (فان قلت) كيف صح مجىء خاضعين خبرا عن الاعناق (قلت) أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة كأن الاهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لى ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصى والصدور قال * فى محفل من نواصى الناس مشهود * وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة * أى وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به (فان قلت) كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهى الاعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له (فسيأتيهم) وعيد لهم وانذار بأنهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (ما) الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم * وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد فى بابه يقال وجه كريم اذا رضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم مرضى فى معانيه وفوائده وقال * حتى يشق الصفوف من كرمه * أى من كونه مرضيا فى شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضى فيما يتعلق به من المنافع (ان فى) انبات تلك الاصناف (لآية) على أن منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فان قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم (قلت) قد دل كل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته (فان قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت فى الارض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثانى أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيأ الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون (فان قلت) فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتى الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان فى ذلك لآية وهلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به الى مصدر أنبتنا فكأنه قال ان فى الانبات لآية أى آية وأن يراد ان فى كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر * سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبنى اسرائيل باستعبادهم لهم * قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقوننى فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة (فان قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التى شنعت فى الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من

ايام

ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين

أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الانكار على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض أخصائه والجانى حاضر فاذا اندفع فى الشكاية وحر مزاجه وحمى غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجانى يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم تستحى من الناس (فان قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام فى وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون (قلت) اجراء ذلك فى تكليم المرسل اليهم فى معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت فى شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفى ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا * ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما فى المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فان قلت) فى النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفى جملتها نفى انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هى غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة فى اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التى كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فان قلت) اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى انى خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذى بقى به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ومعنى (فأرسل الى هرون) أرسل اليه جبرائيل واجعله نبيا وأزرنى به واشدد به عضدى وهذا كلام مختصر وقد بسطه فى غير هذا الموضع وقد أحسن فى الاختصار حيث قال فأرسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله فى تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفى القصة أولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم (فان قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم أن الله من ورائه (قلت) قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل * أراد بالذنب قتله القبطى وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعنى ولهم على تبعة ذنب وهى قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلونى به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فان قلت) قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك فى هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع * جمع الله الاستجابتين معا فى قوله (كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله اذهبا أى اذهب أنت والذى طلبته وهو هرون (فان قلت) علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين

لان أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا (فان قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم فى كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه أى أصغى اليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه البرم *(فان قلت) هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذ وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

ألكنى اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحى الخبر

فجعله للجماعة والشاهد فى الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول أرسلت اليك أن افعل كذا لما فى الارسال من معنى القول كما فى المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك أرسل البازى يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما * ويروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له (ألم نربك) حذف فأتيا فرعون فقولا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل * الوليد الصبى لقرب عهده من الولادة * وفى رواية عن أبى عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك * وعن الشعبى فعلتك بالكسر وهى قتلة القبطى لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون حالا أى قتلته وأنت لذاك من الكافرين بنعمتى أو وأنت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين لفرعون والهيته أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ الهتك * فأجابه موسى بأن تلك الفعلة انما فرطت منه وهو (من الضالين) أى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة * ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمى نعمته الا نقمة حيث بين أن حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته اذا اتخذته عبدا قال

علام يعبدنى قومى وقد كثرت * فيهم أباعر ما شاؤا وعبدان

أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون

*قوله تعالى حكاية عن فرعون وفعلت فعلتك التى فعلت الآية (قال عدد نعمته عليه ووبخه بما جرى على يديه من قتل خبازه وفظعه عليه بقوله وفعلت فعلتك) قال أحمد ووجه التفظيع عليه من ذلك أن فى اتيانه به مجملا مبهما ايذانا بأنه لفظاعته مما لا ينطق به الا مكنيا عنه ونظيره فى التفخيم المستفاد من الابهام قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اذ يغشى السدرة ما يغشى فأوحى الى عبده ما أوحى ومثله كثير والله أعلم

(فان قلت) اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (فان قلت) لم جمع الضمير فى منكم وخفتكم مع افراده فى تمنها وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد (فان قلت) تلك اشارة الى ماذا وأن عبدت ما محلها من الاعراب (قلت) تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن فى موضع نصب المعنى انما صارت نعمة على لان عبدت بنى اسرائيل أى لو لم تفعل ذلك لكفلنى أهلى ولم يلقونى فى اليم * لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (وما رب العالمين) يريد أى شئ رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما أن يريد به أى شئ هو من الاشياء التى شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشئ مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وأنه شئ مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شئ واما أن يريد به أى شئ هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هى فأجابه بان الذى اليه سبيل وهو الكافى فى معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التى هى فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذى يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيرى وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير *(فان قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجوع اليه مجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال فى الهيجا جمالين (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الايقان (قلت) معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع أو ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله (فان قلت) ومن كان حوله (قلت) أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (فان قلت) ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذى كفر * وقرئ رب المشارق والمغارب الذى أرسل اليكم بفتح الهمزة *(فان قلت) كيف قال أولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون (قلت) لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة فى العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون (فان قلت) ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه (قلت) أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لان معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد * الواو فى قوله (أولو جئتك) واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين أى جائيا بالمعجزة وفى قوله (ان كنت من الصادقين) أنه لا يأتى بالمعجزة

وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه

* قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فأت به ان كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا يأتى بالمعجزة الا صادق فى دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على طائفة من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى كلامه) قال أحمد ليته سلم وجه تصنيفه من تأ ليل هذه الاباطيل وكاف هذا التكلف فى كيده لاهل السنة وان كيده لفى تضليل بيناهو يعرض بتفضيل فرعون عليهم اذا هو قد حتم على اخوانه القدرية أنهم فراعنة وان كلا منهم اذا فتش نفسه وجد فيها نصيبا من فرعنته حيث يقول أنا ربكم الاعلى لانهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم وانهم لها مبدعون خالقون كلا انهم لهم المبتدعون المختلقون لانهم جروا على الله تعالى أن يفعل الاما نوطأت أوهامهم على انه حسن بالنسبة الى الخالق فى الشاهد فمن ثم أشركوا به وهم لا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة الى التوحيد الحق اعتقدوا ان كل شئ هو مخلوق لله تعالى لا شريك له فى ملكه وان كل ممكن يجوز أن ينظمه سلطان القدرة الازلية فى سلكه فكان من الممكنات أن يبتلى الله عباده بخرق العادات على أيدى الكاذبين ومراده اظهار الضلالات وقد اندرج ذلك لكونه ممكنا تحت سطوة القدرة حقا يقينا ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد خرم فى الدين فان توهم ناظر بعين الهوى والغرض معنون عما فى قلبه من مرض ان ذلك يجر الى عدم الوثوق بمعجزات الانبياء حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الاشقياء قيل معاذ الله أن نأخذ ذلك بنفس مطمئنة بصدق الانبياء آمنة

الا الصادق فى دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين فى دعواك أتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه (ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروى أنها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك الا أخذتها فأخذها فعادت عصا (للناظرين) دليل على أن بياضها كان شيأ يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق * (فان قلت) ما العامل فى حوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ ونصب فى المحل فالعامل فى النصب اللفظى ما يقدر فى الظرف والعامل فى النصب المحلى وهو النصب على الحال قال * ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقى لا يدرى أى طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (ان هذا الساحر عليم) قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا ألزم (تأمرون) من المؤامرة وهى المشاورة أو من الامر الذى هو ضد النهى جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة * وماذا منصوب اما لكونه فى معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله أمرتك الخير * قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته اذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجؤن لامر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل

فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال للملا حوله ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن

بحصول العلم لها من وقوع ما جوزه العقل ولو قدح الامكان العقلى فى علم حاصل يقينى للزم الآن الشك فى أن جبال الارض قد عادت تبرا أحمر وترابها مسكا أذفر وانقلبت البحار دما عبيطا لان ذلك ممكن فى العقل بلا خلاف ولا يشكك نفسه فى هذا الامكان الا ذو خبل وعته وعمى وعمه وأين الزمخشرى من الحديث الصحيح فى الشاب الذى يكذب الدجال فيقسمه بالسيف جزلتين فيمشى بينهما ثم يقول له عد فيعود حيا فيقول له ما ازددت فيك الا بصيرة أنت الدجال الذى وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم به ثانى مرة فلا يسلط عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خير أهل الارض أو من خير أهل الارض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخراق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك فى نفسه لم يشككه ذلك فى معلومه فلم يتلكأ فى معاودة تكذيبه ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه (قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجؤن لامر الله) قال أحمد ضاقت عليه المسالك فى تفسير الارجاء حتى استدل عليه بالمرجئة وصرف هذا اللقب لاهل السنة فانهم هم الذين لا يقطعون بوعيد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عفا عنهم وان شاء غفر لهم فان كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهد أنا مرجئة

احبسه

احبسه (حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه * وقرأ الاعمش بكل ساحر * اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة فى قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أى حد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به (لعلنا نتبع السحرة) أى فى دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام * وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله (ان لنا لاجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله (وانكم اذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذى قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى * أقسموا بعزة فرعون وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الاولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة * روى أنهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء * وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم الى الارض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا (فان قلت) فاعل الالقاء ما هو لو صرح به (قلت) هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو ايمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لان ألقوا بمعنى خروا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى اضافته اليهما فى ذلك المقام أنه الذى يدعو اليه هذان والذى أجرى على أيديهما ما أجرى (فلسوف تعلمون) أى وبال ما فعلتم * الضر والضير والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا فى ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير فى ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لان كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذى يجئ به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه أنهم لم يخرجوا الا لذلك * قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر (انكم متبعون) علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده

حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين

• قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون (قال فقللهم من أربعة أوجه عبر عنهم بالشرذمة وهي تفيد القلة ثم وصفهم بالقلة وجمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع السلامة ليفيد القلة) قال أحمد ووجه آخر في تقليلهم يكون خامسا وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد قد يكون مبالغة في لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة الى غيره من الموصوفين به كقولهم معا زيد جياع مبالغة في وصفه بالجوع فكذلك ههنا جمع قليلا وكان الاصل افراده فيقال الشرذمة قليلة كما أفرد في قوله كم من فئة قليلة ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة ما لكن يبقى النظر في أن هذا السر يبقى الوجوه المذكورة على ماهي عليه أو يسقط منها شيأ ويخلفه فتأمله والله الموفق

آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله أوحى الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين (ان هؤلاء) محكي بعد قول مضمر • والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه • وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدى في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه • وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم • وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال (كذلك) يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أي الامر كذلك (فأتبعوهم) فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت (سيهدين) طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم • وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة

أبعد بني أمي الذين تتابعوا • أرجي الحياة أم من الموت أجزع

والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد • الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد • والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربناهم من بني اسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله

تدار كتماعبسا وقد ثل عرشها • وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه • عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى

ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين

• قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين (قال انما أضاف المرض الى نفسه لان كثيرا منه بتفريط الانسان في مطعمه ومشربه) قال أحمد والذي ذكره غير الزمخشري ان السر في اضافة المرض الى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة اليه تعالى ولعل الزمخشري انما عدل عن هذا لان ابراهيم عليه السلام قد أضاف الامانة الى الله تعالى وهي أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذي أبداه الزمخشري أيضا في المرض ينكسر بالموت فان المرض

ما يصنع فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف (ان في ذلك لآية) أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم • وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه • كان ابراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال • (فان قلت) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فنظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الاتحمي فأجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل • لا بد في (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم • وقرأ قتادة يسمعونكم أي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت • لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا الى أقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها أعدى أعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال (عدو لي) تصويرا للمسئلة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما أراد لنا الا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أن رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال

وقوم على ذوي مئرة • أراهم عدوا وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (الا رب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى أن يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد • وانما قال (مرضت) دون أمرضني لان كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب

ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم

آجالكم لقالوا التخم * وقرئ خطاياى والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختى وما هي الا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فان قلت) اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ما سبق لى أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم (فان قلت) لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا (قلت) لان أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفى لا يعلم * الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله * والالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين * والاخزاء من الخزى وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفى (يبعثون) ضمير العباد لانه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعنى ولا تخزنى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (الا من أتى الله) الا حال من أتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم

* تحية بينهم ضرب وجيع * وما ثوابه الا السيف وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا * الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بأنهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون اليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا * يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فكبكبوا فيها هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم * والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير

وقد أضافه الى الله تعالى ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض في مقتضى الادب بان الموت قد علم واشتهر انه قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر وحكم عام لا يخص ولا كذلك المرض فكم من معافى منه قد بغته الموت فالتأسى بعموم الموت لعله يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ في الادب نسبته الى الله

يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون

تعالى وأما المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاء محققا فاقتضى العلو في الادب مع الله تعالى أن ينسبه الانسان الى نفسه باعتبار ذلك السبب الذي لا يخلو منه ويؤيد ذلك أن كل ما ذكره مع المرض اخبر عن وقوعه بتا وجزما لانه أمر لا بد منه وأما المرض فلما كان قد يتفق وقد لا أورده مقرونا بشرط اذا فقال واذا مرضت وكان ممكنا أن يقول والذي يمرضني فيشفيني كما قال في غيره فما عدل عن المطابقة المجانسة المأثورة الا لذلك والله أعلم

ف

* قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قال انما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة اذا نزل بانسان خطب ممن يعرفه وممن لا يعرفه وأما الصديق فقليل) قال أحمد العجب أن الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فما الدليل على ارادة الافراد ثم لو كان المراد الافراد لكان أعم لانه في سياق النفى فينفى الواحد فما زاد عليه الى ما لا نهاية له والله أعلم * قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (قال المراد نوح كما تقول فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة

في المعنى كأنه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار (وجنود ابليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والانس * يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين * والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق) كما نرى لهم أصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم * والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فان قلت) لم جمع الشافع ووحد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك فأعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع * الكرة الرجعة الى الدنيا * ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمنى كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقى في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت * القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة * ونظير قوله (المرسلين) والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد * قيل أخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا أخا بنى تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

* كان أمينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش (وأطيعون) في نصحى لكم وفى ما أدعوكم اليه من الحق (عليه) على هذا الامر وعلى ما أنا فيه يعنى دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتى وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه أمينا فيما بينهم وفى الثانى حسم طمعه عنهم * وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في واتبعك * وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة (وما علمى) وأى شئ علمى والمراد انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وأنهم

وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى

وبرد) قال أحمد لا حاجة الى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بان كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل لانه ما من نبى الا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه الى دليل المعجزة وكذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لان التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الانذير مبين قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين

لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم أراذلنا بادى الرأى ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبنى جوابه على ذلك فيقول ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سىء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا الا منذر لا محاسب ولا مجاز (لو تشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأنى أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا فى ايمانكم وما على الا أن أنذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم * ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنى لا أدعوك عليهم لما غاظونى وآذونى وانما أدعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك * فاحكم (بينى وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات * الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما أخوان فى قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام * والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا * قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

فى الآل يرفعها ويخفضها * ريع يلوح كأنه سحل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها * والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام * والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود فى الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفى حرف أبى كأنكم * وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا (واذا بطشتم) بسوط أو سيف * كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين فى العواقب * بالغ فى تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدكم بما تعلمون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد * (فان قلت) كيف قرن البنين بالانعام (قلت) هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها * (فان قلت) لو قيل (أوعظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلا

* قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يهتدون فى أسفارهم بالنجوم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك اذ النجوم فيها غنية عنها وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحمد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكائنين آخر الزمان بأنهم يتطاولون فى البنيان وما أحسن قول مالك رضى الله عنه ولا يصلى الامام على شىء أرفع مما عليه أصحابه كالدكان يكون مرتفعة فى المحراب ارتفاعا كبيرا لانهم يعبثون فعبر عن ترفعهم الى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأمومين بالعبث كتعبير هود صلوات الله عليه وسلامه عن ترفع قومه فى البنيان بالعبث وأما تأويل الآية على اتخاذهم الاعلام فى الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية ففيه بعد من حيث ان الحاجة تدعو الى ذلك لغيم مطبق وما يجرى مجراه ولو وضع هذا فى زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثا والله أعلم

فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم

من أهله ومباشريه فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ * من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه أن ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس فى قديم الدهر أو ما هذا الذى جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه (أتتركون) يجوز أن يكون انكارا لان يتركوا مخلدين فى نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة فى تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة (فيما ههنا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وهذا أيضا اجمال ثم تفصيل * (فان قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل أول شىء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقى جنة سحقا (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بافراده بعد دخوله فى جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل * الطلعة هى التى تطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه * والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفى طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرنى ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله فى أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لان الاناث ولادة التمر والبرنى أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره * قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة * استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر ومنه قولهم لك على امرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمرى (فان قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شىء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح * المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر * الشرب النصيب من الماء نحو السقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم روى أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها فى العظم وعن أبى موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك * عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد * وروى أن مسطعا ألجأها الى مضيق فى شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم * (فان قلت) لم أخذهم العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى فى بعض الامور رأيا فاسدا ويبنى عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعى أو ندموا ندم تائبين ولكن فى غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد * واللام فى العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم * أراد بالعالمين الناس أى أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم فى الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعنى أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا

* قوله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (قال يحتمل أن يكون من أزواجكم بيانا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم) قال أحمد وقد أشار الزمخشري بهذه الاشارة للاستدلال بهذه الآية على حظر اتيان المرأة في غير المأتى وبيانه أن من لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على ذمهم بترك الازواج ولا شك أن ترك الازواج مضموم الى اتيان الذكران وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الازواج واتيان الذكران لا أن ترك الازواج وحده منكر ولو كان الامر كذلك لكان النصب في الثاني متوجها على الجمع وكان اما الافصح أو المتعين وقد اجتمعت العامة على القراءة به مرفوعا ولا يتفقون على ترك الافصح الى ما لا مدخل له في الفصاحة أوفق الجواز أصلا فلما وضح ذلك تبين أن هذا المعنى غير مراد فيتعين حمل من على التبعيضية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالانكار أحدهما اتيان الذكران والثاني مجانبة اتيان النساء في المأتى رغبة في اتيانهن في غيره وحينئذ يتوجه الردع لفوات الجمع اللازم على الوجه الاول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالنكير والله الموفق * قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (قال أي من جملة من أخرجناه (٣٤٨) ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وأشباه ذلك)

من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا

القول كل ما ينكح من الحيوان (من أزواجكم) يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم * العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة * و (من القالين) أبلغ من أن يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة (فان قلت) فما معنى قوله (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) (قلت) معناه أنه عصمه وأهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي (فان قلت) كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت) الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان (فان قلت) (في الغابرين) صفة لها كأنه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم (قلت) معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم * وأما الامطار فعن قتادة أمطر الله على

شذاذ

قال أحمد وكثيرا ما ورد في القرآن خصوصا في هذه السورة العدول على التعبير بالفعل الى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع كقول فرعون لأجعلنك من المسجونين وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله اني لعملكم من القالين وقوله تعالى في غيرها رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وكذلك ذرنا نكن مع القاعدين وأمثاله كثيرة والسر في ذلك والله أعلم أن التعبير بالفعل انما يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع فانه يفهم أمرا زائدا على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يتخلفوا لما كان في ذلك مزيد على الاخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر الى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كيف ألحقهم لقبا رديئا وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقبا لاصقا به وهذا الجواب عام في جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك فتأمله واقدره قدره والله الموفق للصواب * قوله تعالى الا عجوزا في الغابرين (قال المجرور صفة لها كأنه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها أي في الهلاك والعذاب) قال أحمد وانما نجلت برفع القاعدة الممهدة آنفا فاعلم أن السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلا الا عجوزا غابرة الى ما ذكر في المتلو هو أن المذكور في التلاوة يقتضى الاسجال عليها بأنها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور والله أعلم

فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

شذاذ القوم بحجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء (مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم * قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروى أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم * (فان قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا ان شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث ان شعيبا أخا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الأيكة * الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل * يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا * يقال عثا في الارض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك * وقرئ الجبلة بوزن الأبلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين * (فان قلت) هل اختلاف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود (قلت) اذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم * (فان قلت) ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه (قلت) أصلهما أن يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا * قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه * والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل الى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء (ربي أعلم بما تعملون) يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا بآخر فاليه الحكم والمشيئة (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان أرادوا بالسماء السحاب وان أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة * (فان قلت) كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر (قلت) كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق

عادكلامه (قال) واعلم أن الآيات الاول كالمقدمات لهذه الآيات فان الله تعالى أبان أنه منزل بلغتهم التى لا يعرفون غيرها وعلى لسان
عربى لو أشكل عليهم فهم شئ منه لكان البيان عنده عتيدا ناجزا ومانزله على لسان عجمى قد يعتذرون بأنه لا يفهمهم ما استغلق
على أفهامهم من معانيه فقد أزاح أعذارهم ودحض حججهم وسلكه فى قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكين ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون (قال أحمد) يعنى بقوله قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون لان التقدير عنده العلم والحق

ذهنا أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا (وانه) وان هذا التنزيل يعنى ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل * والباء فى نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به (على قلبك) أى حفظكه وفهمك اياه وأثبته فى قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (بلسان عربى) اما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام واما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربى لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التى لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معانى الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين (وانه) وان القرآن يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة على أن القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفى زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك فى أن يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل فى تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هى جملة الشان وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ومنه بيت لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هى عردت أقدامها

وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بنى اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين (فان قلت) كيف خط فى المصحف علماء بواو قبل الالف (قلت) خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربا * الاعجم الذى لا يفصح وفى لسانه عجمة واستعجام والاعجمى مثله الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذى صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت أعجما * سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى أنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربى بلسان عربى مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه (ولو نزلناه على بعض الاعاجم) الذى لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله (فقرأه عليهم) هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذا الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (فان قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا فى قلوبهم أشد التمكن وأثبته

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الاولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين

ان الله تعالى أراد منهم انهم لا يؤمنون وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال قلوبهم نائية عن قبول الحق لا يلجها بوجه ولا بسبب فكيف يسلك الحق فيها فيجاب عنه بهذا الجواب والله أعلم * قوله تعالى كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين (قال ان قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت المراد الدلالة على تمكنه مكذبا فى قلوبهم أشد التمكن

فجعله

فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به (فان قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه فى قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به * وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعنى الساعة وبغتة بالتحريك وفى حرف أبى ويروه بغتة (فان قلت) ما معنى التعقيب فى قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه فى الوجود وانما المعنى ترتبها فى الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسئ وأنه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع فى هذا الاسلوب فيحل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال فى سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل * ثم قال هب أن الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت * وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل ينذرونهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة اما لان أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير فى منذرون أى ينذرونهم ذوى تذكرة واما لانها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدإ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول (فان قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (قلت) الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم * كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء * وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجرى الاعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهى الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ فى قراءته الشياطون ظن أنها النون التى على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه * قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فان كنت فى شك مما

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين

فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه بدليل أنه أسند اليهم ترك الايمان به على عقبه فى قوله لا يؤمنون به) قال أحمد وما ينقم من بقائه على ظاهره الا أنه التوحيد المحض والايمان الصرف وأن الله تعالى خلق قلوبهم نائية عن قبول الحق والقدرية لا يبلغون فى التوحيد الى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

أنزلنا اليك * فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ فى ذلك بمن هو أولى
بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا
فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثانى أن يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ
القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم فى الانذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى
الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى يا صفية عمة
رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ما شئتم وروى أنه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ
أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى
صدروا ثم أنذرهم فقال يا بنى عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال
فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى أنه قال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا أنفسكم
من النار فانى لا أغنى عنكم شيأ ثم قال يا عائشة بنت أبى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية
عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لا أغنى عنكن شيأ * الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه
وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع
ولين الجانب ومنه قول بعضهم

وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك فى رفعه أجدلا

نهاه عن التكبر بعد التواضع (فان قلت) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول
فما قوله (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم
ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف
ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح
والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم * يعنى أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك
وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفك شر من
يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا
المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان فى محنة ثم سأل
غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفى مصاحف أهل
المدينة والشأم فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان فى العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع (على
العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته * ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو
من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين
من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون
لآخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه
عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من
دندنتهم بذكر الله والتلاوة * والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة
وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل
أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة فى الجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية ويحتمل أنه
لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما
تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود
فوالله انى لأراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم وسجدتم * وقرئ ويقلبك (كل أفاك أثيم) هم الكهنة والمتنبئة
كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملا
الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم من أولئك
(وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع

وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون

آى

أى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم أو يلقون
المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى
أكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر
من مائة كذبة والقر الصب (فان قلت) كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام
له صدر الكلام ألا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن
الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه أن الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام
واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم * فاذا
أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين
كقولك أعلى زيد مررت (فان قلت) يلقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون فى محل النصب على الحال أى
تنزل ملقين السمع وفى محل الجر صفة لكل أفاك لانه فى معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن
قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (فان قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد
ما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك (قلت) الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على أنهم
لا ينطقون الا بالافك فأراد أن هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه
(فان قلت) وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن
وهن أخوات (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع الى المجىء بهن وتطرية ذكر ما فيهن
كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن
يحدث الرجل بحديث وفى صدره اهتمام بشئ منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه
(والشعراء) مبتدأ و(يتبعهم الغاوون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم
عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من
لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون
الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع
ابن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه
ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على
اضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة
وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد * ذكر الوادى
والهيوم فيه تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة حد
القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البرئ ويفسقوا التقى وعن
الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبى مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون * استثنى
الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر واذا
قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون
بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له ان صدرى ليجيش بالشعر فقال
فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح

والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا

﴿القول في سورة النمل﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون (قال فيه كرر الضمير حتى صار معنى الكلام ولا يوقن بالآخرة حق (٣٥٤) الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق) قال أحمد قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن ايقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مر له في قوله تعالى هم ينشرون أن معناه لا ينشر الا هم وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس بين وقد بينا لمجيء الضمير في سورة اقترب وجها سوى الحصر وأما وجه تكراره ههنا والله أعلم فهو أنه لما كان أصل الكلام وهم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلا بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فطرى ذكره ليليه الخبر ولم يفت مقصود العناية بالمجرور حيث بقي على حاله مقدما ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعدما يوجب التطرية فأقرب منها أن الشاعر قال ﴿فان سل ذو عجل ذا وألحقنا بذال * الشحم انا قد مللناه بجل

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم

الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك * ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) واطلاقه وقوله (أي منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناها أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طس) قرئ بالتفخيم والامالة و (تلك) اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظر فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه (فان قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر (فان قلت) ما وجه عطفه على القرآن اذا أريد به القرآن (قلت) كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك آي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (فان قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم (هدى وبشرى) في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا (فان قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) كيف يتصل بما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

والاصل وألحقنا ذا الشحم فوقع منتصف الرجز أو منتهاه على القول بأن مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبنى الشاعر على انه لابد عند المنتصف أو المنتهى من وقيفة ما فقدر بتلك الوقفة بعدا بين المعرف وآلة التعريف فطراها ثانية فهذه التطرية لم تتوقف على أن يحول بين الاول وبين المكرر ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير فتأمل هذا الفصل فانه جدير بالتأمل والله أعلم * قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (قال ان قلت كيف أسند التزيين الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت ان بين الاسنادين فرقا فالاسناد الى الله مجاز والى (٣٥٥) الشيطان حقيقة وقد روى عن الحسن أن المراد زينا لهم أعمال البر فعموا عنها ولم يهتدوا الى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في ايجاب رعاية الصلاح والأصلح وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد الا ما هو مصلحة فمن ثم جعل اسناد التزيين الى الله تعالى مجازا والى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفاز بالصواب وتأمل ميله الى التأويل الآخر من أن المراد أعمال البر على بعده لانه لا يعرض لقاعدته بالنقض وأنى لهم ذلك وقد أتى الله بنيانهم من القواعد على ان التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم على أن غالب وروده في غير البر كقوله زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين ومما يبعد حمله على أعمال البر اضافة الاعمال اليهم في قوله أعمالهم وأعمال البر ليست مضافة اليهم لانهم لم يعملوها قط فظاهر الاضافة يعطي ذلك ألا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقوله قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان فأطلق الايمان في المكانين عن اضافته اليهم لانه لم يصدر منهم وأضاف الاسلام الظاهر اليهم لانه صدر منهم والله أعلم

سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله امكثوا اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها

* (فان قلت) كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الاسنادين فرق وذلك أن اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم واليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن * والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر و (الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من) عند أي حكيم وأي (عليم) وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم * وروي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا * الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس * والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله (فان قلت) سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان أحدهما ترج والآخر تيقن (قلت) قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة (فان قلت) كيف جاء بسين التسويف (قلت) عدة لاهله أنه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فان قلت) فلم جاء بأو دون الواو (قلت) بنى الرجاء على أنه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فان قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لانه لا بد من قد (فان قلت) فعلى اضمارها (قلت) لا يصح لانها علامة لا تحذف * ومعنى (بورك من في النار ومن حولها) بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن

في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فان قلت) فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هي بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤن * الهاء في (انه) يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن (أنا الله) مبتدأ وخبر و(العزيز الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير * (فان قلت) علام عطف قوله (وألق عصاك) (قلت) على بورك لان المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى اني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك أن حج وأن اعتمر وان شئت أن حج واعتمر * وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وانما رعب لظنه أن ذلك لامر أريد به ويدل عليه (اني لا يخاف لدي المرسلون) و(الا) بمعنى لكن لانه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطي ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي * والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسنا (في تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات (الى فرعون) ونحوه

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق نحسد الانس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم * المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة أولي العقل وأن يراد ابصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأنها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين رضي الله عنهما وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر فيه التبصر * الواو في (واستيقنتها) واو الحال وقد بعدها مضمرة * والعلو التكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا

وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داود وسليمان

وقومهما

* قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما (قال معناه طائفة من العلم) قال أحمد التبعيض والتقليل من التنكير وكما يرد للتقليل من شأن المنكر فكذلك يرد للتعظيم من شأنه كما مر آنفا في قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ولم يقل الحكيم العليم والغرض من التنكير التفخيم كأنه قال من لدن حكيم عليم فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما في سياق الامتنان تعظيم

لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا * وفائدة ذكر الانفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه (علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا * (فان قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله الذي فضلنا) * والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر * ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله (وقال يا أيها الناس) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الامور * والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه باصلاح المنطق وما أصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس * وأراد بقوله (من كل شيء) كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله وأوتيت من كل شيء (ان هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا (فان قلت) كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه وسياسته (٢) مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب * روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على

علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم

العلم الذي أوتياه كأنه قال علما أي علم وهو كذلك فان علمهما كان مما يستعظم ويستغرب ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذي خصهما الله تعالى به وكل علم بالاضافة الى علم الله تعالى قليل ضئيل والله أعلم * قوله تعالى وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (قال) بجلا نعمة الله عليهما من حيث قولهما فضلنا وتواضعا بقولهما على كثير ولم يقولا على عباده اعترافا بأن غيرهما بفضلهما حذرا من الترفع

(٢) آيينه لفظ أعجمي يستعمل في السياسة ولهذا يضاف الى الأكبر في الأكثر كذا بهامش الأصل

* قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (قال لما دخل قتادة الكوفة التفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فقال أبو حنيفة
وكان شابا سلوه عن النملة التى كلمت سليمان أذكرا كانت أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل كيف

الخشب فيها الثمانمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض أنى قد زدت فى ملكك لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتى آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة * قيل هو واد بالشام كثير النمل (فان قلت) لم عدى أتوا بعلى (قلت) يتوجه على معنيين أحدهما أن اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب * ولشد ما قربت عليك الانجم * لما كان قربا من فوق والثانى أن يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادى لانهم ما دامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف حطمهم * وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع فى السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى * وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم * ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (فان قلت) لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للامر وأن يكون نهيا بدلا من الامر والذى جوز أن يكون بدلا منه أنه فى معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسى ومن اشفاقها * ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه يعنى أنه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء عليهم السلام وأما ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة فى وصف ما وجد منه من الضحك النبوى والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا (فان قلت) ما أضحكه من قولها (قلت) شيآن اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعنى أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذى هو مثل فى الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفائه لزيادة العمل الصالح والتقوى * وحقيقة أوزعنى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عنى حتى لا أنفك شاكرا لك * وانما أدرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا

لك ذلك قال لان الله عز وجل قال قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة) قال أحمد لا أدرى العجب منه أم من أبى حنيفة ان يثبت ذلك عنه وذلك أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الانثى لانه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة

يوزعون حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه

أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن أن تؤنث لاجل لفظها وان كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصيح المستعمل ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا تضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعنى الأناث من الانعام خاصة فحينئذ قوله تعالى قالت نملة روعى فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء وانما أطلت فى هذا وان كان لا يتمشى عليه حكم لانه نسبه الى الامام أبى حنيفة على بصيرته باللغة ثم جعل هذا الجواب معجبا النعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات ثم قرر الكلام على ما هو

النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك وروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة * ومعنى (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) واجعلنى من أهل الجنة * أم هى المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال (مالى لا أرى) على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فيجئ الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى قواك وأقدرك على الا رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله * تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل لألزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه (فان قلت) من أين حل له تعذيب الهدهد (قلت) يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله الا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به * وقرئ ليأتينى وليأتين * والسلطان الحجة والعذر (فان قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتى بسلطان حتى يقول والله ليأتينى بسلطان (قلت) لما نظم الثلاثة بأو فى الحكم الذى هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس فى هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتينى بسلطان مبين عن دراية وايقان (فمكث) قرئ بفتح الكاف وضمها (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى (أحطت) بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها على أن فى أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والاحاطة بالشئ علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه * سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء وعن ابن كثير فى رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا أيدى سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحى أو

وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به

عليه صلوات الله فيا لله العجب العجاب والله الموفق للصواب



الاب الاكبر صرف قال من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما
وقال الواردون وتيم فى ذرى سبا * قدعض أعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم * والنبأ الخبر الذى له شأن * وقوله (من سبا بنبا) من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجىء مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبا من الزيادة التى يطابقها وصف الحال * المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبا فان أريد به القوم فالامر ظاهر وان أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها * وقيل فى وصف عرشها كان ثمانين ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فان قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز أن يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته فى كل شئ كما يكون لبعض أمراء الاطراف شئ لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله (فان قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شئ) مع قول سليمان وأوتينا من كل شئ كأنه سوى بينهما (قلت) بينهما فرق بين لان سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا الى ما أوتى من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم الى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد (فان قلت) كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب * (فان قلت) من أين للهدهد التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له * من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يا اسجدوا ألا للتنبيه ويا حرف نداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال * ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى * وفى حرف عبد الله وهى قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفى قراءة أبى ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون * وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه * وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهى قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول فى الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة * وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من أحطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفى اخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء فى السموات والارض

وجئتك من سبا بنبا يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم

جلت

جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذى الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم فى روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا ألقى الله عليه رداء عمله (فان قلت) أسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا أم فى احداهما (قلت) هى واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها واحدى القراءتين أمر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعى رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وانما اختلفا فى سجدة ص فهى عند أبى حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعى سجدة شكر وفى سجدتى سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه (فان قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وان شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم (فان قلت) كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله فى الوصف بالعظم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض * وقرئ العظيم بالرفع (سننظر) من النظر الذى هو التأمل والتصفح * وأراد أصدقت أم كذبت الا أن كنت من الكاذبين أبلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و (يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب اليها وتوارى فى الكوة (فان قلت) لم قال فألقه اليهم على لفظ الجمع (قلت) لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم أو مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم * هو استئناف وتبيين لما ألقى اليها كأنها لما قالت انى ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على انى وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقى الى أنه من سليمان ويجوز أن تريد لانه من سليمان ولانه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبى أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن فى (ألا تعلوا) مفسرة أيضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكانت كتب الانبياء عليهم السلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين) منقادين أو مؤمنين * الفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا فى السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأى والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها (قاطعة أمرا) فاصلة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه قاضية * أى لا أبت أمرا الا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف * أرادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد * وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والامر اليك)

قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين

* قوله تعالى قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت الا أن عبارة الآية أبلغ لانه اذا كان معروفا بالكذب اتهم فى جملة أخباره فلم يوثق به) قال أحمد وهذا مما نبهت عليه فى سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذى هو أم كذبت وعن مجرد صفته فى قوله أم كنت كاذبا الى جعله واحدا من الفئة الموسومة بالكذب فهو أبلغ فى مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

أى هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فرينا بامرك نطعك ولا نخالفك * كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك * لما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأى الميل الى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه *(ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) أى خربوها * ومن ثمة قالوا للفساد الخربة * وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التى لا تتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون فى الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (مرسلة اليهم بهدية) أى مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكى (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها فى الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبى وما لنا به طاقة فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف * وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فلما جاؤا (أتمدوننى) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله أتحاجونى وبنون واحدة أتمدونى * والهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى اليه تقول هذه هدية فلان تريد هى التى أهداها أو أهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه * والمعنى أن ما عندى خير مما عندكم وذلك أن الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بان يمد بمال ويصانع به (بل أنتم) قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك (تفرحون) بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشئ ولا أفرح به الا بالايمان وترك المجوسية (فان قلت) ما الفرق بين قولك أتمدنى بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء (قلت) اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه فى الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدنى بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه الى امداده كانى أقول له أنكر عليك ما فعلت فانى غنى عنه وعليه ورد قوله فما آتانى الله (فان قلت) فما وجه الاضراب (قلت) لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها

قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون

ويجوز

ويجوز أن تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كانه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر (لا قبل) لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لا قبل لهم بهم * الضمير فى منها لسبأ * والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك * والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا * يروى أنها أمرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها * وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان (لقوى) على حمله (أمين) آتى به كما هو لا أختزل منه شيأ ولا أبدله (الذى عنده علم من الكتاب) رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حى يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغنى أنه الخضر عليه السلام * علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحى والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل عليه السلام * وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل * الطرف تحريكك أجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف فى نحو قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) أنك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشأم بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجئ به كما تقول لصاحبك افعل كذا فى لحظة وفى ردة طرف والتفت ترنى وما أشبه ذلك تريد السرعة (يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفى كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا أنت لم ترج لله وقارا (غنى) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته والذى قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر (نكروا) اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله * وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف (أتهتدى) لمعرفته أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس * هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا

ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك

* قوله تعالى أهكذا عرشك (قال فيه لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس وذلك من رجاحة
عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل) قال أحمد وفى قولها كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو

نكتة حسنة ولعل قائلا يقول كلا العبارتين تشبيه اذ كاف التشبيه فيهما جميعا وان كانت فى احداهما داخلة على اسم الاشارة وفى الاخرى داخلة على المضمر وكلاهما أعنى اسم الاشارة والمضمر واقع على الذات المشبهة وحينئذ تستوى العبارتان فى المعنى وبفضل قولها هكذا هو وعطابقته للسؤال فلا بد فى اختيار كأنه هو من حكمة فنقول حكمته والله أعلم ان كأنه هو عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه فى التغاير بين الامرين فكاد يقول الذى هو هو وتلك حال بلقيس وأما هكذا هو فعبارة جازم بتغاير الامرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلهذا عدلت الى العبارة المذكورة فى التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم وقول الزمخشرى ولا ليس به وان كان من قوله توهم والصواب ولا ليس به والله سبحانه وتعالى أعلم

(قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملئه (فان قلت) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذى سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها وطبقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التى تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها (وصدها) عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهرانى الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعنى ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا فى الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل * وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لانها * الصرح القصر وقيل صحن الدار * وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد * والممرد المملس وروى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد وأفظع فقالوا ان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها (انه صرح ممرد من قوارير) وقيل هى السبب فى اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان (ظلمت نفسى) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها فى اللجة فقالت ظلمت نفسى بسوء ظنى بسليمان عليه السلام * وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء (فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معى * السيئة العقوبة والحسنة التوبة (فان قلت) ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى (قلت) كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التى يعدها صالح عليه السلام ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة فى ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم * ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه * كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد

قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك

* قوله تعالى لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون (قال فيه ان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله وجمعوا بين البياتين جميعا الا أحدهما كانوا صادقين وفى هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا تراهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لانفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق حيلة يتصفون بها عن الكذب) قال أحمد وحيلة الزمخشرى لتصحيح قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل أقرب من حيلتهم التى سماها الله تعالى مكرا الان غرضه من تمهيد

حيلتهم أن يستشهد على صحة القاعدة المذكورة فى موافقة قوم لوط عليها اذا استقبحوا الكذب بعقولهم لا بالشرع وأنى يتم له ذلك أولاهم وهم كاذبون صريح الكذب فى قولهم ما شهدنا مهلك أهله وذلك أنهم فعلوا الأمرين ومن فعل الامرين يجحد فعل أحدهما لم يكن فى فريته مرية وانما كانت الحيلة تتم لو فعلوا أمرا فادعى عليهم فعل أمرين فجحدوا المجموع ومن ثم لم تختلف العلماء فى أن من حلف لا أضرب زيدا فضرب زيدا وعمرا كان حانثا بخلاف الحالف لا أضرب زيدا وعمرا ولا آكل رغيفين فأكل أحدهما فان مثل هذا محل خلاف العلماء فى الحنث وعدمه فاذا تمهد أن هؤلاء كاذبون صراحا فى قولهم ما شهدنا مهلك أهله وانه لا حيلة لهم فى الخلاص من الكذب فلا يخلو أمرهم أن يكونوا عقلاء فهم لا يتواطؤن على اعتقاد الصدق بهذه الحيلة مع القطع بأنها ليست حيلة ولا شبهة تقرب بجحدهم من الصدق فبطل ما قال الزمخشرى لاثبات قاعدة دينه على زعمه اذ قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل من قواعد عقائد القدرية بموافقة قوم غير عقلاء على صحتها فحسبه ما رضى به لدينه والسلام

(٢) فى أبى السعود شمعان بالشين المعجمة اه

الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أى قدر الله الغالب الذى ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذى تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أى تشاءمنا وكانوا قد قحطوا (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه (تفتنون) تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة (المدينة) الحجر * وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه فى معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفى (٢) قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشرافهم (ولا يصلحون) يعنى أن شأنهم الافساد البحت الذى لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح (تقاسموا) يحتمل أن يكون أمرا وخبرا فى محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا * وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا أن يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر * وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان * (فان قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه (قلت) كأنهم اعتقدوا أنهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفى هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لانفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق فى خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب * مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا (انا دمرناهم) استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدا محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على أنه خبر كان أى كان عاقبة مكرهم الدمار (خاوية)

قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون

ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق

حال عمل فيها مادل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف (و) اذكر (لوطا) أو أرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه * واذ بدل على الاول ظرف على الثانى (وأنتم تبصرون) من بصر القلب أى تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهى مضادة لله فى حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل فى القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لانه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا فى ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا فى المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله

وبح باسم ما تأتى وذرنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فان قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون) فكيف يكونون علماء جهلاء (قلت) أراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها (فان قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن (يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو استهزاء (قدرناها) قدرنا كونها (من الغابرين) كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور فى المعنى * أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شئ وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التى يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفى مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم فى الفتوح والتهانى وغير ذلك من الحوادث التى لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم * معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيأ على شئ الا لداع يدعو الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الايثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التى كانت تجرى تحته * ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله كما عددها فى موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * وقرئ يشركون بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (فان قلت) ما الفرق بين أم وأم فى أم ما تشركون وأمن خلق (قلت) تلك متصلة لان المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ وقرأ الاعمش أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والارض خير أم ما تشركون * (فان قلت) أى نكتة فى نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته فى قوله فأنبتنا (قلت) تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بأن انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ألا ترى كيف رشح

* قوله تعالى آلله خير أما يشركون (قال فيه معلوم أن لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت) قال أحمد كلام مرضى بعد أن تضع خالق كل شئ مكان قوله خالق كل خير فانه تخصيص قدرى أو اشراك خفى والتوحيد الأبلج ما قلناه والله سبحانه وتعالى أعلم

معنى

 موقوفة على كون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة) قال أحمد الصواب ان الاجابة

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم

معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتى ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم * والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به (أءله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أءلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله برزخا * الضرورة الحالة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى الذى لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر (فان قلت) قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب (قلت) الاجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على أحدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذى اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم (خلفاء الارض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط * وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة أى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل فى معنى النفى (يهديكم) بالنجوم فى السماء والعلامات فى الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين فى البر والبحر * (فان قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للاعادة (قلت) قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار (من السماء) الماء (و) من (الارض) النبات (ان كنتم صادقين) أن مع الله الها فأين دليلكم عليه * (فان قلت) لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن فى السموات والارض (قلت) جاء على لغة بنى تميم حيث يقولون ما فى الدار أحد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله

عشية ما تغنى الرماح مكانها * ولا النبل الا المشرفى المصمم

وقولهم ما أتانى زيد الا عمرو وما أعانه اخوانكم الا اخوانه (فان قلت) ما الداعى الى اختيار المذهب التميمى على الحجازى (قلت) دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعنى أن علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما فى البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الانيس (فان قلت) هلا زعمت أن الله ممن فى السموات والارض كما يقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى أن علمه فى الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بنى تميم (قلت) يأبى ذلك أن كونه فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من فى السموات والارض وجمعك بينه وبينهم فى اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمى به لكان فعالا من آن يئين ولا ينصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة * وقرئ

مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة وانما تقف الاجابة على المصلحة عند القدرية لايجابهم على الله تعالى رعاية المصالح فقول الزمخشرى لا يحسن الدعاء من العبد الا شارطا فيه المصلحة فاسد فان المشيئة شرط فى اجابة الدعاء اتفاقا ومع ذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعى اللهم اغفر لى ان شئت

في الآخرة بل هم في
شك منها بل هم منها
عمون وقال الذين كفروا
أئذا كنا ترابا وآباؤنا
أئنا لمخرجون لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من
قبل ان هذا الا أساطير
الاولين قل سيروا في
الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المجرمين

بل أدرك بل ادّرك بل ادارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بألف بينهما بل ادرك بالتخفيف
والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدّرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك أم تدارك
أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وادّرك افتعل ومعنى أدرك
علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله
بان القيامة كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم
في شك منها بل هم منها عمون * يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم
الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم (فان قلت) ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم
الغيب وأن العباد لا علم لهم بشئ منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف
لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة (قلت)
لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم
ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو
وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني أن وصفهم
باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا
عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي أدرك
علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لان تلك غايتها
التي عندها تعدم وقد فسره الحسن رضي الله عنه باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في
الهلاك (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الانكار
لادراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لانها أم التي بمعنى بل والهمزة (فان قلت) فمن قرأ بلى أدرك
وبلى أأدرك (قلت) لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك
علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم
لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى
يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها واذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم
بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (في الآخرة) في شأن الآخرة ومعناها (فان قلت) هذه الاضرابات
الثلاث ما معناها (قلت) ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم
لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ألا ترى أن من لم
يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتخصص به
طلب التميز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه
وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه
بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون * العامل في اذا
ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام
الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى الحياة
وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر
مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم * (فان قلت) قدم في هذه
الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو
الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي
تعمد بالكلام وفي الاخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد * لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لان
تأنيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر أمرهم * وأراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ

ولا تحزن عليهم ولا
تكن في ضيق مما
يمكرون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل عسى أن
يكون ردف لكم بعض
الذي تستعجلون وان
ربك لذو فضل على
الناس ولكن أكثرهم
لا يشكرون وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون وما من
غائبة في السماء والارض
الا في كتاب مبين ان
هذا القرآن يقص على
بني اسرائيل أكثر
الذي هم فيه يختلفون
وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين ان ربك يقضي
بينهم بحكمه وهو
العزيز العليم فتوكل
على الله انك على الحق
المبين انك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما أنت بهادي العمي
عن ضلالتهم

الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله
مما خطيئاتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (في ضيق) في حرج صدر من مكرهم وكيدهم
لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما
والضيق أيضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز أن يراد في أمر ضيق من
مكرهم * استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم (عسى أن يكون) ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت
اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه
تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق
يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف في
وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم
وأنهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة الى الاغراض
كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده * الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه
وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه
ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش * قرئ تكن يقال كننت الشئ وأكننته
اذا سترته وأخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم
وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه * سمي الشئ الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما
بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا
صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شئ شديد الغيبوبة
والخفاء الا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة * قد اختلفوا
في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان
ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أي
من بني اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (فان قلت) ما معنى يقضي
بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه (قلت) معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل
فسمي المحكوم به حكما أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد
قضاؤه (العليم) بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين
المحقين * أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به
الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل (فان
قلت) (انك لا تسمع الموتى) يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك (قلت) وجهه أن الامر
بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من
ترك اتباعه وتشييع ذلك بالاذى والعداوة فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس
منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح
الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع
كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين
ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم
هداة بصراء الا الله عز وجل (فان قلت) ما معنى قوله (اذا ولوا مدبرين) (قلت) هو تأكيد لحال الاصم
لانه اذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته * وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت
بهادي العمي على الاصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك

سقاه عن العمية أى أبعده عنها بالسقى وأبعده عن الضلال بالهدى (ان تسمع) أى ما يجدى اسماعك الاعلى
الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فهم مسلمون) أى مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه
لله يعنى جعله سالما لله خالصا له * سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب
ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة * ودابة الارض الجساسة
جاء فى الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى لها أربع قوائم وزغب
وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة
وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم
عليه السلام وروى لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبى هريرة فيها
من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن
على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها
تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس
فى أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن
يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان
ذلق فتقول (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعنى أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجى لان خروجها
من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدى تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام
وعن ابن عمر رضى الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن
فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من أجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا
موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن فى مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتنكت نكتة
بيضاء فتفشو تلك النكتة فى وجهه حتى يضىء لها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين
عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر
وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان
أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون
تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم أى مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على
أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة على رضى الله عنه لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبى تنبئهم
وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بأن مكسورة حكاية لقول الدابة اما
لان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أى تقول الدابة ذلك أو هى حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فان قلت)
اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات
ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض
خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هى خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أى تكلمهم بأن
(فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا فى النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد
أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى
يدخلون فى دين الله أفواجا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
يساقون بين يدى أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار (فان قلت) أى فرق بين من
الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان * الواو للحال كأنه قال
أكذبتم بها بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق

ان تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون
واذا وقع القول عليهم
أخرجنا لهم دابة من
الارض تكلمهم أن
الناس كانوا بآياتنا
لا يوقنون ويوم نحشر
من كل أمة فوجا من
يكذب بآياتنا فهم
يوزعون حتى اذا جاؤا
قال أكذبتم بآياتى ولم
تحيطوا بها علما

او

أو بالتكذيب أو للعطف أى أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه
قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أم
ماذا كنتم تعملون) بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد
صدقنا بها وليس الا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعى سوء أتأكل نعمى
أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذى صح عندك من أكله وفساده
وترمى بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها الا الا كل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجىء منه الا أكلها
وأنه لا يقدر أن يدعى الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل فى الدنيا الا الكفر
والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعنى أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا
الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم فى النار ثم يكبون فيها وذلك قوله
(ووقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن
النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون * جعل الابصار للنهار وهو لاهله (فان قلت) ما للتقابل
لم يراع فى قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو مراعى من حيث المعنى
وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب * (فان قلت)
لم قيل (ففزع) دون فيفزع (قلت) لنكتة وهى الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على
أهل السموات والارض لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة
الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم
موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى
الارض الا من شاء الله * وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر
الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم الى أمره
وانقيادهم له (جامدة) من جمد فى مكانه اذا لم يبرح * تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها
الناظر حسبها واقفة ثابتة فى مكان واحد (وهى تمر) مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام
المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة
والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله
(الذى أتقن كل شئ) يعنى أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه
لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم
لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه
ومكانة انضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا ولامر ما أعجز القوى
وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان
ينبغى أن يكون الا كما قد كان ألا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها
اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذى أتقن كل شئ ومن أحسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد
لا تبديل لخلق الله * وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد الاضعاف وأن العمل يتقضى والثواب
يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أى له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن
عباس الحسنة كلمة الشهادة * وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه أضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين

أم ماذا كنتم تعملون
ووقع القول عليهم بما
ظلموا فهم لا ينطقون
ألم يروا أنا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان فى ذلك
لآيات لقوم يؤمنون
ويوم ينفخ فى الصور
ففزع من فى السموات
ومن فى الارض الا
من شاء الله وكل أتوه
داخرين وترى الجبال
تحسبها جامدة وهى
تمر مر السحاب صنع
الله الذى أتقن كل شئ
انه خبير بما تفعلون
من جاء بالحسنة فله
خير منها وهم من فزع
يومئذ آمنون ومن
جاء بالسيئة فكبت
وجوههم فى النار

* قوله تعالى انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ (قال فيه المراد بالبلدة مكة واضافة اسم الله تعالى اليها التشريفها وذكر تحريمها لانه أخص أوصافها وأسنده الى ذاته تاكيد التشرفها ثم قال وله كل شئ فجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة وفى ذلك اشارة الى أن ملكا قد ملك هذه البلدة المكرمة وملك اليها كل شئ انه

فزع (فان قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الاول هو ما لا يخلو منه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية وأما الثانى فالخوف من العذاب (فان قلت) فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه (قلت) يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضى ذلك وفى الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار * أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله * وقيل السيئة الاشراك * يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا فى النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه ايذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول * أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك * والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج فى مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال انى أعلم أنك أحب بلاد الله الى الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت وأشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه * ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن * وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفى ذلك اشارة الى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك اليها كل شئ اللهم بارك لنا فى سكناها وآمنا فيها شر كل ذى شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التى حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن أبى وأن اتل عن ابن مسعود (فمن اهتدى) باتباعه اياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الانداد عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل) ولم يتبعنى فلا على وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ * ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التى تلجئهم الى المعرفة والاقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعنى فى الآخرة عن الحسن وعن الكلبى الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله فى الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم الآية * وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين * قرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية﴾

(من نبأ موسى وفرعون) مفعول نتلو أى نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محققين كقوله تنبت بالدهن

لتعظيم الشأن) قال أحمد وتحت قوله وله كل شئ فائدة أخرى سوى ذلك وهى انه لما أضاف اسمه الى البلدة المخصوصة تشريفا لها أتبع ذلك اضافة كل شئ سواها الى ملكه قطعا لتوهم اختصاص ملكه

هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

﴿سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق

بالبلدة المشار اليها وتنبيها على ان الاضافة الاولى انما قصد بها التشريف لا لانها ملك الله تعالى خاصة والله أعلم

* قوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون (قال فيه لان العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له جحد صفة العلم وايهام ان سلبها داخل فى تنزيه الله تعالى لانه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا بعلم والحق ان استحالة الغفلة عليه تعالى لان علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض بل هو علم قديم أزلى عام التعلق بجميع الواجبات والممكنات والممتنعات

(لقوم يؤمنون) لمن سبق فى علمنا أنه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا فى الارض) يعنى أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد فى الظلم والعسف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه قال الاعشى

وبلدة يرهب الجواب دلجتها * حتى تراه عليها يبتغى الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه يسخر صنفا فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط * والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل * وسبب ذبح الابناء أن كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل و(يستضعف) حال من الضمير فى وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و (يذبح) بدل من يستضعف وقوله (انه كان من المفسدين) بيان أن القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب * (فان قلت) علام عطف قوله (ونريد أن نمن) وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد (قلت) هى جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم (فان قلت) كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا أراد الله شيأ كان ولم يتوقف الى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم (أئمة) مقدمين فى الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد رضى الله عنه دعاة الى الخير وعن قتادة رضى الله عنه ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم * مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم فى الارض وهى أرض مصر والشأم أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت فى أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم * وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أى يرون (منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم * اليم البحر قيل هو نيل مصر * (فان قلت) ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثانى فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف * (فان قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحى اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح فى طلب موسى عليه السلام تسعون ألف وليد وروى أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى الله اليها فألقته فى اليم وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله * اللام فى (ليكون) هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة

لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما

ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكماله وجلاله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتبنى غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجىء والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد * وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم (كانوا خاطئين) فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب الى الخطا * روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبى نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤه ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبى الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لى ولك) فقال فرعون لك لا لى وروى فى حديث لو قال هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروى أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بنى اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لى ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت فى سيماء النجابة المؤذنة بكونه نفاعا * أو نتبناه فانه أهل للتبنى ولان يكون ولدا لبعض الملوك (فان قلت) (وهم لا يشعرون) حال فما ذو حالها (قلت) ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطا عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم (فارغا) صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أى جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان

ألا أبلغ أبا سفيان عنى * فأنت مجوف نخب هواء

وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا أى خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر يعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها (لتبدى به) لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها (لولا أن ربطنا على قلبها) بالهام الصبر كما يربط على الشئ المنفلت ليقر ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى بأنه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون وتعطفه * وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة فى جارة الواو وهى الميم كأنها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره * وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد * وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه أى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة * وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم * التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشئ فقد منعه ألا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط حتى أهمهم ذلك * والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع

كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع

او

أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى أو الرضاع (من قبل) من قبل قصصها أثره روى أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك قالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت علمها ويتمكن (فان قلت) كيف حل لها أن تأخذ الاجر على ارضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حربى كانت تأخذه على وجه الاستباحة قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا وروى انها حين ألقت التابوت فى اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجرى ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع فى يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد انما كان لهذا الغرض الدينى وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الاصلى الذى ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يزاد عليه كما قال لقيط

واستحملوا أمركم لله دركم * شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا

وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبى الا على رأس أربعين سنة * العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه * المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر * وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل * وقرأ سيبويه فاستعانه (من شيعته) ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل وقيل هو السامرى (من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون * والوكز الدفع بأطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام (فقضى عليه) فقتله * (فان قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه (قلت) لانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل ما لم يؤمر (بما أنعمت على) يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك على بالمغفرة لأتوبن (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) وان يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمنى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من أدت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلى المؤدية الى القتل الذى لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى به مرة أخرى يعنى لم يقل فلن أكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان أخى يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعنى من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسرى قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفى الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى به فى جهنم وقيل معناه بما أنعمت على من القوة فلن أستعملها الا فى مظاهرة أوليائك

على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (قال فيه روى انهم اتهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت انما أردت وهم للملك فرعون ناصحون

من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح فى المدينة خائفا

فتخلصت من التهمة) قال أحمد أوردت هذه التورية استحسانا لفطنتها ولكونها من بيت النبوة وأخت النبى فحقيق لها ذلك * قوله تعالى قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين (قال أحمد) لقد تبرأ من عظيم لان ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده وروى أنه يقال يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم

وأهل طاعتك والايمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بنى اسرائيل (يترقب) المكروه وهو الاستقادة منه أو الاخبار وما يقال فيه * ووصف الاسرائيلى بالغى لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر * وقرئ يبطش بالضم * والذى هو عدو لهما القبطى لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا أعداء بنى اسرائيل * والجبار الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر فى العواقب ولا يدفع بالتى هى أحسن وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر الحديث فى المدينة ورقى الى فرعون وهموا بقتله * قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون و (يسعى) يجوز ارتفاعه وصفا للرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز فى يسعى الا الوصف * والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب) التعرض له فى الطريق أو أن يلحق (تلقاء مدين) قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه * و (سواء السبيل) وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين (ماء مدين) ماؤهم الذى يستقون منه وكان بئرا فيما روى * وروده مجيئه والوصول اليه (وجد عليه) وجد فوق شفيره ومستقاه (أمة) جماعة كثيفة العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم * والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقى وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما (ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أى ما مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا كما سمى المشؤون شأنا فى قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه أى قصدت قصده * وقرئ لا نسقى ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام (كبير) كبير السن (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلهما وروى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده وروى أنه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروى أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا أخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته فى دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقى فى مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل فى متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص أمره وما أوتى من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب فى الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء فى ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم (فان قلت) لم ترك المفعول غير مذكور فى قوله يسقون وتذودان ولا نسقى (قلت) لان الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقى لا المسقى (فان قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلتا اليه عذرهما فى توليهما السقى بأنفسهما (فان قلت) كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقى الماشية (قلت) الامر فى نفسه ليس بمحظور فالدين

ليقة او برى لهم قلما فيجعلون فى تابوت من حديد ويلقى بهم فى النار

يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب

* قوله تعالى قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين (قال فيه هذا كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت القوة والامانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى ساقته سياق المثل والحكمة عن أن تقول فانه قوى أمين) قال أحمد وهو أيضا أجمل فى مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للحشمة (٣٧٧) وخصوصا ان كانت فهمت أن غرض أبيها عليه السلام أن يزوجها منه وما أحسن ما أخذ الفاروق رضى الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكو الى الله ضعف الامين وخيانة القوى ففى مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى

انى لما أنزلت الى من خير فقير فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج

أب يتحفه بمن جمع الوصفين فكان قويا أمينا يستعين به على ما كان بصدده رضى الله عنه وهذا الايهام من ابنة شعيب صلوات الله عليه وسلامه قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام ولكن شتان ما بين الحياء المجبول

لا يأباه وأما المروأة فالناس مختلفون فى ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (انى) لأى شئ (أنزلت الى) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى فى بطنه من الهزال ما سأل الله الا أكلة ويحتمل أن يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له * وكان الظل ظل سمرة (على استحياء) فى موضع الحال أى مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق * فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فان قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشى معها وهى أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى فى الاخبار وما كانت الا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها فى نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع (فان قلت) كيف صح له أخذ الاجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل أخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصا فى دار نبى من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أى جزاء سقيك * والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص * كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت الى أبيها أن يستأجره وهى التى تزوجها * وعن ابن عباس أن شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه وقولها (ان خير من استأجرت القوى الامين) كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعنى الكفاية والامانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته (فان قلت) كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوى الامين خبرا (قلت) هو مثل قوله

ألا ان خير الناس حيا وهالكا * أسير ثقيف عندهم فى السلاسل

فى ان العناية هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر * روى انه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على انه كان له غيرهما (تأجرنى) من أجرته اذا كنت له أجيرا كقولك أبوته اذا كنت له أبا و (ثمانى حجج) ظرفه أو من أجرته كذا اذا أثبته اياه ومنه تعزية رسول الله

والمستعمل * ليس التكحل فى العينين كالكحل * حيث قالت لسيدها ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم وهى تعنى ما جزاء يوسف بما أرادنى من السوء الا أن تسجنه أو تعذبه عذابا أليما ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر أن تنطق بالعصمة منسوبا اليها الخنا ايذانا بأن هذا الحياء منها الذى يمنعها أن تنطق بهذا الامر يمنعها من مراودة يوسف بطريق الأحرى والاولى والله أعلم

فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا

صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم و﴿ ثمانى حجج ﴾ مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج (فان قلت) كيف صح أن ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز (قلت) لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد أنكحتك ولم يقل انى أريد أن أنكحك (فان قلت) فكيف صح أن يمهرها اجارة نفسه فى رعية الغنم ولابد من تسليم ما هو مال ألا ترى الى أبى حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بان يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لانه فى الاول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت) الامر على مذهب أبى حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعى فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيأ آخر وانما أراد أن يكون راعى غنمه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى أفعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما (فان أتممت) عمل عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندى يعنى لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وايجابه (فان قلت) ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر (قلت) حقيقته أن الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة فى مراعاة الاوقات والمداقة فى استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح فى معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ و(بينى وبينك) خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك ❊ ثم قال أى أجل من الاجلين قضيت أطولهما الذى هو العشر أو أقصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه (فان قلت) تصور العدوان انما هو فى أحد الاجلين الذى هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت) معناه كما انى ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وانه ثابت مستقر وأن الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما فى القضاء وأما التتمة فموكولة الى رأيى ان شئت أتيت بها والا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو فى نفى العدوان عن نفسه كقولك لا اثم على ولا تبعة على وفى قراءة ابن مسعود أى الاجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما ❊ على من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فان قلت) ما الفرق بين موقعى ما المزيدة فى القراءتين (قلت) وقعت فى المستفيضة مؤكدة لابهام أى زائدة فى شياعها وفى الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أى الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتى له ❊ الوكيل الذى وكل اليه الامر ولما استعمل فى موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدى بعلى لذلك روى أن شعيبا كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان

❊ قوله تعالى على أن تأجرنى ثمانى حجج (نقل من مذهب أبى حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه وجوازه على مثل خدمة عبده سنة وفرق بانه فى الاولى سلم نفسه وليس بمال وفى الثانية سلم عبده وهو مال ونقل عن الشافعى جواز النكاح على المنافع المعلومة مطلقا) قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثة أقوال المنع والكراهة والجواز والعجب من اجازة أبى حنيفة النكاح على منافع العبد بخلاف منافع الزوج مع أن الآية أجازت النكاح على منافع الزوج ولم تتعرض لغيره وما ذلك الا لترجيح المعنى الذى أشار اليه الزمخشرى أو تفريعا على أن لا دليل فى شرع من قبلنا أو غير ذلك والله أعلم

لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب

مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقى بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى اليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى سبقت ❊ الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت فى رأسه نار أو لم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ❊ جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وألقى على قبس من النار جذوة ❊ شديدا عليه حرها والتهابها

❊ من الاولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ❊ و(من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ❊ وقرئ البقعة بالضم والفتح ❊ والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف (فان قلت) ما معنى قوله (واضمم اليك جناحك من الرهب) (قلت) فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثانى أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب (فان قلت) قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطنى مما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية

فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ يصدقنى انى أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى

* قوله تعالى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار (قال) العاقبة هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها أن يختم للانسان فيها بالرحمة والرضوان وتتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت (قال) فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما يصح

وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا ازرمانقة من صوف لا كمى لها (فذانك) قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك (برهانان) حجتان بينتان نيرتان (فان قلت) لم سميت الحجة برهانا (قلت) لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها * يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل

وردئى كل أبيض مشرفى * شحيذ الحد عضب ذى فلول

وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب (ردأ يصدقنى) بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثنى سواء (فان قلت) تصديق أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وانما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى الى قوله وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذى يخاف تكذيبه فأسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازى أن التصديق حقيقة فى المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله انى أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردأ يصدقونى وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقنى * العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة

أبنى لبينى لستم بيد * الا يدا ليست لها عضد

ويقال فى دعاء الخير شد الله عضدك وفى ضده فت الله فى عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به ونعينك فاما أن يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة (سلطانا) غلبة وتسلطا أو حجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به فى تسع آيات أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أى تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم (سحر مفترى) سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (فى آبائنا) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول (ربى أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون و (عاقبة الدار) هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فان قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت) قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله

أن يسمى عاقبة لان الدنيا اما أن تكون خاتمتها خيرا أو شرا فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت لان الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازا للآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا الا الخير وما خلقهم الا لاجله كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فمن عمل فى الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف لان عاقبتها الاصلية هى عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لانها من تحريف الفجار) قال أحمد وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستضاء به فى هذا المقام والقدر الذى يحتاج الى تجديده ههنا ان استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هى المرادة له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معارض بامثاله فى أدلة أهل السنة على عقائدهم مثل قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا لعذاب جهنم خلقا كثيرا من الثقلين ومن ذلك ما روى عن الفاروق رضى الله عنه انه قال وانكم آل المغيرة ذرء النار أى خلقها فلئن دلت آية الذاريات ظاهرا على أن الله تعالى انما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلت آية الاعراف على أنه خلق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحينئذ يتعين الجمع بين الآيتين وحمل عموم آية الذاريات على خصوص الآية الاخرى وان المراد وما خلقت السعداء من الثقلين الا للعبادة جمعا بين الادلة فقد ثبت أن العاقبتين كلتيهما مرادة لله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجه مجىء العاقبة المطلقة كثيرا وارادة الخير بها أن الله تعالى هدى الناس اليها (٣٨١) ووعدهم ما ورد فى سلوك طريقها من النجاة والنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الاليم وركب فيهم عقولا ترشدهم الى عاقبة الخير ومكنهم منها وأزاح عللهم ووفر دواعيهم فكان من حقهم أن لا يعدلوا عن عاقبة الخير ولا يسلكوا غير طريقها وأن يتخذوها نصب أعينهم فأطلقت العاقبة والمراد بها الخير تقريعا على ذلك والله أعلم والحاصل أنها لما كانت هى المأمور بها والمحضوض عليها عوملت معاملة ما هو مراد وان لم تكن مرادة من كثير من الخلق وقال لى بعضهم ما يمنعك أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هى عاقبة الخير من اطلاقها ولكن من اضافتها الى ذويها باللام فى الآى المذكورة كقوله من تكون له عاقبة الدار وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والعاقبة للمتقين فأفهمت اللام انها عاقبة الخير اذ هى لهم وعاقبة السوء عليهم لا لهم كما يقولون الدائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والنصر والدائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء فقلت لقد كان لى فى ذلك مقال لولا ورود أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ولم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على ابقاء الاستدلال باللام على ارادة عاقبة الخير والله أعلم * قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى الآية (قال عبر عن نفى المعلوم بنفى العلم وانما كان كذلك لان العلم لا يتعلق بالمعلوم الا على ما هو عليه ان موجودا فوجود وان معدوما فمعدوم فمن ثم عبر عن نفى كونه موجودا بنفى كونه معلوما) قال أحمد لشدة ما بلغ منه الوهم لم يتأمل كيف سقوط السهم وانما أتى من حيث ان الله تعالى عبر كثيرا عن نفى المعلوم بنفى العلم فى مثل قوله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض فلما اطرد ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفى المعلوم بنفى العلم يشمل كل علم لوله يتعلق بالمعلوم على ما هو به وليس هو كذلك بل هذا التعبير لا يسوغ الا فى علم الله تعالى لامر يخص العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يعزب عنه أمر فما لم يتعلق العلم بوجوده يلزم أن لا يكون موجودا اذ لو كان موجودا لتعلق به بخلاف علم الخلق فلا تلازم بين نفى الشئ ونفى العلم الحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فان بين نفى معلومه ونفى تعلقه بوجوده تلازما سوغ التعبير المذكور ولكن

له فقد حرف فاذا عاقبتها الاصلية هى عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وعلى ما فى مصاحف أهل مكة وهى قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء * وقرئ تكون بالتاء والياء روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيده حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان البانى لا يقدر أن يقوم على رأسه يبنى فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا قد هلك ويروى فى هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته * قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده معناه ما لكم من اله غيرى كما قال الله تعالى قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشئ معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وأن الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون

المعلوم أن فرعون كان يدعى الالهية ويعامل عليه معاملة علم الله تعالى فى أنه لا يعزب عنه شئ فمن ثم طغى وتكبر وعبر بنفى علمه عن نفى المعلوم تدليسا على ملئه وتلبيسا على عقولهم السخيفة والله أعلم ويناسب تعاظمه هذا قوله فأوقد لى ياهامان على الطين ولم يقل فاطبخ لى آجرا وذلك من التعاظم كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى بردا ثم ماقصمه وعما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية فذكر هذه العبارة الجامعة لانواع الكفر على وجه الكبرياء تهاونا بها وذلك من تجبر الملوك جل الله وعز ومن تعاظم فرعون أيضا نداؤه لوزيره باسمه بحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الامر وبناؤه الصرح ورجاؤه الاطلاع دليل على أنه لم يكن مصمما على الجحود قال الزمخشرى وذلك مناقض لما أظهر من (٣٨٣) الجحد الجازم فى قوله ما علمت لكم من اله غيرى فاما أن يخفى هذا التناقض على قومه لغباوتهم وكأنه أذهانهم واما أن يتفطنوا لها ويخافوا نقمته فيصبروا (قال أحمد) ولقائل والله أعلم أن يحمل قوله ما علمت لكم من اله غيرى على الشك ونفى علمه خاصة واجرائه مجرى سائر علوم الخالق

بدليل قوله وانى لأظنه من الكاذبين واذا ظن موسى عليه السلام كاذبا فى اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن فى الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب فى بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى عليه السلام وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه فى مكان كما كان هو فى مكان وأنه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد فى عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الارض ولا ترى بينة أثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعرى أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان فى نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكى من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول فى غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله * فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم يخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال (أوقد لى ياهامان على الطين) ولم يقل اطبخ لى الآجر واتخذه لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر وعن عمر رضى الله عنه أنه حين سافر الى الشأم ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون * والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى * الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام المفخم الذى دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ فى كفه فطرحهن فى البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسى شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هى الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته (فان قلت) ما معنى قوله (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) (قلت) معناه ودعوناهم أئمة دعاة الى النار وقلنا انهم أئمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة الى الجنة وهو

فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار

فى انه لا يلزم من نفى تعلقه بوجود أمر نفى ذلك الامر لجواز أن يكون موجودا عازبا عن علمه وحينئذ لا يكون تناقضا ولو لم يكن حمله هذا هو الاصل لما سوغنا أن يرفع التناقض عن كلامه لانه أحقر من ذلك * عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم مقابلة لاستكباره بفعل عبر عنه بما صورته أخذ حصيات ممتهنات ثم نبذها أى طرحها فى اليم بهوان فذلك تمثيل لاستهانته به واهلاكه بهذا النوع من الهلاك والله أعلم * قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار (قال فيه معناه دعوناهم أئمة دعاة الى النار كما تقول جعلته بخيلا فاسقا اذا دعوته بذلك) قال أحمد لا فرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية فمن حمل الجعل على التسمية فيما نحن فيه فرارا من اعتقاد أن دعاءهم الى النار مخلوق لله تعالى فهو بمثابة من حمله على التسمية فى قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فرارا من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى فلا فرق بين نفى مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفى كل مخلوق نعوذ بالله من ذلك

* قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (قال معناه ارادة تذكرهم لان الارادة تشبه الترجى فاستعير لها أو يراد به ترجى موسى عليه السلام) قال أحمد الوجه الثانى هو الصواب واحذر الاول فانه قدرى * قوله تعالى ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (قال لولا الاولى (٣٨٣) امتناعية والثانية تحضيضية والفاء الاولى عاطفة والثانية جواب لولا والمعنى لولا أنهم قائلون اذا عوقبوا لولا أرسلت الينا رسولا محتجين بذلك لما أرسلت اليهم أحدا فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة سببا فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت العقوبة سبب القول وهى سبب السبب فجعلت سببا وعطف السبب الاصلى عليها بالفاء السببية) قال أحمد وذلك مثل قوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى والسر فى جعل سبب السبب سببا وعطف السبب الاصلى عليه أمران أحدهما أن مزيد العناية

من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة فى تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيامة لا ينصرون) كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تغنى عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته (فان قلت) فأى فائدة فى ترك المردوف الى الرادفة (قلت) ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لاثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم فى الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى طردا وابعادا عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين (بصائر) نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذى يستبصر به كما أن البصر نور العين الذى تبصر به يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لانها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون فى ضلال (ورحمة) لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) ارادة أن يتذكروا وشبهت الارادة بالترجى فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجى موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربى) المكان الواقع فى شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له فى الالواح * والامر المقضى الى موسى عليه السلام الوحى الذى أوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذى أوحينا فيه الى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحى اليه أو على الوحى اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السلام فى ميقاته وكتبة التوراة له فى الالواح وغير ذلك * (فان قلت) كيف يتصل قوله (ولكنا أنشأنا قرونا) بهذا الكلام ومن أى وجه يكون استدراكا له (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحى الى عهدك قرونا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيهم (العمر) أى أمد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحينا اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل فى اختصاراته فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلو عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه * ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (اذ نادينا) يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه و (لكن) علمناك (رحمة) وقرئ رحمة بالرفع أى هى رحمة (ما أتاهم) من نذير فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم * (لولا) الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها فى حكم الامر من قبل أن الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا أنهم قائلون اذا

ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين

عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك (فان قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بأن يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤل معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل (فلما جاءهم الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم (قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتي موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام فمعناه على هذا أولم يكفر آباؤهم (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوي سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر (بكل) بكل واحد منهما (فان قلت) بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير (قلت) بأولم يكفروا ولي أن أعلقه بأوتي فينقلب المعنى الى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل علي * هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم بهم * (فان قلت) ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * حيث عدي بغير اللام (قلت) هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف

المضاف

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم

يوجب التقديم وهذا هو السر الذي أبداه سيبويه الثاني أن في هذا النظم تنبيها على سببية كل واحد منهما أما الاول فلاقترانه بحرف التعليل وهو أن وأما الثاني فلاقترانه بفاء السبب ولا يتعاطى هذا المعنى الا من قولك أن تضل احداهما فتذكر لا من قول القائل ان تذكر احداهما الاخرى اذا ضلت وكان بعض النحاة يورد هذه الآية اشكالا على النحاة وعلى أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها وحينئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجودا وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الارسال لانه ممتنع بالاولى ومتى لم يقع عدم الارسال كان الارسال واقعا ضرورة فيشكل الواقع بعدها على أهل السنة لانهم يقولون لا ظلم قبل بعثة الرسل فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة وذلك لانها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فان لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة ويشكل الجواب على النحاة لانه يلزم أن لا يكون واقعا وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضي وقوعه ثم كان مورد هذا الاشكال يجيب عنه بتقدير محذوف والاصل ولولا كراهة أن تصيبهم مصيبة وحينئذ زوال الاشكال عن الطائفتين والتحقيق عندي في الجواب خلاف ذلك وانما جاء الاشكال من حيث عدم تجويز النحاة لمعنى لولا أن يقولون انها تدل على أن ما بعدها موجود وان جوابها ممتنع به والتحرير في معناها أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس لو فان معناها لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجودا وقد يكون مفروضا والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم في لو قد يكون

المضاف (فان قلت) فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال (ومن أضل ممن) لا يتبع في دينه الا (هواه بغير هدى من الله) أي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف (ان الله لا يهدي) أي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه * قرئ (وصلنا) بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين * نزلت في مؤمني أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة أنا أحدهم وقيل في أربعين من مسلمي أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام * والضمير في من قبله للقرآن * (فان قلت) أي فرق بين الاستئنافين انه وانا (قلت) الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاول ذكره وأبناءهم من بعدهم (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي (بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته (بالحسنة السيئة) بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الاذى (سلام عليكم) توديع ومتاركة وعن الحسن رضي الله عنه كلمة حلم من المؤمنين (لا نبتغي الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (فان قلت) من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم (قلت) اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو (لا تهدي من أحببت) لا تقدر أن تدخل في الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل في الاسلام (من يشاء) وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الالطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه الى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك ان أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكني أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف * قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل أوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (تجبى اليه) تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقوله يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة * وثمرات بضمتين وبضمة وسكون * ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به

ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون

الشيء الواحد لازما لشيئين فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الاشكال الوارد على لو في قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فتأمل هذا الفصل ففيه فوائد للتأمل والله الموفق

* قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا (قال هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حتى أخبر بانه لايهلكهم الا اذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تتأكد عليهم الحجة ببعثة الرسل) قال أحمد هذا اسلاف من الزمخشري لجواب ساقط عن سؤال وارد على القدرية لاجواب لهم عنه ينشأ السؤال في هذه الآية فيقال لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى باحكام التكليف لقامت الحجة على الناس وان لم يكن بعث رسل اذ العقل حاكم فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سبيلا

وخلعوا أنداده * (فان قلت) بم انتصب رزقا (قلت) ان جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة * هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم * وانتصبت (معيشتها) اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (الا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها الا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالارض

تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت (حتى يبعث في) القرية التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء * وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر * وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم * وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة المتقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لان بقاءه دائم سرمد * وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع * هذه الآية تقرير وايضاح لتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأي شيء أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى * و(لاقيه) كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فان قلت) فسر لي الفاءين وثم وأخبرني عن مواقعها (قلت) قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وأما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا للتراخي وقته عن وقته * وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو وله وهو أحسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل (شركائي) مبني على زعمهم وفيه تهكم * (فان قلت) زعم يطلب مفعولين كقوله * ولم أزعمك عن ذاك معزلا * فأين هما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين وأئمة الكفر ورؤوسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا

وهؤلاء

و (هؤلاء) مبتدأ و (الذين أغوينا) صفته والراجع الى الموصول محذوف و (أغويناهم) الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو الا باختيارنا لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم والجاء أو دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا اياهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان (ما كانوا ايانا يعبدون) انما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء) فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى (اليهم فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم (فأما من تاب) من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح * الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار (فان قلت) فأين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة (قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم (سبحان الله) أي الله بريء من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها و(لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي (فان قلت) الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس (وله الحكم) القضاء بين عباده (أرأيتم) وقرئ أريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا * والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص * (فان قلت)

هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء

أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركاءى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم

هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون) لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا فى أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله فى الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف فى تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شئ أدخل فى مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا فى أهل توحيدك فأدخلنا فى الناجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم لان أنبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ولرسله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمى مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف * وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى وقال اذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان الى هرون فمالى وروى أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى أخيه وجد قارون فى نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتى بآية فأمر رؤساء بنى اسرائيل أن يجئ كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها فى القبة التى كان الوحى ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم فى الثياب شبرا * المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح * ويقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله * والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفى الكوفة مفتاح وقد بولغ فى ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة * ومحل اذ منصوب بتنوء (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل * ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن اليك * والفساد فى الارض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل ان القائل موسى عليه السلام وقرئ واتبع (على علم) أى على استحقاق واستيجاب لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بنى اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا

وقيل

عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان

وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه فى ظنى كما تقول الامر عندى كذا كأنه قال انما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ثم زاد عندى أى هو فى ظنى ورأيى هكذا * يجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة وأخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كأنه قيل (أولم يعلم) فى جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا * (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك (فى زينته) قال الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر * كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة فى اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه فى سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا * الغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط * والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا أحاظ وجدود * ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالاقراف فى الحث على الفعل * والراجع فى (ولا يلقاها) للكلمة التى تكلم بها العلماء أو للثواب لانه فى معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهى الايمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير * كان قارون يؤذى نبى الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى أرادكم على كل شئ وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو اياى دعوا مرة واحدة لوجدونى قريبا مجيبا

* قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (قال لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فعلق الوعيد بالركون الى الظلمة وعن على ان الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله خيرا من شراك نعل أخيه فيدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وعن الفضيل

فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع * قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وى) مفصولة عن كان وهى كلمة تنبه على الخطا وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أى ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وى كأن من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وى كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وى كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول أو لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وى ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك * وقرأ الاعمش لولا من الله علينا * وقرئ (لخسف بنا) وفيه ضمير الله ولا نخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها * لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا فى الارض ولا تبغ الفساد فى الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كما تدبره على والفضيل وعمر * معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيآت) موضع الضمير لان فى اسناد عمل السيئة اليهم مكرر فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا يعملون) الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعنى أن الذى حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و(رادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة فى أذى وغلبة من أهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه (فان قلت) كيف اتصل قوله تعالى (قل ربى أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه وما يستحقه من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب فى معادهم (فان قلت) قوله (الا رحمة من ربك) ما وجه

انه قرأها وقال ذهبت الامانى ههنا ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد

من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا وى كأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله

لقارون لقوله ان فرعون علا فى الارض وقوله ولا تبغ الفساد فى الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبرها على وعمر والفضيل) قال أحمد هو تعرض لنقص أهل السنة فى أن كل موحد من أهل الجنة وانما طمعوا حيث أطمعهم الله تعالى بل حقق طمعهم فى رحمته حيث يقول رسوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق ثلاثا وفى الثالثة وان رغم أنف أبى ذر اللهم اقسم لنا من رجاء رحمتك ما تعصمنا به من القنوط ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز أن يكون الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك * وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهى فى لغة كلب وقال

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقى عن أنوف الحوائم

(بعد اذ أنزلت اليك) بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك * والنهى عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذى سبق ذكره (الا وجهه) الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الحسبان لا يصح تعليقه بمعانى المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا فى العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك (فان قلت) فأين الكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان فى الآية (قلت) هو فى قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله * فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى أنك قبل المجئ بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فان قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدا (قلت) كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة فى قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا * والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب فى الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالايمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروى أنها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار بن ياسر وكان يعذب فى الله وقيل فى ناس أسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه أبواه وامرأته (ولقد فتنا) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعنى أن أتباع الانبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من

﴿سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم

بسم الله الرحمن الرحيم * قوله تعالى وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (قال ان قلت
هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان فما وجه هذا الكلام قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا (٣٩٢)

نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه (فان قلت) كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام أي وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون (فان قلت) أين مفعولا حسب (قلت) اشتمال صلة أن على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر أنه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (ساء ما يحكمون) بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم * لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى (فان أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى (وهو السميع العليم) الذي لا يخفى عليه شئ مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال * اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * (فان قلت) فان أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط (قلت) اذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه في منعها اما تأمر به وحملها على ما تأباه (فانما يجاهد) لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم * اما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤا في بعض أعمالهم وسيآتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيآتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الاسلام * ووصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الاصلاح

وذبيانية وصت بنيها * بأن كذب القراطف والقروف

كما لو قال أمرتهم بأن ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله (ووصينا الانسان

وجد) قال أحمد فيما ذكر ايهام بمذهب فاسد وهو اعتقاد أن تعلم بالكائن غير العلم بأن سيكون والحق ان علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ههنا وان كان سابقا على وجود المعلوم التنبيه

فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه

بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال تعالى لنعلمنهم فلنجازينهم بحسب علمه فيهم والله أعلم * قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (قال المراد بهؤلاء أحد فريقين اما قوم مسلمون سيآتهم صغائر مغمورة بالحسنات واما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر فالاسلام يجب ما قبله) قال أحمد نحا الزمخشري رحمه الله تعالى بناء على أصله الفاسد في وجوب الوعيد على مرتكب السيآت الكبائر الا بالتوبة وأطلق تكفير الصغائر وان لم تكن توبة اذا غمرتها الحسنات وكلا الاصلين قدري مجتنب والله الموفق

* قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون (قال وبعض المتسمين بالاسلام اذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له افعل هذا واثمه في عنقي (٣٩٣) ومنه ما يحكى ان رجلا رفع الى

بوالديه حسنا) وصيناه بايتاء والديه حسنا أو بايلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أولهما أو افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا (لا تطعهما) في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك أيها الانسان (ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيأ لا يصح أن يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا أراداه على ما ذكر على أن كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق * ثم قال الي مرجع من آمن منكم ومن أشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيآن أحدهما أن الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي أن سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالاحسان وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام أخواه لامه أسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي أشد حبالك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر أما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل يوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت (في الصالحين) في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين أو في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية * هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا مسهم أذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا * واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا (انا كنا معكم) أي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبنا من المغنم * ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بما في صدور العالمين) من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه * ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام * أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وأرادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل

المنصور حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت لي اليك حاجة هي العظمى قال وما هي قال شفاعتك في المحشر فقال عمرو يا أمير

بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ

المؤمنين ايانا وهؤلاء فهم قطاع الطريق في المأمن) قال أحمد عمرو ابن عبيد أول القدرية المنكرين للشفاعة فاحذره وليست الآية مطابقة للحكاية ولكن الزمخشري يبني على انه لا فرق بين اعتقاد الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم فلذلك ساقهما مساقا واحدا نعوذ بالله من ذلك * وفي قوله تعالى انهم لكاذبون نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الامر بمعنى الخبر فان من الناس من أنكره والتزم تخريج جميع ما ورد في ذلك

على أصل الامر ولم يتم له ذلك فى هذه الآية لان الله تعالى أردف قولهم واتحمل خطاياكم على صيغة الامر بقوله انهم لكاذبون
والتكذيب انما يتطرق الى (٣٩٤) الاخبار * قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (قال عدل عن تسعمائة وخمسين لانه

عنكم الاثم وترى فى المتسمين بالاسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه اذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه فى عنقى وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق فى المأمن (فان قلت) كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيأ علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفى قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أى أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعنى أثقالا أخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى أثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم (وليسئلن) سؤال تقريع (عما كانوا يفترون) أى يختلفون من الاكاذيب والاباطيل * وقرئ من خطيئاتهم * كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة (فان قلت) هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لانه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهى أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذى لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره (فان قلت) فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام (قلت) لان تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك و(الطوفان) ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج
* وغم طوفان الظلام الا ثابا * (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة * والضمير فى (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة * نصب (ابراهيم) باضمار اذكر وأبدل عنه (اذ) بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعنى أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعى وأبو حنيفة رحمهما الله وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (ان كنتم تعلمون) يعنى ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم * وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير فى خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص * وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أى خلقا أفكا أى ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء اليه أو سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك (فان قلت) لم نكر الرزق ثم عرفه (قلت) لانه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيأ من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه * وان تكذبونى فلا تضرونى بتكذيبكم

يحتمل فيه اطلاق العدد على أكثره بخلاف مجيئه مع الاستثناء) قال أحمد لأن الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص تحريرا

انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون

للعدد فلا يحتمل المبالغة لانه لا يجوز معها العدد * عاد كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهى أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح وكابده من طول المصابرة تسلية له عليه السلام فكان ذكر رأس العدد الذى لا رأس أكثر منه أوقع على الغرض قال وانما خالف بين اللفظين فذكر فى الاول السنة وفى الثانى العام تجنبا للتكرار الذى لا يحمد الا لقصد تفخيم أو تعظيم) قال أحمد ولو فخم المستثنى

لعاد ذلك ببعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع والله أعلم * قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وانما هو اخبار على حياله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ (٣٩٥) النشأة الآخرة كقولك ما زلت

بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها (فان قلت) اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله (قلت) قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة فى معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس ألف سنة فى قومه الى أن رفع الى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب * (فان قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا فى الارض (قلت) هى حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكى رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج فى أكثر القرآن (فان قلت) فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفى قصة ابراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله (قلت) ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى أنكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه * قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فان قلت) هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع الى ما يرجع اليه هو فى قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد * دل بقوله (النشأة الآخرة) على انهما نشأتان وأن كل واحدة منهما انشاء أى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآءة (فان قلت) ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ فى قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره فى قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقعا فى الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم فى الابداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذى لا يعجزه شئ هو الذى لم يعجزه الابداء فهو الذى وجب أن لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين فى مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (فى الارض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار

أوثر فلانا وأستخلفه بعدى) قال أحمد وقد تقدم له عند قوله تعالى أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده انه معطوف وصحح العطف وان كانوا ينكرون الاعادة لان الاعتراف بها لازم لهم

وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين

وقد أبى ههنا جعله معطوفا فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الاعادة على البداءة لدخلت فى الرؤية الماضية وهى لم تقع بعد ولا كذلك فى آية النمل ولقائل ان يقول هى وان لم تقع الا أنها باخبار الله تعالى بوقوعها

كالواقعة المرئية فعوملت معاملة ما رؤى وشوهد الا أن جعله خبرا ثانيا أوضح والله أعلم * قوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال ان قلت ما وجه الافصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد اضماره فى البداءة أولا قلت لان النشأة الآخرة هى المقصودة وفيها كانت تصطك الركب فكانت خليقة بابراز اسمه تعالى تحقيقا النسبة الاعادة الى من

كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله

السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان رضى الله عنه

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم فى مهاوى الارض وأعماقها أو علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجارى فى السماء والارض أن يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يئسوا من رحمتي) وعيد أى ييأسون يوم القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله عز وجل خائفا * قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين * وروى أنه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم ألقى ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها * قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان أن يكون خبرا لان على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى أن الاوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أوثانا انما مودة بينكم فى الحياة الدنيا أى انما تتوادون عليها أو تودونها فى الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا * كان لوط ابن أخت ابراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (الى ربى) الى حيث أمرنى بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما هو مصلحتى (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه * (فان قلت) ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه (قلت) قد دل عليه فى قوله وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره * (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التى هى التوراة والزبور والانجيل والقرآن (ولوطا) معطوف على ابراهيم أو على ما عطف عليه و (الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح و (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لافراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط * وقرئ انكم بغير استفهام فى الاول دون الثانى قال أبو عبيد وجدته فى الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثانى بحرفين الياء والنون * وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس وأخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث و (المنكر) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة رضى الله عنها كانوا

نسبت اليه الاولى) قال أحمد والاصل الاظهار ثم الاضمار ويليه لقصد التفخيم الاظهار بعد الاظهار ويليه وهو أفخم الثلاثة الاظهار بعد الاضمار كما فى الآية والله أعلم

ان كنت من الصادقين قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون

يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا (ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب * كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين فى دعائه (بالبشرى) هى البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب * واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها أجور من قاضى سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قد استمر منهم ايجاده فى الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (ان فيها لوطا) ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال فى شأنه لانهم لما عللوا اهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها من هو برىء من الظلم وأراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر فى نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن أن لا يحوط المؤمن ألا ترى الى جوابهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب * وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه أن الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة * الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب * وقرئ منزلون مخففا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا أو ببينة (وارجوا) وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف * والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت لها (فى دارهم) فى بلدهم وأرضهم أو فى ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لانه فى معنى الاهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعنى ما وصفه من اهلاكهم (من) جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا (سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه * الحاصب لقوم لوط وهى ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون * الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا فى دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس فى الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (فان قلت) ما معنى قوله (لو كانوا يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت)

معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه اذا صح
تشبيه ما اعتمدوه فى دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم
أوهن الاديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وان أوهن ما يعتمد
عليه فى الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس الى
المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر
وكما أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون * قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل
ما يدعونه شيأ (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشئ لانه جماد ليس معه مصحح
العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئ الحكيم الذى لا يفعل شيأ الا بحكمة وتدبير
* كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من
ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) أى لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الاهم لان الامثال والتشبيهات
انما هى الطرق الى المعانى المحتجبة فى الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا
التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من
عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (بالحق) أى بالغرض الصحيح الذى هو حق لا باطل وهو أن تكونا
مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى الى قوله (ان فى ذلك لآية للمؤمنين)
ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا * الصلاة تكون
لطفا فى ترك المعاصى فكأنها ناهية عنها (فان قلت) كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته (قلت) الصلاة
التى هى الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما
يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم كأن رجلى على الصراط والجنة
عن يمينى والنار عن يسارى وملك الموت من فوقى وأصلى بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا
يحبطها فهى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم تأمره صلاته
بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء
والمنكر فليست صلاته بصلاة وهى وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى أن ينتهى عن
السيئات يوما ما فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان
صلاته لتردعه وروى أن فتى من الانصار كان يصلى معه الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الاركبه
فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال ان المراعى للصلاة لا بد أن يكون أبعد من
الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى
أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن
جميع المناكير وانما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء العموم (ولذكر
الله أكبر) يريد والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما
قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لانها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر
وذكره نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذى فى الصلاة وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة
فيثيبكم أحسن الثواب (بالتى هى أحسن) بالخصلة التى هى أحسن وهى مقابلة الخشونة باللين والغضب
بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتى هى أحسن (الا الذين ظلموا) فأفرطوا فى الاعتداء والعناد ولم
يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل الا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين فى الذمة المؤدين

ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم

* قوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق (قال فيه أى بالغرض الصحيح) قال أحمد لفظة قدرية ومعتقد ردى قد تقدم انكاره على القدرية ولو كان ما قالوه حقا من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التى لا تليق بالادب والله سبحانه وتعالى أعلم

للجزية الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان أولئك مجادلتهم بالسيف وعن
قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف
* وقوله (قولوا آمنا بالذى أنزل الينا) من جنس المجادلة بالتى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم
ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا
لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم * ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أى أنزلناه مصدقا لسائر
الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم وقيل وكما أنزلنا الكتب الى من كان قبلك
أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل
مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن فى عهده
منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون فى الكفر المصممون عليه وقيل هم
كعب بن الاشرف وأصحابه * وأنت أمى ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (اذا) لو كان شئ من ذلك
أى من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجده فى كتبنا أمى لا يكتب ولا يقرأ
وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده (فان قلت) لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا
وقالوا ليس بالذى نجده فى كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق فى قولهم لعله تعلمه
أو كتبه فانه رجل قارئ كاتب (قلت) سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو أمى بعيد من الريب فكأنه قال
هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم
وشئ آخر وهو أن سائر الانبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم
مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا منه
بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا
به وهو أمى ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمى (فان قلت) ما فائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهى
الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك اذا قلت فى الاثبات رأيت
الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لاثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفى (بل) القرآن (آيات بينات
فى صدور) العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور
يتلوه أكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه
ما جاء فى صفة هذه الامة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد) بآيات الله الواضحة الا المتوغلون فى الظلم
المكابرون * قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو
ذلك (انما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل (وانما أنا نذير) كلفت الانذار
وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لى أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى
أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية
مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان
وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان
* ان فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لا تشكر
* وتذكرة (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعنى اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما فى
أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها
بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به
نبيهم الى ما جاء به غيره نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه (كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أنى قد بلغتكم ما أرسلت
به اليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتمونى بالجحد والتكذيب (يعلم ما فى السموات والارض) فهو مطلع على أمرى
وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته

وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا نزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله

(أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا أن الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وكقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * وروى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذى قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الايكة فأسقط علينا كسفا من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم (لمحيطة) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) أو هى محيطة بهم فى الدنيا لان المعاصى التى توجبها محيطة بهم أو لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أى يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ما كنتم تعملون) أى جزاءه * معنى الآية أن المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمرى ان البقاع تتفاوت فى ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير الفتن وأضبط للامر الدينى فى الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هى فى المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهرانى الكفرة (فاياى فاعبدون) فى المتكلم نحو اياه ضربته فى الغائب واياك عضتك فى المخاطب والتقدير فاياى فاعبدوا فاعبدون (فان قلت) ما معنى الفاء فى فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة فى أرض فأخلصوها الى فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص * لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وان شسعت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده (لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة) علالى وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى فى المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه فى تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وايصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم * وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله * لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لى فيها معيشة فنزلت * والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أو لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها واياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التى لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان

أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم

والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر فى حضنيه ويقال للعقعق مخابئ الا أنه ينساها (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما فى ضمائركم * الضمير فى (سألتهم) لاهل مكة (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع اقرارهم بأنه خالق السموات والارض * قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (فان قلت) الذى رجع اليه الضمير فى قوله (ويقدر له) هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جميعا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم * استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال (بل أكثرهم لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم (هذه) فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة * يريد ما هى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهى ما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة (لو كانوا يعلمون) فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها * (فان قلت) بم اتصل قوله فاذا ركبوا (قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفى تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم (فلما نجاهم الى البر) وآمنوا عادوا الى حال الشرك * واللام فى (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كى وكذلك فى (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله فى انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير (فان قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الامر خطأ وأنه يؤدى الى ضرر عظيم فتبالغ فى نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشئ مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك * كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم * افتراؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله شريكا * وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب * وفى قوله (لما جاءه) تسفيه لهم يعنى لم يتلعثموا فى تكذيبه وقت سمعوه

وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه

* قوله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان (قال انما عدل عن الحياة الى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة ودوامها) قال أحمد والذى يخص هذا البناء به افادة ما لا يخلو من الحركة كالنزوان والجولان والحيوان من ذلك والله أعلم

ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوائهم في جهنم كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته أن الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون في جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة * أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿سورة الروم ستون آية مكية الا قوله فسبحان الله﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أي في أدنى أرضهم الى عدوهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين * وقرئ من أداني الارض * والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشأم وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومعناهما محرم عليكم اخراجهم وان يخلف الله وعده (فان قلت) كيف صحت المناحبة وانما هي قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبي بن خلف (من قبل ومن بعد) أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين

أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

﴿سورة الروم مكية وهي ستون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد

أولا

أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن أبي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لان معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد * ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه فيعلم أردىء هو أم جيد * وقوله (يعلمون) بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا * وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر * وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و (غافلون) خبره والجملة خبر هم الاولى وأن يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع واليهم ترجع (في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر وأجال فيه فكره و (ما خلق) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه (الا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا * والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي متلبسة بالحق مقترنة به (فان قلت) اذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناه (قلت) معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت * والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية * ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها أي تشقها (وعمروها) يعني أولئك المدمرون (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض أصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم

الدنيا (قال فيه يعلمون بدل من الاول وفي البدل نكتة وهي الاشعار بانه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

حتى كأنهما شئ واحد فابدل أحدهما من الآخر وفائدة تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (قال) أحد وفي التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه وروى عن الحسن أنه قال في تلاوته هذه الآية بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا انه ينقر الدينار باصبعه فيعلم أجيد هو أم ردىء

مايستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أى
عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وان كان هذا أبلغ
لانه خالق القوى والقدر * فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث
عملوا ما أوجب تدميرهم * قرئ عاقبة بالنصب والرفع و (السوأى) تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما أن الحسنى
تأنيث الاحسن والمعنى ثم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر موضع
المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و (أن كذبوا)
بمعنى لان كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى
معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة
التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام
(ثم اليه ترجعون) أى الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء * الابلاس أى يبقى بائسا ساكنا متحيرا يقال
ناظرته فابلس اذا لم ينبس ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو * وقرئ يبلس بفتح اللام
من أبلسه اذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون
بالهيتهم ويجحدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم * وكتب شفعواء فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب
علمواء بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بألف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها
* الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق
المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين وهؤلاء أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع
بعدها (فى روضة) فى بستان وهى الجنة والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات
نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا
سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد
رضى الله عنه يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبى بكر بن عياش التيجان على
رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر
القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من
كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا
الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع
بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا
طربا (محضرون) لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وماهم بخارجين منها لا يفتر عنهم * لما ذكر الوعد
والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد * والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من
السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل
لابن عباس رضى الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون)
صلاتا المغرب والعشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشيا) صلاة العصر و (تظهرون) صلاة الظهر
وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه أن
على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه (فان قلت) لم ذهب الحسن رحمه الله الى أن
هذه الآية مدنية (قلت) لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى
غير وقت معلوم والقول الاكثر أن الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة
ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك

تخرجون

ثم كان عاقبة الذين
أساؤا السوأى أن كذبوا
بآيات الله وكانوا بها
يستهزؤن الله يبدؤ
الخلق ثم يعيده ثم اليه
ترجعون ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون
ولم يكن لهم من
شركائهم شفعواء وكانوا
بشركائهم كافرين ويوم
تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
فهم فى روضة يحبرون
وأما الذين كفروا وكذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة
فاولئك فى العذاب
محضرون فسبحان الله
حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد
فى السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون

* قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا (قال فان قلت أينصب خوفا وطمعا مفعولا لهما وليسا فعلى فاعل الفعل المعلل فالوجه
ذلك قلت المفعولون هنا فاعلون لانهم راؤن فتقديره يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا أو على حذف مضاف تقديره ارادة خوفكم
وطمعكم) قال أحد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته وحينئذ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما
وهى كونهما مصدرين
ومقارنين فى الوجود
والفاعل الخالق واحد

تخرجون أدرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته وفى قراءة عكرمة حينا تمسون
وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ بمعنى فيه (الحى
من الميت) الطائر من البيضة و (الميت من الحى) البيضة من الطائر * واحياء الارض اخراج النبات منها
(وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الابداء والاعادة
متساويان فى قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحى واخراج الحى من الميت واحياء
الميت وامانة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب) لانه خلق أصلهم منه
و (اذا) للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء (من أنفسكم أزواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب
الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف
والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر (وجعل بينكم) التوادد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم
تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضى الله عنه
المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمت ربك عبده * ويقال سكن اليه
اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل
ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان * الالسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله
خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا جهارة ولا حدة
ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور
وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا
لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان فى الحلية فيعروك الخطأ فى
التمييز بينهما وتعرف حكمة الله فى المخالفة بين الحلى وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من
أصل فذوهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون * وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد
للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون * هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله
بالليل والنهار الا أنه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ
واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول
لتكرره فى القرآن وأسد المعانى ما دل عليه القرآن * يسمعونه بالآذان الواعية * فى (يريكم) وجهان
اضمار أن وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من أن تراه وقول القائل

وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذى أثير

(خوفا) من الصاعقة أو من الاخلاف (وطمعا) فى الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان
على المفعول له (فان قلت) من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا
كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون فى المعنى لانهم راؤن فكانه قيل يجعلكم رائين
البرق خوفا وطمعا والثانى أن يكون على تقدير حذف المضاف أى ارادة خوف وارادة طمع فحذف
المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أى خائفين وطامعين * وقرئ ينزل بالتشديد

يخرج الحى من الميت
ويخرج الميت من الحى
ويحيي الارض بعد
موتها وكذلك تخرجون
ومن آياته أن خلقكم
من تراب ثم اذا أنتم
بشر تنتشرون ومن
آياته أن خلق لكم من
أنفسكم أزواجا
لتسكنوا اليها وجعل
بينكم مودة ورحمة ان
فى ذلك لآيات لقوم
يتفكرون ومن آياته
خلق السموات والارض
واختلاف ألسنتكم
وألوانكم ان فى ذلك
لآيات للعالمين ومن
آياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من
فضله ان فى ذلك لآيات
لقوم يسمعون ومن
آياته يريكم البرق خوفا
وطمعا وينزل من
السماء ماء فيحيي به
الارض بعد موتها ان
فى ذلك لآيات لقوم
يعقلون

فلابد من التنبيه على
تخريج النصب على غير
هذا الوجه فنقول معنى قول النحاة فى المفعول له لابد أن يكون فعل الفاعل أى ولابد أن يكون الفاعل متصفا به مثاله اذا قلت جئتك
اكراما لك فقد وصفت نفسك بالاكرام فقلت فى المعنى جئتك مكرما لك والله تعالى وان خلق الخوف والطمع لعباده الا أنه مقدس
عن الاتصاف بهما فمن ثم احتيج الى تأويل النصب على المذهبين جميعا والله أعلم

*قوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون الآية (قال ان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها افضلت على قيام السموات والارض قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالنسبة الى الانشاء) قال أحمد انما يلقى في السؤال تعظيم الاعادة من عطفها بثم ايذانا بتغاير مرتبتها وعلو شأنها وقوله في الجواب انها هونت بالنسبة الى الانشاء لا يخلص فان الاعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والارض بأمره وقيامهما ابتداء وانشاء أعظم من الاعادة فيلزم تعظيم الاعادة بالنسبة الى ما عطف عليه عن الانشاء ويعود الاشكال والخلاص والله أعلم جعل ثم على بابها التراخي الزمان لا للتراخي المراتب وان سلم أنها (٤٠٦) لتراخي المراتب فعلى أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هي الدنيا وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب فان المعطوف حينئذ في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه والله أعلم * قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) ان قلت لم أخرت الصلة ههنا وقد قدمت في

ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه

(ومن آياته) قيام السموات والارض واستمساكها بغير عمد (بأمره) أي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما ارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (اذا دعاكم) بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل

دعوت كليبا دعوة فكأنما * دعوت به ابن الطود أو هو أسرع

يريد بابن الطود الصدى أو الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون * قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع الي (فان قلت) بم تعلق (من الارض) أبالفعل أم بالمصدر (قلت) هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل * (فان قلت) ما الفرق بين اذا واذا (قلت) الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط * وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها (قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لان من أعاد منكم صنعة شئ كانت أسهل عليه وأهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فان قلت) لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون والمراد به الاعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فان قلت) لم أخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين (قلت) هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من أن الاعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فان قلت) ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكبدا من أن يتنقل في أحوال ويتدرج فيها الى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع

قوله تعالى هو علي هين قلت لان المقصود عما نحن فيه خلاف المقصد هنالك فانه اختصاص الله تعالى بالقدرة على ايلادالهم والعاقر وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه كيف والامر مبني على ما يعتقدونه في انشاهدمن ان الاعادة أسهل من الابتداء فالاختصاص بغير المعنى (قال أحمد) كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر وانما يلقى الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخر وقد علمت مذهبه في مثل ذلك * عاد كلامه (قال) في تقرير معنى قوله وهو أهون عليه الافعال اما ممتنع عقلا لذاته واما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله واما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا واما واجب على الحكيم أن يفعله فالانشاء الاول من قبيل التفضل وأما الاعادة فواجبة على الله تعالى لاجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الافعال عن الممتنع فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الانشاء (قال أحمد) لقد ضل وصد عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق أن لا واجب على الله تعالى وكل ما ذكره في هذا الفصل نزغات قدرية على أنها أيضا غير مستقيمة على أصولهم الجنية فان مقتضاها وجوب الانشاء في الحكمة

وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون

يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب أبعد الافعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الافعال من الامتناع واذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها في التأتي والتسهل فكانت أهون منهما واذا كانت أهون منها كانت أهون من الانشاء (وله المثل الاعلى) أي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به * ووصف في السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والارض أي قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول (فان قلت) أي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) الاولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد * تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) أي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أي أشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شئ (من أضل الله) من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه و (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وانما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة ألا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه (لا تبديل لخلق الله) أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فان قلت) لم وحد الخطاب أولا ثم جمع (قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فارقوا دينهم) تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أي جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي أضلها (كل حزب) منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز أن يكون من الذين منقطعا عما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله * وكل خليل غير هاضم نفسه * الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك * والرحمة

اذ لولا مصلحة اقتضت الانشاء لما وقع وتلك المصلحة توجب متعلقها فقد وضح أن المصنف لا الى معالي السنة رقي ولا في حضيض الاعتزال بقي فالله العصمة

الخلاص من الشدة واللام فى (ليكفروا) مجاز مثلها ليكون لهم عدوا (فتمتعوا) نظير اعملوا ماشئتم (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا * السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته * وما فى (بما كانوا) مصدرية أى بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون ويحتمل أن يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها وان تصبهم سيئة) أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة * ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته * حق ذى القربى صلة الرحم * وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم (فان قلت) كيف تعلق قوله (فآت ذا القربى) بما قبله حتى جيء بالفاء (قلت) لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك (يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه أى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى أو يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة * هذه الآية فى معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربو فى) أموالهم ليزيدوا ويزكوا فى أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتم من زكاة) أى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدى له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة والذى ليس بحرام أن يستدعى بهبته أو بهديته أكثر منها وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما أتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا أى لتزيدوا فى أموالهم كقوله تعالى ويربى الصدقات أى يزيدها وقوله تعالى فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والاول أملأ بالفائدة (الله) مبتدأ وخبره (الذى خلقكم) أى الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شئ منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتموهم أندادا لله من الاصنام وغيرها (من يفعل) شيأ قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للمبتدإ والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذى ربط الجملة بالمبتدإ لان معناه من أفعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (الفساد فى البر والبحر) نحو الجدب والقحط وقلة الريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شئ وقلة المنافع فى الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الامصار البحار وقرئ فى البر والبحور (بما كسبت أيدى الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم

ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس

كقوله

كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد فى البر بقتل ابن آدم أخاه وفى البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصى بكسب الناس ذلك * (فان قلت) ما معنى قوله (ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) قلت أما على التفسير الاول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها فى الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثانى فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم ارادة الرجوع فكأنهم انما أفسدوا وتسببوا لفشو المعاصى فى الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون * ثم أكد تسبب المعاصى لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا فى الارض فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن ما دونه من المعاصى يكون سببا لذلك * القيم البليغ الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج (من الله) اما أن يتعلق بيأتى فيكون المعنى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجىء به ولا رد له من جهته * والمرد مصدر بمعنى الرد (يصدعون) يتصدعون أى يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فعليه كفره) كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة (فلأنفسهم يمهدون) أى يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذى يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه فى مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضض أو بعض ما يؤذى الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه (ليجزى) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله) مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هى الاعطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (الرياح) هى الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا * وقد عدد الاغراض فى ارسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهى نزول المطر وحصول الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك (ولتجرى الفلك) فى البحر عند هبوبها * وانما زاد (بأمره) لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر * ولتشكروا نعمة الله فيها (فان قلت) بم يتعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها * اختصر الطريق الى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما وقوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (فيبسطه) متصلا تارة (ويجعله كسفا) أى قطعا تارة (فترى الودق يخرج من خلاله) فى التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء

ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم

وشقها كقوله تعالى وفرعها فى السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك * قرئ أثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أى الرحمة (ان ذلك) يعنى ان ذلك القادر الذى يحيي الارض بعد موتها هو الذى يحيي الناس بعد موتهم (وهو على كل شئ) من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (فرأوه) فرأوا أثر رحمة الله لان رحمة الله هى الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمى به ما ينبت * ولئن هى اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و (لظلوا) جواب القسم سد مسد الجوابين أعنى جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله تعالى بأنه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التى اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر * قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لما روى ابن عمر رضى الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وقوله (خلقكم من ضعف) كقوله خلق الانسان من عجل يعنى أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا أى ابتدأناكم فى أول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد فى الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أولانها تقع بغتة وبديهة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة * وأرادوا لبثهم فى الدنيا أو فى القبور أو فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفى الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهى أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق فى الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون فى الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان الا ساعة * القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون (فى كتاب الله) فى اللوح أو فى علم الله وقضائه أو فيما كتبه أى أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة * ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه (فان قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هى التى فى قوله * فقد جئنا خراسانا * وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أى فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعتبون) من قولك استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى فأرضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى الى قوله

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أى أزيل غضبهم والغضب فى معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا

من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون

ربكم

ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (فان قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين فى بعض الآيات وغير معتبين فى بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجانى غير راضين عنه فان يستعتبوا الله أى يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته (ولقد) وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل * ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التى ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم أنها لا تجدى عليه ولا تغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرف خلق الله فى تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من انجازه والوفاء به * ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبى اسحق ويعقوب ولا يستحقنك أى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ما ضيع فى يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية وهى أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازى ويجوز أن يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (للمحسنين) الذين يعملون الحسنات وهى التى ذكرها من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايقان بالآخرة ونظيره قول أوس

الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

حكى عن الاصمعى أنه سئل عن الالمعى فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها * اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى و (لهو الحديث) نحو السمر بالاساطير والاحاديث التى لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغى من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشترى كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فان قلت) ما معنى اضافة اللهو الى الحديث (قلت) معناها التبيين وهى الاضافة بمعنى من وأن يضاف الشئ الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشترى اللهو من الحديث لان اللهو يكون من

ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

﴿سورة لقمان مكية وهى أربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشترى لهو الحديث

قوله الموسيقار فى بعض الحواشى هو بالراء العلم بصنعة آلة الغناء وبغير راء صنعة الغناء ومعرفة النغم وهى من الالفاظ اليونانية اهـ كتبه مصححه

الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد
يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن
الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه * وقوله يشترى إما من الشراء على ما روى عن النضر
من شراء كتب الاعاجم أو من شراء القيان وإما من قوله اشتروا الكفر بالايمان أى استبدلوه منه
واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق * وقرئ (ليضل)
بضم الياء وفتحها و(سبيل الله) دين الاسلام أو القرآن (فان قلت) القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه
باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول فى الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح
(قلت) فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول
كان شديد الشكيمة فى عداوة الدين وصد الناس عنه والثانى أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن
من أضل كان ضالا لامحالة فدل بالرديف على المردوف (فان قلت) ما معنى قوله (بغير علم) قلت لما جعله
مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشترى بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى
والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء
بها * وقرئ (ويتخذها) بالنصب والرفع عطفا على يشترى أو ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله
تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا) زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا
* تشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ
بسكون الذال (فان قلت) ما محل الجملتين المصدرتين بكأن (قلت) الاولى حال من مستكبرا والثانية
من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والاصل فى كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان (وعد الله حقا)
مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم
الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما
جميعا قوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ ولا يعجزه يقدر على الشئ وضده فيعطى النعيم
من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل (ترونها) الضمير فيه
للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح
ترانى (فان قلت) ما محلها من الاعراب (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة أو هى فى محل الجر صفة للعمد
أى بغير عمد مرئية يعنى أنه عمدها بعمد لا ترى وهى امساكها بقدرته (هذا) اشارة الى ما ذكر من
مخلوقاته * والخلق بمعنى المخلوق و(الذين من دونه) آلهتهم بكتهم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله
وأنشأه فأرونى ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة * ثم أضرب عن تبكيتهم الى التسجيل
عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال * هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان
من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود
عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى اذا كفيت وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل
وأكثر الاقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا
ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته فقص أمره فى القرآن لتمسكوا بوصيته وقال
عكرمة والشعبى كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود
من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا
وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر اليه ان كنت ترانى
غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت ترانى أسود فقلبى أبيض وروى أن رجلا
وقف عليه فى مجلسه فقال ألست الذى ترعى معى فى مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق
الحديث والصمت عما لا يعنينى وروى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله

ليضل عن سبيل الله
بغير علم ويتخذها هزوا
أولئك لهم عذاب مهين
واذا تتلى عليه آياتنا
ولى مستكبرا كأن لم
يسمعها كأن فى أذنيه
وقرا فبشره بعذاب أليم
ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات
النعيم خالدين فيها وعد
الله حقا وهو العزيز
الحكيم خلق السموات
بغير عمد ترونها وألقى
فى الارض رواسى أن
تميد بكم وبث فيها من
كل دابة وأنزلنا من
السماء ماء فأنبتنا فيها
من كل زوج كريم هذا
خلق الله فأرونى ماذا
خلق الذين من دونه بل
الظالمون فى ضلال مبين

(القول فى سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى واذ قال
لقمان لابنه وهو
يعظه الآية (ذكر فى
ذلك اختلاف العلماء
فى نبوته وذكر أثناء
ذلك أنه خير بين النبوة
والحكمة فاختار
الحكمة) قال أحمد
وفى هذا بعد بين وذلك
أن الحكمة داخلة فى
النبوة وقطرة من بحرها
وأعلى درجات الحكماء
تنحط عن أدنى درجات
الانبياء بما لا يقدر قدره
وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة عن النبوة

له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال
الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروى أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج
منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج
اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب
أنه قال لأسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (أن) هى
المفسرة لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى هو
العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر (غنى) غير محتاج الى
الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد وان لم يحمده أحد * قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبى أشكم وقيل كان
ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لان التسوية بين من لا نعمة الا هى منه ومن
لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه * أى (حملته) تهن (وهنا على وهن) كقولك
رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو فى موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أى
يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك
عن أبى عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن * وقرئ وفصله (أن اشكر) تفسير لوصينا (ما ليس لك به علم) أراد
بنفى العلم به نفيه أى لا تشرك بى ما ليس بشئ يريد الاصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شئ (معروفا)
صحابا أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل
من أناب الى) يريد واتبع سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما
فى الدنيا ثم الى مرجعك ومرجعهما فأجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا
وما يجب على الانسان فى صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التى
لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما فى الآخرة وروى أنها نزلت فى سعد بن أبى وقاص وأمه وفى
القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا
فخرجت لما ارتددت الى الكفر (فان قلت) هذا الكلام كيف وقع فى أثناء وصية لقمان (قلت) هو كلام
اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك (فان قلت) فقوله حملته
أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر
ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة
خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم
أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه الى الحج على ظهره وهو يقول فى حدائه بنفسه

أحمل أمى وهى الحماله * ترضعنى الدرة والعلاله * ولا يجازى والد فعاله

(فان قلت) ما معنى توقيت الفصال بالعامين (قلت) المعنى فى توقيته بهذه المدة أنها الغاية التى لا تتجاوز
والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه
قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعى رضى
الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب أبى يوسف ومحمد وأما
عند أبى حنيفة رضى الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن أبى حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى
بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وان أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم
* قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة أو الاحسان أى ان كانت مثلا
فى الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت

عن نفى المعلوم) قال
أحمد هو من باب قوله
* على لاحب لا يهتدى
بمناره *
أى ما ليس باله فيكون
لك علم بالالهية
وليس كما ذكره فى قول
فرعون ما علمت لكم
من اله غيرى وقد

ولقد آتينا لقمان
الحكمة أن اشكر
لله ومن يشكر فانما
يشكر لنفسه ومن
كفر فان الله غنى حميد
واذ قال لقمان لابنه
وهو يعظه يا بنى
لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم ووصينا
الانسان بوالديه حملته
أمه وهنا على وهن
وفصاله فى عامين أن
اشكر لى ولوالديك
الى المصير وان جاهداك
على أن تشرك بى ما
ليس لك به علم فلا
تطعهما وصاحبهما فى
الدنيا معروفا واتبع
سبيل من أناب الى ثم
الى مرجعكم فأنبئكم
بما كنتم تعملون يا بنى
انها ان تك مثقال
حبة من خردل فتكن
فى صخرة أو فى السموات
أو فى الارض

* قوله تعالى وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما (قال معناه ما ليس بشئ وعبر بنفى العلم

مر معناه فيما تقدم
* قوله تعالى حملته

أمه وهنا على وهن الآية (قال فيه تخصيص حق الام وهو مطابق لبدايته فذكرها فى وجوب البر فى الحديث المأثور) قال أحمد وهذا
من قبيل ما يقوله الفقهاء ان للام من عمل الولد قبل الحلم جله وهو مما يفيدنا تأكيد حقها والله أعلم * قوله تعالى انها ان تك مثقال

في العالم العلوي أو السفلي (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما أنث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وروى أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم أصغر الاشياء في أخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار * وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا (واصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر (ان ذلك) مما عزمه الله من الامور أي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية ألا ترى الى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا في معنى الفاعل أصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا بها في سائر الامم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها * تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون * أراد (ولا تمش) تمرح (مرحا) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد لا تمش لاجل المرح والاشر أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس * والمختال مقابل للماشي مرحا * وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا (واقصد في مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت * وقرئ وأقصد بقطع الهمزة أي سدد في مشيك من أقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه (أنكر الاصوات) أوحشها من قولك شيء نكر اذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت * والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان (فان قلت) لم وحد صوت الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ما في السموات) الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما في الارض) البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى (وأسبغ) قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ * وقرئ نعمه ونعمة

يأت بها الله ان الله لطيف خبير يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا

حبة من خردل فتكن في صخرة (قال فيه هذا من البديع الذي يسمى التتميم) قال أحمد يعني انه تمم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة وهو من وادي قولها
كأنه علم في رأسه نار

ونعمته (فان قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة (فان قلت) لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان (قلت) لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا أن يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه * (فان قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل أو لا يعلم أصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن رضي الله عنه الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان أيسر ما يعذب به أهل النار الاخذ بالانفاس * معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب * قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك الى الله (فان قلت) ماله عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أي خالصا له ومعناه مع الى أنه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أي هي صائرة اليه * قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله (ان الله) يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بأن الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا (ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه * قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت كون البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الاول * وقرئ يمده ويمده وبالتاء والياء (فان قلت) كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد (قلت) أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي (فان قلت) زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال (قلت) هو كقوله * وقد أغتدي والطير في وكناتها * وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للارض (فان قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر (قلت) أريد

أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله

* قوله تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (قال شبه الزامهم التعذيب باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه) قال أحمد وتفسير هذا الاضطرار في الحديث في انهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل الله عليهم الزمهرير فيكون عليهم كشدة اللهب فيتمنون عود اللهب اضطرارا فهو اخبار عن اضطرار وباذيال هذه البلاغة تعلق الكندي حيث يقول * يرون الموت قداما وخلفا * فيختارون والموت اضطرار

تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت أقلاما (فان قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه أن كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحى كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هى مكية وانما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شئ (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شئ ومثله لا تنفد كلماته وحكمه (الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها أى سواء فى قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (ان الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث * كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين فى فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته (فان قلت) يجرى لاجل مسمى ويجرى الى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجرى الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقولك يجرى لاجل مسمى تريد يجرى لادراك أجل مسمى تجعل الجرى مختصا بادراك أجل مسمى ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذى وصف من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى تدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الهيته وأن من دونه باطل الالهية (وأن الله هو العلى) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك الذى أوحى اليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن الها غيره باطل وأن الله هو العلى الكبير عن أن يشرك به * قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل على مذهب التعويض * وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون (بنعمة الله) باحسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن * يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما * وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط فى الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى أن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

(لا يجزى) لا يقضى عنه شيأ ومنه قيل للمتقاضى المتجازى وفى الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغنى يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه فحذف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم فى المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه الغرة بالله أن يتمادى الرجل فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيآتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لانها غرور

فان

ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

*قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله شيأ (قال ان قلت لم أكد الجملة الثانية دون الاولى قلت لان أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلما كان اغناء الكافر عن المسلم بعيدا لم يحتج تأكيدا ولما كان اغناء المسلم عن الكافر قد يقع فى الاوهام أكد نفيه) قال أحمد وهذا الجواب تتوقف صحته على ان هذا الخطاب كان خاصا بالموجودين حينئذ والصحيح انه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر والله أعلم أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكفى والده ما يسوءه بحسب نهاية امكانه قطع ههنا وهم الوالد فى أن يكون الولد فى القيامة يجزيه بحقه عليه ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه فى الدنيا ذلك فى حقه فلما كان اجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع لان الله حضه عليه فى الدنيا كان جديرا بتأكيد النفى لازالة هذا الوهم ولا كذلك العكس فهذا جواب كاف شاف للعليل ان شاء الله تعالى

(فان قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلى فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم فى الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيأ فلذلك جىء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد فى لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك * روى أن رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن الساعة متى قيامها وانى قد ألقيت حباتى فى الارض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرنى عن امرأتى فقد اشتملت ما فى بطنها أذكر أم أنثى وانى علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك وأهله فى النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه (عنده علم الساعة) أيان مرساها (وينزل الغيث) فى ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفى بلد لا يتجاوزه به (ويعلم ما فى الارحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس) أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شئ أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أى بتأنيث كل فى قولهم كلتهن * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

(سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لاريب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولاريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لاريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لان قولهم هذا مفترى

ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير

(سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه

﴿القول في سورة السجدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك (قال يعني قريشا لانها لم يبعث لها نبي قط فان قلت ان لم يتقدم بعث نبي اليهم فبم قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل لاسبيل اليه وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم لان أدلة العقل معهم في كل زمان) قال أحمد مذهب أهل السنة انه لا يدرك علم شئ من أحكام الله تعالى التكليفية الا بالشرع وماذكره الزمخشري تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وقد مجها السمع فلم يبح بها القلم فأعرض عنه حتى يخوض في حديث غيره وانما قامت الحجة على العرب بمن تقدم من الرسل اليهم كأبيهم اسمعيل وغيره والمراد بقوله تعالى ما أتاهم من نذير يعني ذرية العرب في زمانه عليه الصلاة والسلام اذ لم يبعث اليهم نذير معاصر فلطف الله تعالى بهم و بعث فيهم رسولا منهم صلى الله عليه وسلم

بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

انكارلان يكون من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) ومافيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وان ذلك مالاريب فيه ثم أضرب عن ذلك الى قوله أم يقولون افتراه لان أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها بأنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ماوقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته (فان قلت) كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله وقد أثبت ماهو أطم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لاريب فيه أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شئ من الريب وأما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الاعجازله أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان أدلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان (لعلهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترجي للارادة (فان قلت) مامعنى قوله (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) قلت هو على معنيين أحدهما أنكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا أي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجازلان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير (الامر) المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا (من السماء الى الارض) ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج اليه) أي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضا ليوم آخر وهلم جرا الى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي أورده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة لان المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء الى الارض الى أن تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله أي يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبي عبلة يعرج على البناء للمفعول * وقرئ يعدون بالتاء والياء (أحسن كل شئ) حسنه لانه مامن شئ خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل أي أحسن خلق كل شئ وخلقه على الوصف أي كل شئ خلقه فقد أحسنه * سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه أي

تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل و(سواه) قومه كقوله تعالى في أحسن تقويم * ودل باضافة الروح الى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشئ الذي اختص هو به وبمعرفته (وقالوا) قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم جميعا * وقرئ أئنا وانا على الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا (في الارض) بالدفن فيها من قوله * وآب مضلوه بعين جلية * وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضي الله عنه صللنا من صل اللحم وأصل اذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض (فان قلت) بم انتصب الظرف في أئذا ضللنا (قلت) بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا * لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وماوراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء أضرب عنه الى ماهو أبلغ في الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ماذكرنا * والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شئ من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رضي الله عنه حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها (ولو ترى) يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمني كأنه قال وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وأن تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا أو لرأيت أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم ان أكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكأنك قلت ان أكرم وان أحسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له * يستغيثون بقولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا) فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) هي الرجعة الى الدنيا (لآتينا كل نفس هداها) على طريق الالجاء والقسر ولكننا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء ألا ترى الى ما عقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (انا نسيناكم) على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء * وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة (اذا ذكروا بها) أي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على مارزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه وأثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) عن الفرش ومواضع النوم * داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضي الله عنه أنه التهجد وعن رسول الله

ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع

* قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة) قال أحمد قد تمهد عن مذاهب أهل السنة ان المقتضي لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة وأما مادونه من الكبائر فلا يوجب

خلودا والمسئلة سمعية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدرية * قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال هذا حسم لاطماع المتمنين) قال أحمد يشير الى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصى موعود بالجنة ولا بد من دخوله اياها وفاء بالوعد الصادق وان أحدا لا يستحق على الله بعمله شيأ فاما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتنم الفرصة فى الاستشهاد على معتقد القدرية فى ان الاعمال أسباب موجبة للجزاء ولا دليل فى ذلك لمعتقدهم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك اما أن تحمل (٤٣٠) الآية على ان المراد منها قسمة المنازل بينهم فى الجنة فانها على حسب الاعمال وليس

صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضى الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ما أخفى لهم) على البناء للمفعول ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفى لهم وما نخفى لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذى أو بمعنى أى * وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبى مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) فحسم أطماع المتمنين وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (كان مؤمنا) و (كان فاسقا) محمولان على لفظ من و (لا يستوون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا * وأما الذين فسقوا) ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك و (جنات المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فمأواهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم (العذاب الادنى) عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضى الله عنهما عذاب القبر و (العذاب الاكبر) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا الى الآخرة (لعلهم يرجعون) أى يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول (فان قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها

بذلك فان المذكور فى الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام

يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه

درجاتها وإما أن تحمل وهو الظاهر والله أعلم على ان الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ووعده يجب ان يكون حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الاعمال بالوعد لو كأنها أسباب موجبات تعوملت فى هذه العبارة معاملتها والمقصود من ذلك تأكيد صدق الوعد فى النفوس وتصوره بصورة المستحق بالعمل كالاجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الزمخشرى الحديث المشهور وهو أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وكان جدى رحمه الله يستحسن ان تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الياء من أخفى ورده الى المتكلم وهى من القراآت المستفيضة والسبب فى اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو أعددت لعبادى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ليكون الكل راجعا الى الله تعالى مسندا الى ضمير اسمه عز وجل صريحا والله الموفق * قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون (قال) معناه

لعلهم يتوبون فان قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان وتوبتهم مما لا يكون لانهم لو تابوا لم يكونوا اذا ذاقوا العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعى وأما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره فان أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك فى اقتداره (٤٣١) كما لا يقدح فى اقتدارك ارادتك أن يختار

لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر (قلت) ارادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعى وأما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره والجائه فان أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك فى اقتداره كما لا يقدح فى اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى فى نزولها أنه شجر بين على بن أبى طالب رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبى أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على رضى الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان فى مثل حالهما وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا فى عشر آيات وسماك فاسقا * ثم فى قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أن الاعراض عن مثل آيات الله فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم فى بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها * (فان قلت) هلا قيل إنا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة (الكتاب) للجنس والضمير فى (لقائه) له ومعناه انا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعونهم الى ما فى التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الاسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أى من تلقيه له بالرضا والقبول * وقرئ لما صبروا ولما صبروا أى لصبرهم وعن الحسن رضى الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبنى اسرائيل خاصة ولم يتعبدنا بما فيها ولد اسمعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضى فيميز المحق فى دينه من المبطل * الواو فى (أولم يهد) للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف والضمير فى (لهم) لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه (كم أهلكنا) لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءنى كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون و (القرون) عاد وثمود وقوم لوط (يمشون فى مساكنهم) يعنى أهل مكة يمرون فى

عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها لان اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقده عجزا منك (قال أحمد) هذا الفصل ردى جدا مفرع على

ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض

الاشراك الجلى لا على الاشراك الخفى فاعتصم بدليل الوحدانية على رده واجتنابه من أصله والله المستعان والجاؤه فى تفسير لعل الى الارادة والحق فى تفسيرها انها الترجى للمخاطبين امتناع الترجى على الله تعالى كذا فسرها سيبويه فيما تقدم والله أعلم * قوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار (قال سبب نزولها أنه شجر بين على بن أبى طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبى أنا أشب منك شبابا وأجلد جلدا وأذرب لسانا وأحد منك سنانا وأشجع جنانا وأملأ حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق قال الزمخشرى فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تتناولهما معا) قال أحمد ذكر السبب المحقق لان المراد بالفاسق وبالذين فسقوا

متاجرهم على ديارهم و بلادهم وقرئ يمشون بالتشديد (الجرز) الارض التى جرز نباتها أى قطع اما العدم الماء واما لانه رعى وأزيل ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز و يدل عليه قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس رضى الله عنه أنها أرض اليمن وعن مجاهد رضى الله عنه هى أبين * به بالماء (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يأكل بالياء * الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا و بينهم فاذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أى وقت يكون (ان كنتم صادقين) فى أنه كائن و (يوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم و يوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رضى الله عنهما يوم فتح مكة (فان قلت) قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم (قلت) كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فى ادراك العذاب فلم تنظروا (فان قلت) فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعنى انهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فان الملائكة فى السماء ينتظرونه * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

﴿سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن زر قال قال لى أبى بن كعب رضى الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به أبى بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبى رضى الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض * جعل نداءه بالنبى والرسول فى قوله (يا أيها النبى اتق الله) يا أيها النبى لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله (فان قلت) ان لم يوقع اسمه فى النداء فقد أوقعه فى الاخبار فى قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول (قلت) ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار ألا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره فى النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى * اتق الله واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على شئ ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبنى قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه و يكرم صغيرهم وكبيرهم واذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه و بينهم وقام معهم عبد الله بن أبى

ومعتب

الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

(سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين

الذين كفروا الا انها نزلت فى الوليد وهو كافر حينئذ ثم أدرج فيه المؤمن تعصبا لمذهبه فى وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه العقائد الفواسد ولقد اتسع الخرق على الراقع

ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يرجع عن دينه و يعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة ابن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت (ان الله كان عليما) بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة (حكيما) لا يفعل شيأ ولا يأمر به الا بداعى الحكمة (واتبع ما يوحى اليك) فى ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (ان الله) الذى يوحى اليك خبير (بما تعملون) فموح اليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر * ما جمع الله قلبين فى جوف ولا زوجية وأمومة فى امرأة ولا بنوة ودعوة فى رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير فى حكمته أن يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج اليها واما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة أصالة فى النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت العرب فى جاهليتها يتغاورون و يتساوون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهرى وكان يقول ان لى قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى أنه انهزم يوم بدر فمر بأبى سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلى فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها فى صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فى أن الواحد يقول نفس تأمرنى ونفس تنهانى * والتنكير فى رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة فى جوفه * (فان قلت) أى فائدة فى ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة فى قوله القلوب التى فى الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع الى الانكار * وقرئ اللاى بياء وهمزة مكسورتين واللائى بياء ساكنة بعد الهمزة * وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى ونحوه فى العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وأفف الرجل اذا قال أف وأخوات لهن (فان قلت) فما وجه تعديته بمن وأخواته بعن (قلت) كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن والا فآلى فى أصله الذى هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه (فان قلت) ما معنى

ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللاءى تظاهرون منهن أمهاتكم

القول فى سورة الاحزاب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (قال) أسد ما ذكر فيه من التأويلات أنهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين فنفى الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الاقاويل المتناقضة كجعل الادعياء أبناء والزوجات أمهات قال وهذه الامور الثلاثة متنافية أما الاول فلأنه يلزم من اجتماع القلبين قيام أحد المعنيين بأحدهما وضده فى الآخر وذلك كالعلم والجهل والامن والخوف وغير ذلك وأما الثانى فلأن الزوجة فى مقام الامتهان والام فى محل الاكرام فتنافى أن تكون الزوجة أما وأما الثالث فلأن البنوة أصالة وعراقة والدعوة لاصقة عارضة فهما متنافيان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه حتى يبادره السامع بالانكار

قولهم أنت علىّ كظهر أمى (قلت) أرادوا أن يقولوا أنت علىّ حرام كبطن أمى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر رضى الله عنه يجىء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو أن اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون اذا أتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ فى تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك * (فان قلت) الدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا فماله جمع على أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى وأتقياء وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمىّ وسمىّ (قلت) ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء وأسراء والطريق فى مثل ذلك التشبيه اللفظى (ذلكم) النسب هو (قولكم بأفواهكم) هذا ابنى لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا * والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدى الا سبيل الحق * ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم) وبين ان دعاءهم لآبائهم هو أدخل الامرين فى القسط والعدل وفى فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يخفى على عالم بطرق النظم * وقرأ قتادة وهو الذى يهدى السبيل وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان (فان لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم اليهم (ف)هم (اخوانكم فى الدين) وأولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاى ويا أخى ويا مولاى يريد الاخوة فى الدين والولاية فيه (ما تعمدت) فى محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهى أو لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه الصلاة والسلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة والسلام وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده (فان قلت) فاذا وجد التبنى فما حكمه (قلت) اذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا من المتبنى ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وان كان عبدا عتق (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد (النبى أولى بالمؤمنين) فى كل شئ من أمور الدين والدنيا (من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا أعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمى بهم الى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فالىّ وفى قراءة ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبى فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبى صلى الله عليه وسلم أبوهم فى الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء تعنى أنهن انما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا

وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض

* قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية (قال فيه قدم النبى صلى الله عليه وسلم على نوح لانهم ذكروا تخصيصا بعد التعميم تفضيلا لهم فقدم أفضل المخصوصين) قال أحمد وليس التقديم فى الذكر بمقتض لذلك ألا ترى الى قوله بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المختير

التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الامهات كان المسلمون فى صدر الاسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم فى الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز أهله وجعل التوارث بحق القرابة (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية أو فى آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أى الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أى أولو الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة * (فان قلت) مم استثنى (أن تفعلوا) قلت من أعم العام فى معنى النفع والاحسان كما تقول القريب أولى من الاجنبى الا فى الوصية تريد أنه أحق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا وتولوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين (ذلك) اشارة الى ما ذكر فى الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام * (و) اذكر حين (أخذنا من النبيين) جميعا (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى) وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله أو ليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم به أممهم وتأويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله (فان قلت) لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فان قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام فى الآية التى هى أخت هذه الآية وهى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى انما أوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذى بعث عليه نوح فى العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء فى العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير * (فان قلت) فماذا أراد بالميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه فى بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا * (فان قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) قلت على أخذنا من النبيين لان المعنى أن الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق (اذ جاءتكم جنود) وهم الاحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأحصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق

فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله

فأخر ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ليختم به تشريفا له واذا ثبت ان التفضيل ليس من لوازمه التقديم فيظهر والله أعلم فى سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده فى الذكر انه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المتلو فكان تقديمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الانبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم

بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر أن نذهب الى الغائط وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا (زاغت الابصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع * الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلا فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بألسنتهم فظن الاولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف فى الوقف زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال أقلى اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها فى الوصل أيضا اجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن فى الامام بألف * وعن أبى عمرو اشمام زاى زلزلوا * وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الازعاج (الا غرورا) قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه وعن السدى عبد الله بن أبى وأصحابه * ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة فى ناحية منها (لا مقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون (فارجعوا) الى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا وأسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان * قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع وتلك الرجفة (الفتنة) أى الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لجاؤها وفعلوها وقرئ لأتوها لأعطوها (وما تلبثوا بها) وما ألبثوا اعطاءها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشئ وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه * عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد أن

بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان

لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل (مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (لن ينفعكم الفرار) مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل * وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب * (فان قلت) كيف جعلت الرحمة قرينة السوء فى العصمة ولا عصمة الا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (المعوقين) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون * كانوا يقولون (لاخوانهم) من ساكنى المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم * و(هلم الينا) أى قربوا أنفسكم الينا وهى لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به فعل متعد مثل أحضر وقرب قل هلم شهداءكم (الا قليلا) الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيأ قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا (أشحة عليكم) فى وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف (ينظرون اليك) فى تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب (أشحة) على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد (فان قلت) هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط (قلت) لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الاعمال يجدى عليه فبين أن ايمانه ليس بايمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف أساس أمره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على أن الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا (فان قلت) ما معنى قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) وكل شئ عليه يسير (قلت) معناه أن أعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعى ولا يصرف عنه صارف (يحسبون) أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة * وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفى رواية صاحب الاقليد بدى بوزن عدى ويساءلون أى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه * كان عليكم أن تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه فى الصبر على الجهاد والثبات فى مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه (فان قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) وقرئ أسوة بالضم (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه فى نفسه أسوة حسنة أى قدوة وهو المؤتسى أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديد أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد والثانى أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهى المواساة بنفسه (لمن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم * يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله أى فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل أو الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسى برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك * وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه فى قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب

عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب

الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أى فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك * وهذا اشارة الى الخطب أو البلاء (ايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضاياه وأقداره * نذر رجال من الصحابة أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله عنهم (فمنهم من قضى نحبه) يعنى حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعنى عثمان وطلحة وفى الحديث من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة (فان قلت) ما قضاء النحب (قلت) وقع عبارة عن الموت لان كل حى لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أى نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * (فان قلت) فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقنى أخوك وكذبنى اذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقنى سن بكره فمعناه صدقنى فى سن بكره بطرح الخافض وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما أن يكون بمنزلة السن فى طرح الجار واما أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفى بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا (وما بدلوا) العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا فى طلبهما والسعى لتحصيلهما * ويعذبهم (ان شاء) اذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) اذا تابوا (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للاولى أو استئنافا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وأنزل الذين) ظاهروا الاحزاب من أهل الكتاب (من صياصيهم) من حصونهم والصيصة ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبى صيصة ولشوكة الديك وهى مخلبه التى فى ساقه لانه يتحصن بها روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن فى الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر الا فى بنى قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق فى سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير * وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال انكم فى منازلكم وقال عمر رضى الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) عن الحسن رضى الله عنه فارس والروم وعن قتادة رضى الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضى الله عنه هى خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم * أردن شيأ من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك

قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج روى أنه قال لعائشة انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروى أنها قالت لا تخبر أزواجك أنى اخترتك فقال انما بعثنى الله مبلغا ولم يبعثنى متعنتا (فان قلت) ما حكم التخيير فى الطلاق (قلت) اذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس فى قول المخير أو المخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبى حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك فى المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعى اختيارها على الفور وهى عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهرى رضى الله عنهم أمرها بيدها فى ذلك المجلس وفى غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شئ باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروى أفكان طلاقا وعن على رضى الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضا أنها ان اختارت زوجها فليس بشئ * أصل تعال أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت فى استعماله الامكنة ومعنى تعالين أقبلن بارادتكن واختياركن لاحد أمرين ولم يرد نهوضهن اليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعكن) أعطكن متعة الطلاق (فان قلت) المتعة فى الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها فى العقد متعتها واجبة عند أبى حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهرى رضى الله عنه متعتان احداهما يقضى بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح فى المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه المتعة حق مفروض وعن الحسن رضى الله عنه لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ أمتعكن وأسرحكن بالرفع (قلت) وجهه الاستئناف (سراحا جميلا) من غير ضرار طلاقا بالسنة (منكن) للبيان لا للتبعيض * الفاحشة السيئة البليغة فى القبح وهى الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر فى حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصى وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبى صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصى العالم أشد منه للعاصى الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيرا) ايذان بأن كونهن نساء النبى صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهن شيأ وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه * قرئ يأت بالتاء والياء * مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين * يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون * وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى * أحد فى الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى

أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ۞ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما

* قوله تعالى لستن كاحد من النساء (قال فيه معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساو يكن فى (٤٣٠) الفضل والسابقة ومثله ولم يفرقوا بين أحد منهم) قال أحمد انما بعثه على جعل التفضيل بين نساء النبى عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا آحادهن أن يطابق بين المتفاضلين

يانساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات

النفى العام مستو يا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه * ومعنى قوله (لستن كاحد من النساء) لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساو يكن فى الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم فى أنهم على الحق المبين (ان اتقيتن) ان أردتن التقوى وان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا تجبن بقولكن خاضعا أى لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنهن نهين عن الخضوع بالقول ونهى المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول أى فيطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث أو قولا حسنا مع كونه خشنا * وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها وأصله اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ماقبلها كقولك ظلن وذكر أبو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ألا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة و (الجاهلية الاولى) هى القديمة التى يقال لها الجاهلية الجهلاء وهى الزمن الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الاسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الدرداء رضى الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم اسلام فقال بل جاهلية كفر * أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما فى جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ماوراءهما ثم بين أنه انما نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى * واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر وفى هذه الاستعارة ما ينفر أولى الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه و يرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به و(أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفى هذا دليل بين على أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم من أهل بيته * ثم ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحى وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع (ان الله كان لطيفا خبيرا) حين علم ما ينفعكم و يصلحكم فى دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين * يروى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة أم سلمة وروى أنه لما نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت * والمسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لا يعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله * والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به * والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها * والصادق

لان الاول جماعة وقد كان مستغنيا عن ذلك بجعل الكلام على واحدة و يكون المعنى أبلغ والتقدير ليست واحدة منكن كاحد من النساء أى كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك فى العكس فتأمله والله أعلم وجاء التفضيل ههنا كمجيئه فى قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله وليس الذكر كالانثى فى تقديم الافضل عند التفضيل وقد مضت فى ذلك نكتة حسنة والله الموفق الذى

الذى يصدق فى نيته وقوله وعمله * والصابر الذى يصبر على الطاعات وعن المعاصى * والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذى اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله * والمتصدق الذى يزكى ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق فى أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين * ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين * والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه (فان قلت) أى فرق بين العطفين أعنى عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين (قلت) العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وأبكارا فى أنهما جنسان مختلفان اذا اشتركا فى حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكأن معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم) * خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يا رسول الله فأنكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهى أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين (اذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله أو لان قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمرا) من الامور * أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره (فان قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءنى من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ * وقرئ يكون بالتاء والياء و (الخيرة) ما يتخير (للذى أنعم الله عليه) بالاسلام الذى هو أجل النعم و بتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعنى زينب بنت جحش رضى الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (فان قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) قلت أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تنزيه لا تحريم لان الأولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج (فان قلت) ما الذى أخفى فى نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية (فان قلت) فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل فانى أريد نكاحها (قلت) كأن الذى أراد منه عز وجل أن يصمت عند

والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله

وتخفى فى نفسك ما الله
مبديه وتخشى الناس
والله أحق أن تخشاه
فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكيلا
يكون على المؤمنين حرج
فى أزواج أدعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا
وكان أمر الله مفعولا

ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره فى ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوى الظاهر
والباطن والتصلب فى الامور والتجاوب فى الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث ارادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبى سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان
عينى الى عينك هل تشير الى فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد (فان قلت) كيف عاتبه
الله فى ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبى صلى الله عليه وسلم التصريح بشئ الا والشئ فى نفسه
مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح فى العقول والعادات وماله لم يعاتبه فى نفس الامر ولم يأمره
بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة
به وما يعرضه للقالة (قلت) كم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه
مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول
واجبات يعظم أثرها فى الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتى
فضلا وعلما ودينا ونظرا فى حقائق الامور ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا اذا طعموا فى بيوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين فى مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان
ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون
ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان
ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير
استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو أقرب منه من زر قميصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد
لم تكن من التعلق بها فى شئ بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن
مستنكرا عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فان
المهاجرين حين دخلوا المدينة آستهم الانصار بكل شئ حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن
احداهما وأنكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة
ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة
العامة فى قوله لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحرى أن
يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له الا اتحاد
الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان
كان مرا (فان قلت) الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هى (قلت) واو الحال أى تقول
لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا
فى ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه وخشية الناس
والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك * اذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره
والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها
(زوجناكها) وقراءة أهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضى الله عنهما أليس تقرأ على غير
ذلك فقال لا والذى لا اله الا هو ما قرأتها على أبى الا كذلك ولا قرأها الحسن بن على على أبيه الا كذلك
ولا قرأها على بن أبى طالب على النبى صلى الله عليه وسلم الا كذلك (وكان أمر الله مفعولا) جملة اعتراضية
يعنى وكان أمر الله الذى يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين

فى

ما كان على النبى من
حرج فيما فرض الله له
سنة الله فى الذين خلوا
من قبل وكان أمر الله
قدرا مقدورا الذين
يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون
أحدا الا الله وكفى بالله
حسيبا ما كان محمد أبا
أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم
النبيين وكان الله بكل
شئ عليما يا أيها الذين
آمنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا وسبحوه
بكرة وأصيلا

فى تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بأمر الله المكون لانه مفعول بكن
وهو أمر الله (فرض الله له) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر
لرزقاتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبى
من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع
عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة
سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة (فى الذين خلوا) فى الانبياء الذين مضوا (الذين يبلغون)
يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون
أو على أعنى الذين يبلغون * وقرئ رسالة الله * قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء
بأنهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (حسيبا)
كافيا للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمد أبا
أحد من رجالكم) أى لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من
حرمة الصهر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير
والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد
واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبنى من باب الاختصاص
والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعنى أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم
الانبياء كما يروى أنه قال فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا (فان قلت) أما كان أبا للطاهر والطيب
والقاسم وابراهيم (قلت) قد أخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء
لم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى أنه قد أضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم (فان قلت) أما كان أبا
للحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله لا من رجالهم وشئ آخر
وهو أنه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا
الى أن نيف أحدهما على الاربعين والآخر على الخمسين * قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على أبا أحد
وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه أى لم
يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين (فان قلت) كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل فى آخر الزمان (قلت) معنى كونه آخر
الانبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كأنه
بعض أمته (اذكروا الله) أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو
أهله وأكثروا ذلك (بكرة وأصيلا) أى فى كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل
مسلم وروى فى قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا
بالله العلى العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان أعنى اذكروا وسبحوا موجهان
الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين أنواعه
اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز
عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة
من أدناس المعاصى والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على
الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات
والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهى
الصلاة فى جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لان أداءها أشق ومراعاتها أشد
* لما كان من شأن المصلى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا

هوالذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعدلهم أجرا كريما يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات

كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه
قولهم صلى الله عليك أى ترحم عليك وترأف (فان قلت) قوله (هو الذى يصلى عليكم) ان فسرته بيترحم عليكم
ويترأف فما تصنع بقوله (وملائكته) وما معنى صلاتهم (قلت) هى قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا
لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أى أحياك وأبقاك وحييتك
أى دعوت لك بأن يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله
وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه أى ادعوا الله بأن يصلى عليه والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم
باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من) ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين
رحيما) دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة وروى أنه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى
قال أبو بكر رضى الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزلت (تحيتهم) من اضافة
المصدر الى المفعول أى يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع
التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة
وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم * والاجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا
قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم (فان قلت) وكيف كان شاهدا وقت الارسال
وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت) هى حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل
معه صقر صائدا به غدا أى مقدرا به الصيد غدا (فان قلت) قد فهم من قوله انا أرسلناك داعيا أنه مأذون له فى
الدعاء فما فائدة قوله (باذنه) قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان
الدخول فى حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك
وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع أمر فى غاية الصعوبة والتعذر
فقيل باذنه للايذان بأن الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم فى الشحيح انه
غير مأذون له فى الانفاق أى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حكم التعذر * جلى به الله ظلمات
الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور
البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار * ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضىء اذا قل سليطه ودقت
فتيلته وفى كلام بعضهم ثلاثة تضنى رسول بطىء وسراج لا يضىء ومائدة ينتظر لها من يجىء وسئل بعضهم
عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير
أن يعطف على كاف أرسلناك * الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره
فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا
كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوهم به (ولا تطع الكافرين) معناه الدوام
والثبات على ما كان عليه أو التهييج (أذاهم) يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعنى ودع ان تؤذيهم بضرر أو
قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله فى باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن
عباس رضى الله عنهما هى منسوخة بآية السيف (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل
أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه
يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن
الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير
بدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم فى الحاضر والاذى لابد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به فى
المستقبل والداعى الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج

* قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الآية (قال ان جعلت يصلى بمعنى يترحم فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بانهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حييته بمعنى دعوت الله له بالحياة والمقصد بذلك جعل الحياة محققة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجيبت الدعوة) قال أحمد كثيرا ما يفر الزمخشرى من اعتقاد

ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت

المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه
* النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها
سبب فى اقتراف الاثم ونحوه فى علم البيان قول الراجز * أسنمة الآبال فى سحابه * سمى الماء بأسنمة الآبال
لانه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطء
من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان
(فان قلت) لم خص المؤمنات والحكم الذى نطقت به الآية تستوى فيه المؤمنات والكتابيات (قلت)
فى اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والاولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح الا مؤمنة عفيفة
ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدو الله ووليه
فالتى فى سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم
ما هو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فان قلت) ما فائدة ثم فى قوله (ثم طلقتموهن) قلت فائدته نفى
التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهى قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها
بالنكاح وتتراخى بها المدة فى حبالة الزوج ثم يطلقها (فان قلت) اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل
يقوم ذلك مقام المساس (قلت) نعم عند أبى حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فما لكم
عليهن من عدة) دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك
عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أى تعتدون فيها كقوله
ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما فى قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا (فان قلت) ما هذا التمتيع
أواجب أم مندوب اليه (قلت) ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبى حنيفة
الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب
ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع واجب (أجورهن)
مهورهن لان المهر أجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها فى العقد (فان قلت)
لم قال اللاتى آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتى هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات (قلت) قد
اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره عما سواها
من الاثر وذلك أن تسمية المهر فى العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله أن يماسها
وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله
وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة
سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبى على ضربين سبى
طيبة وسبى خبثة فسبى الطيبة ما سبى من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبى منهم سبى خبثة ويدل
عليه قوله تعالى (مما أفاء الله عليك) لان فىء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب
اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتى هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم
أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى لم أهاجر معه كنت من الطلقاء * وأحللنا لك من وقع
لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف فى اتفاق
ذلك فعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم رضى الله عنهن * قرئ (ان وهبت) على الشرط وقرأ الحسن رضى الله عنه أن بالفتح على
التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا
بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير ان (فان قلت) ما معنى الشرط الثانى

ارادة الحقيقة والمجاز معا بلفظ واحد وقد التزمه ههنا ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازا لانه حملها على الرحمة وأما غيره فحملها على الدعاء وجعلها من الملائكة حقيقة ومن الله مجازا والله أعلم

نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما

مع الاول (قلت) هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم (فان قلت) لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله تعالى (نفسها للنبي ان أراد النبي) ثم رجع الى الخطاب (قلت) للايذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته * واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال أبو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفورا) للواقع في الحرج اذا تاب (رحيما) بالتوسعة على عباده * روي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني أرى ربك يسارع في هواك (ترجي) بهمز وغير همز تؤخر (وتؤوي) تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ولا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضي الله عنهن أرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه * وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما)

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي

لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر * كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن * (لا تحل) وقرئ بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بهن) ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية رضي الله عنهن * من في (من أزواج) لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعني أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما أن يكون بالسنة واما بقوله تعالى انا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أعجبك) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن * واستثنى ممن حرم عليه الاماء (رقيبا) حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه (أن يؤذن لكم) في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم و (غير ناظرين) حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الا أن يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي * واني الطعام ادراكه يقال أنى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت (ولا مستأنسين لحديث) نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به أو عن

أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل
هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين * لابد فى قوله (فيستحيى منكم) من تقدير المضاف أى من اخراجكم
بدليل قوله والله لا يستحيى من الحق يعنى أن اخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه * ولما كان الحياء مما يمنع
الحيى من بعض الافعال قيل (لا يستحيى من الحق) بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم وهذا أدب
أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم
فانتشروا وقرئ لا يستحى بياء واحدة * الضمير فى (سألتموهن) لنساء النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن
لان الحال ناطقة بذكرهن (متاعا) حاجة (فاسئلوهن) المتاع قيل ان عمر رضى الله عنه كان يحب ضرب
الحجاب عليهن محبة شديدة و كان يذكره كثيرا و يود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين
وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى أنه مر عليهن
وهن مع النساء فى المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل
فقالت زينب رضى الله عنها يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت
وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره
النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء
حجاب لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم (وما كان لكم) وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده * وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله
وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما
يحدث الرجل به نفسه ولا يخلى منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا
تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم
فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى
يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثانى فى هدم الثلاث مما يجرى
مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك (ان تبدوا شيأ) من نكاحهن على
ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله) يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على أثر ذلك عاما للكل بادو خاف
ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة أهول وأجزل روى أنها لما نزلت آية الحجاب قال
الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت (لا جناح عليهن) أى
لا اثم عليهن فى أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم
أبا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما
لانهما يصفانها لابنائهما وأبناؤهما غير محارم * ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفى هذا النقل ما يدل
على فضل تشديد فقيل (واتقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن
فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى فى حفظهما وليكن عملكن
فى الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن (ان الله على كل شئ) من السر والعلن
وظاهر الحجاب وباطنه (شهيدا) لا يتفاوت فى علمه الاحوال * قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها
وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه (صلوا عليه
وسلموا) أى قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم (فان قلت) الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب اليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا فى حال وجوبها فمنهم
من أوجبها كلما جرى ذكره وفى الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ويروى
انه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فقال صلى الله عليه وسلم هذا

فيستحيى منكم والله
لا يستحيى من الحق
واذا سألتموهن متاعا
فاسئلوهن من وراء
حجاب ذلكم أطهر
لقلوبكم وقلوبهن وما
كان لكم أن تؤذوا
رسول الله ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده
أبدا ان ذلكم كان عند
الله عظيما ان تبدوا شيأ
أو تخفوه فان الله كان
بكل شئ عليما لا جناح
عليهن فى آبائهن ولا
أبنائهن ولا اخوانهن
ولا أبناء اخوانهن ولا
أبناء أخواتهن ولا
نسائهن ولا ما ملكت
أيمانهن واتقين الله
ان الله كان على كل شئ
شهيدا ان الله وملائكته
يصلون على النبى يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما

من العلم المكنون ولولا أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به ان الله وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى
على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند
عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم
من قال تجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل
دعاء فى أوله وآخره ومنهم من أوجبها فى العمر مرة وكذا قال فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط
الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار (فان قلت) فالصلاة عليه فى الصلاة أهى شرط فى جوازها
أم لا (قلت) أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعى كانوا يكتفون عن ذلك يعنى الصحابة
بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبى وأما الشافعى رحمه الله فقد جعلها شرطا (فان قلت) فما تقول فى
الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وقوله
تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى ولكن للعلماء
تفصيلا فى ذلك وهو أنها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبى وآله فلا كلام فيها وأما اذا أفرد
غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولانه يؤدى الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يقفن مواقف التهم (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا
يرضيانه من الكفر والمعاصى وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة فى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثانى أن يراد يؤذون رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة
والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون فى أسمائه وصفاته وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمنى وآذانى ولم ينبغ له أن
يؤذينى فأما شتمه اياى فقوله انى اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله ان الله لا يعيدنى بعد أن بدأنى وعن عكرمة
فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل فى أذى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه فى نكاح
صفية بنت حيى وأطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان أذى الله ورسوله لا يكون الا
غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى (بغير ما اكتسبوا) بغير جناية واستحقاق
للأذى وقيل نزلت فى ناس من المنافقين يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه وقيل فى الذين أفكوا على
عائشة رضى الله عنها وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى
كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكرى الحوانيت الا من أهل الذمة لما فيه من الروعة
عند كر الحول * الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله
على صدرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما الرداء الذى يستر من فوق الى أسفل وقيل الملحفة وكل
ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد * مجلبب من سواد الليل جلبابا * ومعنى (يدنين عليهن من
جلابيبهن) يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك
على وجهك وذلك أن النساء كن فى أول الاسلام على هجيراهن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع
وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضى
حوائجهن فى النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن
يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن
طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن

ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله فى
الدنيا والآخرة وأعد
لهم عذابا مهينا والذين
يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير
ما اكتسبوا فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا يا أيها
النبى قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من
جلابيبهن ذلك أدنى
أن يعرفن فلا يؤذين

* قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين فيها الا قليلا (قال فيه المراد بقوله تعالى الا قليلا ريثما يلتقطون عيالاتهم وأنفسهم لاغير) قال أحمد ونبها اشارة الى أن من توجه عليه اخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعى يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد والله أعلم

(فان قلت) مامعنى من فى من جلابيبهن (قلت) هو للتبعيض الا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض مالهن من الجلابيب والمراد أن لاتكون الحرة متبذلة فى درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها والثانى أن ترخى المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلمانى عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدى أن تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائى يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الادناء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل (الذين فى قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الافاعيل التى تسوءهم وتنوءهم ثم بأن تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لايساكنوك فيها (الا) زمنا (قليلا) ريثما يرتحلون و يلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لايجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر فى قوله الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لان مابعد كلمة الشرط لايعمل فيما قبلها وقيل فى قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لايجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين (فان قلت) ماموقع لايجاورونك (قلت) لايجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لايجاورونك (فان قلت) أما كان من حق لايجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثانى مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه (سنة الله) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعنى كما قتل أهل بدر وأسروا * كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين (قريبا) شيأ قريبا أو لان الساعة فى معنى اليوم أو فى زمان قريب * السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد * وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أى نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها (١) أو طرحها فى النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا * وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم * يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن مابعده مستأنف * وقرئ كثيرا تكثيرا للاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه (ضعفين) ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون و يستغيثون و يتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك (لاتكونوا

كالذين

وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لايجدون وليا ولانصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا

(١) قوله أو طرحها كذا فى الاصل وعبارة أبى السعود أو يطرحون فيها الخ كتبه مصححه

كالذين آذوا موسى) قيل نزلت فى شأن زيد وزينب وماسمع فيه من قالة بعض الناس وقيل فى أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هنالك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب فى جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه برىء منه (وجيها) ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم و يدفع الأذى و يحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وأبو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ فى شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين وهذه ليست كذلك (فان قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لان ما اما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه (قلت) المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسدد قولهم فى كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم الله ماهو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق فى المجىء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله تعالى فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والامر مع اتباع النهى مايتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعى الى تركه * لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله (انا عرضنا الأمانة) وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو مايتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التى تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات و يليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها و يليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما أن الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز * وأما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد أنه لايؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته و يخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولى عليه حق فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لايملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل النصرة له و يسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذى لايملك الحس نفسه * وترفض عند المحفظات الكتائف

أى لايمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين مافى يده بل يبذل ذلك و يسمح به ومنه قولهم أبغض حق أخيك لانه اذا أحبه لم يخرجه الى أخيه ولم يؤده واذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الانسان فأبين الا أن يؤدينها وأبى الانسان الا أن يكون محتملا لها لا يؤديها * ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة و بالجهل لاخطائه مايسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثانى أن ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ماخلق الله من الاجرام وأقواه وأشده أن يتحمله و يستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته (انه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن الا على

كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوّى العوج وكم وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن فى الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصوّر أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع فى نفس السامع وهى به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها (فان قلت) قد علم وجه التمثيل فى قولهم للذى لا يثبت على رأى واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لانه مثلت حاله فى تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضى على أحدهما بحال من يتردد فى ذهابه فلا يجمع رجليه للمضى فى وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شئ مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما فى هذه الآية فان عرض الامانة على الجماد وإباءه واشفاقه محال فى نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا أن تشبه شيأ والمشبه به غير معقول (قلت) الممثل به فى الآية وفى قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفى نظائره مفروض والمفروضات تتخيل فى الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف فى صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها * واللام فى ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما أن التأديب فى ضربته للتأديب نتيجة الضرب * وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافى كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر

﴿ سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما فى السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذى كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال (وله الحمد فى الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فان قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أما الحمد فى الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهى الثواب وأما الحمد فى الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون * ثم ذكر مما يحيط به علما (ما يلج فى الارض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع فى الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هى له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للمفرطين فى أداء مواجب شكرها * وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه ننزل بالنون والتشديد * قولهم (لا تأتينا الساعة) نفى للبعث وانكار لمجئ الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد * أوجب ما بعد النفى ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم أعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمى امدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزى لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فان قلت) هل للوصف الذى وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من

﴿ سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه

﴿ القول فى سورة سبأ ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة (قال فيه الحمد الاول واجب لانه على نعمة متفضل بها والثانى ليس بواجب لانه على نعمة واجبة على المنعم (قال أحمد والحق فى الفرق بين الحمدين ان الاول عبادة مكلف بها والثانى غير مكلف به ولا متكلف وانما هو فى النشأة الثانية كالجبلات فى النشأة الاولى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس والا فالنعمة الاولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لا عن استحقاق والله الموفق

مشاهير الغيوب وأدخلها فى الخفية وأولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شئ من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا (فان قلت) الناس قد أنكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو فى معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهى قوله ليجزى فقد وضع الله فى العقول وركب فى الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسئ لا بد له من عقاب وقوله ليجزى متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له * قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند الى عالم الغيب أى ليأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك وقال أو يأتى أمر ربك * وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربى وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر فى الزاى من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (ذلك) اشارة الى مثقال ذرة * وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفى الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله (فان قلت) هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفى وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير فى عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب فى اللوح لان اثباتها فى اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شئ ولا يزل عنه الا مسطورا فى اللوح * وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر * وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) فى موضع الرفع أى ويعلم أولو العلم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام رضى الله عنهما * الذى أنزل اليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة فى موضع المفعول الثانى وقيل يرى فى موضع النصب معطوف على ليجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما (الذين كفروا) قريش قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أى يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد * أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه * ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون فى شئ وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنان فى وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما فى الحقيقة مقترنان * وقرأ زيد بن على رضى الله عنه ينبيكم (فان قلت) فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب

ألم تعلم مسرّحى القوافى * فلا عيا بهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكانا (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الاموات فى بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح * (فان قلت) ما العامل فى اذا (قلت) ما دل عليه انكم لفى خلق جديد وقد سبق نظيره * (فان قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت) هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذى جده الناسج الساعة فى الثوب ثم شاع ولهذا قالوا ملحفة

مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد

افترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه

جديد وهى عند البصريين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك (فان قلت) لم أسقطت الهمزة فى قوله أفترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن أمرا اضطرهم الى ترك اسقاطها فى نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام * (فان قلت) ما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازى لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل (فان قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما فى قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول فى أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلى ببعض الاحاجى التى يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به وبأمره * أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة (ان فى ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله (لآية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به * قرئ يشأ أو يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه * وقرأ الكسائى يخسف بهم بالادغام وليست بقوية (ياجبال) اما أن يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا ياجبال أو قلنا ياجبال * وقرئ أوبى وأوبى من التأويب والاوب أى رجعى معه التسبيح أو ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها * وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فان قلت) أى فرق بين هذا النظم وبين أن يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير (قلت) كم بينهما ألا ترى الى ما فيه من الفخامة التى لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا واذا دعاهم سمعوا وأجابوا اشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة * وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق * والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله * (و) سخرنا (لسليمان الريح) فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رضى الله عنه كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله * القطر النحاس المذاب من القطران (فان قلت) ماذا أراد بعين القطر (قلت)

اراد

باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين لقد كان

أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال انى أرانى أعصر خمرا وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (باذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه * وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى * المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد * والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (فان قلت) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبى العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور محذوفة الرؤس وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما * والجوابى الحياض الكبار قال

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

لان الماء يجبى فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على الأثافى لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود) حكاية ما قيل لآل داود وانتصب (شكرا) على أنه مفعول له أى اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أى شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة و (الشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وأكثر أوقاته وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فأنا أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر * قرئ فلما قضى عليه الموت * ودابة الارض الارضة وهى الدويبة التى يقال لها السرفة والارض فعلها فأضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة * وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الاسنان أكلا فأكلت أكلا * والمنسأة العصا لانه ينسأ بها أى يطرد ويؤخر * وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسى ومنساءته على مفعالة كما يقال فى الميضأة ميضاءة ومن سأته أى من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشئ اذا ظهر وتجلى * و (أن) مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له فى المعنى أى ظهر أن الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب) أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعى الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وأنت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى المعنى هو أن مع ما فى صلتها لانه بدل وفى قراءة أبى تبينت الانس وعن الضحاك

تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير فى كانوا للجن فى قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أى علمت
الانس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب مالبثوا وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه
تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف فى
مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها
لاى شئ أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد
فقال ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائطه
وقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على
الانس أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة
فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو
متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه فى صلاته الا احترق فمر
به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد أكلتها الارضة
فارادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك
النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما
لبثوا فى العذاب سنة وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه
السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم
موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب روى أن افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب
الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن
ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه * قرئ (لسبا)
بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا * ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم
وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم و(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدا
محذوف تقديره الآية جنتان وفى الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فان
قلت) مامعنى كونهما آية (قلت) لم يجعل الجنتين فى أنفسهما آية وانما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا
عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا
الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه
ووجوب شكره (فان قلت) كيف عظم الله جنتى أهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف
بها من الجنان ماشئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين
بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد
الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين
من أعناب (كلوا من رزق ربكم) اما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم
أحقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعنى
هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس
رضى الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك
الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث
ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد (العرم)
الجرذ الذى نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء
العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه فى سقيهم فلما طغوا قيل بعث
الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله

لسبا فى مسكنهم آية
جنتان عن يمين وشمال
كلوا من رزق ربكم
واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور فأعرضوا
فأرسلنا عليهم سيل
العرم وبدلناهم

على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة ويقال للكدس من
الطعام عرمة والمراد المسناة التى عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادى وقيل العرم المطر الشديد * وقرئ
العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم * وقرئ أكل بالضم
والسكون وبالتنوين والاضافة والأكل الثمر * والخمط شجر الاراك وعن أبى عبيدة كل شجر ذى شوك وقال
الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله * والأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود
عودا ووجه من نون أن أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الأكل
بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط فى معنى البرير كأنه قيل
ذواتى برير والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيأ بالنصب
عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قال
السدر لانه أكرم ما بدلوا * وقرئ وهل يجازى وهل نجازى بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل
يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيآته
بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة
يستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله جزيناهم بما
كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس
لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن
لانه لم يرد الجزاء العام وانما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك
لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من
السؤال مضمحل وأن الصحيح الذى لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه (القرى التى باركنا فيها) هى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى
ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم
(وقدرنا فيها السير) قيل كان الغادى منهم يقيل فى قرية والرائح يبيت فى قرية الى أن يبلغ الشأم لا يخاف
جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما
مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه (فان قلت) مامعنى قوله (ليالى وأياما)
(قلت) معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الأمن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أو سيروا
فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالى أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة
أعماركم فانكم فى كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الأمن * قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء
بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل
والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين
الشأم مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين
أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد
بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها
ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم
ويتعجبون من أحوالهم * وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدى سبا وتفرقوا
أيادى سبا قال كثير
أيادى سبا ياعز ما كنت بعدكم * فلم يحل بالعينين بعدك منظر
لحق غسان بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم * قرئ
صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن
خفف فعلى صدق فى ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى

بجنتيهم جنتين ذواتى
أكل خمط وأثل وشئ
من سدر قليل ذلك
جزيناهم بما كفروا
وهل نجازى الا الكفور
وجعلنا بينهم وبين
القرى التى باركنا فيها
قرى ظاهرة وقدرنا
فيها السير سيروا فيها
ليالى وأياما آمنين
فقالوا ربنا باعد بين
أسفارنا وظلموا
أنفسهم فجعلناهم
أحاديث ومزقناهم كل
ممزق ان فى ذلك لآيات
لكل صبار شكور
ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه فاتبعوه

وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله * صدقت فيهم ظنوني * ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك (١) عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها * والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبأ أو لبني آدم * وقلل المؤمنين بقوله (الا فريقا) لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم * وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجؤا اليهم فيما يعروكم كما تلتجؤن اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (في السموات ولا في الارض ومالهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض (وماله منهم) من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فان قلت) أين مفعولا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول وأما الثاني فلا يخلو اما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين * تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له أي لشفيعه أو هي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أي لاجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فان قلت) بم اتصل قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم) ولأي شئ وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة وقرئ أذن له أي أذن له الله وأذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ أي نفي الوجل عنها وأفني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ ثم ترك ذكر الوجل وأسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل وأسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبي علقمة انه هاج به المرار

الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شئ حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق

(١) قوله عند اخبار الله الخ في البيضاوي أو سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لأضلنهم ولأغوينهم اه مصححه

فالتف

قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (قال) لما ألزمهم الحجة في قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير وعلم جرا الى الآية المذكورة وهذا الالزام ان لم يزد على اقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه ان أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة على ذرة لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به قد أنصفك صاحبك والتعريض أنضل بالمجادل الى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه الله يعلم الصادق مني ومنك

فالتف عليه الناس فلما أفاق قال مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أي مقوله الحق (وهو العلي الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى * أمره بأن يقررهم بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم الا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فمالكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا * وأمره أن يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل الى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق مني ومنك وان أحدنا الكاذب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(فان قلت) كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال (قلت) لان صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وانا أو اياكم اما على هدى أو في ضلال مبين * هذا أدخل في الانصاف وأبلغ فيه من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان أراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام * وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار * (فان قلت) ما معنى قوله (أروني) وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسده بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون

وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا

وان أحدنا الكاذب ومنه قول حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء (قال أحمد) وهذا تفسير مهذب وافتنان مستعذب رددته على سمعي فزاد رونقا بالترديد واستعاده الخاطر كأني بطيء الفهم حين يفيد ولا ينبغي أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تعاطيها متأخرو الفقهاء في مجادلاتهم ومحاوراتهم وذلك قولهم أحد الامرين لازم على الابهام فهذا المسلك من هذا الوادي غير بعيد فتامله والله الموفق * قوله تعالى قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (قال وهذا القول أدخل في الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى النفس وأراد به الزلات والصغائر التي لا يخلو عنها مؤمن وأسند العمل الى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر) قال أحمد فعبر عن الهفوات بما يعبر به عن العظائم وعن العظائم بما يعبر به عن الهفوات التزاما للانصاف وزيادة على ذلك انه ذكر الاجرام المنسوب الى النفس بصيغة الماضي الذي يعطي تحقيق المعنى وعن العمل المنسوب الى الخصم بما لا يعطي ذلك والله أعلم

من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره بقوله (هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده أو ضمير الشان كما فى قوله تعالى قل هو الله أحد (الا كافة للناس) الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس فى الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لان تقدم حال المجرور عليه فى الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوى له الخطأ الاول الا بالخطا الثانى فلا بد له من ارتكاب الخطأين * قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فان قلت) فما تأويل من أضافه الى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعنى يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعنى التعظيم (فان قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجىء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه * الذى بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل فى الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة * ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم فى الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب (ولو ترى) فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب * والمستضعفون هم الاتباع * والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون * أولى الاسم أعنى نحن حرف الانكار لان الغرض انكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات أنهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعد اذ جاءكم) بعد أن صممتم على الدخول فى الايمان وصحت نياتكم فى اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا (فان قلت) اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها (قلت) قد اتسع فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فأضيف اليها الزمان كما أضيف الى الجمل فى قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد * لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم فى الليل والنهار فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه (فان قلت) ما وجه الرفع والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار (فان قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (قلت) لان الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول * (فان قلت) من صاحب

بل هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا

الضمير فى (وأسروا) قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون فى قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الاضداد * هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمعذبين) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا الى أحوالهم فى الدنيا * وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذى مبناه على الاستحقاق * وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه * وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف * أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث ويجوز أن يكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله زلفى وحدها أى ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب * وقرأ الحسن باللاتى تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذى يقربكم أى بالشىء الذى يقربكم * والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أى تقربكم قربة كقوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا (الا من آمن) استثناء من كم فى تقربكم والمعنى أن الاموال لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرب أحدا الا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة (جزاء الضعف) من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء * قرئ فى الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفى الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى * هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك أعنى واسمعى يا جارة ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه * والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهى مفاعلة من الولى وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهى البعد والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى أنت الذى نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا

وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا

يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم

يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها * وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء * الامر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو وحده * ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) معطوفا على لا يملك * الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفى قوله (وقال الذين كفروا) وفى أن لم يقل وقالوا وفى قوله (للحق لما جاءهم) وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وفى لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه (ان هذا الا سحر مبين) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا * وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا * وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال * فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء * وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس * والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع * (فان قلت) ما معنى (فكذبوا رسلى) وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه (فكيف كان نكير) أى للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله (بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذى لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم والذى أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب * وأراهم بقوله (ما بصاحبكم من جنة) أن هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدرى ما الافتضاح ومراقبة العواقب واما عاقل

بين يدى عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا

راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدى على العاقل دعوى شئ لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فاذا أتى بها تبين أنه نذير مبين * (فان قلت) ما بصاحبكم بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية (بين يدى عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت فى نسم الساعة (فهو لكم) جزاء الشرط الذى هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أى شئ سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفى مسألة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتنى شيأ فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ولكنه يريد به البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثانى أن يريد بالاجر ما أراد فى قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وفى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة فى القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم (على كل شئ شهيد) حفيظ مهيمن يعلم أنى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا أطمع منكم فى شئ * القذف والرمى تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفيه فى التابوت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) رفع محمول على محل ان واسمها أو على المستكن فى يقذف أو هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذى غاب وخفى جدا * والحى اما أن يبدئ فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول عبيد

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله أى ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده أى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج أى شئ ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل أو لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك * قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فان قلت) أين التقابل بين قوله فانما أضل على نفسى وقوله فبما يوحى الى ربى وانما كان يستقيم أن يقال فانما أضل على نفسى وان اهتديت فانما اهتدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها أو يقال فانما أضل بنفسى (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شئ (ولو ترى) جوابه محذوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان

فلافوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنابه وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب

﴿سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع

ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلافوت) فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت * والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم (فان قلت) علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلافوت لهم أو على لافوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لافوت ومعناه فلافوت هناك وهناك أخذ (آمنابه) بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة * والتناوش والتناول أخوان الا أن التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لاتعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت فى أجوه وأدؤر وعن أبى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت * تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * أى أخيرا (ويقذفون) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أى يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنابه على أنه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيأ من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشئ الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا (بأشياعهم) بأشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) اما من أرابه اذا أوقعه فى الريبة والتهمة أو من أراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا أن بينهما فريقا وهو أن المريب من الاول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولى أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى المتمكنة المخاض والخلفة (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ

يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله

الاعداد عن صيغ الى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا ترى انك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد فى الخلق ما يشاء) أى يزيد فى خلق الاجنحة وفى غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (فان قلت) قياس الشفع من الاجنحة أن يكون فى كل شق نصفه فما صورة الثلاثة (قلت) لعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بى فى بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل فى صورته فغشى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الرأى وجراءة فى القلب وسماحة فى النفس وذلاقة فى اللسان ولباقة فى التكلم وحسن تأت فى مزاولة الامور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف * استعير الفتح للاطلاق والارسال ألا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعنى أى شئ يطلق الله من رحمة أى من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا يحاط بعددها * وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على امساكها وحبسها وأى شئ يمسك الله فلا أحد يقدر على اطلاقه (فان قلت) لم أنث الضمير أولا ثم ذكر آخرا وهو راجع فى الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على أصل التذكير * وقرئ فلا مرسل لها (فان قلت) لا بد للثانى من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقا فى كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثانى للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فان قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضى الله عنهما (قلت) ان أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذى أراده ابن عباس رضى الله عنهما ان قاله فمقبول وان أراد أنه ان شاء أن يتوب العاصى تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد امساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأى حديث بعد الله أى من بعد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة ارساله وامساكه * ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادى عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون فى نعمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم

﴿القول في سورة الملائكة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه ان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل اذا جعلته تفسيرا وجعلت من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا كأنه قيل هل يرزقكم خالق غير الله أو جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ) قال أحمد والوجه المؤخر أوجهها * عاد كلامه (قال) فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السموات والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) القدرية اذا قرعت هذه الآية أسماعهم قالوا بجرأة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لان كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فلهذا رأيت الزمخشري (٤٥٦) وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة النافرة وجعل الوجهين يطابقان معتقده في اثبات خالق غير الله ووجها هو الحق والظاهر وأخره في الذكر تناسياله والذى يحقق الوجه الثالث وانه هو المراد أن الآية خوطب بها قوم على انهم مشركون اذا سئلوا عن رازقهم من السموات والارض قالوا الله فقرروا بذلك وقرعوا به اقامة للحجة عليهم باقرارهم ولو كان على غير هذا الوجه فيد لكان مفهومه اثبات خالق غير الله لكنه لا يرزق وهؤلاء الكفرة قد تبرؤا عن ذلك فلا وجه لتقريعهم بما يلائم قولهم هذا ترجيح الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية وأما من حيث النظم اللفظي فلان الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لا اله الا هو سيقتا سياقا واحدا والثانية مفصولة اتفاقا بما تقدم فكذلك وزينتها * قوله تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية (قال) معناه ولا يقولن لكم الشيطان اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة (قال أحمد) هو يعرض باهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحد وان لم يكن توبة وهذا لا يناقض صدق وعده تعالى لان الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة في مثل قوله لهم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم اذا مصدقون بوعد الله تعالى موقنون به على حسب ما ورد

من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العامية * وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء (فان قلت) ما محل (يرزقكم) قلت يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله (فان قلت) هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى (قلت) نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات (لا اله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات (فأنى تؤفكون) فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك * نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له في الانبياء قبله أسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه * وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فان قلت) ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعنى بالتكذيب عن التأسى (فان قلت) ما معنى التنكير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة * وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرنكم) فلا تخدعنكم (الدنيا) ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذى لا عدو أعرف في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم

رزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد

الا بدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم * ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذى يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير * ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والامانى الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما * لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعنى أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو أن يكون العاصى على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمر النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبى نواس

اسقنى حتى ترانى * حسنا عندى القبيح

واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فان على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقى بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه * حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلا كلا وصدورا

يريد رجعن كلا كلا وصدورا أى لم يبق الا كلا كلها وصدورها ومنه قوله

فعلى اثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم * وقرئ أرسل الريح * (فان قلت) لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

لانه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه * والكاف في (كذلك) في محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق * كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (فلله العزة جميعا) موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم

والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا

الانك أقمت مايدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة
* ثم عرف أن ماتطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه) والكلم الطيب لااله الا الله عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أن هذا الكلم لاتقبل ولا تصعد
الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفى عليين الا اذا
اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل
لانه لايقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر
من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم هو قول
الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفى الحديث لايقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا
الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا
مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على
تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أى يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام
الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل (فان قلت) مكر فعل غير
متعد لايقال مكر فلان عمله فبم نصب (السيآت) قلت هذه صفة لمصدر أو لما فى حكمه كقوله تعالى
ولا يحيق المكر السيئ الا باهله أصله والذين مكروا المكرات السيآت أو أصناف المكر السيآت وعنى بهن
مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداوروا الرأى فى احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله
صلى الله عليه وسلم اما اثباته أو قتله أو اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعنى ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو
خاصة يبور أى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع
عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ
الا باهله (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا كقوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة رضى الله عنه
زوج بعضهم بعضا (بعلمه) فى موضع الحال أى الا معلومة له * (فان قلت) مامعنى قوله ومايعمر من معمر
(قلت) معناه ومايعمر من أحد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه (فان قلت) الانسان اما معمر أى طويل
العمر أو منقوص العمر أى قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله (ومايعمر
من معمر ولا ينقص من عمره) قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بافهام السامعين واتكالا
على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لايلتبس عليهم احالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس
المستفيض يقولون لايثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وماتنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائى وفيه
تأويل آخر وهو أنه لايطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب وصورته أن يكتب فى اللوح ان حج فلان أو غزا
فعمره أربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا أفرد أحدهما فلم
يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضى الله
عنه لو أن عمر دعا الله لاخر فى أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون قال فقد قال الله ومايعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح فى مدتك
وما أشبهه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب فى أسفل ذلك
ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره وعن قتادة رضى الله عنه المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من
عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضى الله عنهما ويجوز أن يراد بكتاب الله علم
الله أو صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف * ضرب البحرين العذب

اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح
يرفعه والذين يمكرون
السيآت لهم عذاب
شديد ومكر أولئك
هو يبور والله خلقكم
من تراب ثم من نطفة
ثم جعلكم أزواجا وما
تحمل من أنثى ولا تضع
الا بعلمه ومايعمر من
معمر ولا ينقص من
عمره الا فى كتاب ان
ذلك على الله يسير
ومايستوى البحران
هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح أجاج

والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وماعلق بهما من نعمته وعطائه
(ومن كل) أى ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهى اللؤلؤ
والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب
بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كأنها تقشره
كما تمخره (من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه
وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا
* والفرات الذى يكسر العطش * والسائغ المرئ السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ
بالتخفيف وملح على فعل * والاجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه
الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ
وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة
أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله (ذلكم) مبتدأ و (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة
واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) ويجوز فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله
صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة
الملتفة عليها * ان تدعوا الاوثان (لايسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتمثيل
(ما استجابوا لكم) لانهم لايدعون ماتدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل مانفعوكم (يكفرون بشرككم
ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك
بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذى أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما أخبرت
به وقرئ يدعون بالياء والتاء (فان قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم اليه
هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف
وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف فى قوله وخلق الانسان ضعيفا
وقال الله سبحانه وتعالى الله الذى خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء * (فان قلت) قد
قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا
كان الغنى جوادا منعما فاذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغنى
النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنيهم (بعزيز)
بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لايشرك به شيأ * الوزر والوقر أخوان ووزر الشئ
اذا حمله * والوازرة صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لاتحمل الا وزرها الذى اقترفته لاتؤخذ
نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار (فان قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى
ولم قيل وازرة (قلت) لان المعنى أن النفوس الوازرات لاترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها (فان
قلت) كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية فى الضالين
المضلين وأنهم يحملون أثقال اضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم مافيها شئ من وزر غيرهم
ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وماهم بحاملين من
خطاياهم من شئ (فان قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وان تدع مثقلة
الى حملها لايحمل منه شئ) قلت الاول فى الدلالة على عدل الله تعالى فى حكمه وأنه تعالى لايؤاخذ نفسا
بغير ذنبها والثانى فى أن لاغياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى أن
يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ (فان قلت) الام أسند

ومن كل تأكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية
تلبسونها وترى الفلك
فيه مواخر لتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون
يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجرى
لاجل مسمى ذلكم الله
ربكم له الملك والذين
تدعون من دونه
مايملكون من قطمير
ان تدعوهم لايسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم
القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل
خبير يا أيها الناس أنتم
الفقراء الى الله والله هو
الغنى الحميد ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق
جديد وما ذلك على الله
بعزيز ولا تزر وازرة
وزر أخرى وان تدع مثقلة
الى حملها لايحمل منه شئ

ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها

كان فى (ولو كان ذا قربى) قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة (فان قلت) فلم ترك ذكر المدعو (قلت) ليعم ويشمل كل مدعو (فان قلت) كيف استقام اضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة (قلت) هو من العموم الكائن على طريق البدل (فان قلت) ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على أن المثقلة ان دعت أحدا الى حملها لا يحمل منه شئ وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير فى الفعل بخلاف ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله * وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعنى انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم (ومن تزكى) ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) وعد للمتزكين بالثواب (فان قلت) كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله (قلت) لما غضب عليهم فى قوله ان يشأ يذهبكم أتبعه الانذار بيوم القيامة وذكر أهواله ثم قال انما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم (الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم ولله عز وجل * والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب * والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر * والحرور السموم الا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فان قلت) لا المقرونة بواو العطف ما هى (قلت) اذا وقعت الواو فى النفى قرنت بها لتأكيد معنى النفى (فان قلت) هل من فرق بين هذه الواوات (قلت) بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى الذى قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه * وأما أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك فى ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وينذر وذلك ما لا سبيل اليه * ثم قال (ان أنت الا نذير) أى ما عليك الا أن تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدى المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك فى المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو محقين أو صفة للمصدر أى ارسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق * والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة وفى حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فان قلت) كم من أمة فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير (قلت) اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما (بالبينات) بالشواهد على صحة النبوة وهى المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء فى جنسهم أسند المجئ بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من

الحمرة

وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذى أوحينا اليك

الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها * والجدد الخطط والطرائق قال لبيد * أو مذهب جدد على ألواحه * ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبى جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره وبطنه (وغرابيب) معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة رضى الله عنه هى الجبال الطوال السود (فان قلت) الغربيب تأكيد للاسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك (قلت) وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذى بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة * والمؤمن العائذات الطير * وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله تعالى ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهرى جدد بالضم جمع جديدة وهى الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول أبى ذؤيب يصف حمار وحش * جون السراة له جدائد أربع * وروى عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض * وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضألين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال * المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبى أفتنى أيها العالم فقال العالم من خشى الله وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فان قلت) هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول فى هذا الكلام أو أخر (قلت) لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى أنهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله وهما معنيان مختلفان (فان قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر ابن عبد العزيز ويحكى عن أبى حنيفة (قلت) الخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى (يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوته وهى شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هى آية القراء وعن الكلبى رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدى رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وعن عطاء هم المؤمنون (يرجون) خبر ان * والتجارة طلب الثواب بالطاعة و(ليوفيهم) متعلق بلن تبور أى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم) وهى ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون فى موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق فى سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله (انه غفور شكور) على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة

* قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله (قال يعنى بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمهم الآية الى ظالم لنفسه وهو المرجأ لامر الله والى مقتصد وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا والى سابق ثم قال الزمخشرى فان قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك فى تتمة الآية فى قوله ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها قلت لان الاشارة بالفضل الى السبق بالخيرات وهو السبب فى الجنات ونيل الثواب فأقام السبب مقام المسبب وفى اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه

من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى

(الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعنى أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لان يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب (فان قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) قلت فيه وجهان أحدهما انا أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أى حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذى هو أفضل كتب الله * ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثانى أنه قدم ارساله فى كل أمة رسولا وأنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أى من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية (فان قلت) فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذى هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك (قلت) لما كان السبب فى نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن وفى اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك فى مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه (فان قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للايذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل * وقرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر أى يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول * ويحلون من حليت المرأة فهى حال (ولؤلؤا) معطوف على محل من أساور * ومن داخلة للتبعيض أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب فى صفاء اللؤلؤ وقرئ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى * وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم

حذرا وعليهما بالتوبة النصوح ولا يغترا بما رواه عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع) قال أحمد وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله ثم قسمتهم الى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين فى المصطفين وانه لمنهم وأى نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فما بال المصنف يطنب فى التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع الى المصطفين عموما والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعا واعرابها جنات مبتدأ ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير الى آخر الآية خبر بعد خبر وخير على خير والله المستعان

ولا فى محشرهم ولا فى مسيرهم وكأنى بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات * المقامة بمعنى الاقامة يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذى هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع * وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أى لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فان قلت) ما الفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للامر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة (فيموتوا) جواب النفى ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له فى حكم النفى أى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجزاء (يجزى) وقرئ يجازى ونجزى (كل كفور) بالنون (يصطرخون) يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال * كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها * واستعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته * (فان قلت) هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة (غير الذى كنا نعمل) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه (قلت) فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم فى الكفر وركوب المعاصى ولانهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نحسبه صالحا فنعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعنى فنقول لهم * وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم وعن النبى صلى الله عليه وسلم العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثمانى عشرة وسبع عشرة و(النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب * وقرئ وجاءتكم النذر (فان قلت) علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله * لتغنى عنى ذا انائك أجمعا * المعنى ما فى بطنها من الحبل وما فى انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء ألا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهى معها وذو موضوع لمعنى الصحبة * يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاء فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الآخرة الذى ما بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغى أن تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم (أرونى) بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة أرونى أى جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير فى آتيناهم للمشركين كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله * بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء (بعضا) وهم الاتباع (الا غرورا) وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله * وقرئ بينات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لان

أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده

الامساك المنع (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض * وقرئ ولو زالتا وان أمسكهما جواب القسم فى ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء * من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية * بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه * وفى (احدى الامم) وجهان أحدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (مازادهم) اسناد مجازى لانه هو السبب فى أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول له على معنى فما زادهم الا أن نفروا استكبارا وعلوا (فى الارض) أو حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين * ويجوز أن يكون (ومكر السيئ) معطوفا على نفورا (فان قلت) فما وجه قوله ومكر السيئ (قلت) أصله وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله تعالى (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ أى لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس رضى الله عنهما قرأت فى التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك فى كتاب الله وقرأ الآية وفى أمثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيأ (سنت الاولين) انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أى لا يغيرها وأن ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلهم الى الشأم والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفوته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وقيل ما ترك بنى آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس ان الضب ليموت هزلا فى جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شئ (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

انه كان حليما غفورا وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

(سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر

* قرئ يس بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيث وفخمت الالف وأميلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا انسان فى لغة طيئ والله أعلم بصحته وان صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا فى القسم م الله فى أيمن الله (الحكيم) ذى الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة كالحى أو لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فان قلت)

﴿القول فى سورة يس﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه ان قلت ما سر قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين أنه كذلك وأجاب بان الغرض وصفه ووصف ما جاء به فجاء بالوصفين فى نظام واحد فكأنه قال انك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضا فى تنكير الصراط انه مخصوص من بين الصرط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم فى مواضع ان التنكير قد يفيد تفخيما او تعظيما وهذا منه * قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قال فيه انه على الوصف كقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير قال وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار على أن ما مصدرية أو موصولة قال والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الاول متعلقة بالنفى معنى جوابا له والمعنى ان نفى انذارهم هو السبب فى غفلتهم وعلى الثانى بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل انتهى) قلت يعنى انها على التفسير الثانى تفهم ان غفلتهم سبب فى انذارهم (قال) فان قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين فى قوله ما أتاهم من نذير من قبلك * وأجاب بان الآية لنفى انذارهم لا لنفى انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسماعيل وقد كانت النذارة فيهم * (قال) فما تصنع بأحد التفسيرين الذى مقتضاه ان آباءهم لم ينذروا وهو التفسير الاولى فى هذه الآية مع التفسير الثانى ومقتضاه أنهم أنذروا * وأجاب بأن آباءهم الاباعد هم المنذرون لا آباؤهم الادنون (قال) ثم مثل تصميمهم على الكفر وانهم لا يرعوون ولا يرجعون بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين

أى حاجة اليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم (قلت) ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين فى نظام واحد كأنه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فان التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه * وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على أعنى وبالجر على البدل من القرآن (قوما ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى لتنذر قوما ما أنذره آباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا (فان قلت) أى فرق بين تعلق قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الاول متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثانى بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (فان قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما فى الآى الاخر (قلت) لا مناقضة لان الآى فى نفى انذارهم لا فى نفى انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم (فان قلت) ففى أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به (قلت) أريد آباؤهم الادنون دون الاباعد (القول) قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر * ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له

قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا

فى أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم (قال) والضمير للاغلال لان طوق الغل يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ رأسه فلا يزال مقمحا انتهى كلامه (قلت) اذا فرقت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبها بالاغلال وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه مشبها بالاقماح لان المقمح لا يطاطئ رأسه وقوله فهى الى الاذقان تتمة للزوم الاقماح لهم وكان عدم الفكر فى القرون الخالية مشبها بسد من خلفهم وعدم النظر فى العواقب المستقبلة مشبها بسد من قدامهم * (قال) فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدى وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدى * وأجاب بأن الوجه هو الاول واستدل على هذا التفسير الثانى بقوله فهم مقمحون لانه جعل الاقماح نتيجة قوله فهى الى الاذقان ولو كان الضمير للايدى لم يكن معنى التسبب فى الاقماح ظاهرا وترك الحق الابلج للباطل اللجلج انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الفاء للتعقيب كالفاء الاولى فى قوله فهى الى الاذقان أو للتسبب ولا شك أن ضغط اليد مع العنق فى الغل يوجب الاقماح فان اليد والعياذ بالله تعالى تبقى ممسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها ومانعة من وطأتها ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير فان اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض الفرج باطلاقها ولعله يتحيل بها على فكاك الغل ولا كذلك اذا كانت مغلولة فيضاف الى ما ذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم فى الهداية والانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبها بغل الايدى فان اليد آلة الحيلة الى الخلاص

وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ماقدامهم ولا ماخلفهم فى أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله (فان قلت) مامعنى قوله (فهى الى الاذقان) قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك أن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذى يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق (فان قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للايدى وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدى (قلت) الوجه ماذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهى الى الاذقان ولو كان الضمير للايدى لم يكن معنى التسبب فى الاقماح ظاهرا على أن هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذى يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذى يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج (فان قلت) فقد قرأ ابن عباس رضى الله عنهما فى أيديهم وابن مسعود فى أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للايدى أو للايمان (قلت) يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت * وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح الى مرئى وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده أثبتت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه (فان قلت) قد ذكر مادل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهى الايمان نفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحيى الموتى) نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم أن نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما) أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدث فيها تخسيرهم وشئ أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر أى قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى آثار المشائين الى المساجد وعن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا فى ديارنا وقال يا بنى سلمة بلغنى أنكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيأ لاغفل هذه الآثار التى تعفيها الرياح * والامام اللوح وقرئ ويكتب ماقدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شئ بالرفع (واضرب لهم مثلا) ومثل لهم مثلا من قولهم عندى من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للاول * وانتصاب اذ بانه بدل من أصحاب القرية والقرية انطاكية و(المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان * أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى

على

فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى امام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما

* قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الآية (قال) ان قلت قد ذكر مادل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت التقفية تصح لو كان الانذار منفيا وأجاب بان الامر كذلك ولكن لما بين أن البغية المرومة بالانذار وهى الايمان منفية عنهم قفاه بقوله انما تنذر أى انما تحصل بغية الانذار ممن اتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) فى السؤال سوء أدب وينبغى أن يقال وما وجه ذكر الانذار الثانى فى معرض المخالفة للاول مع ان الاول اثبات والانذار الثانى كذلك

على أيديهما خلق كثير ورقى حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا (فعززنا) فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون (فان قلت) لم ترك ذكر المفعول به (قلت) لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه * انما رفع بشر ونصب فى قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفى فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل * (فان قلت) لم قيل انا اليكم مرسلون أولا و(انا اليكم لمرسلون) آخرا (قلت) لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار * وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) أى الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعى والله انى لصادق فيما أدعى ولم يحضر البينة كان قبيحا (تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركى مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان أصابنا شئ كان من أجلكم (طائركم معكم) وقرئ طيركم أى سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهى كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم أى تطيركم * وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن بألف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة يعنى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ أن وان بغير استفهام لمعنى الاخبار أى تطيرتم لان ذكرتم أو ان ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) فى العصيان ومن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى أحد الا بعد ظهوره وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومى وقبره فى سوق انطاكية

فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا

* قوله تعالى انا اليكم مرسلون (قال ان قلت لم أسقط اللام هنا وأثبتها فى الثانية عند قوله ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون قلت الاول ابتداء اخبار والثانى جواب انكار) قال أحمد أى فلاق توكيده

فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة * ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالي لا أعبد الذي فطرني) مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله (واليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع * وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدؤكم واليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة أشياء ان أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به * وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر * أي لما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها (فان قلت) كيف مخرج هذا القول في علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك (قال يا ليت قومي يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الاشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطا عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول أوجه * وقرئ المكرمين * (فان قلت) ما في قوله تعالى (بما غفر لي ربي) أي الماآت هي (قلت) المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شئ غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا أن قولك بم غفر لي بطرح الالف أجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شئ صنعت وبم صنعت * المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (فان قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى الى قوله تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (فان قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (قلت) انما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شئ على كبار الانبياء وأولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب

من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين

النجار وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين الى أن انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك (ان كانت الا صيحة واحدة) ان كانت الاخذة أو العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة أي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شئ الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة * وما بقيت الا الضلوع الجراشع * وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي (خامدون) خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(يا حسرة على العباد) نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في (كم) لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه و (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له ان قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه * قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية * والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون * (فان قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد (قلت) ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا * القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان و (أحييناها) استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ. ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه

* ولقد أمر على اللئيم يسبني * وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشئ الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء * قرئ (وفجرنا) بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ (ثمره) بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر (و) من (ما عملته أيديهم) من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى أن بلغ الثمر منتهاه وابانه أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات

تفيد الاحاطة حتى لا ينفلت عنهم أحد وجميع تفيد الاجتماع وهو فعيل بمعنى مفعول وبينهما فرق انتهى كلامه) قال أحمد ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعا لكل لانه أخص منه وأزيد معنى * قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة أحييناها الآية (قال يجوز أن يكون أحييناها صفة للارض وصح ذلك لان المراد بالارض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بيانا لوجه الآية فيها) قال أحمد وغيره من النحاة يمنع وقوع الجملة صفة للمعرف وان كان جنسيا وليس الغرض منه معينا ويراعى هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه * ولقد أمر على اللئيم يسبني *

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان

الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر

كما قال رؤبة

فيها خطوط من بياض وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كأن ذاك ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الازواج) الاجناس والاصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم فى دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يسمهم وفى الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وفى الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه * سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله (مظلمون) داخلون فى الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذى أقر الله عليه أمرها فى جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذى تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة * وقرئ تجرى الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أى لا تزال تجرى لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذى تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام فى استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم * قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد فى (قدرناه منازل) من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهى الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس و (عاد كالعرجون القديم) وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف * وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لى قديم فهو حر أو كتب ذلك فى وصيته عتق منهم من مضى له حول أو أكثر * وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب * فلا ينبغى للشمس أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وأن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره

* قوله تعالى لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه ان كل واحد منهما لا يدخل على الآخر سلطانه فيطمس نوره بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى (قال) فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس بطيئة السير تقطع فلكها فى سنة والقمر يقطع فلكه فى شهر فكانت الشمس لبطئها جديرة بان توصف بالادراك والقمر لسرعته جديرا بأن يوصف بالسبق انتهى كلامه (قلت) يؤخذ من هذه الآية ان النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف الفقهاء وبيانه من الآية انه جعل الشمس التى هى آية النهار غير مدركة للقمر الذى هو آية الليل وانما نفى الادراك لانه هو الذى يمكن ان يقع وذلك يستدعى تقدم القمر وتبعية الشمس فانه لا يقال أدرك السابق اللاحق ولكن ادرك اللاحق السابق ولا وبحسب الامكان توقيع النفى فالليل اذا متبوع والنهار تابع * فان قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقا * فالجواب ان هذا مشترك الالزام وبيانه أن الاقسام المحتملة ثلاثة اما تبعية النهار لليل وهو مذهب الفقهاء

ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون

* ولا يسبق الليل النهار يعنى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فان قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لان الشمس لا تقطع فلكها الا فى سنة والقمر يقطع فلكه فى شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفى الحديث أنه نهى عن قتل الذرارى يعنى النساء (من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهى سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأدخل فى التعجيب من قدرته فى حمل أعقابهم الى يوم القيامة فى سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق (فلا صريخ) فلا مغيث أو فلا اغاثة يقال أتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) لا ينجون من الموت بالغرق (الا رحمة) الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة (الى حين) الى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد أحسن من قال

ولم أسلم لكى أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

وقرأ الحسن رضى الله عنه نغرقهم (اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التى خلت يعنى من مثل الوقائع التى ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله (الا كانوا عنها معرضين) فكأنه قال واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة * كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن أحق بذلك نزلت فى مشركى قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة

أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة أو اجتماعهما فهذا القسم الثالث منفى باتفاق فلم يبق الا تبعية النهار لليل وعكسه وهذا السؤال وارد عليهما جميعا الا ان من قال ان النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار فان المتأخر اذا نفى ادراكه كان أبلغ من نفى سابقه مع انه يتناءى عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ثنائيا الا يجمع شمل المعنى باللفظ فان الله تعالى نفى أن تكون مدركة فضلا عن أن تكون سابقة فاذا ثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفى السبقية الموجبة لتراخى النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما وحينئذ يثبت التعاقب وهو مراد الآية وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فانه غير معتبر ألا ترى الى جواب موسى بقوله هم أولاء على أثرى فقد قرب بهم منه عذرا عن قوله تعالى وما أعجلك عن قومك فكأنه سهل أمر هذه العجلة بكونهم على أثره فكيف لو كان متقدما وهم فى عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة فذلك لو اتفق لكان سياق الآية يوجب انه لا يعد عجلة ولا سبقا فحينئذ يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفا لصدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فان بين عدم الادراك الدال على التأخير والتبعية وبين السبق بونا بعيدا ومخالفا أيضا لبقية الآية فانه لو كان الليل تابعا ومتأخرا لكان أحرى أن يوصف بعدم الادراك ولا يبلغ به عدم السبق ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقا لصدر الآية صريحا ولعجزها بوجه من التأويل مناسب لنظم القرآن وثبوت ضده أقرب الى الحق من حبل وريده والله الموفق للصواب من القول وتسديده * قوله تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الى قوله ومتاعا الى حين (قلت) من هنا أخذ أبو الطيب

ولم أسلم لكى أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

لانه تعالى أخبر انهم

جوابهم للمؤمنين * قرئ وهم يخصمون بادغام التاء فى الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء فى الكسر
ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم فى أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها
ببالهم مشتغلين بخصوماتهم فى متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون
يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون فى الحجة فى أنهم لا يبعثون (فلا يستطيعون)
أن يوصوا فى شئ من أمورهم (توصية) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم وأهاليهم بل يموتون بحيث
تفجؤهم الصيحة * قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم و (الاجداث) القبور
وقرئ بالفاء (ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها وهى النفخة الثانية * قرئ ياويلتنا * وعن ابن مسعود
رضى الله عنه من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم
أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر و (هذا) مبتدأ
و (ما وعد) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف أى
هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أى ما وعد (الرحمن وصدق المرسلون) حق وعن مجاهد للكفار هجعة
يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن
عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم
أو بعضهم بعضا (فان قلت) اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية
الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة (قلت) تقديره هذا
الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون بمعنى والذى صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث
والقتال ومنه صدقنى سن بكره (فان قلت) من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا
(قلت) معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل الا أنه جئ به على طريقة سيئت بها قلوبهم
ونعيت اليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث
الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو
الاهوال والافزاع وهو الذى وعده الله فى كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين (الا صيحة واحدة) قرئت
منصوبة ومرفوعة (فاليوم لا تظلم نفس شيأ * ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) حكاية ما يقال لهم فى ذلك
اليوم وفى مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له فى النفوس وترغيب فى الحرص عليه وعلى ما يثمره
فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التى هى دار المتقين ووصل
الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع فى تلك الملاذ التى أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا
لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصى من مشاق التكليف ومضايق التقوى
والخشية وتخطى الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقى العصاة من العذاب وعن ابن
عباس فى افتضاض الابكار وعنه فى ضرب الاوتار وعن ابن كيسان فى التزاور وقيل فى ضيافة الله وعن
الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم عما هم فيه وعن الكلبى هم فى شغل عن أهاليهم من أهل النار
لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم * قرئ فى شغل بضمتين وضمة وسكون
وفتحتين وفتحة وسكون * والفاكه والفكه المتنعم والمتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة
وهى المزاحة * وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس
وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا
للضمير فى شغل وفى فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم فى ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك
تحت الظلال * وقرئ فى ظلل والاريكة السرير فى الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين
(يدعون) يفتعلون من الدعاء أى يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال
لبيد * فاشتوى ليلة ريح واجتمل * ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون

فلا يستطيعون توصية
ولا الى أهلهم يرجعون
ونفخ فى الصور فاذا هم
من الاجداث الى ربهم
ينسلون قالوا ياويلنا
من بعثنا من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون ان
كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم جميع لدينا
محضرون فاليوم لا تظلم
نفس شيأ ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون ان
أصحاب الجنة اليوم فى
شغل فاكهون هم
وأزواجهم فى ظلال
على الارائك متكؤن
لهم فيها فاكهة ولهم
ما يدعون

ان سلموا من موت
الغرق فتلك السلامة
متاع الى حين اى الى
أجل يموتون فيه ولا بد
* قوله تعالى فى شغل
فاكهون (قلت) هذا
مما التنكير فيه للتفخيم
كأنه قيل فى شغل أى
شغل وكذا قوله تعالى
سلام قولا من رب
رحيم ومنه قوله تعالى
وأن اعبدونى هذا
صراط مستقيم قال
ومعناه لا صراط أقوم
منه والتنكير يفيد
ذلك افادته اياه فى قول
كثيرة عزة
فان كان يهدى برد
أنيابها العلا
لا فقر منى البيت
ولولا ذلك لم يستقم معنى البيت (قال) ويجوز أن يكون معناه هذا صراط أقل الاحوال فيه أن

من

من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وفلان فى خير ما ادعى أى فى خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء
أى ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم و (سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من) جهة (رب
رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك
لا يمنعونه قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام
بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أى عدة
من رب رحيم والاوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين
وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أى لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا
على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز
وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى
ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض * العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة
العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع * وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم * وقرئ
إعهد بكسرة الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف مضارعته الكسر الا فى الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز
الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا (هذا)
اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما فى
قول كثير

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى * لافقر منى اننى لفقير

أراد اننى لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فى والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا
(صراط مستقيم) يريد صراط بليغ فى بابه بليغ فى استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز
أن يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادى عن سلوكه كما يتفادى الناس عن
الطريق المعوج الذى يؤدى الى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذى هو أقوم الطرق أن
يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذى ليس
بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه * وقرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون
وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات فى معنى الخلق وقرئ جبلا
جمع جبلة كفطر وخلق وفى قراءة على رضى الله عنه جيلا واحد الاجيال * روى أنهم يجحدون ويخاصمون
فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم
أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه
ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل
* وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك
نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على أن الله يأمر الاعضاء بالكلام
والشهادة * الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو من أن يكون على
حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا
لا مسبوقا اليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا الى الطريق المهيع
الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التى ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه
ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك
فضلا عن غيره أو لو شاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم
لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا
يعنى أنهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان

سلام قولا من رب
رحيم وامتازوا اليوم
أيها المجرمون ألم أعهد
اليكم يا بنى آدم أن لا
تعبدوا الشيطان انه
لكم عدو مبين وأن
اعبدونى هذا صراط
مستقيم ولقد أضل
منكم جبلا كثيرا أفلم
تكونوا تعقلون هذه
جهنم التى كنتم توعدون
اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون اليوم نختم
على أفواههم وتكلمنا
أيديهم وتشهد أرجلهم
بما كانوا يكسبون ولو
نشاء لطمسنا على
أعينهم فاستبقوا الصراط
فأنى يبصرون ولو نشاء
لمسخناهم

يعتقد أنه مستقيم كما
يقول الرجل لولده هذا
فيما أظن قول نافع غير
ضار توبيخا له على
الاعراض عن نصائحه

يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها (على مكانتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم • وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضى والمضى كالعتى والعتى والمضى كالصبى (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقى من درجة الى درجة الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيأ ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء • كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبى معيط فقيل (وما علمناه الشعر) أى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شئ وأين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه واذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا أن هذا لفظه عربى كما أن ذاك كذلك (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فان قلت) فقوله

أنا النبى لا كذب • أنا ابن عبد المطلب

وقوله

هل أنت الا اصبع دميت • وفى سبيل الله ما لقيت

(قلت) ما هو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف الا أنه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه أن جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه (من كان حيا) أى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو معلوما منه أنه يؤمن فيحيا بالايمان (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان (مما عملت أيدينا) مما توليناه نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح أن يقدر عليها الا هو وعمل الايدى استعارة من عمل من يعملون بالايدى (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله

أصبحت لا أحمل السلاح ولا • أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل

يصرفه الصبى بكل وجه • ويحبسه على الخسف الجرير

على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها

* قوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق (قال) فيه مناسبة لقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم من حيث انه استدلال بقدرته على رده الى أرذل العمر والى الضعف بعد القوة كما أنه قادر على طمس أعينهم والله أعلم

وتضربه الوليدة بالهراوى • فلا غير لديه ولا نكير

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أى ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم (منافع) من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب • اتخذوا الآلهة طمعا فى أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار • وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن (فان قلت) ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل والثانى أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسران وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما يوجب شيأ ألا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر • قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادى كفر الانسان وافراطه فى جحود النعم وعقوق الايادى وتوغله فى الخسة وتغلغله فى القحة حيث قرره بأن عنصره الذى خلقه منه هو أخس شئ وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة • ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهى المكابرة التى لا مطمح وراءها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبى بن خلف الجمحى وأبو جهل والعاصى بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم أبى ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فاذا هو خصيم مبين) فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح كما قال تعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين • (فان قلت) لم سمى قوله (من يحيى العظام وهى رميم) مثلا (قلت) لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهى انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لان ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيى العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه فى أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه • والرميم اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات

منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة

فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبى حنيفة فهى عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها * ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى يورى بها الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين * قرئ الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم * من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى أقدر وفى معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس * وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم فى الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (انما أمره) انما شأنه (اذا أراد شيأ) اذا دعاه داعى حكمة الى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أى فهو كائن موجود لا محالة (فان قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شئ من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع (فان قلت) فما وجه القراءتين فى فيكون (قلت) أما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شئ مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيأ مما تقدر عليه من المباشرة بمحل القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة (فسبحان) تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شئ) هو مالك كل شئ والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شئ ومملكة كل شئ وملك كل شئ والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام ان فى القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهى سورة يس

﴿ سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أقسم

وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون

---

*(القول فى سورة والصافات) * ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا الآية (قال) فى تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم فى الصلاة وزجرهم السحاب أى سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصافف أقدامهم فى الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصى وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون فى الحرب ويزجرون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر (فان قلت) ما حكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تقع لثلاثة أوجه اما التعاقب ووقوع الصفات وجودا كقوله

* يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب *

أو على ترتبها التفاوت من بعض الوجوه كقولك اعمل الاحسن فالاجمل واما الترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذا ان وحدت الموصوف كانت للدلالة (٤٧٧) على ترتب الصفات فى التفاضل وان ثلثته فهى للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها ان تعتقد ان صنفا مما ذكر فى التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز أولى الصفات وأفضلها أو على العكس ومعنى تثليثها أن تجعل كل صفة لطائفة ويكون التفاضل بين الطوائف اما على أن الاول هو الافضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد جوز أن يكون ترتبها فى التفاضل على أن الاول هو الافضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع ونحن نبينه فنقول وجه البداءة بالافضل الاعتناء بالاهم فقدم ووجه عكس هذا الترقى من الادنى الى الاعلى ومنه قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال ان هذا انما ساغ لان الواو لا تقتضى رتبة فان هذا غايته انه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة وفى هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل فى مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى فانهما يقولان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغيرهما يذهب الى أنها حروف قسم فوقوع الفاء فى هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد الا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة فى مثل هذا السياق للعطف لا للقسم

﴿ سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

---

* أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون أو أجنحتها فى الهواء واقفة منتظرة لامر الله (فالزاجرات) السحاب سوقا (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه (فان قلت) ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة فى الصفات (قلت) اما أن تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله

يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

كأنه قيل الذى صبح فغنم فآب واما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها فى ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة فى الصفات (فان قلت) فعلى أى هذه القوانين هى فيما أنت بصدده (قلت) ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات فى التفاضل وان ثلثته فهى للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها فى الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان أردت العلماء وقواد الغزاة وان أجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات فى الفضل أعنى أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك اذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء فى الصاد والزاى والذال (رب السموات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف و (المشارق) ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين (فان قلت) فماذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين (قلت) أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (الدنيا) القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشئ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملها قوله (بزينة الكواكب) فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهى قراءة أبى بكر والاعمش وابن

* قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لان الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له وأبطل أن يكون أصله لئلا يسمعوا فحذف اللام وحذفها كثير ثم حذف أن وأهدر عملها مثل

* ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى * واستبعد اجتماع هذين الحذفين وان كان كل واحد منهما بانفراده سائغا ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصا لما عليه أحوال المسترقة للسمع اه كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب عن اشكاله (٤٧٨) الوارد على الوجه الاول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال كونه محفوظا منه هى حاله حال كونه لا يسمع واحدى الحالين لازمة للاخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفا بعدم السماع فى حالة واحدة لا على ان عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه ونظير هذه الآية على هذا التقدير

وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب

قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فقوله تعالى مسخرات حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذى هو سخر ومعناه مستقيم لان تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التى سخرت فيها هى الحال التى كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشار له الزمخشرى فى هذه الآية قريب من هذا التفسير الا أنه ذكر معه تأويلا آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كممزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعا من التسخير وفيما ذكرناه كفاية ومن هذا النمط ثم أرسلنا رسلنا وهم ما كانوا رسلا الا بالارسال وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون الا بالحفظ وأما الجواب عن اشكاله الثانى فورود حذفين فى مثل قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا وأصله لئلا تضلوا فحذف اللام ولا جيما من محليهما

وثاب وان أردت الاسم فللاضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة فى الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساريها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز فى نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة (وحفظا) مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا (من كل شيطان) زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا * والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها * الضمير فى (لا يسمعون) لكل شيطان لانه فى معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد (فان قلت) لا يسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لان سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك * الا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب (فان قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى قولك جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما فى قول القائل * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فان قلت) أى فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه (قلت) المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك * والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا أو على أنه قد جاء مجىء القبول والولوع * والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعنى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها

فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون ما لكم لا تناصرون

وتشديدها وأصلهما اختطف * وقرئ فأتبعه وفاتبعه * الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهى بمعنى الاستفهام فى أصلها فلذلك قيل (فاستفتهم) أى استخبرهم (أهم أشد خلقا) ولم يقل فقررهم والضمير لمشركى مكة قيل نزلت فى أبى الاشدين كلدة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم الذى خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون * وخلقهم (من طين لازب) اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم * وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد * والثاقب الشديد الاضاءة (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (و) هم (يسخرون) منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى عجبت منها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتى أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه (فان قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثانى أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء فى الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شئ وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعى ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يبالغون فى السخرية أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والذى جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أى الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما (هى) الا (زجرة واحدة) وهى لا ترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها فرعت لصوته ومنه قوله

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها (فاذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون ياويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و (هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرباءهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (فاهدوهم) فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا

بل هم اليوم مستسلمون
وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قالوا
انكم كنتم تأتوننا عن
اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا
عليكم من سلطان بل
كنتم قوما طاغين فحق
علينا قول ربنا انا
لذائقون فأغويناكم
انا كنا غاوين فانهم
يومئذ فى العذاب
مشتركون انا كذلك
نفعل بالمجرمين انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله
الا الله يستكبرون
ويقولون أئنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون
بل جاء بالحق وصدق
المرسلين انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما
تجزون الا ما كنتم
تعملون الا عباد الله
المخلصين أولئك لهم
رزق معلوم فواكه
وهم مكرمون فى جنات
النعيم على سرر متقابلين
يطاف عليهم بكأس
من معين

على خلاف ذلك فى الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن
عجز فكلهم مستسلم غير منتصر * وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام * اليمين لما كانت أشرف
العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر
الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح
وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الامور باليمين وأراذلها بالشمال
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن فى كل شئ وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب
السيآت ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسئ أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه
عن اليمين أى من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء فى بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة
اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من
بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه
وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة (فان قلت) قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز فى
نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز (قلت) من المجاز ما غلب فى الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا
من ذلك ولك أن تجعلها استعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم
كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه
وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أبيتم أنتم الايمان
وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين اليه (وما كان لنا عليكم) من تسلط نسلبكم به
تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما) مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد
الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون
ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل

* لقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن
ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف (فأغويناكم) فدعوناكم الى الغى دعوة
محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغى على الرشد (انا كنا غاوين) فأردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم)
فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة مشتركون فى العذاب كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا)
مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعنى أن سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها (انهم كانوا اذا)
سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا الا الشرك (لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه
وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه * وقرئ لذائقوا العذاب
بالنصب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * بتقدير التنوين * وقرئ على الاصل لذائقون
العذاب (الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سئ (الا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء
المنقطع * فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى أن رزقهم كله فواكه
لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على
سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن
منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله فى
جنات يأباه وقوله (وهم مكرمون) هو الذى يقوله العلماء فى حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من
أعظم ما يجب أن تتوق اليه نفوس ذوى الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار
وصغارهم * التقابل أتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض * يقال للزجاجة فيها الخمر كأس
وتسمى الخمر نفسها كأسا قال * وكأس شربت على لذة * وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا
فى تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر

للعيون

بيضاء لذة للشاربين
لا فيها غول ولا هم عنها
ينزفون وعندهم
قاصرات الطرف عين
كأنهن بيض مكنون
فأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قال قائل
منهم انى كان لى قرين
يقول أئنك لمن المصدقين
أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون
قال هل أنتم مطلعون
فاطلع فرآه فى سواء
الجحيم قال تالله ان كدت
لتردين ولولا نعمة ربى
لكنت من المحضرين
أفما نحن بميتين
الا موتتنا الاولى وما
نحن بمعذبين

* قوله تبارك وتعالى
يطاف عليهم بكأس
من معين الى قوله
فأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون (قال
فيه) معناه يتساءلون
يتحادثون على الشراب
كعادة الشرب
وما بقيت من اللذات الا
أحاديث الكرام على
المدام
* قوله تعالى هل أنتم
مطلعون (قال) فأطلع
على صيغة المضارع
المنصوب قال فى
موجب هذه القراءة
ان معناها انه لا يستبد
بأمر دونهم فشرط فى
اطلاعه اطلاعهم وذلك
من آداب المجالسة

العيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر
(بيضاء) صفة للكأس (لذة) اما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هى تأنيث اللذ يقال لذ الشئ
فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد النوم * الغول من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده ومنه الغول الذى فى تكاذيب العرب وفى
أمثالهم الغضب غول الحلم و (ينزفون) على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران
نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء
وفى أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه قال

لعمرى لئن أنزفتمو أو صحوتمو * لبئس الندامى كنتمو آل أبجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا فى القشع
والكب وفى قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها
فساد قط من أنواع الفساد التى تكون فى شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم
أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن
أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا * والعين النجل العيون شبههن ببيض
النعام المكنون فى الاداحى وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور (فان قلت) علام عطف قوله
(فأقبل بعضهم على بعض) قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب
قال وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا أنه جئ به ماضيا على عادة الله فى أخباره
* قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشددا الصاد من التصدق وقيل نزلت فى رجل تصدق
بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله به فى الآخرة
خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ (لمدينون)
لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه
(قال) يعنى ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها
منها الى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا
فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفأطلع بالتشديد على لفظ الماضى والمضارع
المنصوب ومطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان
واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فأطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع
فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم
وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشئ دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة
وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله * هم الفاعلون الخير
والآمرونه * أو شبه اسم الفاعل فى ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا فى
الشعر (فى سواء الجحيم) فى وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائى وعن أبى عبيدة قال لى عيسى بن عمر كنت
أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائى (ان) مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان
كاد ليضلنا واللام هى الفارقة بينها وبين النافية * والارداء الاهلاك وفى قراءة عبد الله لتغوين (نعمة ربى) هى
العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء أو انعام الله بالثواب وكونه من أهل
الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك * الذى عطفت عليه الفاء
محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين

إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته

وصفتهم وماقضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لايذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ماشر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت بقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) أى ان هذا الامر الذى نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو مارزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أى خير حاصلا (أم شجرة الزقوم) وأصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والنزل مايقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه أنزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم انه لاخير فى شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ماأدى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ماأدى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها * والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لايخلطه خير فيقولون فى القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على أقبح مايقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا فى الملك أنه خير محض لاشر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلى وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وماسمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به (منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد * شوبه أى مزاجه (من حميم) يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم * وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم مايشاب به والاول تسمية بالمصدر (فان قلت) مامعنى حرف التراخى فى قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفى قوله (ثم ان مرجعهم) قلت فى الاول وجهان أحدهما أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ماهو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثانى أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته فى الزيادة عليه ومعنى الثانى أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقذهم الى الجحيم * علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل * والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين * لما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع

هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لاتنطقون

ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين أيس من قومه * واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة وأوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ مايكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم فقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ولده وأزواجهم وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فان قلت) فما معنى قوله (فى العالمين) قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لايخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم * علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بأنه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك فى تحصيله والازدياد منه (من شيعته) ممن شايعه على أصول الدين وان اختلفت شرائعهما أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق فى أكثر الاشياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (فان قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فان قلت) مامعنى المجئ بقلبه ربه (قلت) معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجئ مثلا لذلك (أئفكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بأنهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا يعنى أتريدون به افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على أنها افك فى أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لايقدر فى وهم ولا ظن مايصد عن عبادته أو فما ظنكم به أى شئ هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره (فى النجوم) فى علم النجوم أو فى كتابها أو فى أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب أنظر اليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بأمارة فى علم النجوم على أنه يسقم (فقال انى سقيم) انى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام مافعل (فان قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به أن من فى عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابى أصحيح من الموت فى عنقه وقيل أراد انى سقيم النفس لكفركم (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى أصنامهم التى هى فى زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائى (ألا تأكلون مالكم لاتنطقون) استهزاء بها

قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون (قال فيه) يعنى خلقكم وما تعملون من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن
فان قلت كيف يكون الشئ الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم * وأجاب بان هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكله
لا جوهره وكذلك الاصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى وأشكالها وصورها معمولة لهم * فان قلت ما منعك أن تكون ما مصدرية
لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة * وأجاب بان أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن
معنى الآية يأباه فان الله تعالى (٤٨٤) احتج عليهم بانه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى

عمل صورة المعبود * قال ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن للكلام طباق وشئ آخر وهو ان قوله وما تعملون شرحه فى قوله أتعبدون ما تنحتون ولا مقال فى أن ما هذه موصولة فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب * قال فان قلت أجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم

فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه

وحينئذ توافق الاولى فى أنها موصولة فلا يلزمنى التفرقة بينهما وأجاب فقال بل الالزامان فى عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فهى واقعة عندك على المصدر الذى هو جوهر الصنم وفى ذلك فك للنظم وتبتير

وبانحطاطها عن حال عبدتها (فراغ عليهم) فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم (ضربا) لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا شديدا قويا لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف اذا دخل فى الزفيف أو من أزفه اذا حمله على الزفيف أى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه (فان قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم بذمهم فلعله هو الكاسر ففى أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفى الآخر أنهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذى وضعوه عندها للتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثانى أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فاتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعنى خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن أى فطر الاصنام (فان قلت) كيف يكون الشئ الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا (قلت) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسى وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذى يريدونه (فان قلت) فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة (قلت) أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه ابادا جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشئ آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما فى ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر فى علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن (فان قلت) أجعلها موصولة حتى لا يلزمنى ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم (قلت) بل الالزامان فى عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك أنك وان جعلتها موصولة

كما لو جعلتها مصدرية انتهى كلامه (قلت) اذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل فنقول يتعين حملها على المصدرية وذلك
انهم لم يعبدوا هذه الاصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتغاير وتوافى تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجرا دون
حجر فدل أنهم انما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التى هى أثر عملهم ففى الحقيقة انهم عبدوا عملهم وصلحت الحجة عليهم بانهم مثله مع
أن المعبود كسب العابد وعمله فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه فاذا ثبت ذلك

فليتتبع كلامه بالابطال أما قوله انها موصولة وان المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر فانه مفتقر الى حذف مضاف فى
موضع الياس يكون تقديره والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فانه غير مفتقر الى حذف البتة ثم اذا
جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل (٤٨٥) العابد مع موافقته على أن جواهر الاصنام

ليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبودا لهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار فى أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قررناه يتضح

فى الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما

وأما قوله ان المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح فان لنا أن نحمل الاولى على أنها مصدرية وانهم فى الحقيقة انما عبدوا نحتهم لان هذه الاصنام وهى حجارة قبل النحت

موصولة فانك فى ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التى هى الاصنام وبما تعملون المعانى التى هى الاعمال وفى ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهى جحيم * والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم فى المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه * أراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث أمره بالمهاجرة اليه من أرض الشأم كما قال انى مهاجر الى ربى (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى كما قال موسى عليه السلام كلا ان معى ربى سيهدين كأن الله وعده وقال له ساهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناه على عادة الله تعالى معه فى هدايته وارشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل (هب لى من الصالحين) هب لى بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد وان كان قد جاء فى الاخ فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال على بن أبى طالب لابن عباس رضى الله عنهم حين هنأه بولده على أبى الأملاك شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب * وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابراهيم فى قوله ان ابراهيم لأواه حليم ان ابراهيم لحليم أواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا * فلما بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه (فان قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لا يخلو اما أن يتعلق ببلغ أو بالسعى أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى فى اختصاص الاب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به فى الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه فى حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم * أتى فى المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة فلهذا قال (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب فى سفينة رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أى ماذا تريك نفسك من الرأى (افعل ما تؤمر) أى ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أو أمرك على اضافة المصدر الى المفعول

لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففى الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذى هو عملهم فالمطابقة اذا حاصلة والالزام على هذا
أبلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا كما يقول الزمخشرى مكافحين لقوله والله خلقكم وما تعملون بأن يقولوا لولا كرامة
ولا يخلق الله ما نعمل نحن لانا انما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله وكانوا يجدون الذريعة الى اقحام الحجة ويأبى الله

وتسمية المأمور به أمر او قرئ ما تؤمر به (فان قلت) لم شاوره فى أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فان قلت) لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه واخوته له فى المنام من غير وحى الى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام فى المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة أو حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما * يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله وأسلم له منقول منه وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة فى أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع أحد جنبيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التى بمنى وعن الحسن فى الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك فى المنحر الذى ينحر فيه اليوم (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا فى تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب وقوله (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها * الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعن الحسن فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم عليه السلام الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وحكى فى قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها شئ من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع امرارها على حلقى حتى تجهز على ليكون أهون فان الموت شديد واقرأ على أمى سلامى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبنى على وجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فان قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظى

وجماعة

وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم

الا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الاكاذيب الفارغة فهذا الزام بل الجام لمن خالف السنة وغل بعنقه وعقر بكتفه وضرب على يده حتى يرجع الى الحق آيبا ويعترف بخطئه تائبا

* قوله تعالى قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم (قال فيه) فان قلت قد أوحى الى ابراهيم فى المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح * فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابراهيم ألا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل فى شئ كما يسبق الى (٤٨٧) بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام عليه

وجماعة من التابعين أنه اسمعيل والحجة فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له اعرابى يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظى قال كان مجتهد بنى اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب ما لمجتهد بنى اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل وأنا بين أظهرهم قد أسمعتنى كلامك واصطفيتنى برسالتك قال يا موسى لم يحبنى أحد حب ابراهيم قط ولا خير بينى وبين شئ قط الا اختارنى وأما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه وأما اسرائيل فانه لم ييأس من روحى فى شدة نزلت به قط ويدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق نبيا وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شئ ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم أرسل الى يهودى قد أسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى أن احترق البيت وعن الاصمعى قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه اسحق فى قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد فى قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب فى قوله فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد فى يعقوب وعن على بن أبى طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه اسحق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشأم بأنه استوهبه ولدا ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (فان قلت) قد أوحى الى ابراهيم صلوات الله عليه فى المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح (قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل فى شئ كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فان قلت) الله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه (قلت) الفادى هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدى به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذى هو الممكن من الفداء بهبته (فان قلت) فاذا كان ما أتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل (قلت) قد علم عنه الله أن حقيقة

انتهى كلامه (قلت) كل ما ذكرتدندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة وأما أهل السنة فيثبتون جوازه لان التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل فجاز رفعه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لان القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها ان ابراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل افعل ما تؤمر ونسخ قبل التمكن بدليل العدول الى الفداء فمن ثم تحوم الزمخشرى على انه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه وانما امتنعت بأمر من الله تعالى وغرضه بذلك أحد أمرين اما أن يكون الامر انما توجه عليه بمقدمات الذبح

وقد حصلت لا بنفس الذبح أو توجه الامر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن وكلا الامرين لا يخلصه أما قوله أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله انى أرى فى المنام أنى أذبحك وقوله افعل ما تؤمر وأما قوله لم يتمكن لان الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الامر بالذبح فحاصله انه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ اذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة ولما لم يكن فى هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم الى تسليم انه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم وهو باطل لا ثبوت له وسياق الآية يحيل دعواه ويفل ثنياه

كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم

الذبح لم تحصل من فرى الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل
تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل ولكن فى نفس الكبش بدلا منه (فان قلت) فأى فائدة فى تحصيل تلك الحقيقة
وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة فى ذلك أن يوجد ما منع
منه فى بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه (فان قلت) لم قيل ههنا (كذلك
نجزى المحسنين) وفى غيرها من القصص انا كذلك (قلت) قد سبقه فى هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف
بطرحها اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فان قلت)
فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير
موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة
وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذى هو
اسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة
والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة
فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى أن تكون موجودة أو
مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذى يحل
الاشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة
نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين
(من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبى لا بد أن يكون من الصالحين
وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن
تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع
علمه بأنه سيكون نبيا (وباركنا عليه وعلى اسحق) وقرئ وبركنا أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله
وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بأن
أخرجنا أنبياء بنى اسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين
وفيه تنبيه على أن الخبث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا
مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب
بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله أو فرعه (من الكرب العظيم) من الغرق أو
من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) الضمير لهما ولقومهما فى قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب
المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة كما قال انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من جوز أن تكون
التوراة عربية أن تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو (الصراط المستقيم) صراط
أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * قرئ الياس بكسر الهمزة
والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبى وقرأ ابن مسعود وان ادريس فى موضع الياس وقرئ
ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصنم
كان لهم كناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به
وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل
ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام
وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى
أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله (الله ربكم ورب آبائكم) قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب
على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع * وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين
وادرسين على انها لغات فى الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون فى السريانية معنى وقرئ على
الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون (فان قلت) فهلا حملت على

مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون

هذا الياسين على القطع واخواته (قلت) لو كان جمعا لعرف بالالف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن
ياسين اسم أبى الياس أضيف اليه الآل (مصبحين) داخلين فى الصباح يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم
الى الشام ليلا ونهارا أفما فيكم عقول تعتبرون بها * قرئ يونس بضم النون وكسرها * وسمى هربه من
قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز * والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا * والمدحض
المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روى أنه حين ركب فى السفينة وقفت فقالوا ههنا
عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على
يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت وهو مليم) داخل فى الملامة يقال رب لائم مليم
أى يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب فى مشوب مبنيا على
شيب ونحوه مدعى بناء على دعى (من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله
فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح فى
القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة فى الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا
عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل فى اكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله واقباله
على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر فى وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى فى المضايق
والشدائد (للبث فى بطنه) الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم
القيامة وروى أنه حين ابتلعه أوحى الله الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما واختلف
فى مقدار لبثه فعن الكلبى أربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن
الحسن لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه * وروى أن الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا
وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل * والعراء المكان الخالى لا شجر فيه ولا شئ يغطيه (وهو
سقيم) اعتل مما حل به وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد * واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض
ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به وقيل هو الدباء
وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى
شجرة أخى يونس وقيل هى التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل
كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروى أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى
جزعا فأوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكى على مائة ألف فى يد الكافر (فان قلت) ما معنى وأنبتنا عليه
شجرة (قلت) أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به ما سبق
من ارساله الى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين أو الى غيرهم وقيل
أسلموا فسألوه أن يرجع اليهم فأبى لان النبى اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله
باعث اليكم نبيا (أو يزيدون) فى مرأى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف
بالكثرة (الى حين) الى أجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله فى أول
السورة وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام
موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله الاناث
ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن
ولقد ارتكبوا فى ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثانى تفضيل
أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين والثالث أنهم استهانوا بأكرم
خلق الله عليه وأقربهم اليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء

لبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك فى أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها فى كتابه مرات ودل على فظاعتها فى آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزأ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون أصطفى البنات على البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) (فان قلت) لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة (قلت) ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه قوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم * وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى * (فان قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبى جعفر بكسر الهمزة على الاثبات (قلت) جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش رضى الله عنهما وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهى ضعيفة والذى أضعفها أن الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون (مالكم كيف تحكمون) فمن جعلها للاثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين * وقرئ تذكرون من ذكر (أم لكم سلطان) أى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم فى ذلك كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم شديد وما الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجب من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا أن يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة (فان قلت) لم سمى الملائكة جنة (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين فى أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها اليهم وفيه اشارة الى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوى بينى وبين عبدى واذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه * والضمير فى (انهم لمحضرون) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة أنهم فى ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب حيث أضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن أشركوا الجن فى طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير فى انهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون أن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو فى يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به * الضمير فى (عليه) لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فان قلت) كيف يفتنونهم على الله

(قلت)

أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه

(قلت) يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها عليه * ويجوز أن يكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم أى فانكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبدون (بفاتنين) بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال (الا من هو) ضال مثلكم أو يكون فى أسلوب قوله

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف (فان قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو (قلت) من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال فى صائل كقولهم شاك فى شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين (وما منا) أحد (الا له مقام معلوم) فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * بكفى كان من أرمى البشر * مقام معلوم مقام فى العبادة والانتهاء الى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه (لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو أجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل فى صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا وإياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه * هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكرا) أى كتابا (من) كتب (الاولين) الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا (فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام * وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين القول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره * الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات عدة لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة * وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى

بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون

الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبى فى حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وفى قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت (فتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذاهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وعن السدى الى يوم بدر وقيل الموت وقيل الى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب فى العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفى ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف لا للتبعيد * مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التى تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل * وقرأ ابن مسعود فبئس صباح * وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضى الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * وانما ثنى (وتول عنهم) ليكون تسلية على تسلية وتأكيد الوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة * أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد * وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث أوله سورة ص ﴾

فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين



فهـــرست

(الجـــزء الثانى من الكشاف)

(فهرست الجزء الثاني من الكشاف)

(تمت)